الامام الحسين
بن علی علیه السلام
محمدمهران بیومی

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الحسين‌بن على عليهماالسلام

كاتب:

محمدبيومى مهران

نشرت فى الطباعة:

پيام عترت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الحسین بن علی(علیه‌السلام) ----- ۹
اشارة ----- ۹
اهداء ----- ۹
تقدیم ----- ۹
فی رحاب النبی ----- ۱۸
مولد الامام الحسین ----- ۱۸
نسب الامام الحسین ----- ۱۹
کنیة الامام الحسین و ألقابه ----- ۲۰
مشابهة الحسین للنبی ----- ۲۱
بنوة الحسین للنبی ----- ۲۱
نشاة الامام الحسین ----- ۲۲
مکانة الحسین عند النبی ----- ۲۳
اخبار النبی بمقتل الحسین ----- ۲۵
الامام الحسین و الخلفاء الراشدون ----- ۲۵
الامام الحسین و الصدیق ----- ۲۵
الامام الحسین و الفاروق ----- ۲۶
الامام الحسین و ذو النورین ----- ۲۸
الامام الحسین فی خلافة أبیه الامام علی ----- ۲۹
الامام الحسین فی خلافة الامام الحسن ----- ۳۰
الامام الحسین فی عهد معاویة ----- ۳۰
موقف الامام الحسین من الصلح مع معاویة ----- ۳۰
موقف معاویة من آل البیت ----- ۳۱

موقف معاویة من أنصار آل البیت ۳۳
العلاقة بین الامام الحسین و معاویة ۳۴
استشهاد الامام الحسین ۳۶
موت معاویة و رفض الامام الحسین البیعة لیزید ۳۷
الخروج الی مکة ۳۸
تطور الأحداث فی الکوفة ۴۳
فی الطریق الی الکوفة ۴۵
المعرکة الخالدة فی کربلاء ۴۷
یوم عاشوراء ۵۱
شهداء آل البیت ۵۴
استشهاد الامام الحسین ۵۶
الرسول و استشهاد الحسین ۵۹
الجن و استشهاد الامام الحسین ۶۰
ذکری یوم عاشوراء ۶۱
آل بیت النبی بعد مذبحة کربلاء ۶۳
آل البیت ما بین کربلاء و الکوفة ۶۳
آل البیت فی قصر ابن زیاد ۶۴
السیدة زینب و آل البیت فی قصر یزید بدمشق ۶۵
السیدة زینب و آل البیت فی المدینة ۶۸
السیدة زینب فی مصر ۶۹
قصة الرأس الشریف ۷۱
رأس الامام الحسین عند ابن زیاد ۷۱
رأس الامام الحسین عند یزید ۷۲
الاختلاف فی مکان دفن الرأس الشریف ۷۳

اشاره ----- ۷۳
الرأس الشریف فی کربلاء ----- ۷۴
الرأس الشریف فی المدینة ----- ۷۴
الرأس الشریف فی حلب ----- ۷۵
الرأس الشریف فی مرو ----- ۷۵
الرأس الشریف فی الرقة ----- ۷۵
الرأس الشریف فی دمشق ----- ۷۵
الرأس الشریف فی عسقلان ----- ۷۶
الرأس الشریف بالمشهد الحسینی بالقاهرة ----- ۷۷
قبر الامام الحسین ----- ۸۴
العدالة الالهیة ----- ۸۵
اشاره ----- ۸۵
ثورة المدینة المنورة ----- ۸۵
ثورة ابن الزبیر فی مکة ----- ۸۸
حرکة التوابین فی الکوفة ----- ۸۹
حرکة المختار الثقفی ----- ۹۰
مقتل ابن زیاد و ابن سعد ----- ۹۲
مسئولیة یزید عن مقتل الامام الحسین ----- ۹۴
استئصال شأفة یزید ----- ۹۷
قضیة الامام الحسین فی المیزان ----- ۹۸
الحرکة الفریدة فی التاریخ ----- ۹۸
اسباب امتناع الامام الحسین عن بیعة یزید ----- ۹۹
قضیة الامام الحسین ----- ۱۰۵
رجال القضیة ----- ۱۰۸

دروس من کربلاء ----- ۱۱۲
مع المؤرخین ----- ۱۱۹
اشاره ----- ۱۱۹
الشیخ الخضری ----- ۱۲۱
ابن العربی ----- ۱۲۴
ابن خلدون ----- ۱۲۷
ابن تیمیة ----- ۱۳۰
الدکتور شعوط ----- ۱۳۳
فی رحاب الامام الحسین ----- ۱۴۱
تواضعه و آدابه ----- ۱۴۱
کرمه و جوده ----- ۱۴۲
جرأته و شجاته الأدبیة ----- ۱۴۳
هیبته و وقاره ----- ۱۴۵
ورعه و تقواه ----- ۱۴۵
مکانته العلمیة ----- ۱۴۶
مکانة الامام الحسین عند المسلمین ----- ۱۵۰
اسرة الامام الحسین ----- ۱۵۱
الامام علی زین العابدین ----- ۱۵۲
مناقب الامام الحسین ----- ۱۵۵
فضائل الامام الحسین ----- ۱۵۶
پاورقی ----- ۱۵۹
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۶۰

الامام الحسين بن على(عليه‌السلام)

اشارة

سرشناسه : مهران، محمد بيومى

عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين‌بن على(عليه‌السلام)/ محمد بيومى مهران

مشخصات نشر : پيام العترت: محمود المير هندى الاصفهانى، ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸.

مشخصات ظاهرى : ص ۳۶۴

شابک : ۹۶۴-۵۶۳۶-۳۹-۶۱۵۰۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۵۶۳۶-۳۹-۶۱۵۰۰۰ریال

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

يادداشت : عربى

يادداشت : كتابنامه: ص. ۳۵۹ - ۳۵۳

موضوع : حسين‌بن على(ع)، امام سوم. ۶۱ - ۴ق.

رده بندى كنگره : BP۴۱/۴/م۹الف۸

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۵۳

شماره كتابشناسى ملى : م۷۸-۱۴۰۵۱

اهداء

اليک يا ابن رسول‌الله اليک يا من قال فيه رسول‌اللهحسين منى، و أنا من حسينأحب الله من أحب حسيناحسين سبط من الأسباطاليک يا ابن فارس الاسلامماليک يا ابن سيدة نساء العالمينماليک يا سيد شباب أهل الجنةاليک يا سيدالشهداء، و أبى الشهداءاليک يا سيدى الامام الحسين بن عليأشرف باهداء هذه الدراسةو كل أمل من ربى - جل جلاله - أن يتقبلها [صفحه ۹]

تقديم

الامام الحسين: هو أبو عبدالله الحسين بن على بن أبىطالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه السيدة فاطمة الزهراء، بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، فهو هاشمى من أبوين هاشميين، و أبوه على من أبوين هاشميين كذلک، و فوق ذلک كله، فان جده رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم، سيد ولد آدم و لا فخر، و صدق رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث يقول «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى من قريش بنىهاشم، و اصطفانى من بنىهاشم»، و هكذا شرف مولانا الامام الحسين، و شرفت ذريته من بعده الى يوم القيامة بالانتساب الى أعظم نسب عرفته الدنيا فى تاريخها الطويل.و كان الامام الحسين من أحسن الناس خلقا و خلقا، و أشبه الناس بجده المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم، الذى شرفه - كما شرف أخاه الامام الحسن - بأن نسبهما اليه فجعلهما ابنيه، و ان كانا من صلب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و قد أيد القرآن الكريم هذه النبوة فى آية المباهلة (آل عمران آية ۶۱) عندما خرج سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم لمباهلة نصارى نجران، فأخذ معه الحسن و الحسين و على و فاطمة، دون غيرهم من الناس.هذا و قد نشأ الامام الحسين فى بيت الوحى، و تربى فى بيت التوحيد، [صفحه ۱۰] فكان صورة مصغرة لجده النبى الأعظم صلى الله عليه و سلم، و مرآة تنعكس عليها

شمائله و صفاته، فسيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم انما هو شمس الهداية، و الحسين قبس منها، و صدق رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول «حسين منى، و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، كما كان الحسين صورة من أبيه الامام على، بل هو أشبه أهله به، كما يقول الامام على نفسه، فلقد كان الامام على يدرك بالهامه الصادق، و يحس ببصيرته، الكوارث التى يمكن أن تنجم من محاولة معاوية بن أبى‌سفيان تحويل الاسلام الى ملك عضوض، و مزرعة أموية، فقام قومته المعروفة ليمنع الكارثة قبل وقوعها، ثم قام من بعده ولده العظيم الامام الحسين، ليمنع امتداد لكارثة و استمرارها، مهما كان الثمن، و اذا راجعنا تاريخ الأمم و الشعوب، فليس فى تاريخ العالم أسرة أنجبت من الشهداء، من أنجبتهم أسرة الامام الحسين - عدة و قدرة و ذكرى - و حسبه أنه وحده فى تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد، أخو الشهداء، أبو الشهداء فى مئات السنين، و حسبه أنه ليس فى بنى الانسان من هو أشجع قلبا من أقدم على ما أقدم عليه الحسين فى يوم كربلاء.و لقد كان سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يرى بنور الله، مما تضطرم به نفس الامام الحسين من شدة الحق، و استعداد للكفاح، فكان دائم التشجيع له، و الحدب عليه، حتى روى أنه كان يصطرع مع أخيه الحسن بين يدى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فجعل النبى صلى الله عليه و سلم يقول: هى حسين... تشجيعا له و تثبيتا، يرى ابن حجر فى الاصابة: كان الحسن و الحسين يصطرعان بين يدى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فجعل يقول: هى حسين، فقالت فاطمة: لم تقول: هى حسين، قال: ان جبريل يقول: هى حسين»، أى أن اهل السماء يؤيدون الحسين و يناصرونه، و فى ذلك ما يشير الى نه، عليه‌السلام، على الحق، و أن الحق دائما معه.و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال عن سبطيه «اما الحسن فله سخائى و هيبتى، أما الحسين فله شجاعتى و سؤددى»، فيا له من ميراث عظيم، لا توزن به لدنيا، و لا تعدله كنوزها، فحسب سيدنا الامام الحسن أن يرث سخاء جده صلى الله عليه و سلم [صفحه ۱۱] و الذى كان أجود من الريح المرسلة، و أن يرث هيبته التى كانت تخشع لها القلوب، و تخبت لها الأفئدة، و حسب سيدنا الامام الحسين أن يرث شجاعته صلى الله عليه و سلم و مكانه من السؤدد و المجد، و هكذا كان الامام الحسين قوى الشكيمة، شديد البأس، ثابت اليقين، لا يخشى أحد الا الله، و لا يهاب الموت، كان أشجع الناس فى الحق، و مواجهة أهل الباطل، و حسبه أن يرث المجد و السؤدد من جده صلى الله عليه و سلم، حتى رأينا مكانته بين المسلمين، و منزلته عندهم و تعلقهم به، و اكبارهم لشأنه، و تعظيمهم لشخصه، ينظرون اليه فى اجلال و خشوع، فهو ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و بضعة من لحمه و دمه، و صورة من خلقه العظيم، صلى الله على جده و عليه و على آل بيته أجمعين.هذا و قد عاش الامام الحسين، على أيام الراشدين، الصديق و الفاروق و ذى النورين، ملء السمع و البصر و الفؤاد كما كان على أيام جده المصطفى صلى الله عليه و سلم - فلقد كان الخلفاء الراشدون - فضلا عن جميع الصحابة - من أعظم الناس حبا لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، بل انهم انما كانوا يحبونهم اكثر من حبهم لأنفسهم و لأبنائهم، امتدادا لحبهم للنبى صلى الله عليه و سلم، و وفاء منهم لما كان يحبهم المصطفى صلى الله عليه و سلم، و فى مقدمتهم الامام الحسين، فضلا عن أن حب آل البيت الطاهرين انما كان استجابة لما دعا اليه القرآن فى قوله الله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)، و قد سأل بعض الصحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم عن قرابته الذين و جبت محبتهم، فقال صلى الله عليه و سلم: على و فاطمة و ابناهما» - أى الحسن و الحسين - و كان الصديق، رضى الله عنه، يقول: أرقبوا محمدا فى أهل بيته، و يقول: و الذى نفسى بيده لقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحب الى أن أصل من قرابتى»، و أن الفاروق رضى الله عنه، لما أراد أن ينشىء الديوان الذى يحدد فى للناس أعطياتهم، انما بدأ بقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و فرض للحسن و الحسين خمسة آلاف كأهل بدر، الذين فضلهم الفاروق على المسلمين جميعا، و أنه كان دائما يقول للحسين: «لو جعلت تغشانا، فانما أنبت ما ترى الله، ثم أنتم». [صفحه ۱۲] و لا ريب فى أن الامام الحسين انما كان موضع التقدير و الحب و الاعزاز من أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم جميعا، حتى رأينا ابن‌عباس - حبر الأمة و ترجمان القرآن - يمسك بركاب الحسين، و حتى رأينا أبا هريرة ينفض التراب عن قدميه، فقد كان الامام الحسين أحب الناس الى قلوب المسلمين، و أجدر من تنعطف أليه هذه القلوب، فهو سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و هو سيد شباب

أهل الجنة، و هو - كما قال ابن عمر - أحب أهل الأرض الى أهل السماء.هذا و قد عاش الحسين أيام خلافة أبيه، الامام على، و شهد مشاهدة كلها، و كان متعلقا به أشد التعلق يكاد لا يفارقه، فقد كان يرى فيه الأسوة الحسنة و التجسيد الحى لمبادىء جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد أخذ من خبرته و علمه الكثير، كما أخذ عنه فروسيته و شجاعته و نجدته، و عندما أصبح أخوه الامام الحسن خليفة للمسلمين، كان الحسين أقرب الناس اليه، يشاركه الرأى، و يستشيره فى كل أموره، ثم انتهت الأمور بتنازل الامام الحسن لمعاوية، و هنا يختلف المؤرخون فى موقف الامام الحسين، بين منكر للصلح، و بين موافق عليه. [صفحه ۱۳] و أيا ما كان الأمر، فلقد ترك هذا الصلح فى نفس الامام الحسين اسى مريرا، و لكنه سكت على مضض وفاء لعهد أخيه، فأطاعه كما أطاع أباه من قبل، و لكنه فى نفس الوقت انما كان يتحرق شوقا الى استئناف الجهاد من حيث تركه أبوه، و مع ذلك فلم يحاول الخروج على معاوية حين أتيحت، له الفرصة بما كان من معاوية من نقض لما بايع الناس عليه، وفاء منه لعهد الصلح، و كما قال لأنصاره: «انا قد بايعنا و عاهدنا و لا سبيل لنقض بيعتنا»، فأهل البيت أوفى الناس بالعهود، حتى و ان نقضها خصومهم.و مات معاوية، بعد أن اتخذ أفدح قراراته، و أكثرها ضراوة و بؤسا - و أعنى به أخذ البيعة لولد يزيد، و فرضه على الدولة المسلمة و الأمة المسلمة - فكان السبب المباشر و لأوحد فى مأساة كربلاء، و فيما تلا كربلاء من أهوال، شهدتها مكة و المدينة على نحو أليم و بيل، و بالتالى فقد كانت سببا مباشرا فى ضياع الملك من بيت معاوية و ذريته الى الأبد، بعد سنوات أربع من وفاته، ثم انتقام هذا الملك الى بطن أموى آخر، هم بنو مروان.و كان معاوية قد استحدث بهذه البيعة لولده يزيد أمرا جديدا فى الأسلام، غير به السنة الموروثة تغييرا خطيرا، و لم يكره المسلمون شيئا فى الصدر الأول من ايامهم، كما كرهوا وراثة الخلافة، و مع ذلك - فبجهود معاوية و على يديه - استقر فى الاسلام، و لأول مرة - هذا الملك الذى يقوم على البأس - بعد أن أدى الذهب و السيف دورهما فى حمل الناس على البيعة.و زاد الطين بلة أن يزيد الذى اختاره أبوه معاوية ليكون خليفة المسلمين و أميرالمؤمنين بعده، انما كان شابا عابثا لاهيا، و التاريخ يصوره دائما بين بطانته، و هى بطانة سوء، يلهون و يشربون و يعربدون، فى وقت كان فيه ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم - الامام الحسين - علما خفاقا على ظهر الأرض، يتمنى الناس امامته، و لم يكن معاوية يجهل أن استخلاف ولده يزيد فيه خروج على شروط الصلح مع الامام الحسن، و لكنه أراد أن يؤسس ملكا لآل أبى‌سفيان، يرثه [صفحه ۱۴] الأبناء عن الآباء، و هكذا أصبحت الأمة، و كأنها ملك لصاحب السلطان، ينقله الى من أحب من أبنائه، كما ينقل اليه ما يملك من سائل المال و جامده، و كانت هذه البدعة و بالا على المسلمين، فما أكثر ما استحل الملوك من المحارم، و ما أكثر ما سفكوا من الدماء، و أهدروا من الحقوق، و ضحوا بمصالح الأمة فى سبيل ولاية العهد، و ما أكثر ما كاد بعض الأمراء لبعض فى سبيل هذا التراث الذى لم يبحه لهم كتاب و لا سنة، و لا عرف مألوف من صالحى المسلمين، و هكذا انتقلت الدولة من نظام الخلافة الذى يعتمد على الشورى، و يستند الى الدين، الى النظام الملكى الذى يقوم أساسا على التوريث، و يستند الى السياسة أولا، و الى الدين ثانيا.و على أية حال، فلقد أقبل يزيد على الملك، دون أن ينصرف اليه عن لذاته، أو يقلع عما كان عاكفا عليه من العبث و اللهو و المجون، أقبل على الملك واثقا بأن الدنيا قد أذعنت له، و بأن أموره ستجرى على طريق سواء، و لم يكن يزيد يحتمل أن يلتوى عليه أحد بطاعة، و انما كان يرى أن طاعته حق على الناس جميعا، فمن التوى بها، فليس له عنده غير السيف، و قد عرفنا أن نفرا أكرهم معاوية اكراها على أن يسكتوا عن بيعته بولاية العهد، حين لم يستطع أن يحملهم على قبولها، و قد كانوا أربعة، مات منهم عبدالرحمن بن أبى‌بكر قبل معاوية، و بقى منهم ثلاثة فى المدينة هم: الامام الحسين و عبدالله بن عمر و عبدالله بن الزبير، فأما ابن عمر فقد بايع، و أما ابن الزبير فقد خرج الى مكة متنكبا الطريق العام، ثم كان بينه و بين يزيد خطوب ثقال، لم تنقض على أيام يزيد، بل لم تنقض حتى أرهقت جماعة المسلمين من أمرها عسرا، و تعرض فيها البلد الحرام و البيت الحرام لأشد ما يمكن أن يتعرضا له على أيدى المسلمين، و أما الامام الحسين فلقد أعلن، عندما طلبت منه البيعة فى منزل أمير المدينة، «ان مثلى لا يعطى بيعته سرا، فاجمع الناس ليبايعوا، و أبايع على ملأ».و فكر الامام الحسين فى الأمر، و قلب وجوه الرأى، فاستقر عزمه على ألا [صفحه ۱۵] يخالف ضميره، و ألا يخون أمانة المسلمين بمبايعة، يزيد، و أن بقاءه بالمدينة سيجعله

بين أمرين، أحلاهما مر، فاما أن يبايع مكرها من لا يؤمن بصلاحيته أمير لخير أمة أخرجت للناس، طلبا للسلامة، و درأ للظلم و العدوان، و اما أن يأبى البيعة ابراء للذمة، و ارضاء لله و رسوله، فيقع به من العدوان ما قد يصل الى سفك دمه، و ضرب عنقه، و من ثم فقد اتجه الى الخروج من المدينة لينجو بحياته، و ينقذ دينه، و يرضى ضميره، بخاصة و أن القوم لن يتركوه بعدما عرف أن الوليد - أمير المدينة - قد أرسل فى اثر ابن الزبير ثمانين فارسا يصلونه ليردوه الى المدينة، و ان فشلوا فى رده اليها.و وصل الامام الحسين الى بلد الله الحرام - مكة المكرمة - و أقبل أميرها يسأله عن سبب قدومه، فيجيبه «انا جئنا عواذا بالبيت»، و هناك، و فى جوار البيت الحرام، أخذ الامام يساءل نفسه عن دين الله الذى رفض جده المصطفى صلى الله عليه و سلم أن يتخلى عنه، و لو أوتى ملك الشمس و القمر و ما بينهما، و يجيبه الواقع المر أن دين الله فى محنة، انه يتحول الى ملك عضوض، و أن الذى يحمل لواء اليوم طاغية عربيد، يقال له يزيد، و اذا ما سأل، عنه و ما المصير؟ فان وعيه و رشده يجيبان: عودة الجاهلية، و دنو ساعة هذه الأمة، ألم يقل جده النبى صلى الله عليه و سلم «اذا و سد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة»، فها هو قد و سد لغير أهله، بل لشر أهله، و اذا ما عاد الامام، و سأل عن واجبه ازاء هذه المحنة، فان ضميره يجيبه: المقاومة الآن و أبدا، حتى يفوز الحق، أو نهلك دونه.و هكذا كانت كل حوافز الثورة على هذا الضلال كامنة فى وعى الامام الحسين و وجدانه، كما كانت نتيجة ادراكه السديد لحق الدين عليه و استعداده للتضحية فى سبيل الله فما كان الامام الحسين ليدع دين الله و دنيا الناس ألعوبة فى يزيد القرود، سواء دعاه أهل الكوفة أم لم يدعوه، فلقد كان سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته انما يهتدى الى مسئولياته نحو دين جده صلى الله عليه و سلم، بنور ايمانه و بصوت ضميره، و هكذا كان خروجه من المدينة الى مكة و رفضه البيعة ليزيد، ربما يشكلان اعلانا للمقاومة، فهو يعلم أن يزيد لن يتركه حتى يبايع، و هو لن يبايع [صفحه ۱۶] أبدا، و اذا ستكون المجابهة بينهما أمرا محتوما ثم ان الامام الحسين انما كان صاحب طبيعة جياشة ثائرة، يربطها بالحق ولاء وثيق عجيب، و تستمد من فضائل الدين العالية، وم تراث حسبه العريق، زادا لا يفنى من الصمود و المثابرة.و هكذا كانت القضية فى ذهن الامام الحسين، قضية الدفاع عن الدين و عن المثل العليا، و لم تكن أبدا طموحا شخصيا، يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح و احتمالات الاخفاق، أو طمعا فى خلافة، أو التماسا لجاه، أو سعيا الى فتنة، فقد كان، عليه‌السلام، أزهد الناس فى الدنيا، و أبعدهم عن الفتنة، و أخشاهم الله تعالى، و انما كانت القضية عنده، قضية الحق وحده - حق دين، و حق أمة، و حق دولة، و حق مصير - فاما أن ينتصر الحق، أو فليمت الأبرار دونه» و من لقيادة الأبرار فى هذا المجال، غير الامام الحسين، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و ابن فارس الاسلام، و بضعة الزهراء، خير ابن لخير آباء، و أكرم وارث لبيت التضحية و البذل و الفداء.ان ملايين المسلمين فى كل العصور و الأزمات يصلون على الحسين و آله فى صلواتهم أناء الليل و أطراف النهار، أليس كل مسلم - كان أو سيكون - يختم صلاته قائلا: «التحيات لله و الصلوات و الطيبات، السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، السلام علينا و على عباد الله الصالحين، أشهد أن لا اله الا الله، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد، كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم، فى العالمين انك حميد مجيد»، أو ليس الحسين من آل محمد، بل هو درتهم الفريدة و المجيدة، و من ثم فان للذين يصلون عليه عبر الزمان و الأجيال، حقا عليه، سيقتضيه تضحيات عظيمة، و متى تكون التضحية اذا لم تكن اليوم، و دين المسلمين يتحول الى مزرعة أموية، و أمجادهم العظيمة يستولى عليها مخلوق عابث، و مصايرهم الكبرى تمسك بها أيدى و صوليين جباه، و جلادين طغاة، و هكذا لم يكن بد من أن يقاوم الامام [صفحه ۱۷] الحسين هذا الطغيان العابث، و ان دفع حياته ثمنا لذلك.و هكذا لم يكن الأمر، كما صوره مرتزقة التاريخ، خروجا على الحاكم الشرعى، أو طمعا فى الخلافة، أو اجابة لرغبة اهل الكوفة، و لو كان ذلك كذلك، لما انتظر الامام الحسين وفاة معاوية و تولية يزيد، و لاستجاب لدعوة أهل الكوفة بعد وفاة أخيه الامام الحسن - بل بعد الصلح مباشرة، ثم بعد مطاردة أنصار أهل البيت، و لاستغل المجزرة الرهيبة التى قام بها معاوية، فقتل فيها حجرا و أصحابه صبرا - و لأول مرة فى الاسلام - فى عذراء على مقربة من دمشق، فاستجاب حينئذ لنداءات ثوار الكوفة.غير أن الامام الحسين انما كان يعتبر قضيته مع يزيد قضية النبوة، و

ليس الملك، قضية النبوة بكل تألقها الورعة، و موازينها العادلة، و ليس الملك الذى يريد نفر من الأمويين أن يردوا بها الجاهلية فى أثواب تنكرية، و الذين يدرسون معارك صفين و كربلاء، خارج هذه الدائرة لا يأمنون عثار تفكيرهم و زيغ أحكامهم، و قد رأينا بعض من تحدثوا عن كربلاء، يحملون الامام الحسين مسئولية مصيره، و مصير الذين خرجوا معه، و الامام الحسين يتحمل فى شجاعة و غبطة مسئولية ذلك المصير، و لكن ليس بالمعنى الذى يقصده هؤلاء، فهم يرون أنه خرج تلبية لدعوة ثوار الكوفة اياه، باعتبار هذه الدعوة فرصة رآها سانحة لاسترداد الخلافة من بيت معاوية الى بيت الامام على، بل ان بعضهم انما يحاول أن يضع الامام الحسين مع يزيد فى كفتين متوازيتين، يزيد الخليفة، و الحسين الخارج على الخلافة، بل انه لم يجدو وصفا لخروج الامام الحسين، الا أنه «مغامرة»، و أنه كان مشدودا الى تلك المغامرة، بدوافع خفية، و من ثم فانهم انما يلومونه أو يكادون، لأنه لم يصغ الى نصح الناصحين من عشيرته الأقربين، كى يبقى فى مكانه فى البلد الحرام، نافضا يديه من مشاكل الموقف الكاح الذى نتج عن استخلاف يزيد.غير أن الأمر غير ما توهم أولئك الذين يحاولون تفسير التاريخ تفسيرا ماديا، و لا غير ذلك، فالقضية فى ضمير الامام الحسين لم تكن قضية فرصة سنحت، [صفحه ۱۸] و لا هى قضية حق شخصى فى الخلافة يبتغى استرداده، و لا هى من القضايا التى يكون للانسان الرشيد حق التخلى عنها، و لو كان الأمر كذلك، لاستمع الامام الى نصح الناصحين بعدم الخروج الى الكوفة، و هم مخلصون فى نصحهم، و لا يشك لاامام فى حسن نواياهم، و ما أبى البقاء بمكة، عنادا أو ركوبا لرأسه، و انما كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فان بايع غش نفسه، و خان ضميره، و خالف عن دينه، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، و ان لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء، و قد غضب يزيد على ابن الزبير، حين امتنع عن البيعة، و أقسم أن لا يرضى حتى يحمل اليه ابن الزبير فى جامعة، يقاد اليه كما يقاد الأسير، و لو كان الأمر، كما يراه هؤلاء المؤرخون، لأعد له الامام الحسين عدته، و بدهى أن عدته لن تكون أثنان و سبعون رجلا، هم فتيان آل البيت و بعض أنصارهم، و لما رفض نصرة عشرين ألفا، من فتيان طىء، عرضهم عليه الطرماح، يضربون بين يديه بسيوفهم، و لما عرض على انصاره ليلة كربلاء، الانصراف عنه فى الليل البهيم.و هكذا يبدو واضحا أن القضية فى ضمير الامام الحسين، التقى الشجاع، انما كانت قضية دين، و من ثم يستوى عنده التخلى عن هذه القضية، و التخلى عن هذا الدين، صحيح أن الشكل الخارجى للقضية تمثل يومها فى استخلاف يزيد، لكن جوهرها الصحيح كان واضحا أما وعى سبط النبى صلى الله عليه و سلم و رشده، و نور بصيرته، تماما كما كان واضحا من قبل أما وعى أبيه الامام على، و أمام رشده و نور بصيرته، و استخلاف يزيد لا ينفى عن القضية موضوعيتها العميقة، و لا يقلل من تبعة النهوض بها، بل ان يزيد – رغم هوانه – انما يزيد من الحاح هذه التبعات، ذلك لأن يزيد هذا لا يمتلك أى قدر من الصلاحية التى تؤهله لأن يجلس من الأمة المسلمة، حيث كان يجلس من قبل أبوبكر و عمر و عثمان و على، رضوان الله عليهم أجمعين، و من ثم فقد كانت خلافة واحد من طرازه أدهى كارثة تنزل بالدولة و الأمة، لا سيما و هو يستخلف فى عصر لا تفصله عن عصر النبوة و الوحى سوى سنوات معدودات، و فى جيل لا يزال يحيى فيه رجال أبراز من [صفحه ۱۹] أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، أمثال الامام الحسين و ابن عمر و ابن عباس و ابن الزبير و أبى الدرداء و قيس بن سعد بن عبادة، و لئن كان هناك من خيار الصحابة و المسلمين من سكن لهذا الوضع الأليم بعد وقوعه، فانهم انما فعلوا ذلك عن رغبة فى تجنب المسلمين مزيدا من الحروب و الآلام و الدماء، الأمر الذى لم يتردد الامام الحسن عن النهوض به من قبل، حين تنازل عن حقه فى الخلافة لمعاوية، و لو أن معاوية و فى بالعهد الذى أبرمه مع الامام الحسن، فترك الأمر من بعده لمشورة الناس و اختيار الأمة، لتغير موقف الامام الحسين، و لتغير بذلك مجرى الأحداث، و لما حدثت خطايا يزيد الثلاثة التى سجلها له التاريخ، كل واحدة منهن كبيرة من الكبائر، لم و لن يرتكبها مسلم على مدى تاريخ أمة العرب و الاسلام: فمذبحة كربلاء، و مذبحة المدينة المنورة فى يوم الحرة، و ضرب الكعبة المشرفة بالمجانيق، و حصار مكة البلد الحرام.و هكذا تظهر لنا بوضوح قضية الامام الحسين، بل قضية آل البيت، فهذه الأهوال كلها التى نعرفها نحن اليوم بعد وقوعها كان الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، يحسها ببصيرته قبل وقوعها، فلقد كان بالهامه الصادق يرى كل ذلك المصير، فقام قومته ليمنع الكارثة قبل وقوعها، ثم قام من بعده ابنه العظيم ليمنع امتداد الكارثة و

استمرارها، و من ثم فان قضية الامام الحسين انما هى قضية الاسلام كله، و قضية كل مؤمن أواب، قضية الحفاظ على دين الاسلام، و تراث النبى صلى الله عليه و سلم، حتى و ان كان الثمن حياته، فاذا كانت الأقدار ستؤثره و آل بيته الطاهرين بأن يكونوا أعظم شهدائها و أشرف قرابينها، فلتكن مشيئة الله، و ليكن الامام و أبناؤه و أهله شرفا للحق فى مماتهم و استشهادهم، كما كانوا شرفا له فى محياهم، أو ليسواهم آل بيت الرسول صلى الله عليه و سلم، بل انهم أهله و أبناوه، و كفاهم بذلك مجدا و شرفا.و لعل هذا كله يفسر لنا كثيرا من أقوال الامام الحسين لمن أرادوا منعه من الخروج من ناصحيه، بل و من أبناء أبيه و عمومته، صحيح أن هناك من أسباب الخروج عوامل محسوسة لمعاصريه كافتقاد الأمن الذى كان ينشده الامام فى [صفحه ۲۰] البلد الحرام، عندما جاء عائذا بالبيت، و من ثم فقد قال للفرزدق عندما سأله «بأبى و أمى يا ابن رسول‌الله ما أعجلك عن الحج»؟، فقال الامام «لو لم أعجل لأخذت»، هذا فضلا عن تورعه عن أن يستباح البلد الحرام بسببه، و لكنه صحيح كذلك، بل هو الأصح، أن هناك عوامل أخرى لا يدركها الا الباحثون عن الحقيقة، و قد احتفظ الامام بها لنفسه، فلم يفصح عنها الا بمقدار، و من ثم فعندما ألح عليه ناصحوه بالبقاء فى مكة، أفصح لهم عن طرف من سرة فقال: «انى رأيت رؤيا، و رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أمرنى فيها بأمر، و أنا له ماض على كان أولى»، و رفض أن يحدث أحدا عن رؤياه هذه، و هكذا كان الامام الحسين يسير على هدى و نور من الله و رسوله، و هو اللائق بسبط النبى صلى الله عليه و سلم، و ما كان أن يعرض عما أمره به جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و هو الذى لا ينطق عن الهوى، الى ما يظنه الناس و يرجونه، و شتان بين من يتلكم من دار الحق، و بين من يتكلم من دار الباطل بلسان العاطفة و الرجاء. و هكذا كان خروج الامام الحسين من مكة الى العربى حركة لا يسهل الحكم عليها بمقياس الحوادث اليومية، لأنها حركة من أندر حركات التاريخ، ان لم تكن أندرها، فى باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية، حركة لا تتكر كل يوم، و لا يقوم بها كل رجل، و من ثم فقد كان من أعظم ما صنع الحسين و أهله و صحبه يوم كربلاء، أنهم جعلوا الحق قيمة ذاته، و مثوبة نفسه، فلم يعد الظفر مزية له، و لم تعد الهزيمة ازدراء به، فلقد وقف اثنان و سبعون بطلا، وراء قائدهم العظيم سيدنا الامام الحسين، ليس لهم فى احراز النصر على عدوهم أدنى أمل، و ليس أمامهم سوى القتل بأسلحة خصم فاجر متوحش مسعور، و أمامهم فرص النجاة، اذا هم أرادوها، لكنهم يرفضون النجاة، ما دامت ستكون غمطا لقداسة الحق، و ثلما لشرف التضحية، و هكذا أرادوا أن يقاتلوا حول قائدهم الممجد، معانقين المنايا، واحد بعد واحدوهم يصيحون، بل يغنون: الله و الجنة، الله و الجنة.و لا ريب فى أن الأقدار لم تدع رؤوس أبناء الرسول صلى الله عليه و سلم تحمل على أسنة رماح قاتليهم، الا لتكون مشاعل على طريق الأبد، للمسلمين خاصة، [صفحه ۲۱] و للبشرية كافة، يتعلمون فى ضوئها الباهر، أن الحق وحده هو المقدس، و أن التضحية وحدها هى الشرف، و أن الولاء المطلق للحق، و التضحية العادلة فى سبيله، هما للذان يحتملان للانسان و للحياة قيمة و معنى.و من أجل هذا كله، و من أجل غيره، و هو كثير، كانت حركة مولانا الامام الحسين فريدة فى نوعها، لأنها حركة لا يأتى بها الا رجال خلقوا لأمثالها، فلا تخطر لغيرهم على بال، لأنها تعلو على حكم الواقع القريب الذى يتوخاه من مقاصده سالك الطريق اللاجب، و الدرب المطروق، و هى حركة فذة يقوم عليها رجال أفذاذ، من اللغو أن ندينهم بما يعمله رجال من غير هذا المعدن، و على غير هذه الوتيرة، لأنهم يحسون و يفهمون و يطلبون، غير الذى يحسه و يفهمه و يطلبه أولئك الرجال، هى ليست ضربة مامر من مغامرى السياسة، و لا صفقة مساوم من مساومى التجارة، و لا وسيلة متوسل ينزل على حكم الدنيا، أو تنزل الدنيا على حكمه، و لكنها وسيلة من يدين نفسه، و يدين الدنيا، برأى من الآراء، و هو مؤمن به و مؤمن بوجوب ايمان الناس به دون غيره، فان قبلته الدنيا قبلها، و ان لم تقبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة، بل لعل فواته بالموت أشهى اليه و أحب، و من ثم فحركة مولانا الامام الحسين لا- تقاس اذن بمقياس المغامرات و لا الصفقات، و لكنها تقاس بمقياسها الذى لا يتكرر، و لا يستعاد على الطلب من كل رجل، أو فى كل أوان.و انطلاقا من كل هذا، فيوم كربلاء «العاشر من المحرم عام ۶۱ ه» من أخطر الأيام فى تاريخ العرب و الاسلام، بل فى تاريخ البشرية جمعا، ففى هذا اليوم الكئب كانت مذبحة كربلاء، التى لم ير لها التاريخ مثيلا، فما حدثنا التاريخ أن أمة آمنت بنبيها و أحبته، و عملت بكتاب الله و سنة نبيه – كما عمل المسلمون – ثما شاءت ارادة الله أن تجعل منهم

سادة العالم المعروف وقت ذاك، ذلك العالم الذى لم يكن قبل الاسلام يعترف بهم أو يقيم لهم و زنا، و مع ذلك ففى يوم كربلاء المنكود، قام جيش اللئام بمذحبة مروعة راح ضحيتها أبناء نبى الاسلام، فقتل الامام الحسين، و قتل معظم الهاشميين، ثم فعلوا بأجسادهم [صفحه ۲۲] الطاهرة، من قطع للرؤوس، و وطىء للأجساد بسنابك الخيل، ما يخجل الشيطان من اقترافه، ثم أمروا أن يمر موكب النساء و الصبيان من آل النبى صلى الله عليه و سلم حواسر، على جثث الشهداء، حتى أن العقيلة الطاهرة - السيدة زينب - ما أن تمر على جسد شقيقها الامام الحسين حتى تصرخ متفجعة تنادى جدها رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و هى تقول: «يا محمداه، صلى الله عليك و ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه و بناتك سبايا، و ذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا».و ما أن يصل الموكب المهيب الحزين الى الكوفة - و قد كانت حتى عشرين عاما مضت مقر الخلافة لآل البيت على أيام الامام على و ولده الحسن - حتى أمر اللئيم ابن زياد بأن يطاف برؤوس الشهداء و سيدات بيت النبى صلى الله عليه و سلم فى أحياء الكوفة قبل أن ترسل الى الفاجر يزيد فى دمشق، و هكذا رأى المسلمون فى الكوفة رأس ابن النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و بقية رؤوس شباب آل محمد صلى الله عليه و سلم على الحراب، كما رأوا أميرهم ابن زياد يسبى نساء آل محمد صلى الله عليه و سلم كما يسبى الرقيق، و على رأسهم عقيلة بنى‌هاشم - السيدة زينب - بنت الزهراء سيدة نساء العالمين، فاستخزى من أهل الكوفة من الستخزى، ممن لا- يزال فيهم بقية من ايمان بالله و رسوله، و فرح من فرح ممن لا- دين لهم و لا خلق، و صاحت السيدة أم‌كلثوم: «يا أهل الكوفة أما تستحون من الله و رسله أن تنظروا الى حرم النبى»، ثم نظرت السيدة زينب اليهم و قالت: يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر و الختل، أتبكون، فلا سكنت العبرة، و لا هدأت الرنة، و انما مثلكم مثل التى «نفضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلا- بينكم»، فابكوا كثيرا، و اضحكوا قليلا، فقد ذهبتم بعارها و شنارها، فلن ترحضوها بغسل أبدا، و أنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، و معدن الرسالة، و منار حجتكم، و سيد شباب أهل الجنة، أتدرون أى كبد لرسول‌الله صلى الله عليه و سلم فريتم، و أى دم له سفكتم، و أى كريمة له أبرزتم، لقد جئتم شيئا ادا «تكاد السماوات يتفطرن منه، و تنشق الأرض، و تخر له الجبال هدا». [صفحه ۲۳] و فى قصر اللئيم ابن زياد، فكما اقتضت حكمة الله أن يصطفى الامام الحسين ليخلد به فى تاريخ البشرية أروع صور البسالة و الاقدام، و أقوى أمثلة الشمم و الاباء و التضحية و الفداء، اقتضت أيضا أن تتخذ من العقيلة الطاهرة مثلا رائعا، و نورا ساطعا، تستمد منه نساء الاسلام القدوة الطيبة، و الأسوة الحسنة، ليروا كيف يكون الصبر الجميل فى أشد مواطن البلاء، و كيف يكون الرضا بالله تعالى، مع شدة القضاء، و كيف تكون العزة و الكرامة و الايمان بالله و الثقة فيه، و كيف تكون رباطة الجأش أمام الطغاة المتجبرين، و الجبابرة الحاكمين، فكانت السيدة زينب، عقيلة بنى‌هاشم، فى ضعفها و وحدتها، أعظم قوة، و أشد بأسا، و كانوا فى جموعهم و سلطانهم، أضعف جندا، و أقل عددا، و حين حاول كبير اللئام يزيد أن يتطاول على مقام الامام على و الامام الحسين و آل البيت الطاهرين، لقنته درسا لا- ينساه، و هو فى قصره فى دمشق.ثم لقنته درسا آخر، حين ظن - بجهله و حقده و فجوره - أن من حقه أن يهب حفيدة النبى صلى الله عليه و سلم - السيدة فاطمة - لنذل خسيس من أتذال بلاطه فى دمشق، فوقفت منه موقف المعلم من التلميذ الخائب الغرور، فقالت متحدية: «كلا و الله ما جعل الله ذلك لك، الا أن تخرج من ملتنا و تدين بغير ديننا»، ثم درسا ثالثا حين رأته - و هو سليل الطلقاء و المؤلفة قلوبهم - ينكث ثغر شقيقها الامام الحسين، فصرخت قائلة: «أمن بالعدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك و اماءك، و سوق بنات رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كالسبايا، قد هتكت شعورهن، و أبديت وجوههن، ليس معهن حماتهن حمى، و لا- من رجالهن ولى، و أنت تنكث ثنايا أبى عبدالله بمخصرتك، و الله ما فريت الا من جلدك، و حززت الى فى لحمك، و سترد على رسول‌الله صلى الله عليه و سلم برغمك، و عترته و لحمته فى حظيرة القدس، يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، و هو قول الله تعالى: (و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون)، و ستعلم أنت و من بوأك من رقاب المؤمنين اذا كان الحكم الله، و الخصم محمد صلى الله عليه و سلم، و جوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلا، هناك تعلم أينا شر مكانا، [صفحه ۲۴] و أضعف جندا، فلئن اتخذتنا مغنما، لتتخذن مغرما، حين لا تجد الا ما قدمت يداك تستصرخ بابن

مرجانه، و يستصرخ بك، و تتعاوى و أتباعك عند الميزان، و قد وجدت أفضل زاد لك، قتلك ذرية محمد صلى الله عليه و سلم، فوالله ما اتقيت غير الله، و لا شكوت الا لله، فكد كيدك واسع سعيك، فوالله لا يرخص عنك عار ما اتيت الينا أبدا، يوم ينادى المنادى: ألا لعنة الله على الظالمين، و الحمدلله الذى ختم بالسعادة و المغفرة لسادات شباب الجنان، فأوجب لهم الجنة».هذا و قد بكى المسلمون جميعا - حتى أعداء بيت النبوة - الامام الحسين، و ما زلوا يبكونه حتى يوما هذا، و الى أن يرث الله الأرض و من عليها، و ان كان أشد الناس بكاء و حزنا، انما كان أهل مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم لأن اللئام انما قد حملوا اليها خبر استشهاد الامام الحسين محمل التشهير و الشماتة، و ضحك و الى بنى‌أمية - عمرو بن سعيد بن العاص - حين سمع أصوات البكاء و الصراخ من بيوت آل النبى صلى الله عليه و سلم، و كانت بنت عقيل بن أبى‌طالب تخرج فى نسائها و تنشد: -ماذا تقولون ان قال النبى لكم ماذا فعلتم و أنتم آخر الأممبعترتى و بأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى و منهم درجوا بدمما كان هذا اجزائى اذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمو لا ريب فى أن مقتل الامام الحسين انما كان له رد فعل عنيف عند المسلمين، بل ان جمهور المسلمين ما كان أبدا - بل و ما يزال - أن يتصور وقوع كل هذا الشر، بينما السملمون يتباهون على الأمم الأخرى بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و بهما أصبحوا خير الأمم و أفضلهم، غير أن هذه الأفضلية جعلها أمراء بنى‌أمية فى محنة، بعد مدبحة كربلاء، و مقتل الامام الحسين و شباب أهل البيت و أنصارهم، و قد بلغ من قسوة الأمر على المسلمين أن ابن حجر يروى فى الاصابة عن ابراهيم النخعى أنه كان يقول: «لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحيت أن أنظر الى وجه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم».و على أية حال، فما أن انتهى اليوم الرهيب بآلآمة و أمجاده، ليبدأ من [صفحه ۲۵] جديد بدروسه و بحصاده، فلقد لقى جميع من اشتركوا فى قتل الامام الحسين و قتاله حتفهم على أبشع الصور و أشدها مذلة و هوانا، كلهم من ابن زياد، الى شمر بن ذى الجوشن، الى آخر من تحمسوا للقتال و وقفوا من ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم موقف التحدى و العدوان، و من عجب أن التاريخ تتبع مصارعهم، فاذا هم جميعا يقتلون فارين هاربين، ليس فيهم من مات ميتة رجل، و كأنما كانت هذه أولى بشائر دعوة الامام الحسين عليهم، حين صاح فيهم - و هو صامد وحده وسط سيوفهم و رماحهم - قائلا: «انى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم»، فكلهم قتلوا، و ديست جيفهم بالأقدام، ما عدا كبيرهم يزيد بن معاوية، فقد ضن عليه القدر بأن يذهب قتيل ثورة و مقاومة، اذ أن ذلك كان سيضعه الى حد ما فى الكفة المقابلة للامام الحسين عليه‌السلام، و ربما تحدث الناس أن داعية الحق، ان كان قتل شهيدا، فان ملك بنى‌أمية قتل قصاصا و عقوبة، و هذه مقابلة قد تجعل منه على صوره ما ندا أو كفؤا، الأمر الذى صمم القدر على حرمانه منه، فتركه يعيش أربع سنوات تعيسا مفزعا، ثم يموت فى يأس و هوان و نسيان.ثم كان موت يزيد ايذانا بتفكك دولة بنى‌أمية، و اندلاع الفتن و الثورات فى مختلف أرجائها، لما اقترفه الطاغية من مظالم، و غرسه من أحقاد، و فى كل ثوره كان الأمويون يرتكبون جرما أكبر من الآخر، و خطيئة أشد من تلك التى سبقتها، فانتهكوا ما حرم الله و رسوله، حتى حملت دولتهم عار ثلاثة كبائر، لم يعرفها العرب و الاسلام: «مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها رجال آل بيت نبى الاسلام، و استباحة المدينة المنورة - مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم - ثلاثة أيام، و ضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق و احراقها مرتين، و لأول مرة فى التاريخ، كانت الأولى على يد يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، و كانت الثانية على أيام عبدالملك بن مروان، فكانوا القدوة لمن تعدى على الكعبة المشرفة بعد ذلك من القرامطة الضالين و غيرهم، و فى نفس الوقت فلقد سجلوا على أنفسهم عار الأبد، فلعل الذين يناصرونهم يستحون، فليس عند المسلمين فى كل زمان و مكان، أقدس و لا أشرف من آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و مدينة الرسول و حرمه، و مكة بلد الله الحرام، [صفحه ۲۶] فكثيرا ما أوصى الرسول صلى الله عليه و سلم بأهل بيته، و بين مكانتهم عندالله تعالى و عنده صلى الله عليه و سلم و كثيرا ما أخبر أن الله تعالى قد حرم مكة، فلم تحل لأحد قبله، و لا تحل لأحد بعده، و انما أحلت له ساعة من نهار، ثم عادت اليها حرمتها الى يوم القيامة، و كثيرا ما أخبر صلى الله عليه و سلم، أن المدينة حرم، و أن من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل منه صرف و لا عدل، و أنه لا يكيد أحد لأهل المدينة، الا انماع كما ينماع الملح فى الطعام، و أن الأنصار من أحب الناس اليه، و قد دعا لهم بقوله

الشريف: «اللهم اغفر للأنصار و لأبناء الأنصار، و أبناء أبناء الأنصار»، و أنه طلب من المسلمين أن يقبلوا من محسنهم، و يعفوا عن مسيئهم. [۱] .و ليس هناك من شك أنه بسبب ما فعله الأمويون بآل النبى صلى الله عليه و سلم و بمقدسات المسلمين، لم تعمر دولتهم بعد ذلك عمر رجل واحد مديد الأجل، فلم يتم لها بعد مصرع الامام الحسين نيف و ستون سنة، و لم يتم لبيت معاوية فى الحكم الا سنوات أربع، و كان مصرع الامام الحسين هو الداء القاتل الذى سكن فى جثمانها حتى قضى عليها، و أصبحت ثارات الحسين نداء كل دولة، تفتح لها طريقا الى الأسماع و القلوب، بل ظل مقتل سبط النبى صلى الله عليه و سلم يلاحق الأمويين، حتى بعد أن دالت دولتهم و زال ملكهم، فما كاد السفاح، أول الخلفاء لعباسيين، يستتب له الأمر حتى أخذ يتتبع بقايا بنى‌أمية و رجالهم، و يضع لسيف فيهم و قد بلغ الهوان بالأمويين أن كانت دماء الأشراف و الأمراء منهم، فهدر لمجرد كلمة قالها قائل، أو بيت من الشعر نظمه شاعر، استجلابا للعطايا.على أن تلك النتائج الخطيرة لمذبحة كربلاء، لا ترتفع الى مستوى لجوهر النضير لتضحية سيدنا الامام الحسين و حياته و ثباته، و بالتالى لا نستطيع [صفحه ۲۷] أن نعتبرها مثوبة لتلك التضحيات، و ذلك الثبات، ذلك لأن حصاد تضحية مولانا الامام الحسين و تضحية رفاقه، ليجاوز ذلك الى غايات أبعد و أمجد و أسمى، و ان الدرس الذى يلقيه يوم كربلاء بآلامه و بطولاته، بمأساة و عظمته، ليتفوق على نظرائه فى قوة النور الباهرة الذى أضاء به ضمير الحياة، و من ثم فقد كان لاستشهاد سيدنا الامام الحسين نتائج أخرى أخطر، و مواطن للعظيمة و العبرة أكبر و أجل، فيما يحدثنا الأستاذ خالد محمد خالد.لا ريب فى أن جذوة الحق و الصمود التى أضاءها الامام الحسين و أصحابه بدمائهم لم تنطفىء و لم يخب نورها باستشهاده، بل ازدادت تألقا و اندلاعا على نحو يبهر الألباب، تمثل ذلك - أول ما تمثل، و أبهى ما تمثل - فى أخته العقيلة الطاهرة، و فى ابنه الامام على زين‌العابدين - قرة عين الاسلام - فلقد توقعت الدنيا يومئذ أن تحنى الكارثة جباه من بقى من آل الحسين، و لكن العقيلة الطاهرة، زينب بنت الامام على، و حفيدة الرسول صلى الله عليه و سلم سرعان مات ردت للدنيا صوباها حين أرتها من عظمة بيت النبوة كل عجيب، فلقد توقع ابن مرجانة، و حفيد سمية، قبل أن يلقى آل البيت، أنه سيلقى انكسارا و ضياعا يستدران عطف قلبه الجبان، لكن أخت الحسين، و ابنة الزهراء، - البطلة، أخت البطل، و بنت البطل - علمته - ان كان لمثله من السفهاء أن يتعلم - أن الهزيمة التى يتوجع الناس لها و يستكينون، انما هى هزيمة الروح، و ما كان لدعاة الحق من آل محمد صلى الله عليه و سلم أن تنهزم أرواحهم أبدا، فلقنته درسا لا ينساه، كما أشرنا من قبل.ثم ان نصرة الامام الحسين ارتفعت بالنفس الانسانية الى الأفق الأعلى من الأريحية و النخوة، و مثال ذلك أنه ما نعى للامام الحسين فى الكوفة حتى خطب ابن‌زياد الناس فقال: «الحمدلله الذى أظهر الحق و أهله، و نصر أميرالمؤمنين يزيد بن معاوية و حزبه، و قتل الكذاب ابن الكذاب، الحسين بن على و شيعته»، فما ان انتهى حتى وقف عبدالله بن عفيف الأزدى - و كان من شيعة الامام على، و فقد احدى عينيه فى يوم الجمل، و الأخرى يوم صفين - فصاح «يا [صفحه ۲۸] ابن مرجانة، أتقبل أبناء النبيين، و تقوم على المنبر مقام الصديقين، انما الكذاب أنت و أبوك و الذى ولاك و أبوه»، فما طلع عليه الصباح الا و هو مصلوب.و فى نفس الوقت هبطت نصرة يزيد بالنفس الانسانية الى الأغوار المرذولة من الخسة و الأثرة، و حسبك من خسة أنصار يزيد أنهم كانوا يجزون بالحطام، و هتك الأعراض على غزوة مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و استباحة ذمارها، فيسرعون الى الجزاء، يسرعون اليه ليسوا بكافرين بالنبى الدفين فى تلك المدينة، فيكون لهم عذر الاقدام على أمر لا يعتقدون فيه التحريم، بل حسبك من خسة ناصرى يزيد أنهم كانوا يرعدون من مواجهة الامام الحسين بالضرب فى كربلاء لاعتقادهم بكرامته و حقه، ثم ينتزعون لباسه و لباس نسائه فيما انتزعوه من أسلاب، و لو أنهم كانوا يكفرون بدينه و برسالة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم لكانوا فى شرعة المروءة أقل خسة من ذاك.ثم ان جذوة الحق و الصمود التى أضاءها الامام الحسين و آل بيته و أنصاره باستشهادهم، سرعان ما تنهض فى الكوفة بسببها، كتائب التوابين مقسمة أن تهب حياتها لثأر الحسين، و تشتعل الثورات فى المدينة و مكة حيث يجرد لها يزيد من جنده و قواده من ينزلون بالحرمين من الدمار و القتل و الافك، ما يخجل الشيطان من اقترافه، لو كان الشيطانه يخجل، و لكن الجذوة المباركة لا تخبو حتى يموت بحسرته، و يخلفه ولده معاوية الثانى، و هنا يوجه القدر الحكيم أذكى ضرباته، فيقف ابن يزيد، و حفيد معاوية، ليحمل

شعار الحسين، و يزيد الجذوة ضراما، حين يجمع الناس ليوم مشهود، ثم يعلن فيهم، أن جده معاوية بن أبى‌سفيان، و أباه يزيد قد اغتصبا الحق من أهله، من الامام على و أبنائه، و أنه يبرأ الى الله مما جنت أيديهما، و أنه يربأ بنفسه و دينه عن أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة، ثم يعلن اعتزال الخلافة، و يعتكف فى بيته حتى يأتيه الموت، فيلقى الله تقيا نقيا سعيدا.ثم ان الامام الحسين عليه‌السلام، حين خرج الى الكوفة لم يكن طالب دنيا و لا جاه - كما يشيع الهازلون من مزتزقة التاريخ - و انما كان مستجيبا لسلطان [صفحه ۲۹] الايمان الذى لا يعصى و لا يغلب، فلقد رأى الاسلام، بكل قيمة الغالية و أمجاده العالية، يعترض لمحنة قاسية يفرضها عليه بيت أبى‌سفيان، منذ أن خرج معاوية على الامام على، خليفة المسلمين و أميرالمؤمنين، مطالبا بدم عثمان، رضى الله عنه، ثم انخدع أو تخادع بهذه الصيحة أقوام من أهل المنفعة، رددوا مع معاوية هذه الصيحة، و ساعدهم فى ترديدها حقد الثأر المزعوم، و سورة العصبية المهتاجة، و زاد الأمر تعمية ان معاوية فى بادىء الأمر لم يكن يطلب الخلافة، و انما كان يتشبث، بمقتل عثمان و المطالبة بدمه، و لا يزيد فى دعواه على ادعاء ولاية الدم وصلة القربى، و لكن الصائحين بهذه الصيحة مع معاوية قد عاشوا حتى رأوا بأعينهم مبلغ الغيرة على دم عثمان و علموا أن الملك هو الغرض المقصود من وراء تلك الفتن و الأرزاء، و أن معاوية لا يقنع بأن يملك لنفسه حتى يورث الملك ولده من بعده، و لم يكن ولده هذا من أهل الرأى و الصلاح، و لكنه فى عربيد يقضى ليله و نهاره بين الخمور و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و الندماء، الا ليهرع الى الصيد، فيقضى فيه الأسبوع بين الأديرة و البوادى و الاجام، لا يبالى خلال ذلك تمهيدا لملك، و لا تدريبا على حكم و لا استطلاعا لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقة بما صار اليه من التمهيد و التوطيد، و ما سوف يصير، و انتهت الأمور الى مصيرها المرسوم، فجلس يزيد القرود فى مكان الخلفاء الراشدين - أبى‌بكر و عمر و عثمان و على - رضى الله عنهم.و هنا تجلت أمام الامام الحسين خطيئة الصمت و السكوت، تجتاح الناس رغبة حينا، و رهبة أحيانا، و كانت بيعة يزيد دعما لسلطان الجاهلية على حساب الدين، و دعما لسلطان القبيلة و الأسرة على حساب الأمة، و هذا ما لا يقبله الامام الحسين، انه مسلم، و لأنه سبط محمد صلى الله عليه و سلم، فمن كان اسلامه هداية نفس، فالاسلام عند الامام الحسين هداية نفس، و شرف بيت، و هكذا صارت مقاومة بيعة يزيد دعما لسلطان الدين و الأمة معا، و لئن فات الحسين دعم هذا السلطان فى النظام العام عن طريق الخلافة التى لم يكن له من أمرها شىء - بعد نقض [صفحه ۳۰] معاوية عهده الذى أبرمه مع الامام الحسن أمام المسلمين كافة، على أن يترك الأمر من بعده شورى بين المسلمين، يختارون من يحبون - فان الامام الحسين لم يتخل عن واجب دعمه فى الضمير عن طريق التضحية و الصمود و الفداء. و هكذا ضحى الامام الحسين فى سبيل ايمانه الوثيق براحته، و ضحى معه أهله الأقربون و صحبه الأكرمون، ليمنحوا أمة الاسلام - بل و البشرية جمعاء - هذه القدوة الرائعة، و المثل الفذ فى تاريخ هذه الدنيا.و بعد: فالله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع، و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين «و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه أنيب».و صلى الله على سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و على آل بيته الطيبين الطاهرين، و الحمدلله حمدا يليق بجلاله، و يقربنا الى مرضاته، سبحانه، ليتفضل علينا - بمنه و كرمه - فيقبلنا عنده فى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم عبادا لله قانتين، و تابعين للنبى الأمى الكريم، و بأخلاقه مقتدين، انه سميع قريب مجيب الدعوات، رب العالمين،الخامس و العشرون من مايو ۱۹۸۷ ممكة المكرمة فيالسابع و العشرون من رمضان ۱۴۰۷ ه.دكتور محمد بيومى مهرانالأستاذ بكلية الآداب - جامعة الاسكندريةو كلية الشريعة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة. [صفحه ۳۱]

فى رحاب النبى

مولد الامام الحسين

تتفق المصادر، أو تكاد، على أن الامام الحسين، عليه‌السلام، انما ولد فى الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة (يناير ۶۲۶ م) فى

المدينة المنورة، يقول ابن حجر فى الاصابة لم يكن بين الحمل به و بين ولادة الحسن رضى الله عنه سوى طهر واحد، و قد روى عن أسماء بنت عميس: بعد حول من ولادة الحسن ولدت السيدة الزهراء الحسين، قالت: فجاءنى النبى صلى الله عليه و سلم فقال: يا أسماء هاتى ابنى فرفعته اليه صلى الله عليه و سلم فى خرقة بيضاء فاستبشر به و أذن فى أذنه اليمنى، و أقام فى اليسرى، ثم وضعه فى حجره و بكى، قالت أسماء فقلت: فداك أبى و أمى مم بكاؤك، قال: على ابنى هذا، قلت انه ولد الساعة، قال يا أسماء: تقتله الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتى، ثم قال يا أسماء: «لا تخبرى فاطمة بهذا فانها قريبة عهد بولادته»، و أخرج أبوداود و الترمذى عن أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه و سلم قال: رأيت النبى أذن فى أذن الحسين حين ولدته فاطمة كما يؤذن للصلاة.هذا و تذهب بعض المصادر الى أن مولانا و سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قد أخبر بولادة الحسين قبل أن يولد، و سماه الحسين فور ولادته، فلقد روى أبونعيم فى حلية الأولياء عن سودة بنت سرج أنها كانت ممن حضر ولادة البتول بالحسن، و أن النبى صلى الله عليه و سلم بعد أن لفه فى خرقة بيضاء و تفل فى فيه و أرضعه بريقه، قال: ادعى لى [صفحه ۳۲] عليا فدعوته فقال: «ما سميته يا على، فقال سميته جعفرا، قال لا، و لكنه حسن، و بعده حسين و أنت يا على أبوالحسن و الحسين»، و أخرج الامام أحمد و الهيثمى و أبو يعلى و البزار و الطبرانى عن محمد بن على عن على قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمه جعفر، قال فدعانى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فقال: «انى أمرت أن أغير اسم هذين، فقلت الله و رسوله أعلم، فسماهما حسنا و حسينا»، و فى رواية للطبرانى و الامام أحمد و ابن أبى شيبة و ابن جرير و ابن حبان و الحاكم و الدولابى أنه صلى الله عليه و سلم سمى الأول حسنا، فلما ولد الثانى سماه حسينا، فلما ولد الثالث سماه محسنان، و قال: «انى سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر و شبير و مشبر».و أخرج الطيالسى فى مسنده و الامام أحمد فى مسنده و ابن عبد البر فى الاستيعاب، و الهيثمى و البزار و الطبرانى، عن هانىء بن هانىء عن على، قال: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه، قال قلت حربا، قال بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حربا، فجاء رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه، قال قلت حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث سميته حربا، فجاء النبى صلى الله عليه و سلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه، قال قلت حربا، قال بل هو محسن، ثم قال: سميتهم بأسماء ولد هارون: «شبر و شبير و مشبر»، و يتشكك بغض الباحثين فى هذه الرواية لأن العداء بين الهاشميين و آل حرب الأمويين غير خفى، فما هو المحبذ لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم بتسمية أبنائهم باسم حرب الذى ينتمى اليه الأمويون، ثم ان اعراض النبى صلى الله عليه و سلم عن اسم حرب حين ولادة الامام الحسن كاف فى اعراض آل البيت عن تسمية الحسين بهذا الاسم، غير أن هناك من يعلل ذلك بأن الامام عليا انما كان يختار من الأسماء ما يتفق مع شجاعته و اقدامه و بلائه فى الحروب، و جهاده فى سبيل الله، و أملا فى أن يكون ابنه فارس ميدان و بطل جهاد و لكن الرسول صلى الله عليه و سلم اشتق اسميهما من الحسن و الكمال، و ليس هناك بعد اختيار رسول‌الله صلى الله عليه و سلم خيار، فالحسن أكمل الكمالات، و أشمل لكل عمل مجيد، حربا أو سلما، و على أى حال، فلقد روى السيوطى فى تاريخ الخلفاء: أخرج ابن سعد «الحسن و الحسين اسمان من أسماء الجنة، ما سمت العرب بهما فى [صفحه ۳۳] الجاهلية»، و جاء كذلك «أن الله حجب اسم الحسن و الحسين حتى سمى بهما النبى صلى الله عليه و سلم ابنيه».هذا و قد روى أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فعل مع الحسين، ما فعله من قبل مع الحسن، فلقد حنكه صلى الله عليه و سلم بريقه، و أذن فى أذنه، و تفل فى فمه، و دعا له، و عق عنه بكبش، و أمر بحلق شعره و التصدق بوزنه فضة، و أجرى له الختان فى اليوم السابع من مولده، و قد روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال «طهروا أولادكم يومم السابع، فانه أطيب و أطهر و أسرع لنبات اللحم، و أن الأرض تنجس من بول الأعلف أربعين يوما».

نسب الامام الحسين

هو الحسين بن على بن أبى‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه فاطمة الزهراء بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم محمد بن عبدالله

بن عبدالمطلب بن هاشم، فهو هاشمى من أبوين هاشميين، و أبوه على من أبوين هاشميين كذلك، و فوق ذلك كله، فان جده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم سيد ولد آدم و لا فخر، و صدق رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول، فيما رواه مسلم و الترمذى، «ان الله اصطفى كنانة من ولدا اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى من قريش بنى‌هاشم، و اصطفانى من بنى‌هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار». و هكذا شرف سيدنا و مولانا الامام الحسين، و شرفت ذريته من بعده الى يوم القيامة بالانتساب الى أعظم نسب عرفته الدنيا، و كفى الامام الحسين فخرا، أن جده سيد ولد آدم محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و أبوه أميرالمؤمنين على المرتضى، و أمه فاطمة الزهراء، سيدة نساء أهل العالمين و بضعة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و جدته لأمه خديجة بنت خويلد، و جدته لأبيه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعم أبيه حمزة، أسدالله و أسد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و سيدالشهداء، و عمه جعفر الطيار، و جده لأبيه أبوطالب ناصر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و المدافع عنه و المتحمل الأذى فى سبيله، و جد أبيه عبدالمطلب، جد النبى صلى الله عليه و سلم شيبة الحمد و سيد البطحاء، و جد جده هاشم مطعم الحجيج و هاشم الثريد و سيد قريش.أخرج الترمذى و الطبرانى و ابن مردوية و أبونعيم و البيهقى عن ابن عباس [صفحه ۳۴] عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: ان الله قسم الخلق قسمين، فجعلنى فى خيرهما قسما، فذلك قوله «و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين، و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال»، و أنا من أصحاب اليمين و أنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين ثلاثا، فجعلنى فى خيرها ثلثا، فذلك قوله «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، و السابقون، فأنا من السابقين و أنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة، و ذلك قوله تعالى «و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم» و أنا أتقى ولد آدم و أكرمهم على الله تعالى و لا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا، فذلك قوله «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»، فأنا و أهل بيتى مطهرون من الذنوب».و أخرج الطبرانى فى معجمه، و عبدالرزاق فى مصنفه، و الحاكم فى مستدركه، و ابن عساكر فى تاريخه، عن ابن عباس قال: صلى رسول‌الله صلاة العصر، فلما كان فى الركعة الرابعة، أقبل الحسن و الحسين حتى ركبا على ظهره، فلما سلما وضعهما بين يديه، و أقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن، و الحسين على عاتقه الأيسر ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدا و جدة، الا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، ألا أخبركم بخير الناس أبا و أما، الحسن و الحسين، جدهما رسول‌الله، و جدتهما خديجة بنت خويلد، و أمهما فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمهما أم هانىء بنت أبى‌طالب، و خالهما القاسم بن رسول‌الله، و خالاتهما زينب و رقية و أم‌كلثوم بنات رسول‌الله، و جدهما فى الجنة و جدتهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة، و عمتهما فى الجنة، و خالاتهما فى الجنة، و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة»، و يعلق بعض العلماء على هذا الحديث الشريف بأن الله شرف الحسن و الحسين بما لم يشرف به أحد غيرهما، فهما سبطا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ريحانتاه، و هما سيدا شباب أهل الجنة، جدهما رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أبوهما الامام على، و أمهما الطاهرة البتول فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، [صفحه ۳۵] و هكذا كانت نسبهما تتضاءل عنده الانساب، فالحسن و الحسين، عليهماالسلام دوحة النبوة و الفضل و الشرف التى طابت فرعا و أصلا، و شعبة الرسالة و المجد و السؤود، التى سمت رفعة و نبلا، قد اكتنفها العز و الشرف، و لازمهما السؤدد، فما له عنهما منصرف.

كنية الامام الحسين و ألقابه

كان الامام الحسين يكنى بأبى عبدالله، و يلقب بكثير من الألقاب الطيبة الكريمة، روى الصباغ فى الفصول المهمة، و الشبلنجى فى نور الأبصار، كنيته أبو عبدالله، لا غير، و ألقابه الرشيد و الطيب و الذكى و الوفى و السيد و المبارك و التابع لمرضاة الله و السبط، و أشهرها الذكى، و أعلاها رتبة، سيد شباب أهل الجنة، لقوله صلى الله عليه و سلم «الحسن و الحسين سيدا أهل الجنة»، و ريحانة

رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لقوله صلى الله عليه و سلم عن الحسن و الحسين «هما ريحانتاى من الدنيا»، و السبط لقوله صلى الله عليه و سلم «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و السبط بمعنى الجماعة أو القبيلة أو الأمة، و المعنى أن الحسين، عليه‌السلام، فى قدره و فضله و علمه و فقهه و ايمانه و صدقه، يعدل جماعة أو قبيلة، بل و يعدل أمة من الناس، و لا غرو فى ذلك، فسيدنا الامام الحسين هو فلذة كبد سيد البشر، سيدنا و مولانا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ابن الامام على، و سبط رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة.

مشابهة الحسين للنبى

كان مولانا الامام الحسين من أحسن الناس خلقا و خلقا، و كان أشبه الناس بجده رسول الله صلى الله عليه و سلم، أخرج الامام أحمد فى الفضائل، و ابن حبان فى موارد الظمآن و الطبرانى فى الكبير بسنده عن حفصة بنت سيرين، قالت حدثنى أنس بن مالك، قال كنت عند ابن‌زياد، فجىء برأس الحسين عليه‌السلام، فجعل ينكث بقضيبه فى أنفه و يقول: «ما رأيت مثل هذا حسنا، قلت: أما أنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه و سلم»، و روى الطبرانى عن محمد بن الضحاك قال: «كان جسد الحسين [صفحه ۳۶] شبه جسد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و أخرج البخارى فى صحيحه و الامام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك: أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه‌السلام، فجعل فى طست، فجعل ينكث، و قال فى حسنه شيئا، فقال أنس: «كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه و سلم و كان مخضوبا بالوسمة»، و ذلك أنه لما اشتمل الشيب لحيته، كما يقول ابن عساكر، ترك بعض شعيرات فى مقدمتها، و خضب سائرها، تشبها بجده صلى الله عليه و سلم أو أنه كان يشبهه فى ذلك، حين بدا بها الشيب، و فى رواية أنه، عليه‌السلام، كان أسود اللحية، الا شعيرات هاهنا فى مقدمة لحيته، و كذلك كان شأن جده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فلقد أخرج الترمذى فى الشمائل المحمدية، عن ابن عمر، أنه قال: انما كان شيب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء، و هكذا كان الامام الحسين جميل الطلعة، حلو الحديث، فى صوته غنة حسنة، و صفه عبدالله بن الحر، فقال: ما رأيت أحدا قط أحسن و لا أملأ للعين من الحسين.

بنوة الحسين للنبى

شرف رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حفيده الحسين، كما شرف أخاه الحسن، بأن نسبهما اليه بالنبوة، و ان كانا من صلب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فلقد روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه، و جعل ذريتى فى صلب على بن أبى‌طالب»، و لهذا فقد كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول عن الحسن و الحسين انهما ابناى، روى الترمذى بسنده عن أسامة بن زيد قال: طرقت النبى صلى الله عليه و سلم فى بعض الحاجة، فخرج النبى صلى الله عليه و سلم و هو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى، قلت ما هذا الذى أنت مشتمل عليه، قال فشكفه فاذا هو حسن و حسين، عليهماالسلام، على وركيه، فقال: «هذان ابناى و ابنا ابنتى، اللهم انى أحبهما و أحب من يحبهما»، و أخرج ابن عساكر و الحاكم فى المستدرك، على شرط البخارى و مسلم، أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: «الحسن و الحسين ابناى، من أحبهما أحبنى، و من أحبنى أحبه الله، و من أحبه الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضنى، و من أبغضنى أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار»، و أخرج الامام أحمد و الترمذى بسنده عن أنس بن مالك، قال سئل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أى أهل بيتك أحب [صفحه ۳۷] اليك، قال: الحسن و الحسين، و كان يقول لفاطمة: «أدعى ابنى فيشمهما و يضمهما اليه»، و من أجل هذا فقد كان يقال لكل من السبطين الحسن و الحسين: يا ابن المصطفى.هذا و كان الحسن و الحسين يعتزان بأبوة النبى صلى الله عليه و سلم لهما، و يهتفان به، فيقول كل منهما للنبى صلى الله عليه و سلم «يا أبت»، فاذا هتف الحسن بأبيه على قال «يا أبا الحسين»، و اذا هتف الحسين بأبيه قال «يا أبا الحسن» فلما

انتقل جدهما صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما الامام على «يا أبت» و لعل مما تجدر الاشارة اليه أن النبوة التى شرف بها سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الحسن و الحسين فى قوله «انهما ابناى» و «أدعى ابنى» أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة (آل عمران آية ۶۱) عندما خرج الرسول صلى الله عليه و سلم لمباهلة نصارى نجران فأخذ معه الحسن و الحسين و على و فاطمة، دون غيرهم من الناس، و قال ان أنا دعوت فأمنوا، غير أن وفد النصارى تراجعوا و قالوا: «هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها» ثم صالحوا النبى صلى الله عليه و سلم على الجزية خشية أن يصيبهم عذاب الله.

نشأة الامام الحسين

نشأ الامام الحسين فى ظلال البيت النبوى الشريف، و تفتحت عيناه أول ما تفتحت على أنوار جده صلى الله عليه و سلم، و التى كان يشرق بها محياه الكريم، و أخذ الحسين يحبو و يشب فى أحضان النبى صلى الله عليه و سلم و كان النبى، كما يقول الأستاذ العلايلى، كالشعاع قبل الشمس يملأ جانبا من الفضاء ثم يذر قرنها حتى تتكور فى عقابيل الأفق فتنتظم الأفلاك و تصل ما بين الآفاق فى خيوط النور، و فى هذا التسامى و هذا السطوع تولى النبى صلى الله عليه و سلم الحسين، و كان فى فطرته الغضة كالعدسة اللاقطة تخيل ما تقع عليه الى حقيقته الأخرى فى وجوده الآخر، و هكذا نشأ الامام الحسين فى بيت الوحى، و تربى فى مدرسة التوحيد، و شاهد جده النبى صلى الله عليه و سلم، و هو أكمل انسان ضمه هذا الوجود، و هو يجمع الناس على كلمة التوحيد، و توحيد الكلمة، فتأثر الامام السبط بكل هذا، و انطلق منذ ولد حتى استشهد، و هو يسلك خطى جده العظيم صلى الله عليه و سلم فى [صفحه ۳۸] نصح الناس و ارشادهم، و فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية.و هكذا عاش الامام الحسين فى بيئة النبوة، و التى هى الانسانية العليا فى المظهر البشرى، فكان بذلك أسمى رجل لأنه أسمى طفل فى أسمى بيئة، ذلك لأنه مما لا ريب فيه، أن بيئة الرسول صلى الله عليه و سلم انما هى أرفع بيئة، و أن الذى استقر فى نفس الحسين الطفل هو أشياؤها، و من ثم فقد كان الامام الحسين أسمى رجل، لأن طفولته انما كانت أبا رجولته، و صدق من قال «الطفل أبو الرجل» لأن ما استقر فى نفس الطفل من كمال أو نقص انما هو الذى يبعث الرجل ذا الكمال أو النقص.هذا و قد تأثر الامام الحسين بأمه فاطمة البتول، عليهاالسلام، فلقد كانت سيدة نساء العالمين تعنى كثيرا بولديها الحسن و الحسين، لأنها كانت تخاف عليهما من مستقبل جائر يصفه جدهما صلى الله عليه و سلم، الذى لا ينطق عن الهوى، و كانت شديدة التعلق بهما، لا- تطيق فراقهما، حتى أنها كانت تضطرب اذا ما فارقاها أو انصرفا عن البيت الى غير جدهما صلى الله عليه و سلم أو أبيهما، فهى تلازمهما لتنشىء فيهما المعرفة و الآداب النبوية، و لتحليهما بالعادات و المبادىء التى تتفق و مكانة سبطى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و كما قلنا فى كتابنا عن «الامام الحسن» أن التربية الحقة انما تبدأ فى عهد الأمومة، حيث يمارس الولد المحبة و الطاعة و المحافظة على الواجبات و الحقوق، و من ثم فقد بدأت الزهراء، عليهاالسلام، تغرس تعاليم بيت النبوة فى ولديها لتجعلهما صافى النفس، و لتصرفهما بكلتيهما الى السماء، فينشأ الواحد منهما مجبولا على طبائعها، فضلا عما أوتيه من شبه بها و بالنبى صلى الله عليه و سلم، و هكذا عملت الزهراء على تنشئتهما النشأة الصالحة سبطين لسيد الأولين و الآخر، سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ولدين للامام على المرتضى، سلام الله عليهم أجمعين، فقد جعلتهما متمرسين بفكرة الله والدين، و لا عجب فى أن يكون الحسنان كذلك، فقد ربيا و نشآ فى ظل رجلين و امرأة، هم من أعظم من أظلت السماء.غير أن ارادة الله شاءت، و لا راد لمشيئته، أن تحرم الحسنان من جدهما و أمهما، و هما طفلان، لم يكن الحسين قد تجاوز السابعة من عمره، و من ثم [صفحه ۳۹] فقد أصبحا يتيمين من جدهما النبى صلى الله عليه و سلم و من أمهما فاطمة البتول، و محرومين الا من رحمة الله و أبيهما، و ليستظلا، ببيت ليس فيه الجد الرحيم، و الأم الرؤوم، و لكن أباهما لم يجعل لليأس الى قلبيهما سبيلا، و سرعان ما انتشلهما من ذل اليتم، و جعلهما فى كنف وارف، و ظل ظليل، فى كنف الامام على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الحنة، فكان لهما نعم الأب، و نعم الموجه، كما كان فى نفس الوقت نعم الأسوة الحسنة، و نستطيع أن نقف على لون التربية الزاهدة، كما يقول المحب الطبرى فى ذخائر العقبى، التى أخذ بها الامام الحسين

فى بضع كلمات من خطبة للامام على، جاء فيها «لولا ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، و لسقيت آخرها بكأس أولها، و لألفيتم دنياكم هذا ازهد عندى من عفطة عنز».هكذا نشأ الامام الحسين ملء العين و القلب فى خلق و خلق، و فى أدب و سيرة، و كان كثير الشبه بجده النبى صلى الله عليه و سلم، و ان كان فى شدته أقرب الى أبيه، قال الامام على، مشيرا الى الحسن: «ان ابنى هذا سيخرج من هذا الأمر، و أشبه أهلى بى الحسين» و اتفق بعض الثقات على أن الغالب على الحسن الحلم و الاناة كالنبى، و على الحسين الشدة كعلى»، و الأفضل من هذا و أصدق، قول النبى صلى الله عليه و سلم: «أما الحسن فله هيبتى و سؤددى، و أما الحسين فله جرأتى و جودى»، و من ثم فصفات الامامين مستمدة من جدهما النبى صلى الله عليه و سلم أولا ثم من أبيهما الامام على ثانيا، و هكذا كان الامام الحسين صورة مصغرة لجده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و مرآة تنعكس عليها شمائله و صفاته، فسيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم انما هو شمس الهداية و الحسين قبس منها، و صدق رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حيث قال «حسين منى و أنا من حسين»، كما كان الحسين صورة من أبيه الامام على، بل هو أشبه أهله به، كما قال الامام على نفسه، فلقد كان الامام على يدرك بالهامه الصادق، و يحس ببصيرته الكوارث التى يمكن أن تنجم من محاولة معاوية تحويل الاسلام الى ملك عضوض و مزرعة أموية، فقام قومته المعروفة ليمنع الكارثة قبل وقوعها، ثم قام من بعده ابنه العظيم الامام الحسين، ليمنع امتداد [صفحه ۴۰] الكارثة و استمرارها، مهما كان الثمن، و اذا راجعنا تاريخ الأمم و الشعوب، فليس من العالم، كما يقول الأستاذ العقاد، أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الامام الحسين، عدة و قدرة و ذكرة، و حسبه أنه وحده فى تاريخ هذه الدنيا، الشهيد ابن الشهيد، أخو الشهداء أبو الشهداء فى مئات السنين.

مكانة الحسين عند النبى

خص النبى صلى الله عليه و سلم ابنه الحسين بمزيد من حنانه و عطفه خلال السنوات السبع التى أدركها من حياته صلى الله عليه و سلم، كان فيها ملء الأسماع و الأبصار، حتى لقد اعتبره النبى صلى الله عليه و سلم جزءا لا يتجزأ منه، و أوصى المسلمين باعزازه و حبه و نصرته، أخرج الترمذى عن يعلى بن مرة أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و أخرج الحاكم و أبو نعيم و ابن سعد و ابن أبى شيبة و البيهقى و الامام أحمد بسنده الى عروة بن الزبير قال: قبل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حسينا و ضمه اليه و جعل يشمه، و عنده رجل من الأنصار، فقال: ان لى ابنا قد بلغ، ما قبلته قط، فقال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «أرأيت أن كان الله نزع الرحمة من قلبك ما ذنبى»، و أخرج الامام أحمد و ابن حبان و أبو يعلى و الهيثمى بسنده عن ابن سابط قال: دخل حسين بن على، عليه‌السلام، المسجد، فقال جابر بن عبدالله، من أحب أن ينظر الى سيد شباب الجنة، فلينظر الى هذا، سمعته من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم.و أخرج الامام أحمد و الترمذى عن على أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أخذ بيد الحسن و الحسين، فقال: «من أحبنى و أحب هذين و أباهما و أمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»، و أخرج ابن عساكر عن أنس عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لا يقومن أحد من مجلسه، الا للحسن أو الحسين أو ذريتهما»، و أخرج الامام أحمد و الطبرانى عن أبى هريرة قال: نظر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى على و الحسن و الحسين و فاطمة، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم»، و فى رواية للامام أحمد و الترمذى عن زيد بن أرقم أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال لعلى و فاطمة و الحسن [صفحه ۴۱] و الحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم»، و روى الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن جابر، قال سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة، و فى لفظ الى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر الى الحسين بن على».و كان النبى صلى الله عليه و سلم يرى بنور الله مما تضطرم به نفس الامام الحسين من شدة الحق، و استعداد للكفاح، فكان دائب التشجيع له و الحدب عليه، حتى روى أنه كان ذات يوم يصطرع مع أخيه الحسن، بين يدى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فجعل النبى صلى الله عليه و سلم يقول: هى حسين... تشجيعا له و تثبيتا، يقول ابن حجر فى الاصابة، روى أبو

يعلى بسنده عن أبى هريرة قال كان الحسن و الحسين يصطرعان بين يدى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فجعل يقول: «هى حسين، فقالت فاطمة لم تقول هى حسين، قال ان جبريل يقول هى حسين»، أى أن أهل السماء يؤيدون الحسين و يناصرونه، و فى ذلك اشارة الى أنه، عليه‌السلام، على الحق، و أن الحق دائما معه.و كفى الامام الحسين، و أخوه الامام الحسن فخرا، أن جدهما رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «أحشر أنا و الأنبياء فى صعيد واحد، فينادى معشر الأنبياء تفاخروا بالأولاد، فأفتخر بولدى الحسن و الحسين»، و كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما يعوذ الحسن و الحسين، فلقد أخرج الامام أحمد و الترمذى عن ابن عباس قال: كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يعوذ حسنا و حسينا فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة، و من كل عين لامة، ثم يقول: «هكذا كان ابراهيم عليه‌السلام يعوذ اسماعيل و اسحاق، عليهماالسلام»، كما كان كل منهما يعوذه بقوله «اللهم انى أعيذه بك و ذريته من الشيطان الرجيم».و أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى نم قال سمعت رسول‌الله يقول «الحسن و الحسين هما ريحانتاى من الدنيا» و روى الذهبى عن أبى أيوب الأنصارى قال: دخلت على رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين يلعبان على صدره [صفحه ۴۲] فقلت يا رسول‌الله: أتحبهما، قال: «كيف لا أحبهما، و هما ريحانتاى من الدنيا».هذا و قد بلغ من حب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم للحسين ما رواه الشبلنجى فى نور الأبصار، عن أبى هريرة أنه قال: «رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يمتص لعاب الحسين، كما يمتص الرجل التمرة»، كما بلغ من مراعاة النبى صلى الله عليه و سلم لحفيده الحبيب و شفقته عليه، ما نراه واضحا، فيما أخرجه النسائى فى سننه بسنده، و أبو داود و الترمذى و الامام أحمد، عن عبدالله بن بريدة يقول: «كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران، فنزل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله العظيم «انما أموالكم و أولادكم فتنة»، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران، قلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما»، و روى الترمذى بسنده أن النبى صلى الله عليه و سلم كان حامل الحسين على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال صلى الله عليه و سلم «و نعم الراكب هو»، و روى المحب الطبرى فى ذخائر العقبى عن يزيد بن أبى زياد، قال خرج النبى صلى الله عليه و سلم من بيت عائشة، فمر على بيت فاطمة الزهراء، فسمع صلى الله عليه و سلم حسينا يبكى، فقال لفاطمة «ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى»، و فى تاريخ البلاذرى عن محمد بن يزيد المبرد النحوى بسنده قال: انصرف النبى صلى الله عليه و سلم الى منزل فاطمة فرآها قائمة خلف بابها، فقال ما بال حبيبتى هاهنا، فقالت ان ابنيك خرجا غدوة، و قد غم على خبرهما، فمضى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يعفو آثارهما حتى صار الى كهف جبل فوجدهما نائمين، وحية مطوقة عند رأسيهما، فأخذ حجرا و أهوى اليها، فقالت السلام عليك يا رسول‌الله، و الله ما نمت عند رأسيهما الا حراسة لهما، فدعا لها بخير، ثم حمل الحسن على كتفه اليمنى، و الحسين على كتفه اليسرى، فنزل جبريل فأخذ الحسين، فكانا بعد ذلك يفتخران، فيقول الحسن حملنى خير أهل الأرض، و يقول الحسين: «حملنى خير أهل السماء».هذا و قد بين النبى صلى الله عليه و سلم أن مكانة الحسن و الحسين منه، و سيادتهما بين [صفحه ۴۳] الناس، لا تقف عند حد الدنيا، و لا تقتصر على قومهما، و انما تمتد الى الدار الآخرة، و تشمل الناس جميعا فى كل زمان و مكان، فيقول صلى الله عليه و سلم: «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة»، و بدهى أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لم يكن فى كل ذلك مدفوعا بحبه لحفيديه العظيمين، و انما كان مأمورا بوحى من الله، كى يعلم المسلمون ما يجب عليهم نحو أهل البيت عامة، و الحسن و الحسين خاصة، من صدق المحبة، و خفض الجناح، و معرفة حقهم، و استشعار كل الاجلال و التقدير لأهل بيت النبى الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و فى نفس الوقت فلقد حرص رسول‌الله صلى الله عليه و سلم على التحذير من مغبة عداوتهم و مشاقتهم، لأنها معاداة و مشاقة الله و رسوله، و صدق الله العظيم حيث يقول «و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب»، و تأكيدا لهذا المعنى و زيادة فى ايضاحه يقول رسول‌الله صلى الله عليه و سلم للحسن و الحسين «أنا حرب لمن حاربكم، و سلم لم سالمكم».و روى الطبرانى فى الأوسط عن السيدة فاطمة ابنة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بالحسن و الحسين الى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى شكواه التى توفى فيها، فقالت يا رسول‌الله: هذان ابناك فورثهما شيئا، فقال: أما حسن فله هيبتى و

سؤددى، و أما حسين فله جرأتى و جودى»، و فى رواية «أما الحسن فله سخائى و هيبتى، و أما الحسين فله شجاعتى و سؤددى»، فيا له ميراث عظيم، لا توزن به الدنيا، و لا تعدله كنوزها، فحسب الامام الحسن أن يرث سخاء جده الذى كان أجود من الريح المرسلة، و أن يرث هيبته التى كانت تخشع لهاالقلوب، و تخبت لها الأفئدة، و حسب الامام الحسين أن يرث شجاعته و مكانه من السؤدد و المجد، و هكذا كان الامام الحسين قوى الشكيمة شديد البأس ثابت اليقين، لا يخشى أحد الا الله، و لا يهاب الموت، كان أشجع الناس فى الحق و مواجهة أهل الباطل، و حسبه أن يرث المجد و السؤدد حتى رأينا مكانته بين المسلمين، و منزلته عندهم و تعلقهم به و اكبارهم لشأنه و تعظيمهم لشخصه، ينظرون اليه فى اجلال و خشوع، فهو ابن بنت رسول‌الله، و ريحانته و بضعة من لحمه و دمه، و صورة من خلقه الكريم. [صفحه ۴۴]

اخبار النبى بمقتل الحسين

كان سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يرى بنور الله ما تضطرم به نفس حفيده الحسين من شدة فى الحق، و استعدا للفداء بنفسه و ماله و ولده و أهله فى سبيل الله و جهاد الظالمين، فلقد أخرج الامام أحمد بسنده عن أم سلمة قالت كان جبريل عليه‌السلام عند النبى صلى الله عليه و سلم و الحسين معى فبكى فتركته فدنا من النبى صلى الله عليه و سلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد، فقال نعم، فقال ان أمتك ستقتله، و ان شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها، فأراه اياها، فاذا الارض يقال لها كربلاء، و أخرج الامام أحمد و أبو يعلى و البزار و الطبرانى عن عائشة أو أم سلمة، شك الراوى، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لاحداهما: لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها، فقال لى: ان ابنك هذا حسين مقتول، و ان شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها، فأخرج تربة حمراء.و عن ابن عباس قال: كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم جالسا اذ أقبل الحسن عليه‌السلام فلما رآه بكى، و قال الى الى فأجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين عليه‌السلام فلما رآه بكى و قال مثل ذلك فأجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة عليهاالسلام فلما رآها بكى و قال مثل ذلك و أجلسها بين يديه، ثم أقبل على عليه‌السلام فلما رآه بكى و قال ذلك و أجلسه الى جانبه الأيمن، فقال له أصحابه يا رسول‌الله، ما ترى واحدا من هؤلاء الا بكيت، فقال ما على وجه الأرض نسمة أحب الى منهم، و انما بكيت لما يحل بهم من بعدى و ذكرت ما يصنع بهذا ولدى الحسين، كأنى به و قد استجار بحرمى و قبرى فلا يجار، و يرتحل الى أرض مقتله و مصرعه، أرض كربلاء، تنصره عصابة من المسلمين أولئك سادات شهداء أمتى يوم القيامة، فكأنى أنظر اليه و قد رمى بسهم فخر عن فرسه صريعا، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوما، ثم انتحب و بكى و أبكى من حوله و ارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام و هو يقول «اللهم انى أشكو اليك ما يلقى به أهل بيتى بعدى»، و أخرج الامام أحمد و أبو يعلى و البزار و الطبرانى عن عبدالله بن نجية عن أبيه أنه سار مع على، و كان صاحب مطهرته، فلما حاذى [صفحه ۴۵] نينوى، و هو منطلق الى صفين، فنادى: اصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت و ماذا، قال دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم و عيناه تفيضان، قلت يا نبى الله أغضبك أحد، ما شأن عينك تفيضان، قال: بل قام من عندى جبريل قبل، فحدثنى: أن الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال: هل لك الى أن أشمك من تربته، قال «قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينى أن فاظتا». [صفحه ۴۷]

الامام الحسين و الخلفاء الراشدون

الامام الحسين و الصديق

لا ريب فى أن الخلفاء الراشدين كانوا أقرب الناس الى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أقوامهم ايمانا، و أكثرهم حبا و وفاء، و أعظمهم تعلقا بما كان يتعلق به صلى الله عليه و سلم، و من هنا كانوا أعظم الناس حبا لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، بل انهم

كانوا يحبونهم أكثر من حبهم لأنفسهم و لأبنائهم، امتدادا لحبهم للنبى صلى الله عليه و سلم، و وفاء منهم لما كان يحبهم المصطفى صلى الله عليه و سلم، و فى مقدمتهم الامام الحسين، فضلا عن أن حب آل البيت الطاهرين انما كان استجابة لما دعا اليه القرآن الكريم فى قوله (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)، و قد سأل بعض الصحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم عن قرابته الذين و جبت محبتهم، فقال «على و فاطمة و أبناهما» روى الامام أحمد و الطبرانى و ابن أبى حاتم و الحاكم و الواحدى عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية «الشورى آية ۲۳» قالوا: يا رسول‌الله من قرابتك هؤلاء الذين و جبت علينا مودتهم، قال: «على و فاطمة و ابناهما» «أى الحسن و الحسين»، و قد عرفنا من قبل، كيف كان الامام الحسين ملء السمع و البصر و الفؤاد من جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و كان كذلك عند الصحابة، و على رأسهم الخلفاء الأربعة، أبوبكر و عمر و عثمان و على، و رغم بعض الظلال التى أحاطت بالموقف بعد انتقال الرسول الأعظم الى الرفيق الأعلى، بين بيت النبوة و بين [صفحه ۴۸] الصديق، و رغم أن الامام الحسين بدأ يحس الى حد ما أنه يعيش بين ظهرانى مجتمع جديد، غير الذى الفه على أيام جده صلى الله عليه و سلم، و مكانة غير التى كانت له على أيام النبى صلى الله عليه و سلم، و زاد من حيرته ظهور حرب الردة، فبدأ يرى أوضاعا متقلبة، و حروبا دائمة، و أمة خاصمة مخصوصة، و وسطا لا عهد له به فيه اجلاب ما تعود سماعه من قبل، رغم ذلك كله، فان المسلمين، و قد شاهدوا مبلغ حب النبى صلى الله عليه و سلم لسبطه الحسين، و مبلغ حرصه عليه و رعايته له، و من ثم فقد كانوا جميعا يجلونه، و أخاه الحسن، أعظم الاجلال لمقامهما من النبى صلى الله عليه و سلم و لما يسطع فيهما من أنوار النبوة، و لما يرونه فيهما من مخايل النجابة و مميزات الرجولة.و لا ريب فى أن الخليفة الأول أبابكر الصديق، رضى الله عنه و أرضاه، انما كان على رأس المسلمين الذين أحبوا الامام الحسن و الامام الحسين، و أنزلوهما المنزلة اللائقة بهما كسبطى النبى صلى الله عليه و سلم، فكان الصديق على يقين من فضل الامام الحسين، يعرف منزلته و يحدب عليه، و يقلد النبى صلى الله عليه و سلم فى الحنين اليه، حتى أنه كان يخطب الناس و يحضهم على احترامه و اجلاله، و احترام ذويه من آل النبى صلى الله عليه و سلم، روى البخارى بسنده أن أبابكر الصديق كان يقول «أرقبوا محمدا صلى الله عليه و سلم فى أهل بيته، و الذى نفسى بيده لقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحب الى من قرابتى»، و روى البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى عن عائشة رضى الله عنها عن أبى‌بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال «و الذى نفسى بيده لقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحب الى أن أصل من قرابتى»، و هكذا كان لقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم عند الصديق، الخليفة الأول، من التعظيم و الاكبار ما لم يكن لأحد غيرهم، فالصديق يقسم بالله، و هو صادق، أن قرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحب اليه من قرابته، و أنه يحب أن يصلهم أكثر مما يحب أن يصل قرابته، و بدهى أن الحسن و الحسين انما كانا على رأس قرابة النبى صلى الله عليه و سلم.

الامام الحسين و الفاروق

كان الفاروق عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ينبض قلبه بالحب [صفحه ۴۹] و الاخلاص و الوفاء لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لآل البيت الطاهرين، و كان للحسن و الحسين منزلة خاصة عنده لا تدانيها منزلة أخرى، تأسيا بالرسول صلى الله عليه و سلم و حبا لمن كان يحبه، و مع ذلك فانه يبدو أن ما استقر فى نفس الامام على و فاطمة الزهراء و آل البيت، من الاستياء من صرف الخلافة عن الامام على، رغم قرابته القريبة من النبى صلى الله عليه و سلم لأنه فرع النبوة، بل ان آل البيت انما هم شجرة النبوة و محط الرسالة، لا شك أن ذلك انما استقر فى نفس الامام الحسين فجعله لا يرضى عمن احتل مركز أبيه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، روى ابن حجر فى الاصابة بسنده عن الامام الحسين، قال: أتيت عمر و هو يخطب على المنبر، فصعدت اليه فقلت: انزل عن منبر أبى، و اذهب الى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبى منبر، و أخذنى فأجلسنى معه أقلب حصى بيدى، فلما نزل انطلق بى الى منزله، فقال لى: من علمك قلت: و الله ما علمنى أحد، قال بأبى لو جعلت تغشانا، فأتيته يوما و هو خال بمعاوية، و ابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر، فرجعت

معه، فلقينى بعد، قلت فقال لى لم أرك، قلت يا أميرالمؤمنين: انى جئت و أنت خال بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر، فقال «أنت أحق من ابن عمر، فانما أنبت ما ترى فى رؤسنا الله، ثم أنتم».على أن الذى لا شك فيه أن الفاروق انما كان يؤثر الامام الحسن و الحسين خاصة، و بنى‌هاشم عامة، و ذلك لقرابتهم من سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، تلك القرابة التى كان الفاروق رضى الله عنه دائما يرعى لها حرمتها، بل و جعلها مدخلا للسبق فى كل حال و مقام، فلما أراد أن ينشىء الديوان الذى يحدد للناس فيه أعطياتهم من بيت المال، أشار عليه بعض الصحابة أن يبدأ بنفسه، على أنه رأس المسلمين و خليفتهم، فقال: بل أبدأ بقرابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فبدأ بالعباس، عم النبى صلى الله عليه و سلم ثم نساء النبى صلى الله عليه و سلم، ثم الامام على، ابن عم النبى صلى الله عليه و سلم، ثم الأقرب فالأقرب من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، ثم أهل بدر، و ألحق بأهل بدر أربعة من غيرهم، هم الحسن و الحسين و أبوذر و سلمان، ثم جعل الناس طبقات، وفق ما لهم من فضل و سابقة فى الاسلام، و وفق حاجتهم، فقال: «لكل و سابقته، لكل [صفحه ۵۰] عمله و بلاؤه، لكل و حاجته»، ففضل السابقين من المهاجرين و الأنصار، ثم من أسلم قبل فتح مكة، ثم من أسلم بعده، ثم المجاهدين حتى آخر معركة، ثم فرض للحسن و الحسين خمسة آلاف كأهل بدر، قال ابن عساكر، جعل عمر عطاء الحسن و الحسين مثل عطاء أبيهما فألحقهما بفريضة أهل بدر، لكل واحد منهما خمسة آلاف، و قد روى البخارى أن عطاء البدريين خمسة آلاف، و قال عمر: لأفضلنهم على من بعدهم.هذا و كان الفاروق يقدم الحسن و الحسين على ولده عبدالله، فلقد قسم يوما فأعطى الحسن و الحسين، كل واحد منهما عشر آلاف، و أعطى ولده عبدالله ألف درهم، فعاتبه ولده قائلا: لقد علمت سبقى فى الاسلام و هجرتى، و أنت تفضل على هذين الغلامين، فقال عمر: «ويحك يا عبدالله، جدهما رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و أبوهما على، و أمهما فاطمة، وجدتهما خديجة، و خالهما ابراهيم ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و خالاتهما زينب و رقية و أم كلثوم، و عمهما جعفر، و عمتهما أم هانىء، و قد نسبهما و انتسب، فما ساوى واحدا بواحد»، و فى رواية سبط بن الخورى فى «تذكرة خواص الأمة فى معرفة الأئمة» عن ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يحب الحسن و الحسين و يقدمهما على ولده، و لقد قسم يوما فأعطاهما عشرين ألف درهم، و أعطى ولده ألف درهم، فعاتبه ولده و قال: قد علمت سبقى فى الاسلام و هجرتى، و أنت تفضل على هذين الغلامين، فقال «ويحك يا عبدالله، ائتنى بجد مثل جدهما و أنا أعطيك عطاءهما» و هكذا أقنع الفاروق ولده عبدالله ببساطة و بمنطق سيال حتى أصبح بعد ذلك يعترف بحقهما و يذب عنهما، حتى اتهمه البعض بمغالاته فى الهاشميين جميعا، ذلك أن الفاروق الملهم، سرعان ما أدرك أن النبى صلى الله عليه و سلم ترك فى الحسن و الحسين تذكاره بين المسلمين، كما ترك بالقرآن تعاليمه.و لقد أخرج الترمذى فى مناقب أهل البيت بسنده عن جابر بن عبدالله قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى حجته يوم عرفة، و هو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعته يقول: «أيها الناس انى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا، كتاب [صفحه ۵۱] الله و عترتى و أهل بيتى»، و روى الامام أحمد و الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: انى قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدى، الثقلين، واحد منهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتى أهل بيتى، الا و أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، قال «انظروا كيف تخلفونى فيهما»، و فى رواية للقاضى عياض عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «انى تارك فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله و عترتى، أهل بيتى، فانظرونى كيف تخلفونى فيهما»، و فى رواية صحيح مسلم عن زيد؛ بن أرقم أنه قال: أيها الناس، فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول‌الله ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب و استمسكوا به، فحث على كتاب الله عزوجل، و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى «ثلاث مرات».و انطلاقا من كل هذا، فق كان الفاروق رضى الله عنه من أكثر الناس تعظيما للحسن و الحسين، و أكثرهم تقديرا لمكانتهما من رسول‌الله، روى ابن عساكر فى التاريخ الكبير، أنه قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا فى الحلل، و هو بين القبر و المنبر (الروضة الشريفة) جالس، و الناس يسلمون عليه، فخرج الحسن و الحسين من بيت فاطمة فى جوف المسجد، و ليس عليهم شىء من تلك الحلل، فقال عمر: «و الله ما هنأنى ما كسوتكم، قالوا لم يا أميرالمؤمنين،

قال من أجل هـذين الغلامين، يتخطيان الناس ليس عليهما مما كسوت الناس شـيء» و هكذا و رغم أن الحسن و الحسـين صـغيران، و ربما ليس فى الحلل ما يستوى على جسـميهما، غير أن الفاروق المرهف الحسن شـعر بشيء ما، و من ثم فقد كتب لصاحب اليمن أن ابعث الى بحلتين لحسن و حسين، و عجـل، فكساهما، و قال «الآن طابت نفسـى» و روى أن الفاروق كان ينتظر الحسـين يوما، فـذهب اليه الحسـين، فوجـد عبـدالله بن عمر و عرف منه أنه اسـتأذن على الخليفـة فلم يـؤذن له، فرجع الحسـين، ثم لقيه عمر معاتبـا و قـال: ما منعـك أن تـأتينى، فأخبره بما حـدث، فعز ذلك على عمر، و قال: [صـفحه ۵۲] «و أنت عنـدى مثله، و أنت عنـدى مثله، و هـل أنبت الشـعر على الرأس غيركم»، و روى أن الفـاروق قـال لقومه من بنى عـدى: «و الله ما أدركنا الفضل فى الـدنيا الا بمحمـد، و لا نرجو ما نرجوا فى الآخرة و ثوابها الا بمحمد صـلى الله عليه و سلم فهو شرفنا، و قومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب».و تروى كتب التاريخ أنه لما فتح المسـلمون فارس على أيام الفاروق رضـى الله عنه جيء بابنتى كسـرى ضـمن أسـرى الحرب، و تزوج ابن عمر احداهما، و تزوج الامـام الحسـين أختهـا «شـهربانو» و شـهرتها «جيهان شاهْ» «ملكـة العالم» فقال الفاروق للامام الحسـين، و هو يبارك هـذا الزواج «لتلـدن لك خير أهل الأرض» و لقـد صـدقت فراسـة الفاروق، و تحققت نبوءته، فأنجبت له الامام على زين‌العابـدين الذى كان أعظم أهـل عصـره، علمـا و ورعا و دينا، حتى لقبه الامام ابن تيميـة «قرة عين الاسـلام» بل شاءت العنايـة الآلهيـة أن ينجو وحـده من مـذبحة كربلاء التى اجتـاحت البيت النبوى الكريم، ليبقى امتـدادا للدوحـة النبويـة، و ليظـل النسب النبوى الشـريف متصـلا فى ذريته الى يوم الدين (من صلب الامام الحسين).

الامام الحسين و ذو النورين

كان الامام الحسـين قد قارب العشـرين من عمره يوم تولى عثمان رضى الله عنه الخلافة، و هو عمر لا ريب فى أن يسمح للامام العظيم أن يخوض معترك الحيـاة، و أن يقوم بـدور فيهـا، و هكـذا كـان الامـام الحسـين شابا يقظا تجلله نورانيـة الايمان بما هـذب منه جـده رسول‌الله صـلى الله عليه و سـلم، و صـقل منه أبوه الامام على، و أرهفت منه فاطمة الزهراء، و فى هذا الدور دخل الامام الحسين ميدان الجهـاد فى سبيـل‌الله، فانضم، هو و أخوه الحسن، الى المجاهـدين، حيث اتجهت ألويتهم الفاتحـة الى الشـمال الأفريقى، فكانا من بين رجـال الجيش الـذى بعثه الخليفـة الشـهيد عثمـان بن عفان من المدينـة الى المغرب الأقصـى، و كان يضم، كما يقول أحمـد بن خالد الناصـرى فى كتابه «الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى»، [صفحه ۵۳] جمامة من كبار الصـحابة، على رأسهم الحسن و الحسين و ابن عباس و ابن عمر و ابن الزبير، فسار الى أفريقية مددا لأمير مصـر عبدالله بن أبى سرح عام ۲۷ ه، فهزموا الروم فى طرابلس، ثم هزموهم مرة أخرى على مبعدة مسـيرة يوم و ليلة من سبيطلة و قتلوا ملكهم «جرير» ثم تابعوا زحفهم الى المغرب الأقصـى و كان الحسـنان فيمن دخلوه من الصـحابة رضوان الله عليهم.و يروى الطبرى و ابن كثير أن الامامين الحسن و الحسـين قد اشتركا عام ۳۰ ه فى الجيش الذى غزا طبرسـتان بامرة سـعيد بن العاص أمير الكوفة، فسار الى جرجان فصالحهم أهلها على مائتى ألف، ثم أتوا طميسة فى تخوم جرجان، فقاتلهم أهلها حتى صـلوا صـلاة الخوف و هم يقتتلون، ثم حاصرهم المسلمون حتى طلبوا الأمان فأعطاهم سعيد بن العاص عهدا أن لا يقتـل منهم رجلا واحـدا، ففتحوا الحصن مستسـلمين فقتلهم الا رجلا واحـدا.هـذا و قـد كان الامام الحسـين، كما كان الامام الحسن، يكنـان للخليفـة الراشـد ذى النورين عثمان بن عفان كل حب و ولاء و تقـدير، اعترافا بفضـله و تقـديرا لسابقته فى الاسـلام و جهاده و مكانته من رسول‌الله صـلى الله عليه و سـلم و من ثم فحين تجمع الثوار حول بيته بسـبب الفتنـة، و أحدق الخطر به، كانا سـبطا رسول‌الله صلى الله عليه و سـلم أسـبق الناس للـدفاع عنه و الوقوف ببابه لحراسـته حاملين سـيفيهما، بأمر من أبيهما الامام على، كرم الله وجهه فى الجنـة، حيث أمرها أن «اذهبا بسـيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه» و فعلا ما أمر أبوهما الامام على، مع جماعة من أبناء كبار الصحابة، و لما بدأ الثوار يرمون بيت الخليفة بالسهام، من كل جانب أصيب الامام الحسن بسهم فخضبه الدم، و شـج قنبر مولى الامام على، و خاف الثوار أن تغضب بنوهاشم، فكفوا عن رمى السـهام، و لكنهم اقتحموا دار الخليفـة من الدور التى

حوله و فعلوا فعلتهم النكراء، و ما أن علم الامام على بما حدث حتى أتى دار الخليفة الشهيد ثائرا غاضبا، و رغم أنه رأى الحسن و الحسين مخضبين بالدم، فانه لم يتمالك نفسه غضبا، فصاح بهما «كيف يقتل أميرالمؤمنين و أنتما على الباب» ثم رفع يده [صفحه ۵۴] فلطم الحسين، و ضرب صدر الحسن و خرج غضبان أسفا.و لا ريب فى أن ازمامين الحسن و الحسين انما استبسلا فى الدفاغ عن الخليفة الشهيد، حرصا عليه، و وفاء له، و قطعا لدابر الفتنة، و اغلاقا لباب الشر، و ابقاء على الخلافة الاسلامية، كما كانت على أيام الشيخين، و على أيام الخليفة الشهيد، قبل أن يثير فيها الأمويون ما أثاروه من مشاكل شغلت العالم الاسلامى حينا من الدهر، و هكذا حمل الامام الحسين سيفه دفاعا عن عثمان رضى الله عنه، و فى نفس الوقت انما أجج ذلك كله فى نفس الامام الحسين نزعة الاصلاح قبل أن ينتقص ما بناه جده سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بسبب ما قام به بنو أمية من خلل فى نظام الأمة الاجتماعى، و كان يرى فى أبيه الزاهد المصلح المنتظر شأنه فى ذلك شأن أجلاء الصحابة، رضوان الله عليهم، الذين كانت تراود نفوسهم أفكار الاصلاح، و كان الامام الحسين يرى فى الحزب اوموى مصدر التبلبل و الدس بسبب أطماعه فجزم ألا استقرار ما دام للأمويين سلطة، و أجمع على أن يخدم هذه الفكرة، و قد درسنا أحوال أمة الاسلام فى تلك الفترة فى كتابنا عن «الامام على بن أبى‌طالب».

الامام الحسين فى خلافة أبيه الامام على

كان الامام الحسين قد نيف على الثلاثين عندما بويع أبوه الامام على بن أبى‌طالب بخلافة المسلمين فى يوم الجمعة الخامس و العشرين من ذى الحجة عام ۳۵ ه (۲۴ يونيه ۶۵۶ م) و من ثم فقد استوى الامام الحسين رجلا ناضجا ملء برديه، استبسالا و عزيمة و تعلقا بالاصلاح و مضاء فى حركة التطهير التى يتطلبها الوضع الجديد، و كان الامام على حريصا أشد الحرص على غرس الفضائل السامية و الخصال الشريفة فى نفوس أبنائه، و خاصة الحسن و الحسين، فكان يقوم بتربيتهما على الفروسية و النجدة و الشهامة و الكرم و الجود و البلاغة و الحكمة و مكارم الأخلاق، و فى نفس الوقت كان الامام الحسين متعلقا بأبيه أشد التعلق، يكاد لا يفارقه، فقد كان يرى فيه الأسوة الحسنة و التجسيد الحى [صفحه ۵۵] لمبادىء جده النبى الأعظم صلوات الله و سلامه عليه، و من ثم فقد أخذ من خبرته و علمه الكثير، كما أخذ عنه فروسيته و شجاعته و نجدته.هذا و قد شهد الامام الحسين الاضطرابات التى سادت أخريات أيام عثمان رضى الله عنه و ما بعدها، و رأى من أطماع الناس و أهوائهم و أنانيتهم التى بلغت حدا كبيرا، فراعه ما رأى و ما سمع، لم يكن يظن فيما حوله الا الخير، و لكن الناس فجئوه بسرائرهم و مطويات نفوسهم، فلم ير فيها الا سوادا و دكنة قاتمة، و من ثم فقد أدركه الأسى من مصير الناس، لكنه سرعان ما تحول الى عامل بعث، و ليس يأسا، و كان الامام كأبيه يعتقد أن المجتمع لن يصلح الا اذا لقح بعصارة جديدة، و بترت منه الزوائد، و كانت هذه عقيدة أنصاره أيضا.و كان الامام على قد ربى الحسين على الشجاعة و النجدة، و مجابهة الشدائد، و من ثم فكان يستعين به عند كل نازلة، فعندما اضطر الى الدخول فى معركة الجمل، كان الحسن على ميمنته، و الحسين على مسيرته، و كان أخوهما محمد بن الحنفية حامل رايته العظمى، فلما التقى الجمعان و حمى و طيس القتال، زحف على بنفسه نحو الجمل، فى كتبته الخضراء من المهاجرين و الأنصار، و حوله بنوه، الحسن و الحسين و محمد عليهم‌السلام، كما صاحب الامام الحسين، و أخواه، أباهما فى صفين، و قد أحاط به الثلاثة، يقيه كل منهم بنفسه، فيكره الامام على ذلك و يأبى الا أن يتقدم عليهم ليحول بينهم و بين أهل الشام، ذلك لأن الامام على، رغم حرصه الشديد على تنشئة أولاده على البطولة و الفداء، فلقد كان دائما يضن بالحسن و الحسين على الخطر، مخافة أن يصيبهما شر فتنقطع ذرية رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فكان يقيهما بنفسه و بأخيهما محمد، حتى أنه كان يشتد على محمد، و يعنف به، ان رأى منه فى الحرب أناة أو تقصيرا، حتى كلمه بعض أصحابه، و حتى أن محمدا سئل: لم يغرر بك أبوك فى الحرب، و لا يغرر بأخويك، فأجاب: «انهما عيناه، و أنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه» و هكذا كان الامام على أشد الناس ايثار للحسن و الحسين، [صفحه ۵۶] لمكانهما من النبى صلى الله عليه و سلم و كان أصحابه يصنعون صنيعه فى ذلك، فيؤثرونهما بالخير و البر.

الامام الحسين فى خلافة الامام الحسن

ولد الامامان الحسن و الحسين فى بيت النبوة، و عاشا معا منذ عهدهما بالحياة، يحظيان بحب جدهما المصطفى صلى الله عليه و سلم و حنان أمهما فاطمة الزهراء، و رعاية أبيهما الامام على، و لما كان فارق السن بينهما قليلا، لا يكاد يزيد عن العام، فقد كانا متقاربين فى أحوالهما، يخرجان معا، و يبقيان فى البيت معا، و يذهبان الى مسجد جدهما صلى الله عليه و سلم معا، و كانت حياتهما معا كلها تقوى و صلاح و عبودية الله سبحانه و تعالى، و جهاد فى سبيل الله اعلاء كلمته، و عندما أصبح السبطان الشريفان رجالا، شاركا فى الحياة معا فحاربا فى الشمال الأفريقى و فى طبرستان معا، و عندما حوصر الخليفة الشهيد حملا سيفيهما معا للدفاع عنه، حتى اذا ما بويع أبوهما بالخلافة شهدا معه مشاهده كلها، فى يوم الجمل و فى صفين، و هكذا كانت حياة الامامين الحسن و الحسين تكاد تكون حياة واحدة، حتى اذا ما أصبح الامام الحسن خليفة للمسلمين، و خامسا للراشدين، كان أخوه الامام الحسين أقرب الناس اليه، يشاركه الرأى، و يستشيره فى كل أموره، ثم انتهت الأمور بتنازل الامام الحسن لمعاوية عن الأمر، و هنا يختلف المؤرخون، فى موقف الامام الحسين، فذهب فريق الى أنه أنكر هذا الصلح، و ذهب فريق آخر الى أنه قبله، كما قبله أخوه الامام الحسن، و هذا ما سنناقشه فى الفصل التالى.بقيت الاشارة الى مكانة الامام الحسين عند الصحابة، و هى انما تدل على ما كان يتمتع به عند صحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم من حب و تقدير، و ايثار و مسارعة الى خدمته، حتى رأينا ابن عباس يمسك بركابه، و حتى رأينا أبا هريرة ينفض التراب عن قدميه، فقد كان الامام الحسين أحب انسان الى قلوب المسلمين، و أجدر من تنعطف اليه هذه القلوب، فهو سبط النبى و ريحانته، و هو سيد شباب أهل الجنة، و هو أحب أهل الأرض الى أهل السماء، كما قال ابن عمر. [صفحه ۵۷]

الامام الحسين فى عهد معاوية

موقف الامام الحسين من الصلح مع معاوية

اختلف المؤرخون فى موقف الامام الحسين من صلح أخيه الامام الحسن مع معاوية بن أبى‌سفيان، فذهب فريق الى أن الامام الحسين لم يكن يرى رأى أخيه، و لا يقر رأيه فى الميل الى السلم مع معاوية، و أنه ألح على أخيه فى أن يستمسك و يمضى فى الحرب، و لكن الامام الحسن امتنع عليه، على أن وجها آخر للنظر يذهب الى أن الامام الحسين انما كان من رأى أخيه، و أنه قبل الصلح، كما قبله الامام الحسن، فيذهب ابن الأثير فى «أسد الغابة» أن الامام الحسين كان كارها لما فعله أخوه الامام الحسن عن تسليم الأمر الى معاوية و قال له: أنشدك الله أن لا تصدق أحدوثة معاوية، و تكذب أحدوثة أبيك، فقال له الحسن: «أسكت أنا أعلم بهذا الأمر منك»، و روى ابن كثير فى البداية و النهاية أنه لما أراد الحسن أن يصالح معاوية، شق ذلك على الحسين و لم يسدد رأيه فى ذلك و حثه على قتال أهل الشام، فقال أخوه: و الله لقد هممت أن أسجنك فى بيت و أطين عليك بابه حتى أقضى بشأنى هذا و أفرغ منه ثم أخرجك، فلما رأى الحسين ذلك سكت و سلم، و روى ابن حجر فى الاصابة، و ابن عساكر فى تاريخه عن ابن سعد بسنده الى عمرو بن دينار، أن الامام الحسن عرض أمر الصلح على عبدالله بن جعفر فوافقه، ثم بعث الى الحسين فقال له: أى أخى [صفحه ۵۸] انى رأيت رأيا، و أحب أن تتابعنى عليه، قال ما هو، فقص عليه الذى قال لابن جعفر، فقال له الحسين رضى الله عنه أعيذك بالله أن تكذب عليا فى قبره، و تصدق معاوية، فقال الحسن: و الله ما أردت أمرا قط، الا قد خالفتنى الى غيره، و الله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى يقضى أمرى، فلم يزل به حتى رضى، و فى احدى الروايات: فلما رأى الحسين غضبه قال: «أنت أكبر ولد على، و أمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك».على أن هناك فريقا آخرا يذهب الى أن موقف سيدالشهداء الامام الحسين، عليه‌السلام، من قضية الصلح كموقف أخيه الامام الحسن، عليه‌السلام، فقد كان يرى ضرورة المهادنة و لزوم المسالمة، و أنه ليس من الحكمة و لا من الصالح فتح باب الحر مع معاوية، فانه يعود بالمضاعفات السيئة على الاسلام، و يجر الويلات و الخطوب للمسلمين، و ذلك لتفلل

الجيش الذى نزح معهم، و يدلل هذا الفريق على موافقة الامام الحسين على الصلح أنه حين أبرم هذا الصلح أقبلت الى الامام الحسين طائفة من الزعماء و الوجوه يطلبون منه أن ينقض ما أبرمه أخوه الحسن و يناجز معاوية، فأبى و امتنع، و لو كان يرى غير رأى أخيه لأجابهم الى ذلك، و ربما لأن الحسين ما كان يرضى أن يسود المسلمين، و الحسن حى، فضلا عن أن ينقض صلحا أبرمه، و من ثم فقد رأيناه حين اشترط الامام الحسن أن تنص بيعته على أن يحاربوا من حارب، و أن يسالموا من سالم، أتى المخالفون للامام الحسين و قالوا له: أبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أبوك يوم بابعناه، و على الحرب المحلين الضالين أهل الشام، فقال الامام الحسين: «معاذ الله أن أبايعكم ما دام الحسن حيا»، و من ثم فاننا نقول، مع الأستاذ أبو علم، أنه مما لا شك فيه أن الصلح قد ترك فى نفس الامام الحسن أسى مريرا، و حزنا مرهقا، كما ترك فى نفس الحسن أيضا لوعة و حزنا، و لكنهما سلام الله عليهما، ماذا يصنعان و الظروف لم تكن مواتية لهما حتى يقوما بمناجزة معاوية. [صفحه ۵۹]

موقف معاوية من آل البيت

كرم الله أهل البيت و طهرهم من الرجس و الأهواء و المطامع، و من ثم فقد اصطفاهم لحماية دينه، و نشر هدايته، و فى نفس الوقت، فقد ارتضاهم محلا لبلائه، و هدفا لقدره و قضائه ليضرب بهم للناس أروع المثل فى التضحية، و الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا، و أهل البيت، رضوان الله عليهم، بحكم صلتهم بأشرف الخلق سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، هم أصدق الناس ايمانا، و أرسخهم يقينا، و أعرقهم أصلا، و أشرفهم حسبا و نسبا، و من ثم فهم أولى الناس بمواقف الشرف و الاباء، و البطولة و الفداء، و أجدرهم بالصدق عند اللقاء، و الصبر فى البأساء و الضراء، و لهذا كانوا أقرب الناس الى البلاء، تخليدا لذكراهم و اعلاء لشأنهم، و تلك سنة الله فى خلقه، روى الامام أحمد و البخارى و الترمذى عن سعد بن وقاص قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على حسب دينه، فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه، و ان كان فى دينه رقة، ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض و ما عليه خطئة».و من ثم فقد كان تاريخ آل النبى الكرام البررة يفيض بالمآسى و الآلام بما تنفطر له القلوب و ترتجف له الأحلام، غير أن ذلك لم يزدهم الا مكانة عندالله، و حبا عند الناس، حتى أصبح ذلك الحب هو الفطرة التى فطر الله عليها عباده المؤمنين، لأنه حب فى الله، و الله الذى بعث جدهم صلى الله عليه و سلم نبيا و رسولا، و أرسله للناس كافة هاديا و مبشرا و نذيرا، فأحبه المسلمون و أحبوا أهل بيته، عملا بوصيته صلى الله عليه و سلم، فلقد أخرج ابن سعد و الملا فى سيرته و المحب الطبرى فى الذخائر «استوصوا بأهل بيتى خيرا، فانى أخاصمكم عنهم غدا، و من أكن خصمه أخصمه، و من أخصمه دخل النار»، و أخرج الخطيب فى التاريخ عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «شفاعتى لأمتى من أحب أهل بيتى»، و روى الديلمى عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «أثبتكم على الصراط، أشدكم حبا لأهل بيتى»، و فى نفس الوقت حذر النبى صلى الله عليه و سلم أمته من كراهية أهل بيته و ايذائهم، أخرج [صفحه ۶۰] الديلمى عن أبى سعيد أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال «اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى» و روى الامام أحمد و الطبرانى عن أبى هريرة قال: نظر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى على و الحسن و الحسين و فاطمة، صلوات الله عليهم، فقال: «انا حرب لن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، و أخرج الامام أحمد «من أبغض أهل بيتى فهو منافق» و أخرج ابن عساكر من حديث ابن عمران أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال «لا يحب أهل بيتى الا مؤمن، و لا يبغضهم الا منافق» و أخرج الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «لا يبغضنا أهل البيت أحد، الا أدخله الله النار».و مع ذلك كله و غيره، فان كتب التاريخ تمتلأ بقصص محن أهل البيت التى بدأت فى أعقاب عهد الخلافة الراشدة و منذ بداية الأمويين، و يحدثنا المؤرخون و أصحاب السير أنه فى أثناء حكم معاوية و ولده يزيد، و فى ولاية الحجاج على العراق كان سبيل من يتهم بحب آل البيت القتل أو الضرب أو السجن أو التشريد، حتى أتى على الناس حين من الدهر، يقال فيه للرجل أنه زنديق أو كافر، أحب اليه من أن يقال أنه شيعى، و كان من المنتظر، حتى طبقا لشروطه

الصلح، أن يترك معاوية سب أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، الأمر الذى ناقشناه فى كتابنا عن «الامام الحسن»، ذلك أن معاوية، كما يقول ابن الأثير، «كان اذا قنت سبب عليا و ابن عباس و الحسن و الحسين و الأشتر»، و كان الناس يحبون لمعاوية و عصبته من بنى‌أمية حين ملكوا أن يعفو، و لكن الذى بدا منهم غير عفيف و غير كريم، لا يتفق مع الاسلام كدين، و لا مع العروبة كحسب و نسب، فلقد أخذ معاوية بعد ابرام الصلح مباشرة فى سب الامام على، و بالغ فى انتقاصه، و لم يمنعه عنه انتقال الامام على الى جوار ربه، راضيا مرضيا عنه، و كان الباعث الى ذلك أن معاوية علم أنه لا يستقيم له أمر، الا بانتقاص الامام على و النيل منه.و لا ريب فى أن سب الامام على و آل بيته، انما هى بدعة خسيسة دنيئة، لا تخرج عن أصل كريم أو حتى من عدو شريف، و قد أقام معاوية و خلفاؤه من [صفحه ۶۱] بعده من بنى‌أمية منابر يتناوب عليها الخطباء فى سب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و فى افتراء الأباطيل للنيل منه و الزراية عليه، أخرج الامام أحمد و الحاكم و الهيثمى و الطبرانى و أبو يعلى عن عبدالله الجدلى قال: دخلت على أم سلمة «زوج النبى» فقالت لى: أيسب الله فيكم، فقلت معاذ الله، أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سب عليا فقد سبنى»، و روى أن ابن عباس مر بقوم ينالون من الامام على و يسبونه، فقال ابن عباس لقائده (و كان قد فقد بصره) أدننى منهم، فلما أدناه منهم، قال لهم: «أيكم الساب لله، فقالوا نعوذ بالله أن نسب الله، فقال لهم: أيكم الساب لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقالوا نعوذ بالله أن نسب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فقال لهم: أيكم الساب لعلى بن أبى‌طالب، فقالوا: أما هذه فنعم، فقال لهم: أشهد أنى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سبنى فقد سب الله، و من سب عليا فقد سبنى»، فأطرق القوم و لم يتكلموا فوجلوا»، و روى الحافظ السيوطى أنه كان فى أيام بنى‌أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها ابن أبى‌طالب، و ذلك بما سنه لهم معاوية، و فى الواقع فلقد كان مجهود معاوية فى هذا السبيل ما طفحت به السير و التواريخ، و هو أول من سن الجهر بسب صحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أول من فتح الباب على مصراعيه.و هكذا كان نتيجة للضغط السياسى، و اغراء الناس بالمال، و تخويفهم بالوعد و الوعيد، و تأويلهم الأحداث طبقا لهوى معاوية و بقية قومه الأمويين، أصبح الناس يرون رضى معاوية و طاعته، انما تظهر فى سب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و بمرور الأيام رأوا طاعة معاوية فى جعل لعل الامام على و سبه (و العياذ بالله) سنة ينشأ عليها الصغير و يهلك عليها الكبير، روى ابن حجر فى صواعقه أن رجلا من أهل الشام كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة، و فى يوم الجمعة الآف المرات، و أولاده معه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام، فبصق فى وجهه، فأصبح وجهه وجه خنزير، هذا و قد بلغ بنو أمية فى الاصرار على لعن الامام على «و العياذ بالله» أن غيروا سنن الدين فى الصلاة، و ابتدعوا فيه ما ليس [صفحه ۶۲] فيه، حتى روى أن معاوية (و قيل مروان بن الحكم) قدم خطبة العيد على الصلاة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يؤخرها، و ذلك لأن معاوية أو مروان، انما كان يصر على لعن الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على المنبر فى خطبته، فكان الناس ينصرفون بمجرد أن يفرغ من الصلاة، كى لا يسمعوا هجوه و لعنه لأشرف بيت فى تاريخ الدنيا فقدم الخطبة على الصلاة ليحبس الناس و يضطرهم الى سماع التشهير و اللعن للامام على و آل بيته الطاهرين، و روى ابن أبى الحديد فى شرح النهج أن معاوية بن أبى‌سفيان كتب الى عماله: «برئت الذمة ممن يروى شيئا فى فضائل على و أهل بيته، و أن لا يجيزوا لأحد من الشيعة شهادة، و أن يمحو كل شيعى من ديوان العطاء، و أن ينكلوا به و يهدموا داره».و هكذا استمر معاوية يحاول طوال أيام حكمه طمس فضائل آل البيت بعامة، و الامام على خاصة، روى أن معاوية قال لعبد الله بن عباس، حبر الأمة و ترجمان القرآن، و ابن عم النبى صلى الله عليه و سلم: قد كتبنا فى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب على، فكف لسانك، فقال ابن عباس: أتنهانى يا معاوية أن نقرأ القرآن، قال معاوية: لا، قال ابن عباس: أتنهانا عن تأويله «أى تفسيره» قال معاوية: نعم، قال ابن عباس: أنقرأه و لا نسأل عما أراد الله بكلامه، و أيهما أوجب علينا، قراءة القرآن أو العمل به، فقال معاوية: العمل به، قال ابن عباس، كيف نعمل به، و نحن لا نعلم ما عنى الله، قال معاوية: سل عن تفسيره غيرك و غير آل بيتك، قال ابن عباس: نزل القرآن على أهل بيتى، فنسأل عنه آل أبى‌سفيان، أتنهانا يا معاوية أن نعبدالله بالقرآن بما فيه من حلال و حرام، ان الأمة اذا لم تسأل عن القرآن و تعمل به هلكت، قال معاوية: اقرأوا

القرآن و فسروه، و لكن لا تروا شيئا مما أنزل الله فيكم، و أروا ما سوى ذلك، قال ابن عباس: ان الله يقول: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره و لو كره الكافرون»، قال معاوية: يا ابن عباس: «اربع على نفسك و كف لسانك، و ان كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرا لا يسمعه احد علانية».و هكذا حرم معاوية على المسلمين أن يذكروا شيئا من فضائل أهل البيت [صفحه ۶۳] الطاهرين، و الامام على بخاصة، حتى كان الأمويون يتقدمون الى الفقيه و المحدث و القاضى و القاص و يتوعدونه بغاية الابعاد و أشد العقوبة ان ذكر شيئا من فضائل آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، كما كانوا لا يسمحون لأحد أن يطيف بهم، و حتى بلغ من تقية الواحد من رجال الحديث النبوى الشريف، اذا ذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه و سلم رواه الامام على، عليه‌السلام، كنى عن ذكر الامام على، فقال: قال رجل من قريش، و لا يذكر الامام عليا و لا يتفوه باسمه، ثم ان بعض المختلفين حاولوا نقض فضائل الامام على، و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها، بغية أن يضعوا من قدره بقياس منتقص و فهم سقيم، و مع ذلك، فالامام على كان فى أعين الناس رفعة و علوا و وضوحا و استنارة، روى ابن عبد ربه فى العقد الفريد أن بعض العلماء قال لولده: يا بنى ان الدنيا لم تبن شيئا الا هدمه الدين، و ان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، ألا ترى أن قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه، فكأنما أخذوا بناصيته جرا الى السماء.هذا و قد أثار سب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، سخط الأخيار من المسلمين و أهل التقوى و الورع، فضل عن كرام الحسب، و أصحاب الأخلاق الكريمة، الى جانب أن سب المسلم من أفحش الحرمات، فضلا عن أن يكون السب لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، و على رأسهم الامام على، و قد روى أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: «سباب المسلم فسوق»، و قال صلى الله عليه و سلم: «لا يكون المؤمن لعانا»، و لهذا أنكر أجلاء الصحابة هذا العمل الدنىء، و منهم زيد بن أرقم، الذى رأى المغيرة يسب الامام عليا، فانبر له منكرا سبه للامام قائلا: «يا مغيرة ألم تعلم أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم نهى عن سب الأموات، فلم تسب عليا، و قد مات»، كما كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه من أوائل الصحابة الذين غضبوا لسب الامام على، كما بينا ذلك بوضوح فى كتابنا عن «الامام الحسن» و مع ذلك فقد استمرت هذه المهزلة الأموية سبة فى جبينهم، و ليس فى حق الامام على، فهو أفضل عندالله و رسوله و صالحى المؤمنين، أفضل من معاوية و قومه الأمويين جميعا، لو كانوا يعرفون للكرام أقدارهم، حتى أبطلها الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، ثم عادت مرة أخرى على أيدى الظالمين من قومه. [صفحه ۶۴]

موقف معاوية من أنصار آل البيت

لا ريب فى أن كثيرا من شيعة آل البيت و أنصارهم كانوا، كما أشرنا من قبل، يعارضون الامام الحسن مع معاوية، فقد رأوا فيه نوعا من التسليم، لم يكن يلائم ما بذلوا على أيام الامام على من جهد، و لم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهم من قوة، و من ثم فانهم لم يبايعوا معاوية الا كارهين و مضطرين، و هكذا بدأت ثورة مكتومة تولد فى القلوب من هذا الصلح، و تمضى الأيام و يسير ولاة معاوية فى العراق بما لا يرضى أهل العراق، و يبدأ أهل الكوفة يذكرون حياتهم على أيام الامام على فيحزنون عليها و يندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم، و يندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم و بين أهل الشام، و جعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان، و أجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون، و لم تكد تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الامام الحسن و القول له و الاستماع منه، و مطالبته بأن يعيد الحرب جذعة، و لكنه كان دائما يهدىء النفوس الثائرة، و يقول لهم «ما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء، فأرضوا بقضاء الله و سلموا و الزموا بيوتكم و امسكوا و كفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر».و هكذا حافظ الأمام الحسن على شروط الصلح، و لم يحدث منه أو من أخيه الامام الحسين أو من آل بيته الطاهرين أية محاولة لنقض شروط الصلح، و رغم أن معاوية أعلن التخلى عن شروطه بعد البيعة مباشرة، فقال «ألا ان كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين لا- أفى به»، و رغم أن أنصار الحسن قد عرضوا عليه اعادة الكرة على أهل الشام، فانه بقى على عهده، و أعلن لأنصره» ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته من دام معاوية حيا، فان يهلك، و نحن و أنتم أحياء، سألنا العزيمة على رشدنا و

المعونة على أمرنا، و ألا يكلنا الى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون»، بل ان بعض هؤلاء الأنصار، كعدى بن حاتم الطائى، ذهب الى الامام الحسين، بعد أن فشل مع الامام الحسن، و قال له: «يا أبا عبدالله، شريتم الذل بالعز و قبلتم [صفحه ۶۵] القليل و تركتم الكثير، أطعنا اليوم و أعصنا الدهر، دع الحسن و ما رأى من هذا الصلح، و اجمع اليك شعيتك من أهل الكوفة و غيرها، و ولنى و صاحبى (يعنى عبيدة بن عمر، صاحب عدى بن حاتم الطائى) هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند، الا و نحنه نقارعه بالسيوف، فرد الامام الحسين عليه قائلا: «انا قد بايعنا و عاهدنا، و لاسبيل لنقض بيعتنا».هذا و من المعروف أن من شروط الصلح الأمن العام و عدم التعرض بسوء لأنصار الامام على على الخصوص، و أنصار آل البيت بوجه عام، غير أن معاوية جعل من أهدافه القضاء على هذه الطبقة المؤمنة بحق البيت، و يحدثنا المؤرخون و أهل السير أنه فى عهد معاوية و ولده يزيد، كان سبيل من بيتهم بحب آل البيت القتل أو الضرب، أو الحبس أو التشريد، و أن معاوية قتل خلقا كثيرا مما أبى لعن الامام على أو البراءة منه، و هكذا لاقى أنصار أهل البيت من الأذى و الأضطهاد ما تنوء بحملة الجبال، و كان أشدهم بلاء و أعظمهم محنة أهل الكوفة، فقد استعمل معاوية عليهم زيادا بعد هلاك المغيرة، و كان بهم عالما، لأنه، و ياللعجب، كان منهم قبل استلحاقه بأبى سفيان، فأشاع فيهم القتل و التشريد، و هكذا ما استقر الأمر لمعاوية، و خلا الميدان الا منه، حتى أخذ ينتقم من أنصار، الامام على شر انتقام، فمنهم من ألقى به فى السجون، و منهم من شرد فى الأرض، و منهم من قتل صبرا، و لأول مرة فى الاسلام، كحجر بن عدى و أصحابه، و قد تعرضنا لقصتهم بالتفصيل فى كتابنا عن «الامام الحسن بن على».

العلاقة بين الامام الحسين و معاوية

بدهى أن كل ما أشرنا اليه آنفا من موقف معاوية من آل البيت و انصارهم، لا يجعل العلاقة بين الامام الحسين و معاوية و دية، و كما أنها قد لا- تكون علاقة عداء على الوجه الصريح، و لعلها كانت علاقة ترقب من الجانبين، و كان الامام الحسين كأبيه الامام على صارما فى الحق لا يحب الهوادة لا التسامح فيما لا [صفحه ۶۶] ينبغى التسامح فيه، كره صلح أخيه و هم أن يعارض، و لكنه و افق أخيرا، امتثالا لأوامر أخيه، فيما يرجح البعض، و ليس من شك فى أن هذا الصلح قد ترك فى نفس الامام الحسين أسى مريرا، و لكنه سكت على مضض وفاء لعهد أخيه، فأطاعه كما أطاع أباه من قبل، و لكنه فى نفس الوقت انما كان يتحرق شوقا الى استئناف الجهاد من حيث تركه أبوه، و لا- شك أن الامام الحسين انما كان صاحب فطنة، حسن النظر فى الأمور، رأى الدولة منقادة الى معاوية قد ضبطت له أمصارها، و عرف هو كيف يسوس النار بالحلم و الرفق و السخاء، و كيق يولى فى الأمصار من يسوسون أهلها بالقسوة الصارمة و الخوف المخيف، فلم يحاول الخروج حين أتيحت له الفرصة بما كان من نقض معاوية لما بايع الناس عليه، من الأخذ بكتاب الله و سنة رسوله، وفاء من الامام لعهد الصلح، أو كما قال لأنصاره «انا قد بايعنا و عاهدنا و لا سبيل لنقض بيعتنا»، على الرغم من أن معاوية قد نقض البيعة مرتين، أحداهما حين قتل من قتل من أهل الكوفة، و الثانية حين بايع لولاية العهد لابنه يزيد، و جعل الخلافة وراثة ينقلها لابنه، كما نقل اليه ماله، مع أن أمر الخلافة ليس ملكا خاصا للخليفة، و انما هو ملك عام لجماعة المسلمين، كما كان اسراف معاوية فى أموال المسلمين و توليته الجبابرة على الأمصار، و اسراف أولئك الجبابرة فى أموال الناس و دمائهم، كل ذلك نقضا منه للبيعة التى أعطاها للناس، تبرىء ذمة الامام الحسين، لو أراد الخروج، و لكنه لم يفعل، وفاء منه للعهد، كما قلنا آنفا.و كان قتل حجر و أصحابه صدمة عنيفة اهتزلها العالم الاسلامى، كما رأينا من قبل، و حتى قالت عائشة أم المؤمنين «أما و الله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجرا و أصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، و لكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما و الله أن كانوا لجمجمة العرب عزا و منعة و فقها»، فاذا أضفنا الى ذلك ما دار بين الناس من أن معاوية أو ولده يزيد قد أغرى جعدة بنت الأشعث زوج الامام الحسن بسمه، الأمر الذى أسخط الناس كثيرا، و جعل جمهرة كبيرة من المسلمين، و على [صفحه ۶۷] الخصوص أهل العراق، يرون أن بغض بنى‌أمية، و حب أهل البيت، لأنفسهم دينا.و بدأت وفود أهل الكوفة تتردد

على المدينة لتلقى الامام الحسين، و كان أمير المدينة مروان بن الحكم، عدو آل البيت، من قبل معاوية بن أبى‌سفيان، فكتب اليه «أما بعد، فان عمرو بن عثمان ذكر أن رجالا من أهل العراق و وجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن على، و أنه لا يؤمن وثوبه، و قد بحثت عن ذلك فبلغنى أنه يريد الخلاف يومه هذا، فاكتب الى برأيك»، فكتب معاوية الى الحسين رضى الله عنه «أما بعد، فقد انتهت الى أمور عنك، ان كانت حقا، فانى أرغب بك عنها و لعمر الله أن من أعطى الله عهده و ميثاقه لجدير بالوفاء، و ان أحق الناس بالوفاء من كان مثلك فى خطرك و شرفك و منزلتك التى أنزلك الله بها و نفسك فاذكر و بعهد الله أوف، فانك متى تنكرنى أنكرك و متى تكدنى أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة، و أن يردهم على يديك فى فتنة، فقد عرفت الناس و بلوتهم، فانظر لنفسك و لدينك و لأمة محمد صلى الله عليه و سلم و لا يستخفيك السفهاء و الذين لا يعلمون».فكتب الامام الحسين الى معاوية «أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى أمور، أنت لى عنها راغب، و أنا بغيرها عندك جدير، فان الحسنات لا يهدى اليها و لا يسدد اليها الا الله تعالى، و أما ما ذكرت أنه رقى اليك عنى، فانه انما رقاه اليك الملاقون المشاؤون بالنميم، المفرقون بين الجمع، و كذب الغاوون، ما أردت لك حربا و لا عليك خلافا، و انى لأخشى الله فى ترك ذلك منك و من الاعذار اليك و الى أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة و أولياء الشياطين، ألست القاتل حجر بن عدى، أخا كندة و أصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم و يستفظعون البدع و يأمرون بالمعرف و ينهون عن المنكر و لا يخافون فى الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما و عدوانا من بعدما أعطيتهم الأيمان المغلظة و المواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم جرأة على الله، و استخفافا، بعهد، أو لست قاتل عمرو بن [صفحه ۶۸] الحمق، صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم العبد الصالح، الذى أبلته العبادة فنحل جسمه و اصفر لونه، فقتلته بعدما أمنته و أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال، أو لست المدعى زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد بن ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، و قد قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «الولد للفراش و للعاهر الحجر»، فتركت سنة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم تعمدا، و تبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم و يسمل أعينهم، و يصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة و ليسوا منك، أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على دين على، فكتبت اليه أن قتل كل من كان على دين على بن أبى‌طالب، فقتلهم، و مثل بهم بأمرك، و دين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه و سلم الذى كان يضرب عليه أباك و يضربك وبة جلست مجلسك الذى أنت فيه، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك بخشم الرحلتين، رحلة الشتاء و الصيف و قلت فيما قلت: أنظر لنفسك و لدينك و لأمه محمد صلى الله عليه و سلم و اتق شق عصا هذه الأمة، و أن تردهم الى فتنة، و انى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، و لا أعظم نظرا لنفسى و لأمة محمد صلى الله عليه و سلم أفضل من أن أجاهدك، فان فعلت فانه قربة الى الله، و ان تركته فانى استغفر الله لدينى، و أسأله توفيقه لارشاد امرى، و قلت فيما قلت: «ان أنكرك تنكرنى، و ان أكدك فكدنى ما بدا لك، فانى أرجوا ألا يضرنى كيدك، و ألا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك، و تحرصت على نقض عهدك، و لعمرى ما وفيت بشرط، و لقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح و الايمان و العهود و المواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا و قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا و تعظيمهم حقنا فقتلتهم مخافة أمر، لعلل لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا، فابشر يا معاوية بالقصاص و استيقن بالحساب، و اعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا أحصاها، و ليس الله بناس لأخذك بالظنة و قتلك أولياءه على التهم، و نفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة، و أخذك للناس بيعة ابنك، غلام حدث يشرب الشراب و يلعب بالكلاب، و ما أراك الا قد خسرت نفسك، و بترت دينك و غششت رعيتك، [صفحه ۶۹] و أخربت أمانتك، و سمعت مقالة السفيه الجاهل، و أخفت الورع التقى، و السلام».و هناك أمر آخر أغضب معاوية و ولدة يزيد من الامام الحسين، و هو زواج الامام الحسين، عليه‌السلام، من زينب بنت اسحاق، التى كان يهواها يزيد هوى أدنفه و أعياه، و يروى ابن قتيبة و غيره أنها كانت أشهر فتيات زمانها بالجمال، و كانت زوجا لعبد الله بن سلام القرشى، والى العراق من قبل معاوية، و قد مرض يزيد بحبها و أخفى

سره عن أهله، حتى استخرجه منه بعض خصيان القصر الذين كانوا يعينونه على شهواته، و كان من الحزم أن يروض معاوية ولده يزيد، الذى يعده ليكون خليفة المسلمين، و ليكون منهم مكان الخلفاء الراشدين، أن يروضه على كبح الشهوات و الأهواء، و لا سيما تلك التى تتصل بحرمات الناس، لكن معاوية لم يفعل ذلك، بل انه لم يكد يعرف سر مرضه، و أنه انما يشتهى امرأة فى عصمة رجل، حتى احتال حيلته لأمتاعه بما اشتهى، و من فقد أرسل فى طلب عبدالله بن سلام، و استدعى اليه أبا هريرة و أبا الدرداء، و قال لهما: أن له ابنة (و قيل أخت) يريد زواجها، و لم يرض لها خليلا غير ابن سلام، لدينه و فضله و شرفه، و رغبته فى تكريمه و تقريبه، فخدع ابن سلام بما بلغه، و فاتح معاوية فى خطبة ابنته، فوكل معاوية الأمر الى أبى هريرة، ليبلغها، و يسمع جوابها، فكان جوابها المتفق عليه بينها و بين أبيها، أنها لا تكره ما اختاروه، و لكنه تخشى الضر، و تشفق أن يسوقها الى ما يغضب الله، فطلق ابن سلام زوجته، و استنجز معاوية وعده، فاذا هو يلويه به و يقول بلسان ابنته أنها توجس من رجل يطلق زوجته، و هى ابنة عمه، و أجمل نساء عصره، و ذاع الأمر فى الناس و قالوا: خدعة معاوية حتى طلق امرأته، و انما أرادها لابنه، فبئس من استرعاه الله أمر عباده و مكنه فى بلاده و أشركه فى سلطانه، يطلب أمرا بخدعة ممن جعل الله اليه أمره، و هكذا تمت مؤامرة معاوية ضد ابن سلام، غير أن المقادير كانت له بالمرصاد، ذلك أنه ما انقضت اقراء زينب، حتى وجه اليها معاوية أبا هريرة خاطبا على ابنه يزيد، فخرج حتى قدم [صفحه ۷۰] الكوفة، و بها يومئذ الحسين بن على، عليهماالسلام، فبدأ أبوهريرة بزيارته، فسلم عليه الحسين و سأله عن سبب مقدمه، و علم منه مكيدة معاوية و ولده، فطلب اليه أن يذكره عند زينب خاطبا، فصدع أبو هريرة، بأمره، و قال لزينب؛ «انك لا تعدمين طلابا خيرا من عبدالله بن سلام قالت: من، قال: يزيد بن معاوية، و الحسين بن على، و هما معروفان لديك بأحسن ما تبتغيه فى الرجال»، و استشارت زينب أبا هريرة فى اختيار أيهما، فقال: «لا أختار فم أحد على فم قبله رسول‌الله صلى الله عليه و سلم تضعين شفتيك فى موضع شفتيه، فقالت: لا أختار على الحسين بن على أحدا، و هو ريحانة النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة».و هكذا تزوج الامام الحسين زينب، و ساق اليها مهرا عظيما، فبلغ ذلك معاوية فتعاظمه، و لام أبا هريرة لوما شديدا لما عاد اليه، بما له و هداياه، و أما عبدالله بن سلام، فان معاوية أطرحه و قطع عنه روافده لسوء قوله فيه، حتى قل ما فى يديه، فرجع الى العراق، و كان قد استودع زينب مالا عظيما، فظن أنها تجحده لطلاقها من غير شىء كان منها، فلقى الامام الحسين فسلم عليه و قال له: «انه استودعها مالا و أثنى عليها و طلب أن يحضها على رد ماله، فبلغها الحسين ذلك، و قال لها: أدى أمانته و ردى عليه ماله، فقالت صدق استودعنى مالا لا أدرى ما هو، فادفعه اليه بطابعه، فأثنى عليها الحسين، ثم لم يلبث الامام الحسين أن طلقها ثلاثا، و قال: «ما أدخلتها فى بيتى و تحت نكاحى رغبة فى مالها و لا جمالها، و لكن أردت احلالها لبعلها»، فلما انقضت آقراؤها تزوجها عبدالله، و حرمها الله تعالى على يزيد بن معاوية. [۲] . [صفحه ۷۱] هذا و هناك ما يشير الى أن معاوية يبدو و أنما كان مهموما بشهوات ولده يزيد فى زواج أو غير زواج، فلقد روى الحافظ ابن كثير فى البداية و النهاية (۱۵۲ / ۸) عن الحافظ ابن عساكر فى ترجمة «خديج الخصى» مولى معاوية: أن معاوية اشترى جارية بيضاء، فأدخلها الخصى عليه مجردة، و بيده قضيب، فجعل يهوى به الى متاعها - و يقول: هذا المتاع لو كان لنا متاع، اذهب بها الى يزيد بن معاوية، ثم قال: «أدع لى ربيعة بن عمر الجرشى، و كان فقيها، فلما دخل عليه قال: ان هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك و ذاك، و أنى أردت أن أبعث بها الى يزيد، فقال الجرشى: لا تفعل يا أميرالمؤمنين، فانها لا تصلح له، فقال معاوية: نعم ما رأيت، ثم وهبها لعبد بن مسعد الغزارى، و كان أسودا، فقال له: بيض بها ولدك.و نعود فنقول أن رواة الخبر يسندونه الى أصحابه، و لا يسوقونه مساق التشهير، و انما يتخذونه دليلا على فقه معاوية، فيقولون: و هذا من فقه معاوية و تحريه، حيث كان نظر اليها بشهوة، و لكنه استضعف نفسه عنها، فتحرج أن يهبها ولده يزيد، لقوله تعالى فى النساء: (و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء)، و قد وافقه على ذلك الفقيه الجرشى الدمشقى. [صفحه ۷۳]

استشهاد الامام الحسين

موت معاوية و رفض الامام الحسين البيعة ليزيد

مات معاوية بن أبى‌سفيان فى رجب عام ۶۰ ه (۶۸۰ م) و بالتالى فقد آل الأمر الى ولده يزيد، و هو فى الرابعة و الثلاثين من عمره، و هكذا تلقى يزيد دولة عريضة غنية، معقدة السياسة لم يبذل فى تشييدها جهدا، و لم يحتمل فى تأييدها مشقة و لا عناء، و قد أقبل على الملك دون أن ينصرف اليه عن لذاته أو يقلع عما كان عاكفا عليه من العبث و اللهو و المجون، أقبل على الملك واثقا بأن الدنيا قد أذعنت له، و بأن أموره ستجرى على طريق سواء، و لم يكن يزيد يحتمل أن يلتوى عليه أحد بطاعة، و انما كان يرى أن طاعته حق على الناس جميعا، فمن التوى بها فليس له عنده الا السيف، و قد عرفنا من قبل أولئك النفر الذين أكرههم معاوية اكراها على أن يسكتوا عن بيعته بولاية العهد، حين لم يستطع أن يحملهم على قبولها، و قد كانوا أربعة، مات منهم عبدالرحمن بن أبى‌بكر قبل معاوية، و بقى منهم ثلاثة فى المدينة هم الامام الحسين و عبدالله بن الزبير و عبدالله بن عمر، و كان يزيد دون أنداده فى تجارب الأيام، و ليس حوله من المشيرين و النصحاء، أمثال المغيرة و زياد و ابن العاص، و غيرهم من القروم الذين كانوا حول أبيه، فتهيب ما هو مقدم عليه، و من ثم تذهب المصادر جميعا الى أنه كتب الى عامله بالمدينة، ابن عمه الوليد بن أبى‌سفيان «أن خذ حسينا [صفحه ۷۴] و عبدالله بن عمر و عبدالله بن الزبير، بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، و السلام» غير أن رواية فى اليعقوبى تقول: «اذا أتاك. كتابى هذا، فاحضر الحسين بن على، و عبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لى، فان امتنعا فاضرب أعناقهما، و ابعث لى برؤوسهما، و خذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، و فى الحسين بن على و عبدالله بن الزبير، و السلام»، فبعث الوليد الى مروان بن الحاكم يستشيره، و كان مروان يريد الخلافة لنفسه، و لكنه علم بعد موت معاوية و قيام يزيد، أن الأمر أمر بنى‌أمية، فان خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين، فنصح للوليد نصيحة ذات وجهين، ظاهرها الشدة فى الدعوة ليزيد، و باطنها السعى الى الخلاص من يزيد و منافيسه، فقال: «أرى أن تبعث الساعة الى هؤلاء النفر فتدعوهم الى البيعة، أما ابن عمر فلا أراه يرى القتال» و لكن عليك بالحسين و عبدالله بن الزبير، فان بايعا و الا فاضرب أعناقهما»، و ضرب عنق الامام الحسين و ابن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد، ثم الخلاص من يزيد نفسه باثارة النفوس و ايغار الصدر و عليه، و من عجب أن مروان هذا الذى يشير بقطع الرقاب، هو الذى سينقل اليه الملك بعد أربعة أعوام من ملك يزيد، و هو الذى سيظل الملك فى عقبه حتى يجىء العباسيون بعد عشرات من السنين، لا نرى فيها و لا فى أولئك الحاكمين من هو للقداسة أهل سوى «عمر بن عبدالعزيز» هذا الخليفة العادل، الذى سيضج من مظالم قومه و عائلته، و يبرأ الى الله منها.و على أى حال، فلقد ذهب رسول الوليد الى الامام الحسين و ابن الزبير، فوجدهما فى المسجد، فعلم الامام الحسين ما يراد منه، و جمع طائفة من مواليه يحملونه السلاح، و قال لهم و هو يدخل بيت الوليد «ان دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا، فاقتحموا على بأجمعكم و الا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم»، فلما عرضوا عليه البيعة قال «أما البيعة فان مثلى لا يعطى بيعته سرا، و لا أراك تقنع بها منى سرا» قال الوليد: «أجل، قال الامام، فاذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحدا» و فى رواية قال الامام الحسين «أيها [صفحه ۷۵] الأمير، انا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، بنا فتح الله و بنا ختم، و مثلى لا يبايع يزيد، و لكن نصبح و تصبحون و ننظر و تنظرون، أينا أحق بالخلافة و البيعة».و أيا ما كان قول الامام الحسين، فان الوليد كان يحب العافية، فقال للامام الحسين: «انصرف، فانصرف الامام الحسين و مروان بن الحكم غاضب صامت لا يتكلم، و ما هو الا أن توارى الامام الحسين حتى صالح بالوليد «عصيتنى و الله لا قدرت منه على مثلها أبدا، حتى تكثرا لقتلى بينكم و بينه»، على أن ابن الأثير يرى أن ذلك كان بمحضر الامام الحسين، و من ثم فقد وثب عليه و قال لمروان: يا ابن الزرقاء أأنت تقتلنى أم هو، كذبت و الله و لؤمت» ثم خرج، و قد أنكر الوليد على مروان لجاجته و مشورته السوداء، فقال: «أتشير على بقتل الحسين ابن فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و الله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال لدنيا و ملكها، و أنى قتلت حسينا، ان قال لا أبايع، و الله أن الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله».و أما عبدالله بن عمر فقد بايع، و أما ابن الزبير فقد خرج الى مكة ليلا متنكبا الطريق العام، ثم كانت بينه و بين يزيد خطوات ثقال، لم تنقض على أيام يزيد، بل لم تنقض

حتى أرهقت جماعة المسلمين من أمرها عسرا، و تعرض فيها البلد الحرام و البيت الحرام لأشد ما يمكن أن يتعرضا له على أيدى المسلمين.

الخروج الى مكة

أخذ الامام الحسين يستعرض الموقف، بعد مقابلته للوليد، ثم بدأ يفكر فيه و يقلب وجوهه فهو قدر رفض من قبل، و على أيام معاوية، أن يبايع يزيد، لأنه لم يكن أهلا للخلافة، بما عرف عنه من شرب الخمر و ممارسة اللهو والمجون، و ملاعبة الكلاب و القرود حتى لقب «يزيد القرود»، و هو ما يزال على حاله لم يتغير بعد وفاة أبيه، ثم هو تنقصه كل مقومات الرجل المناسب لخلافة [صفحه ۷۶] المسلمين، فى عهد ما يزال كثير من رجاله ممن عاشوا عصر النبوة و الخلافة الراشدة، على قيد الحياة، ثم هو كذلك مفلس افلاسا تاما منكل ما كان لأبيه من دهاء و مقدرة، هذا فضلا عن أن حرصه الشديد على ارغام المعارضين على مبايعته، و الا ضربت أعناقهم، و هم من أجلاء الصحابة، و فيهم سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و سيد شباب أهل الجنة، لمن أقوى الأسباب على عدم صلاحيته لأن يكون أميرا للمؤمنين و خليفة للمسلمين، و أنه لا ريب سينهج نهج الجبابرة المسرفين، لا نهج المتقين الراشدين، الأمر الذى يزيد المخاوف، و يؤكد خطورة بيعته على الاسلام و المسلمين، أضف الى ذلك كله أن الامام الحسين لم يفته موقف مروان و تهديده بالقتل، ان لم يبايع، و من ثم فقد استشعر الامام الحسين الخطر على حياته، اذ أن يزيد لن يتركه، الا اذا بايع.و هكذا فكر الامام الحسين فى الأمر، و قلب وجوه الرأى، فاستقر عزمه على ألا يخالف ضميره، و ألا يخون أمانة المسلمين بمبايعة يزيد، و أن بقاءه بالمدينة سيجعله بين أمرين، أحلاهما مر، فاما أن يبايع مكرها من لا يؤمن بصلاحيته أميرا لخير أمة أخرجت للناس، طلبا للسلامة، ورداً للظلم و العدوان، و اما أن يأبى البيعة، ابراء للذمة، و ارضاء لله و رسوله، فيقع به من العدوان ما قد يصل الى سفك دمه، و ضرب عنقه، و من ثم فقد اتجه عزمه الى الخروج من المدينة لينجو بحياته و ينقذ دينه و يرضى ضميره، بخاصة و أن القوم لن يتركوه، بعد ما عرف أن الوليد قد أرسل فى اثر ابن الزبير ثمانين فارسا يطلبونه ليردوده الى المدينة، و ان فشلوا فى رده اليها.و هكذا أيقن الامام الحسين أنه مطالب ببيعة يزيد، طوما أو كرها، و الا ضربت عنقه، كما أشار بذلك مروان، و من ثم فلم يكن أمامه – و هو الفقيه فى دين الله، العارف بكتاب الله و سنة رسول‌الله – الا ـ أن يخرج من المدينة، استجابة لقوله تعالى: (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم، قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين فى الارض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها). و ما كان الامام الحسين، سليل بيت النبوة، و ربيب العز و الكرامة من آل هاشم [صفحه ۷۷] أن يرضى لنفسه أن يعيش مرغما و أرض الله واسعة، و ما كان له أن يتأخر عن الهجرة، فرار بدينه، و حفاضا على حريته و كرامته، و هكذا خرج الامام الحسين من مدينة جده الرسول صلى الله عليه و سلم الى البلد الحرام مكة المكرمة فى ليلة الثامن و العشرين من رجب عام ۶۰ ه، و هو يردد قوله تعالى، (فخرج منها خائفا يترقب قل رب بجنى من القوم الظالمين) و لزم فى مسيرة الطريق الأعظم، فلم يتنكبه، كما فعل ابن الزبير، مخافة الطلب، و يروى الطبرى أن أحد مرافقى الامام الحسين قال: «خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم، فقيل للحسين: لو تنكبت الطريق الأعظم، كما فعل ابن الزبير، لا يلحقك الطلب، قال لا، لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو أحب اليه، قال: فاستقبلنا عبدالله بن مطيع، فقال للحسين: جعلت فداك أين تريد، قال: أما الآن فانى أريد مكة، و أما بعدها فانى استخير الله، قال خار الله لك، و جعلنا فداك، فاذا أنت أتيت مكة فاياك أن تقرب الكوفة فانها بلد مشئومة، بها قتل أبوك و خذل أخوك، الزم الحرم، فانك سيد العرب، لا يعدل بك و الله أهل الحجاز أحد، و سيتداعى اليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمى و خالى، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك»، و استمر الامام فى طريقه فما أن أشرف على مكة المكرة حتى أخذ يتلو قوله تعالى «و لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى؟ أن يهدينى سواء السبيل».وصل الامام الحسين الى مكة المكرمة فى الثالث من شعبان عام ۶۰ ه، و سرعان ما أقبل أهلها، بل و أقبلت الوفود من خارجها على ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم تلتمس منه الحكمة و الهدى و النور، و أقبل أمير مكة يسأل الامام الحسين عن سبب قدومه، فقال «انا

جئنا عواذا بالبيت»، مما يدل على أن الامام انما جاء الى البلد الحرام لينجو بدينه، و ليحتمى بالبيت الحرام، الذى جعله الله مثابة للناس و أمنا، و لينجو من مطاردة البغى و العدوان، و ليتزود بتقوى الله و تعظيم شعائره، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا، و هكذا رحل الامام الحسين الى البلد الحرام الذى يلتمس الناس فيه الأمن و الملاذ، و اصطحب معه أختاه السيدة زينب و السيدة أم‌كلثوم، و اخوته، أبوبكر و العباس و جعفر، و أولاد أخيه [صفحه ۷۸] الحسن، و جميع من كان بالمدينة من أهل البيت، ما عدا ابن الحنفية، الذى آثر البقاء بالمدينة، و ان ذهب البعض الى أن ذلك كان بأمر الحسين ليكون له عينا على بنى‌أمية بها.و بدهى أن مكة المكرمة، انما كانت، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد، أنسب مكان يدير فيه الامام الحسين خواطره و تفكيره حول القضية الجليلة التى تشغله، و الوضع الخطير الذى حاق بالمسلمين، فهنا، و فى قديم الزمان، كان هاشم و عبد شمس أخوان ولدا لعبد مناف، و من هشام جاء النبى صلى الله عليه و سلم و الامام على، و حمزة و الحسين، و بنوهاشم أجمعون، و من عبد شمس جاء أمية و أبوسفيان و معاوية و يزيد و كافة الأمويين، و هنا كان هاشم يملأ مكة و الجزيرة برا و مجدا و كرما، فهو الذى يطعم الحجيج و يحمى الذمار، و يرسل قوافله الى الشام و الى اليمن لتعود موفورة بالخير و الرزق للناس، فيما عبد شمس مزمع أسفار دائما، لا يحمل تجاه قومه من تبعات، و هنا يستطيع الامام الحسين أن يمد بصره فيرى الدار التى عاش فيها و بزغ منها جده العظيم، محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم هاتفا لكلمة الله، حاملا معوله الرشيد فى وجه وثنية الحجر، و وثنية البشر، و يستطيع أن يمد بصره فيرى زمزم التى حفرها جده عبدالمطلب، و التى كانت لقريش حياة و ريا، و للمسلمين تراثا و منسكا، و هنا يستطيع أن يرى الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جده أبى‌طالب و هو يقول لجده الرسول صلى الله عليه و سلم: «يا ابن أخى، أدع الى سبيل ربك ما شئت، فو الله لا أسلمك اليهم أبدا»، ثم يقف الى جواره كالطود، مضحيا براحته و أمنه و مكانته بين قومه، كما يسمع الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جدته العظيمة خديجة، و هى تقول للرسول صلى الله عليه و سلم «والله لا يخزيك الله أبدا»، ثم تنهض الى جواره فى وجه قريش، واضعة كل ثروتها و جاهها فى خدمة الدين الحق الجديد، و هنا يسمع الحسين بكل سمعه و قلبه كلمات جده الرسول صلى الله عليه و سلم: «و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يقضيه الله أو أهلك دونه»، و لسوف يسأل الامام نفسه على دين الله الذى رفض جده صلى الله عليه و سلم أن يتخلى عنه، و لو [صفحه ۷۹] أوتى ملك الشمس و القمر و ما بينهما، و يجيبه الواقع أن دين الله فى محنة، انه يتحول الى ملك عضوض، و ان الذى يحمل لواءه اليوم طاغية، يقال له يزيد، و اذا ما سأل عنه، و ما المصير، فان وعيه و رشده يجيبان: عودة الجاهلية و سيادة الوثنية، و دنو ساعة هذه الأمة، ألم يقل جده النبى صلى الله عليه و سلم «اذا وسد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة»، فها هو ذا قد و سد لغير أهله، بل لشر أهله، و اذا ما عاد الامام و سأل عن واجبه ازاء هذه المحنة، فان ضميره يجيبه: المقاومة، الآن و ابدأ، حتى يفوز الحق أو نهلك دونه.و هكذا كانت كل حوافز الثورة على هذا الضلال كامنة فى وعى الامام الحسين و وجدانه، كما كانت نتيجة ادراكه السديد لحق الدين عليه و استعداده للتضحية فى سبيل الله، فما كان الامام الحسين ليدع دين الله و دنيا الناس ألعوبة فى يد يزيد القرود، سواء دعاه أهل الكوفة أم لم يدعوه، فلقد كان سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته آنما يهتدى الى مسئولياته نحو دين جده صلى الله عليه و سلم بنور ايمانه و بصوت ضميره، و هكذا كان خروجه من المدينة الى مكة و رفضه البيعة ليزيد، ربما يشكلان اعلانا للقماومة، فهو يعلم أن يزيد لن يتركه حتى يبايع، و هو لن يبايع أبدا، و اذا ستكون المجابهة بينهما أمرا محتوما، ثم ان للامام الحسين طبيعة جياشة ثائرة، يربطها بالحق ولاء وثيق عجيب، و تستمد من فضائل الدين العالية، و من تراث حسبه العريق، زادا لا يفنى من الصمود و المثابرة، و هكذا كانت القضية فى ذهن الامام الحسين، و لم تكن أبدا طموحا شخصيا، يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح و احتمالات الاخفاق، أو طمعا فى خلافة أو التماسا لجاه أو سعيا الى فتنة، فقد كان، عليه‌السلام، أزهد الناس فى الدنيا، أبعدهم عن الفتنة، و أخشاهم لله، و انما كانت القضية عند الامام قضية الحق وحده، حق دين، و حق أمة، و حق دولة، و حق مصير، فاما أن ينتصر الحق أو فليمت الأبرار دونه، و من لقيادة الأبرار فى هذا المجال غير الامام الحسين، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و سيد شباب أهل الجنة، و ابن فارس الاسلام، الامام على، و بضعة الزهراء، خير ابن لخير

آباء، و أكرم وارث لبيت التضحية و البذل [صفحه ۸۰] و القداء، ان ملايين المسلمين فى كل العصور و الأزمان يصلون على الحسين و آله فى صلواتهم اناء الليل و أطراف النهار، أليس كل مسلم كان أو سيكون يختم صلاته قائلا «التحيات المباركات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، السلام علينا و على عبادالله الصالحين، أشهد ألا اله الا الله و أشهد أن محمدا رسول‌الله، اللهم صل على محمد، و على آل محمد»، أو ليس الحسين من آل محمد صلى الله عليه و سلم، بل هو درتهم الفريدة و المجيدة، ومن ثم فان للذين يصلون عليه عبر الزمان و الأجيال حقا عيه، سيتقضيه تضحيات عظيمة، و متى تكون التضحية اذا لم تكن اليوم، و دين المسلمين يتحول الى مزرعة أموية، و أمجادهم العظيمة يستولى عليها مخلوق عابث، و مصايرهم الكبرى تمسك بهم أيدى وصولين جباه، و جلادين طغاة، و هكذا لم يكن بد من أن يقاوم الامام الحسين هذا الطغيان العابث، و ان دفعت حياته ثمنا له.و هكذا لم يكن الأمر، كما صوره مرتزقة التاريخ، خروجا على الحاكم الشرعى أو طمعا فى الخلافة او اجابة لرغبة أهل الكوفة، و لو كان كذلك، لما انتظر الامام الحسين وفاة معاوية و تولية يزيد، و لاستجاب لدعوة أهل الكوفة بعد وفاة أخيه الامام الحسن، ثم بعد مطاردة أنصار أهل البيت، و لا ستغل المجزرة الرهيبة التى قام بها معاوية، فقتل فيها حجرا و أصحابه صبرا، و لأول مرة فى الاسلام، فى عذراء على مقربة من دمشق، فاستجاب لنداءات ثوار الكوفة، روى الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء، و فى تاريخ الاسلام، أن أهل الكوفة كانوا يكتبون الى الحسين يدعونه الى الخروج اليهم زمن معاوية، و هو يأبى، فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية، و طلبوا اليه أن يخرج اليهم فأبى، و جاء الى الحسين فأخبره بما عرضوه عليه»، فلم يتردد الامام الحسين أن يقول لأخيه «ان القوم انما يريدون أن يأكلوا بنا و يستطيلوا بنا، و يستبطوا دماء الناس و دماءنا»، غير أن الأمر هنا انما هو جده مختلف، فلقد أصبح الاسلام بتوليه يزيد فى محنة، ثم ان لمعاوية بيعة فى عنق الامام بمقتضى شروط الصلح التى لم يف بها معاوية نفسه، و لكن آل البيت انما كانوا دائما بعهودهم يوفون، و قد روى [صفحه ۸۱] ان الامام الحسين قال لأهل الكوفة «انا قد بايعنا و عاهدنا، و لا سبيل لنقص بيعتنا»، و حتى لو صدقنا مرتزقة التاريخ فى دعواهم الكذوب هذه، فما يضير الامام الحسين منها، و هم أنفسهم يعترفون بأنه لم يكن على وجه الأرض من يفضله شرفا و حسبا أو يرجحه علما و فقها و ايمانا و يقينا، و هو بهذه الصفات، فضلا عن مكانه من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، كان أحق بالخلافة من يزيد، و كل آل يزيد، و لا وجه مطلقا للمفاضلة بينهما.و على أى حال، فلقد أقام الامام الحسين و أهله فى مكة المكرمة بقية شعبان و حتى الثامن من ذى الحجة عام ۶۰ ه، و أقبل أهل مكة و من كان بها من المعتمرين و غيرهم يختلفوم اليه، و أنزلوه فى قلوبهم منازل الحب و الاعزاز، و أقبلوا على مجلسه لينهلوا من علمه و يستفيدوا من حديثه، و يستعيدوا بلقائه و شهود مجلسه أيام جده صلى الله عليه و سلم، و ما أن بلغ أهل الكوفة امتناع الامام الحسين عن البيعة ليزيد حتى أجمعوا أمرهم، برياسة الصحابى الجليل سليمان بن صرد، و المسيب بن نجية، و رفاعة بن شداد البجلى، و حبيب بن مظاهر، و عبدالله بن وال، و كتبوا للامام الحسين «أنه ليس علينا امام غيرك فأقبل، لعل الله يجمعنا بك و على الحق، و النعمان بن بشير فى قصر الامارة، و لسنا نجتمع معه فى جمعه و لا نخرج معه الى عيد، و لو قد بلغنا أنك أقبلت أخرجناه حتى يلحق بالشام ان شاء الله تعالى»، و وصل وفد منه الى مكة، و معهم نحو مائة و خمسين صحيفة، و ورد على الامام الحسين فى يوم واحد ستمائة كتاب، و تواترت الكتب حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب»، و فى رواية للطبرى أن أهل الكوفة كتبوا الى الامام، أن لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخر، و هكذا قرر الامام الحسين أن يرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليتعرف الأمور بنفسه فى الكوفة، فما كان مسلم بستقر فيها حتى سارعوا اليه يبايعونه على السير تحت لواء الامام الحسين مهما تكن التضحيات.و فرع يزيد و أتباعه من التفاف الناس حول الامام فى مكة، و كثرة الوفود المقبلة عليه من سائر الآفاق، و من القادمين الى مكة للعمرة أو الحج، و زاد من [صفحه ۸۲] فزعهم رفض الامام البيعة ليزيد، و أن له أنصارا كثيرين من الشيعة الذين يعج بهم العراق، و حاروا مع والده الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و التفوا من بعد حول أخيه الامام الحسن، و قد وصلهم أبناء رفض الامام الحسين و ابن الزبير البيعة، ثم سرعان ما تتابعت الأحداث بمكة حيث عزل يزيد و اليه الوليد بن عتبة، و ولى مكانه عمرو بن سعيد بن العاص، و كان جبارا قاسيا، و قد حاول فعلا استباحة البلد الحرام فى سبيل ارغام ابن الزبير و أخذه أسيرا و اكراهه على

البيعة ليزيد، على الرغم من احتمائه بالبيت الحرام، و تعلقه بأستار الكعبة المشرفة، حيث سير جيشا، بأمر يزيد، جعل على رأسه عمرو بن الزبير (الاخ الأصغر لعبد الله بن الزبير) الذى أعلن، عندما حاول مروان أن يرده عن ذلك «و الله لنقاتلنه، و لنغزونه فى جوف الكعبة، على رغم أنف من رغم».و تقدم الصحابى الجليل أبوشريح العدوى ينصح الوالى عمرو بن سعيد قائلا، فيما يروى البخارى فى صحيحه، «ائذن لى أيها الامير: أحدثك قولا قام به النبى الغد من يوم الفتح «أى ثانى يوم فتح مكة» سمعته أذناى و وعاه قلبى و أبصرته عيناى، حين تكلم به، حمدالله و أثنى عليه ثم قال «ان مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك بها دما، و لا يعضد بها شجرة فان أحد ترخص لقتال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فيها، فقولوا: قد أذن لرسوله و لم يأذن لكم، و انما أذن لى فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم، كحرمتها بالأمس، و ليبلغ الشاهد الحاضر» (و انظر روايات أخرى للحديث و حرمة البيت الحرام - صحيح البخارى ۱۹ - ۱۷ / ۳)، و مع ذلك فقد أمر الوالى بارسال الحملة، و لكنها سرعان ما هزمت، و أسر قائدها، ثم مات تحت ضرب سياط أخيه عبدالله بن الزبير، و بدهى أنه كان لهذه الأحداث، اثر عميق فى نفس الامام الحسين، و من أهم البواعث التى جعلته يفكر فى الخروج من مكة، فلقد أحس منذ فكر أعداؤه الأمويون فى غزو البيت الحرام، و تعقبهم لعبدالله بن الزبير أنه أصبح غير آمن على نفسه، و من أن يناله ما نال ابن الزبير، كما أنه خشى على أهل مكة من أن يكون بقاؤه فى المدينة المقدسة سببا [صفحه ۸۳] فى هتك حرمتها، و اهدار قدسية البيت العتيق،فقد تبين له أن أعداءه الأمويين لا ينتظر منهم أن يحترموا قدسية بيت الله الحرام، أو أن يخافوا من اسباحة الدماء فيه و الاعتداء على الآمنين من سكان مكة المكرمة، و من ثم فقد قرر أن يهاجر منها حيت لا يكون سببا فى هتك حرمتها، و فى نفس الوقت كان قد بلغه أن مسلما قد نزل الكوفة، فاجتمع على بيعته للامام الحسين اثنى عشر ألفا، و قيل ثمانية عشر ألفا، و هكذا كان قرار الامام الحسين مغادرة مكة، حفظا لحرمة البيت، و حقنا لدماء المسلمين.هذا و قد نصح كثير من أجلاء الصحابة بدم خروج الامام الحسين من مكة، و كان ابن الزبير من هؤلاء الناصحين، فقد روى أنه قال للامام الحسين «ان شئت أن تقيم بالحجاز آزرناك و نصحنا لك و بايعناك، و ان لم تشأ البيعة بالحجاز تولينى أنا البيعة فتطاع ولا تعصى»، فرد عليه الامام الحسين قائلا: «ان أبى حدثنى أن لها كبشأ به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش، و الله لأن أقتل خارجا منها بشبر، أحب الى أن أقتل فيها، و لأن أقتل خارجا منها بشبرين، أحب الى من أن أقتل خارجا منها بشبر، و أيم الله لو كنت فى حجر هامة من هذه الهوام، لاستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم، و الله ليعتدين على، كما اعتدت اليهود فى السبت»، على أن هناك من المؤرخين من يزعم أن ابن الزبير كان متهم النصيحة، يقول أبو الفرج الأصفهانى: «ان عبدالله بن الزبير لم يكن أثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز، و لا أحب اليه من خروجه الى العراق، طمعا فى الوثوب بالحجاز، لأنه لا يتم له الا بعد خروج الحسين، فلقيه و قال له: على أى شىء عزمت يا أبا عبدالله، فأخبره برأيه فى ايتائه الكوفة، و أعلمه بما كتب به مسلم بن عقيل، فقال ابن الزبير: فما يحبسك، فو الله لو كان لى مثل شيعتك بالعراق ما تلومت فى شىء» و فى رواية المسعودى: بلغ ابن الزبير أنه «أى الامام الحسين» يريد الخروج الى الكوفة، و هو أثقل الناس عليه، و قد غمه مكانه بمكة، لأن الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين، فلم يكن شىء يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة، فأتاه فقال: «أبا عبدالله ما عندك، [صفحه ۸۴] فو الله لقد خفت الله فى ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم و استذلالهم الصالحين من عبادالله، فقال حسين: قد عزمت على اتيان الكوفة فقال: وفقك الله، أما أن لى بها مثل أنصارك ما عدلت عنها»، ثم خاف أن يتهمه فقال: «و لو أقمت بمكانك فدعوتنا و أهل الحجاز الى بيعتك، أجبناك و كنا اليك سراعا، و كنت أحق بذلك من يزيد، و أبى يزيد»، و على أى حال، فلقد جعل الناس يلحون على الامام الحسين أن لا يخرج من مكة، يخوفونه بأس يزيد، و بطش ابن‌زياد، و غدر أهل الكوفة، و كان يقول دائما «لأن أقتل بمكان كذا و كذا، أحب الى من أن أقتل بمكة و تستحل بى». و هكذا كان الامام الحسين برفضه مبايعة يزيد، و بتصميمه على مقاومته، يرى المجابهة أمرا محتوما، لكنه لم يرد لهذه المجابهة أن تقع فى البلد الحرام، فهو على بينة من سفالة خصومه، و هو يعلم أنهم لن يتورعوا عن هدم المسجد ذاته، و الكعبة ذاتها، اذا اضطرهم القتال لذلك، ثم ان أهل الكوفة و قد دعوه، و وثقت دعوتهم بكتاب ابن عمه «مسلم بن عقيل»،

فلقد صار لزاما عليه، وفق اقتناعه بعدالة قضيته أن يسارع الى تلك الجبهة التى أعدت نفسها لمناصرته و المقاومة معه.و لعل أنصح الناس فى هذه المسألة انما كان «عبدالله بن عباس» لما بينهما من القرابة، و ما عرف عنه من الدهاء، فلقد حاول مرارا أن يثنى الامام الحسين عن الخروج من مكة، و لكنه لم يستطع، طلب اليه مرة أن يكف عن الخروج و ليبايع يزيد، فقال الامام: «هيهات يا ابن‌عباس، و كيف أبايع يزيد، اذا على الاسلام السلام، فقال ابن‌عباس: اذا لم ترحل فابق بمكة فليس بها أعز منك، فقال الحسين بمرارة: و لو بقيت فى مكة لن يتركنى القوم، و انهم يطلبوننى أين كنت حتى أبايعهم كرها و يقتلوننى، و الله انهم يعتدون على، و انى ماض فى أمر رسول‌الله حيث أمرنى، و انا لله و انا اليه راجعون»، ثم نصح له مرة ثانية أن يذهب الى اليمن «فان بها حصونا و شعابا، و لأبيك بها شيعة»، ثم جاءه مرة ثالثة يحذره من غدر أهل الكوفة، فلا تسر بأهلك و نسائك، فو الله انى أخاف أن تقتل و هم ينظرون اليك»، فقال الامام الحسين متألما: يا ابن العم، انى رأيت رسول [صفحه ۸۵] الله صلى الله عليه و سلم فى منامى و قد أمرنى بأمر لا أقدر على خلافة، و قد أمرنى بأخذهم معى، و هم ودائع رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و لا- آمن أحدا عليهن، و هن ايضا لا يفارقنى»، فقال ابن‌عباس: «و الله لو أعلم أنى أخذت بناصيتك، و أخذت بناصيتى حتى تجتمع علينا الناس، أطعتنى و أقمت، لفعلت»، ثم خرج و هو يقول: «لقد أقررت عين ابن الزبير بمخرجك من الحجاز».و هكذا يبدو واضحا أن سيدالشهداء لم يكن يبالى بحياته، بقدر ما كان يهمه أن يظل للبيت الحرام مكانته فى النفوس، و له حرمته و قدسيته، كما أنه من الواضح كذلك أن سكوت ابن‌عباس و ابن‌الزبير، على ما ذكره الامام الحسين عن احتمال مقاتلته بمكة و استحلالها به، يدل على أن ظنه فى الأمويين كان فى موضعه، و أن النية المبيتة ضده لم تكن محل شك أو غموض، حتى أن ابن‌عباس أقره أخيرا على رأيه، حتى أنه ليقول «فكان هذا الذى سلى نفسى عنه»، ثم ان القضية التى خرج الامام الحسين حاملا لواءها، لم تكن قضية شخصية تتعلق بحق له فى الخلافة، أو ترجعه الى عدواة شخصية يضمرها ليزيد، كما أنها لم تكن قضية طموح يستحوذ على صاحبه و يدفعه الى المغامرة التى يستوى فيها احتمال الربح و الخسران، انما كانت القضية أجل و أسمى و أعظم، كانت قضية الاسلام و مصيره، و المسلمين و مصيرهم، و اذا صمت المسلمون جميعهم تجاه هذا الباطل الذى أنكره البعض بلسانه، و ينكره الجميع بقلوبهم، فمعنى ذلك أن الاسلام قد كف عنه انجاب الرجال، و معناه أن المسلمين قد فقدوا أهليه الأنتماء لهذا الدين العظيم، و معناه أيضا أن مصير الاسلام و المسلمين معا، قد أمسى معلقا بالقوة الباطشة، فمن غلب ركب، و لم يعد للقرآن و لا للحقيقة سلطان، هذه هى القضية فى روع الامام الحسين، و بهذا المنطق أصر على الخروج.و انطلاقا من كل هذا، فلم يكن الامام الحسين، سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، قد أبى نصيحة الناصحين، عنادا أو ركوبا لرأسه، كما يقول مرتزقة التاريخ، و انما كان يعلم أن يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، سيأخذه بالبيعة أخذا [صفحه ۸۶] عنيفا، فان بايع غش نفسه و خان ضميره و خالف عن دينه، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، و ان لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء، ثم استحل به البيت الحرام، كما أن الامام الحسين لم يكن مخطئا فيما قدر، فهو قد عرف ما كان من غضب يزيد على ابن‌الزبير، حين امتنع عن البيعة، و أقسم ألا يرضى حتى يحمل اليه ابن‌الزبير فى جامعة يقاد اليه، كما يقاد الأسير، و لم يخطىء الامام الحسين حين أبى أن يترك أهل بيته بالحجاز، فلم يكن يأمن أن يأخذهم يزيد بمسيره هو الى العراق منابذا للسلطان، و قد أثبتت الأيام صدق فراسة الامام الحسين و أنه كان على صواب فى خروجه من المدينة و التجائه الى البلد الحرام، و سوف تثبت الأحداث المقبلة أن سيد شباب أهل الجنة كان على صواب فى خروجه من مكة الى العراق، و لنفس الأسباب التى ترك من أجلها مدينة جده النبى صلى الله عليه و سلم و أنه كان لابد أن يأخذ أهله معه، فما حدث فى كربلاء و ما بعدها، فى الكوفة و دمشق، و ما حدث فى المدينة يوم الحرة، انما يدل على أن يزيد لا يقيم للمقدسات و زنا، فان جيوشه لم تكتف بقتال أهل المدينة الذين ثاروا لمقتل الامام الحسين و أهل بيته الطاهرين فى مجزرة كربلاء، و التغلب عليهم، حتى أذن لجيوشه باستباحة مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، فقتلوا الكثير من أشرافها و قرائها، و انتهبوا أموالها، و انتكهوا حرماتها، فوقعوا على النساء، حتى حملت ألف امرأة من غير زواج، فيما يروى ابن كثير، ثم لم يكتف يزيد بكل هذه المنكرات حتى سير جيوشه الى مكة المكرمة فحاصروها و ضربوا الكعبة المشرفة بالمجانيق، و رموها بالنار، و لا شك أن من يفعل

هـذا كله، لا يشـرف دينا، أى دين، و لا رجالا، أى رجال، و لا جنسا، أى جنس، أن ينتسب اليه يزيـد هـذا، و ليقل مرتزقـة التاريخ فى هذا اليزيد و أهله ما يقولون، فان التاريخ لن يضـعه الا فى مكانه الذى يستحقه أمثاله، ممن ابتلى تاريخ الانسانية بهم.و أخيرا، فلا ريب أن هجرة الامام الحسـين، سـبط النبى، و بضعة الزهراء، و ابن الامام على، و سيد شباب أهل الجنة، من المدينة الى مكة، و من مكة الى العراق، انما كانت فى سبيل الله وحده، و ابتغاء وجهه الكريم، و ليس لأحد بعد [صـفحه ۸۷] ذلك، يؤمن بالله و اليوم الآخر، أن يقف من سيد شباب أهل الجنة موقف المنتقد لأعماله المتأول لأقواله، و قد صرح سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى الحديث المشـهور «حسـين منى، و أنا من حسـين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و من ثم فلا يصح أن يتجرأ مسلم على نقـد الامـام الحسـين، عليه‌السـلام، الاـ أن يكون أفضل منه مقاما، و أقفه منه علما، و المتفق عليه بين علماء المسـلمين أنه لم يكن على وجه الأرض فى حينه من يدانيه شـرفا و حسـبا، و ايمانا و تقوى، و علما و فضلا، فكيف بمن جاء بعده بمئات السنين، و هم دون شك دون من قبلهم، ثم ان الذى لا شك فيه أن كل خطوة خطاها سـيد شـباب أهل الجنة، عليه‌السلام، انما كانت فى سبيل الله، و كل كلمة قالها انما كانت لله و بالله، و لقـد كان خروجه من المدينـة قـدرا مقدورا، كما كان خروجه من مكة خيرا كثيرا، خيرا للاسـلام عقيدة و دينـا، و خيرا للمسـلمين جماعـة و أفرادا، و قبائـل و شـعوبا.و هكـذا، و فى يوم الأربعـاء الثامن من ذى الحجـة (يوم التروية) عام ۶۰ ه «سبتمبر ۶۸۰ م» خرج الامام الحسـين عليه‌السـلام، فطاف بالبيت الحرام سـبعا، و سـعى بين الصفا و المروة سبعا، ثم قصر شعره، و أحل من عمرته و لم ينتظر أن يتم شـعائر الحج، و كان حتى هذه السـنة قد حج خمسا و عشـرين مرة ماشيا على قدميه من المدينة الى مكة، فاذا به هذا العام يجبره أعداؤه الأمويون ألا يحج و يجعلها عمرة، خوفا من أن تسـتحل به حرمة مكة، يسـتباح به البيت الحرام، و حاول المخلصون منعه من الخروج للمرة الأـخيرة، و من ذلك امرأة مؤمنـة بعثت اليه تقول، أشـهد أنى سـمعت أم المؤمنين عائشـة تقول انها سمعت رسول‌الله صـلى الله عليه و سلم يقول: «يقتل الحسين بأرض بابل»، فما أن قرأ الأمر الامام كتابها حتى قال «فلا بد من مصرعى»، و اسـتمر فى سبيله، غير أن أمير مكـة حاول منعه بالقوة، فأرسل اليه قوة ترغمه على الرجوع، فتدافع الفريقان، و امتنع الامام امتناعا قويا، و سـار فى طريقه، رغم أنوف الأـمويين، و فى الطريق لقيه الفرزدق فقال له: «بأبى و أمى يا ابن رسول‌الله، ما أعجلك عن الحـج، فقال الامام: لو لم أعجل لأخذت، ثم سأله الامام الحسين عن الناس خلفه، فقال: قلوب الناس معك، و سيوفهم مع [صفحه ۸۸] بنى‌أمية، و القضاء ينزل من السماء، و الله يفعل ما يشاء، فقال الامام: صدقت».

تطور الأحداث فى الكوفة

سارت الأمور فى الكوفة على غير ما يريد الامام الحسـين، فلقد نزل مسـلم بن عقيل الكوفة و أقبل عليه الناس ألوفا ألوفا يبايعون الامام الحسـين على يديه، و بلغوا ثمانية عشـر فى تقدير ابن كثير، و ثلاثين ألفا فى تقدير ابن قتيبة، و أرسل مسلم الى الامام الحسين بذلك، و هال الأمر النعمان بن بشـير، أمير الكوفة من قبل يزيد، فحار فيما يصـنع بمسـلم و أتباعه، و هم يزدادون يوما بعد يوم، فصعد المنبر و خطب الناس معلنا أنه لا يقاتل الا من قاتله، و لا يثب الا على من وثب عليه، و لا يأخـذ أحـد بالظنة، فقال له أحدا أنصار بنى‌أمية «هذا رأى المستضـعفين»، و عينئذ زجره النعمان قائلا «لأن أكون من المستضـعفين فى طاعة الله، خير من أكون من الجبارين فى معصيته»، و من ثم فقد تسابق أنصار الأمويين الى يزيد ينقلون اليه ما يجرى بالكوفة، و طبقا لرواية الطبرى و ابن الأثير و غيرهما، فان يزيد اسـتشار سرجون، مولى معاويـة، فيمن يوليه الكوفـة، و كان يزيـد عاتبا على عبيـدالله بن زياد، فقال سـرجون: «أرأيت لو نشـر لك معاوية كنت تأخـذ برأيه، قال نعم، قال: فاخرج عهد عبيدالله على الكوفة، فقال: هذا رأى معاوية، و قد مات بعد أن أمر بهذا الكتاب، فأخذ برأيه، و جمع الكوفة و البصـرة لعبيدالله، و كتب اليه بعهده، و أمرع بطلب مسلم بن عقيل و بقتله أو نفيه، و سواء أصحت هذه الرواية، و من ثم فان اختيار عبيدالله بن زياد من رأى معاوية، أو أن سـرجون هو الذى أشار على يزيد بذلك، فان سـرجون، ذلك المجوسـى، هو الذى أقنع يزيـد بعزل النعمان بن بشـير، و توليه عبيـدالله، و لم يكن عجبا أن يختار سـرجون ابن‌زياد بالـذات، ذلك أن مرجانـة، أم ابن‌زياد،

كانت هى الأخرى جارية مجوسية، و كان ابن‌زياد هذا من أحط و أشقى من حملت الأرض على ظهرها، لا يفوق ولعه بالقتل و سفك الدماء، سوى ولعه بالقتل و سفك الدماء. [صفحه ۸۹] و وصل ابن‌زياد الى الكوفة مستخفيا متنكرا، فى وقت كان أهل الكوفة ينتظرون فيه وصول الامام الحسين فما أن رأوا قافلة ابن‌زياد حتى حسبوها موكب الامام الحسين، فراحوا يفسحون له الطريق هاتفين: «مرحبا بابن رسول‌الله، قدمت خير مقدم»، و فى الواقع فلئن كانت هذه الحفاوة بالامام الحسين قد ملأت نفس ابن‌زياد مرارة و حقدا، الا أنها ألقت على قلبه المنخلع الجبان كثيرا من الأمن، اذا اطمأن الى أنهم لم يعرفوه، و بالتالى لن يصلوا اليه بسوء، و هكذا فما أن بلغ هذا الشقى دار الامارة، و احتمى بشرطها و حرسها، حتى راح ينصب شباكه ليقتنص رسول الامام و ابن عمه «مسلم بن عقيل» الذى كان يمارس نشاطه الجليل فى همة موفقة و ناجحة، و كان أول عمل ابن‌زياد أن جمع اليه عرفاء الكوفة، أى مشايخ أحيائها، فأمرهم أن يكتبوا له أسماء الغرباء و من فى أحيائهم من طلبة أميرالمؤمنين و الحرورية و أهل الريب، و أنذرهم أيما عريف و جد فى عرافته من بغية أميرالمؤمنين أحد لم يرفعه اليه، صلب على باب داره، و ألغيت تلك العرافة من العطاء»، و التمس وجوه الكوفة من شيعة الامام الحسين يترضاهم و يستخرج خفاياهم، فسأل عمن تخلف منهم عن لقائه، و على رأسهم هانىء بن عروة، فقل له انه مريض لا يبرح داره، و كان يتعلل بالمرض تجنبا للقائه و السلام عليه، أو أن «شريك بن الأعور»، و كان من صفوة أهل البصرة الذين اصطحبهم ابن‌زياد معه الى الكوفة، و لكن شريكا مكان شيعيا يكتم ايمانه و ولاءه، كما كان صديقا لهانىء بن عروة، الذى يتخفى مسلم بن عقيل فى داره، و رغب هانىء الى صديقه شريك أن ينزل عليه ضيفا فى داره فقبل دعوته، حيث التقى فيها بمسلم بن عقيل، فبارك جهوده و جهاده، و حثه على المثابرة.و هنا يقدم لنا التاريخ واحدة من صور عظمة آل البيت النبوى الشريف و أخلاقهم و شرفهم فى النضال و القتال، ذلك أن شريك بن الأعور مرض و خف ابن‌زياد لعيادته، حيث هو فى دار ابن هانىء و رآها شريك نفسه فرصة سانحة للاجهاز على ابن‌زياد و التخلص منه، فاتفق مع مسلم أن يفاجىء ابن‌زياد [صفحه ۹۰] عندما يجىء اليه، و يضربه بسيفه ضربة تريح منه البلاد، و العباد، و لكن مسلما لم يقتله، و حين عوتب فى ذلك بعد انصراف ابن‌زياد قال «لقد منعنى من ذلك أمران، أولهما، كراهية هانىء أن يقتل فى داره، و ثانيهما، أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم نهانا عن الغيلة، و قال «ان الايمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن» فقال له هانىء؛ لو قتله لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا»، و لبث شريك ثلاثة أيام ثم مات فصلى عليه ابن‌زياد، فلما علم أنه حرض مسلما على قتله قال: «و الله لا أصلى على جنازة عراقى ابدا، و لو لا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا».و أخذ ابن‌زياد يبحث عن مسلم بن عقيل ففشل، و هنا لجأ الى حيلة خبيثة، فدس واحدا من مواليه على أنه من شيعة الامام الحسين، و تمكن بذلك من معرفة مكان مسلم بن عقيل فى دار هانىء بن عروة، و قبض على هانىء الذى أعلن «أن مسلما فى دارى، و هو ضيفى، و لن أسلمه أبدا»، و جن جنون الطاغية ابن‌زياد، و أمر جلاديه أن ينزلوا به كل عذاب، دون القتل، حتى لا يستريح بالموت، و هكذا فعل المجرمون بهانىء، حتى اذا ما شفى ابن‌زياد نفسه المظلمة بتعذيبه، أمر بضرب عنق هانىء فى السوق، و طار الخبر الى مسلم بن عقيل، فجمع رجاله و أنصاره و سار بهم الى قصر الامارة، حيث ضربوا حوله حصار رهيبا، و لكنه لم يقتحم القصر على ابن‌زياد، و يستغل الثورة العارمة التى كانت تشتعل فى أنفس الناس نقمة و غضبا لمقتل هانىء، ذلك لأن مسلما يعلم أن الامام الحسين انما أرسله ليأخذ له البيعة، و لم يأذن له بقتال، و هو جد حريص على أن يلتزم بتعاليم الامام، و هكذا قضى اليوم كله مكتفيا بالحصار الذى ضربه و أحكمه، بينما قضى بن زياد و بطانته يومهم فى نسج الشباك و اعمال الحيلة لفك الحصار، و قد نجحوا فى ذلك آخر الأمر، بعد أن أعلنوا أن جيش الشام فى طريقه الى الكوفة، و أنه سيصلها غدا أو بعد غد، و سيحيل أحياءها قتلى، و دورها ترابا، و هكذا انصرف الثوار، بعضهم صرفة الفزع، و بعضهم صرفة احتمال الوصول الى تفاهم بحق الدماء، بعد أن أعلن ابن‌زياد أنه سوف يعالج الامور بالتفاهم و المفاوضة. [صفحه ۹۱] و بقى مسلم بن عقيل وحيدا، حتى اضطرته الظروف الى أن يختبىء عند امرأة، يقال لها «طوعة»، أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمى، فولدت له بلالا، و هو الذى أخبر عن مسلم، و ما هى الا سويعات حتى جىء بمسلم، بعد أن دافع الشرطة عن نفسه ما استطاع، كما أمنه ابن الأشعث، ثم وقف أمام ابن‌زياد صامتا و رافضا أن يلقى

عليه‌السلام، و سأله ابن‌زياد أتراك ترجوا الحياة و البقاء؟ فأجابه مسلم: اذا كنت تريد قتلى، فدعنى أوصى الى بعض الذين هنا من قومى»، فأمر ابن‌زياد عمر بن سعد بن أبى‌وقاص أن يسمع له، فأوصاه مسلم «ان على بالكوفة دينا اقترضته، فاذا قتلت فبع سيفى و درعى، و خذ من غلتى بالمدينة حتى تقضيه عنى، و انى قد أرسلت الى الحسين أخبره أن الناس ينتظرونه و ادعوه الى القدوم، و لا أراه الا- مقبلا، فابعث اليه من يرده و يخبره أن أهل الكوفة لا عهد لهم»، غير أن عمر سرعان ما أفشى السر لابن زياد، رغم أن أهل الكوفة لا عهد لهم»، غير أن عمر سرعان ما أفشى لاسر لابن زياد، رغم أن مسلم قد ناجاه به و أوصاه أن يكتمه، فرد ابن‌زياد على عمر بقوله «لا يخونك الأمين، و لكن قد يؤمن الخائن» ثم أسلم الطاغية مسلما الى جلاديه، فضربوا عنقه ثم رموا برأسه الكريم من حالق الى قارعة الطريق، و أتبعوا الرأس الجسد، ثم انصرفوا الى لهوهم و مرحهم، و كان ذلك فى يوم الثامن من ذى الحجة عام ۶۰ ه، و هو نفس اليوم الذى خرج فيه الامام الحسين من مكة الى الكوفة، و فى صباح يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة عام ۶۰ ه «يوم عيد الأضحى» أمر ابن‌مرجانة برأس مسلم بن عقيل، و رأس هانىء بن عروة، فغرسا فى أسنة الرماح، ثم أرسلها الى الشام، هدية لمن يدعوه أميرالمؤمنين يزيد، و من ثم لم يعلم الامام الحسين بهذه الأخبار المؤلمة الا و هو بالثعلبية فى طريقه الى الكوفة.و هناك حدث آخر، حدث فى الكوفة، و الامام فى طريقه اليها، ذلك أن الامام الحسين ما كاد يبلغ العراق حتى أرسل الى أنصاره كتابا مع «قيس بن سهر الصيداوى» يخبرهم بمقدمة و يحضهم على الجد و التسانـد، فوافى قيس القادسية، و قد رصد فيها شرط عبيدالله بن زياد، بقيادة الحصين بن [صفحه ۹۲] نمير التميمى، فاعتقلوه و صحبوه الى ابن‌زياد الذى أمره أن يشرف على الناس من شرفة قصره، و يطعن الحسين (و العياذ بالله) و يعلن على الملأ- أنه، حاشاه ثم حاشاه، كذاب و ابن كذاب، فصعد قيس مع الحراس، حيث أمر ابن‌زياد، متظاهرا بالطاعة، حتى يستطيع ان يبلغ رسالة الامام الحسين الى أهل الكوفة، ثم صاح فى المجموع التى حشدها الطاغية اللئيم فقال: «ايها الناس، ان الحسين بن على من خير خلق الله فأجيبوه و انصروه، و ان الكذاب بن الكذاب هو عبيدالله بن زياد فالعنوه و العنوا اباه»، فجن ابن‌مرجانة كالكلب المسعور، و راح يلعن و يرجم شياطينه الذين تركوه حيا حتى أكمل عبارته القاسية، ثم أمرهم أن يلقوا به حيا من أعلى سور القصر فقذف به حيث اندقت عظامه و غربت حياته، و ان ذهبت رواية الى أن ذلك كان مع عبدالله بن يقطر.

فى الطريق الى الكوفة

واصلت قافلة الايمان من بيت النبوة و أنصارهم، و على رأسها سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، و مولانا الامام الحسين، طريقها صوب الكوفة، و هى لا- تدرى بتطور الأحداث فيها، و ما أن وصل ركب الايمان الى مكان يقال له «زبالة» حتى أمر الامام الحسين بالراحة ليومين، و هناك بدأت أخبار الكوفة المؤلمة تصل اليه، عرف بعد ذلك بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، و كذا هانىء بن عروة، فكان للخبر وقع أليم فى نفس الامام و آل البيت الطاهرين، على أن رد الفعل من هذا النبأ الرهيب لم يزيد عند من هو بايمانه أقوى من الجبال، الا أن قال «انا الله و انا اليه راجعون، عند الله نحتسب أنفسنا، لا خير فى العيش بعد هؤلاء»، و ليس هناك من شك فى أن مصرع مسلم و هانىء انما كان كافيا لصرف الامام الحسين عن غايته، لو كان فى موقفه و خروجه، انما يستمد شجاعة و جسارته من مساندة أهل الكوفة له، و ليس من ايمانه و اقتناعه و ضميره، ذلك لأن قتل مسلم و هانىء انما يعنى من الناحية الاستراتيجية أن الجبهة كلها قد انهارت، و أن أهل الكوفة، على أحسن الظنون بهم، قد باتوا عاجزين عما كانوا قد جندوا أنفسهم، و هذا كله كاف لكى يلوى الامام الحسين زمام قافلته و يعود، كما أشار عليه بعض [صفحه ۹۳] أصحابه و غيرهم من الناصحين، لكن تصميمه كان يقوده، و قدره العظيم كان يناديه، و هنا أعلن الامام لمن معه «قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف، ليس عليه منا ذمام»، فتفرقوا الا- أهل بيته، و قليلا- ممن تبعوه فى الطريق.و سار الامام الحسين بمن بقى معه من الرجال و النساء و الأطفال يقطع الصحارى المتلظية، و هو يعلم علم اليقين أنه يسير الى نهاية محتومة، و شهادة مؤكدة، فلم يكن أحب اليه من هذه الخاتمة التى اطمأنت لها نفسه و اطمأن اليها قلبه و ارتضاها له جده المصطفى صلى الله عليه و سلم فى رؤياه له، و هكذا استأنف الامام

و آل بيته الطاهرين مسيرتهم حتى انتهوا الى مكان يدعى «زرود»، و هناك التقى بزهير بن القين، فاسر اليه حديثا، لم يكد الرجل يسمعه حتى تهلل وجهه و امتلأ غبطة و سرورا، ثم التفت الى زوجته و قال لها «أما أنت فالحقى بأهلك، فانى لا أحب أن يصيبك بسببى سوء»، و سرعان ما انصرفت المرأة مع أهله و ذوى قرابته الى موطنهم، و انضم هو الى موكب الامام الحسين، و لم يفارقه حتى استشهدا بين يديه.و كان ابن‌زياد قد فرض حول الكوفة حصارا محكما، فلا يخرج من أهلها أحد، مخافة أن ينضموا الى موكب الامام البطل القادم الى الكوفة، و فى نفس الوقت أطلق من وراء مشارفها و حدودها البعيدة طلائعه و سراياه، آمرا اياها أن تتربص بقافلة الامام الحسين، فاذا التفت بها احداها احتجزتها حيث هى، ثم أرسل بالخبر لابن زياد، و عند احدى القرى الرابضة على حدود العراق (أو عند جبل ذى جشم) التقى ركب الامام باحدى تلك الطلائع، و التى كانت تضم ألف فارس، تحت امرة الحر بن يزيد التميمى، و قد أمر بأن لا يدعوا الامام الحسين حتى يأتى به الى ابن‌زياد، و لم يكد ابن النبى صلى الله عليه و سلم يراهم قادمين نحوه يتصببون عرقا من وقدة الحر، و قد تيبست شفاههم من الظمأ، حتى أمر فتيانه أن يستقبلوهم بالماء، فشربوا حتى رووا، ثم صلوا الظهر جميعا من وراء الامام الحسين، ثم أنبأ الحر بن يزيد الامام الحسين بمهمته عندما تياسر ركب [صفحه ۹۴] الامام الى الطريق العذيب، و هكذا كان الحر و فرسانه يلازمون الامام و يصرون على أخذه الى ابن‌زياد و صده عن وجهته حيث اتجه غير وجهتهم، فأقبل الامام عليهم يغطهم و هم يصغون اليه، فقال:«أيها الناس، ان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول‌الله، يعمل فى عبادالله بالاثم و العدوان، فلم يغير ما عليه بفعل و لا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخلة، ألا و ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفىء و أحلوا حرم الله، و حرموا حلاله، و أنا أحق من غيرى، و قد أتتنى كتبكم و رسلكم ببيعتكم و أنكم لا تسلمونني و لا تخذلوننى، فان بقيتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، و أنا الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم نفسى مع أنفسكم، و أهلى مع أهلكم، فلكم فى أسوة، و ان لم تفعلوا و نقضتم عهدى، و خلعتم بيعتى فلعمرى ما هى لكم بنكير، و المغرور من أغتربكم، فحظكم أخطأتم، و نصيبكم ضيعتم، و من نكث فانما ينكث عن نفسه، سيغنى الله عنكم، و السلام».و أنصت الحر و فرسانه الى الامام ثم اتجه اليه يحذره قائلا: لئن قاتلت لتقتلن، فصاح به الامام الحسين: «أبالموت تخوفنى، و هل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى»، ثم سار الركبان ينظر بعضهم الى بعض، كلما مال الامام الحسين نحو البادية أسرع الحر برده نحو الكوفة، حتى نزلا فى «نينوى»، تلك القرية التى قيل أنها كانت موطن النبى يونس عليه‌السلام، حتى تراءى لهم من وراء النقع المثار، ركب يغدو السير و يطوى الرمال، و لبثوا مكانهم ينتظرون، فاذا ركب مقبل عليه السلاح، يحيى الحر، و لا يحيى الامام الحسين، ثم أسلم الحر كتابا من ابن‌زياد يقول فيه «أما بعد، فجعجع بالحسين حتى يبلغك كتابى، و يقدم عليك رسولى، فلا تنزله الا بالعراء فى غير حصن و على غير ماء، و قد أمرت رسولى أن يلزمك يفارقك حتى يأيتنى بانفاذك أمرى و السلام»، و بدأ الحر ينفذ أوامر ابن‌زياد، و هما قال «زهير بن القين» للامام الحسين: «انه لا يكون [صفحه ۹۵] و الله ما بعد ما ترون الا ما هو أشد منه، يا ابن رسول‌الله، ان قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمرى ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به، فهلم نناجز هؤلاء»، فأعرض الامام الحسن عن مشورته، و قال: «انى أكره أن أبدأهم بقتال».و لم يمض قليل حتى لاح فى الأفق أربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رأسهم الطرماح بن عدى، يقصدون الامام الحسين، فحاول الحر أن يمنعهم، فقال الامام متوعدا: «انما هؤلاء أنصارى و أعوانى، و هم بمنزلة من جاء معى، فان تممت على ما كان بينى و بينك، و الا ناجزيك»، فكف الحر عن مناجزتهم، ثم سألهم الامام الحسين عن أخبار الناس فى الكوفة، فأخبره أحدهم «أما أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم، و ملئت غرائرهم، يستمال ودهم، و يستخلص به نصيحتهم، فهم الب واحد عليك، و أما سائر الناس بعد، فان أفئدتهم تهوى اليك، و سيوفهم غدا مشهورة عليك»، ثم قال له الطرماح بن عدى: و الله انى لأنظر فما أرى معك الا هذه الشرذمة اليسيرة، و انى لأرى هؤلاء القوم الذى يسايرونك أكفاء لمن معك، فكيف و ظاهر الكوفة مملوء بالخيول و الجيوش، اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون اليك، فأنشدك الله ان قدرت أن لا تتقدم اليهم شبرا فافعل، فان أردت أن تنزل بلدا يمنعك الله به، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى امتنعنا و الله به

من ملوك غسان و حمير، و من النعمان بن المنذر، و من الأسود و الأحمر، و الله ما دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث الى الرجال، فلا يأتى عليك عشرة أيام، حتى تأتيك طيء رجالا و ركبانا، ثم أقم فينا ما بدا لك، فان هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائى، يضربون بين يديك أسيافهم، و الله لا يوصل اليك أبدا، و منهم عين تطرف»، فما كان من الامام الحسين الا أن شكر الطرماح على عرضه هذا، و قال له: «جزاك الله و قومك خيرا»، و هو يرى العواطف تحيط به من كل جانب، و جيش الحر بن يزيد يحيط به من أمامه و من خلفه.و بدأ الركب فى المسير، و لكن الحر بن يزيد خشى أن تفلت الفرصة منه، [صفحه ۹۶] فتصدى للركب السائر و أصر على النزول حيث انتهت خطواته، و نزل الركب من فوق رواحله، و ألقى مولانا الامام الحسين بصره على الفضاء الموحش حوله، ثم سأل عناسم هذا المكان، فأجابه زهير بن القين: «ان هذه الأرض تسمى «الطف» فقال الأمام الحسين: هل لها اسم غيره، قال تعرف «كربلاء»، فرد الامام «كرب و بلاء»، و أدرك الامام كل شيء و سرعان ما تذكر يوم أن كان مع أبيه الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و هو فى الطريق الى «صفين»، فوقف الامام على على نفس المكان و قال: «هنا محط ركابهم، و مهراق دمائهم، فتية من آل محمد صلى الله عليه و سلم، و راح الامام الحسين يستعيد لخواطره ذلك اليوم، و تلك الواقعة، و تلك النبوءة، ثم بدأ يشارك أصحابه فى شد الخيام، و هو يردد قوله تعالى: «ان وليى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصاحلين».

المعركة الخالدة فى كربلاء

كان نزول الامام الحسين و صحبه فى كربلاء، و تقع على مبعدة ۴۰ كيلا الى الشام الغربى من الكوفة، فى الثانى من المحرم عام ۶۱ ه (۲ أكتوبر ۶۸۰ م)، و لا ريب، كما أشرنا آنفا، أن الامام الحسين كان على علم سابق بما يحيط بهذا المكان من أحداث تتصل بشخصه، فالى جانب أنه كان مع أبيه الامام على، يوم مر فى طريقه الى صفين، و قد سمع منه ما سمع، فقد ثبت أن سيد ما و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قد أخبر بأن الحسين، عليه‌السلام، سوف يقتل، و أن الذى أبلغه ذلك انما هو جبريل، عليه‌السلام،: فلقد أخرج السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن سعدو الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يقتل بعدى بأض الطف، و جاء بهذه التربة، و أخبرنى بأن فيها مضجعه»، و روى ابن‌سعد عن أم‌سلمه زوج النبى صلى الله عليه و سلم أنه صلى الله عليه و سلم قال: «أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل: «أرنى تربة الأرض التى يقتل فيها، فجاء بها، فهذه تربتها».و ليس هناك من ريب فى أن الامام الحسين كان على علم بهذا الحديث [صفحه ۹۷] و غيره، مما سنذكره فى مناقب الامام الحسين، أو على الأقل ببعضها، الأمر الذى يجعلنا على يقين بأن مولانا الامام الحسين انما كان يسير الى العراق سير الواثق من طريقه، العارف بنهايته، على بينة من أمره، و على نور من الله و رسوله، هذا و قد روى أبو عبدالله الصادق أن الحسين دخل على أخيه الحسن فى مرضه الذى استشهد فيه، فلما رأى ما به بكى، فقال له الحسن: ما يبكيك يا أبا عبدالله قال أبكى لما صنع بك، فقال الحسن عليه‌السلام: «ان الذى أوتى الى سم أقتل به، و لكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله، و قد ازدلف ثلاثون ألفا يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه و سلم و ينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون على قتلك و سفك دمك و انتهاك حرمتك و سبى ذراريك و نسائك، و انتهاب ثقلك، فعندها تحل ببنى أمية اللعنة، و تمطر السماء رمادا و دما، و يبكى عليك كل شيء حتى الوحوش فى الفلوات، و الحيتان فى البحار».و تروى المصادر ان الحر بن يزيد كتب الى ابن‌زياد بنزول الامام الحسين بكربلاء، و سرعان ما أرسل ابن‌زياد جيشا قوامه أربعة الآف، على رأسه عمر بن سعد بن أبى‌وقاص، و عمر هذا مثال واضح لأسوأ خلف لخير سلف، و لمن يشترى الدنيا بأى ثمن، حتى اذا كان هذا الثمن قتل ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و آل بيت النبى الطاهرين المطهرين، لم يتق الله فيهم، و لم يتق الله فى اسم أبيه سعد بن أبى‌وقاص، رضى الله عنه، صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أحد العشرة المبشرين بالجنة، و أحد الستة أصحاب الشورى، بل و أحد من اتهم الأمويين – الذين يعمل عمر من أجلهم كل هذه الخطايا – بسمه، حتى يخلوا الجو لمعاوية لبيعة ولده الفاجر يزيد، الذى يسعى الآن عمر لاقامة ملكة

على أشلاء أطهر جثث على وجه الأرض وقت ذاك، و قصة عمر بن سعد بن أبى‌وقاص بدأت مع الامام الحسين، عندما اختاره ابن‌زياد للقضاء على ثورة الديلم ضد يزيد بن معاوية، و وعده بولاية الرى بعد قمع الثورة الديلمية، فلما قدم الامام الحسين الى العراق، وجه ابن‌زياد عمر و جيشه المكون من أربعة آلاف فارس لقتال الامام الحسين، فتردد عمر بعض الوقت حتى يراجع نصحاءه، [صفحه ۹۸] فنصح له ابن أخته، حمزة بن المغيرة بن شعبة، و هو من أكبر أعوان معاوية، أن لا يقبل مقاتلة الامام الحسين، و قال له: «أنشدك الله يا خال أن تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك، و الله لأن تخرج من دنياك و مالك و سلطان الأرض لو كان لك، خير من أن تلقى الله بدم الحسين» و فى الواقع، فلقد حذر عمر بن سعد من قبل الامامان على و الحسين، روى المتقى الهندى فى كنز العمال بسنده عن ابن سيرين عن بعض أصحابه قال، قال على عليه‌السلام لعمر بن سعد: «كيف أنت اذا قمت مقاما تخير فيه بين الجنة و النار، فتختار النار، قال أخرجه ابن‌عساكر.و روى ابن‌حجر العسقلانى فى «تهذيب التهذيب» فى ترجمة عمر بن سعد بن أبى‌وقاص قال، قال الحميدى: حدثنا سفيان عن سالم قال، قال عمر بن سعد للحسين، رضى الله عنه، ان قوما من السفهاء يزعمون أنى أقتلك، فقال الحسين: ليسوا سفهاء، ثم قال: و الله انك لا تأكل بر العراق بعدى الا قليلا، و تردد عمر فى قبول مهمته الدنيئة، غير ان ابن‌زياد خيره بأن يسير لقتال الحسين أو ينزل عن ولاية الرى، فقبل عمر مقاتلة الامام الحسين، و سار بجيشه المتثاقل، الا زعانف المرتزقة الذين لا خلاق لهم و لا دين.و وصل عمر هذا بجيشه الى كربلاء، حيث انضمت اليه قوات الحر بن يزيد، و سرعان ما أحاطت تلك القوات الآثمة جميعها بمولانا الامام الحسين، و من معه من آل البيت و أنصارهم، و كان أول ما فعلته تلك القوات التى كانت تتكون فى معظمها من الرعاع الأجلاف، و السفلة الجهلاء، ليس فيهم عابد أو فقيه أو من له نصيب فى حب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته الطاهرين، أن حالت بين الامام الحسين و بين ماء الفرات، بناء على أوامر ابن‌زياد، و من ثم فقد أرسل عمر بن سعد رجلا يدعى عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس «مع أن جيش الحسين كله ۷۲ رجلا» فنزلوا على الشريعة، و حالوا بين الامام الحسين و بين الماء، و ذلك فى اليوم السابع من ذى الحجة و قبل استشهاد الامام بثلاثة أيام، و نادى عبدالله بن أبى الحصين الأزدى: «يا حسين، ألا تنظر الى الماء كأنه كبد [صفحه ۹۹] السماء، و الله لا تذوقن منه قطرة حتى تموت عطشا، فقال الامام الحسين: اللهم اقتله عطشا، و لا تغفر له ابدا، فكان ذلك الخبيث يشرب الماء حتى يبعز ثم يقىء، ثم يعود فيشربه حتى يبغر، فما يروى، و ما زال هذا دأبه حتى هلك.و لما اشتد على سيدنا الامام الحسين و أصحابه العطش، دعا العباس فبعثه فى ثلاثين فارسا و عشرين راجلا، و بعث معهم بعشرين قربة، و لكن قوات عمر بن سعد منعتهم من الماء، و ضاق الامام بالأمر، و اشتد العطش بالأطفال و النساء، و انفض أكثر الناس من حوله، و من ثم فقد عرض على قائد جيش ابن‌زياد أمرين، الواحد، أن يعود من حيث جاء طلبا للسلام و حقنا للدماء، و الآخر: أن يدعوه يضرب فى الأرض حتى ينظر ما ينتهى اليه أمر الناس، و من عجب أن بعض الروايات الدخيلة تتزود على الامام الحسين فتزعم أنه عرض أمرا ثالثا هو: أن يأتى يزيد فيضع يده فى يده، و نحن على يقين من أن الامام الحسين لم و لن يطلب مقابلة يزيد بن معاوية و بيعته، و ذلك لأسباب منها:أن هذا العرض الأخير عرض غريب لا يتفق مع طبيعة الامام الحسين، و هى طبيعة تتفجر بالاباء و العزة، و هيهات أن ترضى بأقل مهانة أو ارغام، و منهاأن الامام الحسين، عليه‌السلام، لو عرض هذا العرض الغريب لأجيب اليه فورا، و لبايع ليزيد فى مكانه، و لاستطاع عمر بن سعد أن يذهب بهذه البيعة الى دمشق فورا، لأن ذلك فيه غاية ما يطمع القوم من نصر، و أى نصر أعظم لهم من عدول ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و السلام عن موقفه من يزيد و قبوله بيعته، و منها أن أصحاب الامام الحسين فى خروجه الى العراق قد نفوا ذلك، و طبقا لراوية ابن الأثير و ابن كثير، فان أحدهم و هو عقبة بن سمعان كان يقول «صحبت الحسين من المدينة الى مكة، و من مكة الى العراق، و لم أفارقه حتى يقتل و سمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله، فو الله ما أعطاهم ما يزعمون من أن يضع يده فى يد يزيد، و لا أن يسيروه الى ثغر من الثغور، و لكنه قال «دعونى أرجع الى المكان الذى أقبلت منه أو دعونى أذهب فى هذه الأرض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس»، فلم يقبلوا. [صفحه ۱۰۰] و لعل عمر بن سعد، فيما يرى الأستاذ العقاد، قد تجوز فى نقل كلام الامام الحسين عمدا ليأذنوا له فى حمله الى يزيد فيلقى عن كاهله مقاتلته و ما تجر اليه من سوء

القالة و وخز الضمير، أو لعل الأعوان الأمويين قد أشاعوا عن الامام الحسين اعتزامه للمبايعة ليلزموا بالبيعة أصحابه من بعده، و يسقطوا حجتهم فى مناهضة الدولة الأموية، و هذا ما نميل اليه و نرجحه، على أن الدكتور أحمد صبحى انما يذهب الى أنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون الامام الحسين قد عرض هذه الطلبات، لا تراجعا منه أو اعتزاما لبيعة يزيد، و لكن أغلب الظن أنه كانه يدرك ما فى سريرة أعدائه من اعتزامهم قتله ليلتمسوا بذلك التزلف الى أميرهم و التقرب الى يزيد، و أنهم ما كانوا يتركونه يخرج من بين أيديهم حيا، فأراد أن يقيم الحجة عليهم، بعد أن ترك لهم كل الأعذار التى تبرر اعفاء أنفسهم من سفك دمه، و أقام الامام الحسين عليهم الحجة مرة أخرى حين لم يبدأهم بالقتال، و لكنهم بدأوه، بعد أن حرموه الماء ثلاثة أيام، ثم لم يكتفوا بذلك و لكنهم أسرفوا فى التنكيل بالمقتولين، لم يرحموا طفلا، و لا راعوا حرمة أهل البيت، ثم أقام عليهم الحجة مرة ثالثة حين سعوا الى القتال فى الشهر الحرام فهم خالفوا الدين اذا أشد المخالفة حين انتهكوا الحرمات التى تفرض على المسلمين أن يتحرجوا أشد الحرج و يتأثموا أعظم التأثيم، قبل أن يمسوا أحدا من أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم بأذى أذى.و على أى حال، فلقد كتب عمر بن سعد الى ابن‌زياد بما عرضه عليه الامام الحسين، عليه‌السلام، و انتظر ما يقرره ابن‌زياد، و هكذا شاءت الأقدار أن تضع مستقبل أهل البيت الطاهرين فى كربلاء، و على رأسهم، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، الامام الحسين، عليه‌السلام، فى يد رجلين اثنين، يسابق كلاهما صاحبه فى اللؤم و سوء الطوية، و ينفردان بتصريف الأمر فى قضية الامام الحسين، دون مراجعة من ذى سلطان، و هما عبيدالله بن زياد، و شمر بن ذى الجوشن، و أما أولهما: عبيدالله المغموز النسب الذى لا يشغله شىء، كما يشغله التشفى لنسه المغموز من رجل هو بلا مراء، أعرق [صفحه ۱۰۱] العرب، بل الدنيا كلها، نسبا فى الجاهلية و الاسلام، فليس أشهى اليه من فرصة ينزل فيها ذلك الرجل على حكمه، و لعل ما يقوى هذا الاتجاه رواية جاءت فى تاريخ اليعقوبى، يهدد فيها يزيد عبيدالله بخلعه من نسب أبى‌سفيان و عودته الى نسب عبيد الثقفى، حيث يقول له «قد بلغنى أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين فى القدوم عليهم، و أنه خرج من مكة متوجها نحوهم، و قد بلى به بلدك من بين البلدان، و أيامك من بين الأيام، فان قتلته، و الا رجعت الى نسبك، و الى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك»، و أما ثانيهما: شمر بن ذى الجوشن الأبرص الكريه الذى يمضه من الامام الحسين ما يمض كل لئيم مشنوء من كل كريم محبوب و سيم، و كان كلاهما يفهم لؤم صاحبه و يعطيه فيه حقه و عذره، فهما فى هذه الخلة متناصحان متفاهمان، و لم يكن أيسر من حل قضية الامام الحسين على وجه يرضى يزيد و يمهد له الولاء فى قلوب المسلمين، و لو الى حين، لولا ذلك الضغن الممتزج بالخليفة الذى هو كسكر المخمور، لا موضع معه لرأى مصيب، و لا لتفكير فى عاقبة بعيدة أو قريبة، فالامام الحسين فى أيديهم ليس أيسر عليهم من اعتقاله و ابقائه بأعينهم فى مكان ينال فيه الكرامة، و لا يتحفز لثورة، لكنهما لم يفكرا فى أيسر شىء، و لا أنفع شىء للدولة التى يخدمانها، و انما فكرا فى النسب المغمور و الصورة الممسوخة، فلم يكن لهما من هم غير ارغام الامام الحسين و اشهاد الدنيا كلها على ارغامه.و هكذا ما أن عرض ابن‌زياد كتاب عمر بن سعد على مستشاره الزنيم شمر بن ذى الجوشن، حتى أشار عليه بأن يقسو على عمر فى خطابه، و يأمره أن يجىء بالامام الحسين و من معه الى الكوفة عنوة، فان أبوا قاتلهم حتى الموت، و يلمح شمر، الممتلىء بقذارة النفس و خبث الطوية، فى ذلك الحوار الدائر بين الامام الحسين و عمر بن سعد بادرة قد تقضى الى مهادنة أو تفاهم، الأمر اذلذى لا يشبع نهمه الخبيث الى التفويض و التخريب اللذين يعمل لهما منذ زعم الاسلام و ادعاه، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد، و ربما أى من ابن‌زياد جنوحا الى شىء من الهوادة. [صفحه ۱۰۲] فابتدره ينهاه، و يجنح به الى الشدة و الاعتساف فقال له: «أتقبل هذا منه، و قد نزل بأرضك و الى جنبك، و الله لئن رحل من بلادك و لم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة و العزة، و لتكونن أولى بالضعف و العجز، فلا تعطه هذه المنزلة، و لكن لينزل على حكمك هو و أصحابه، فان عاقبت كنت ولى العقوبة، و ان عفوت كان ذلك لك»، ثم أراد أن يوقع بعمر عند ابن‌زياد ليخلفه فى القيادة ثم يخلفه فى ولاية الرى، فذكر لابن زياد أن الامام الحسين و عمر بن سعد يتحدثان عامة الليل بين المعسكرين، ثم هداه تفكيره الخبيث الى أن ينتقل بنسفه الى أرض القتال، ليتولى اضرام النار، اذا هى لم تضرم نفسها، و هكذا اقترح على ابن‌زياد أن يحمل كتابه الى عمر بنفسه، و يبقى له هناك عينا و رقيبا و

مقاتلا، و قد جاء فى هذا الكتاب «أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه و لا لتمنيه السلامة و البقاء، و لا لتطاوله و لا لتعتذر عنه، و لا لتقعد له عندى شافعا، أنظر، فان نزل الحسين و أصحابه على الحكم و استسلموا فابعث بهم الى مسلما، و ان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم و تمثل بهم، فانهم لذلك مستحقون، فان قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره و ظهره، فانه عاق مشاق قاطع ظلوم، فان أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، و ان أنت أبيت فاعتزل جندنا، و خل بين شمر بن ذى الجوشن و بين العسكر، و السلام»، و هكذا لم يكد عمر بن سعد بن أبى‌وقاص يتلو خطاب ابن‌زياد حتى أدرك ما وراءه من كيد ابن ذى الجوشن، فقال له «لقد أفسدت علينا أمرا كنا نرجو صلاحه، و الله لن يستسلم الحسين أبدا»، فأجابه شمر «امض لأمر أميرك و قاتل، أو خل بينى و بين الجند»، و مرة أخرى غلب ابن‌سعد بن وقاص على دينه، و استسلم لأطماعه و هواه، فرضى أن يبقى قائدا لحملة رجيمة، و جيش ظلوم.و هكذا و ضحت النوايا أمام مولانا الامام الحسين، فالقوم يريدون اذلاله أو يريدون حياته، أما المذلة فالممات دونها، و أما حياته، فليس هو أول من يجود بها فى سبيل الحق من آل بيته العظيم، و لن يكون آخر من يجود بالحياة منهم، و لسوف يصبر على واجبه فى مقاومة الطغيان و الطغاة، و يعانق مصيره بما عرف [صفحه ۱۰۳] عن بيته الكريم من رضا و ثبوت و ولاء، و هكذا وقف ابن الرسول الأكرم، وقف ابن فارس الاسلام على بن أبى‌طالب، وقف ابن فاطمة الزهراء بضعة النبى و سيدة نساء أهل الجنة، وقف الامام الحسين الشهيد ابن الشهيد و أبو الشهداء فى مئات السنين، وقف الموقف اللائق به، و المقدر له، و كان يستطيع أن يخادعهم، و الحرب خدعة، بل كان من حقه، لو شاء، أن يبايع بلسانه، حتى اذا عاد بأهله الى مكة و اطمأن على سلامتهم، خلع البيعة و ألقى بها الى التراب، و له من دينه فى مثل ذلك رخصة سجلها القرآن الكريم فى بعض آياته، فقال «الا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان»، لكن الامام سليل بيت، ليس من طرازه سواه، و ابن رجال لا- يركبون الرخص، بل يعانقون العزائم و العظائم، و من ثم فقد ازداد قوة على قوة لثقته بالظفر بالشهادة، حتى أنه خطب أصحابه فقال، فيما يروى الطبرى و ابن كثير، «أثنى على الله تبارك و تعالى أحسن الثناء، و أحمده على السراء و الضراء، اللهم انى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، و علمتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، أما بعد، فانى لا أعلم أصحابا خيرا، و لا أولى من أصحابى، و لا أهل بيت أبر و لا أوصل من أهل بيتى، فجزاكم الله عنى خيرا، ألا و انى أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا، الا و انى قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعا فى حل، ليس عليكم منى ذمام، هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، فان القوم انما يريدوننى، فلو قد أصابونى لهو عن طلب غيرى».هذا و فى نفس الوقت فلقد أرسل مولانا الامام الحسين، عليه‌السلام، الى عمر بن سعد قائد جيش الطغاة، عبدة الدرهم و الدينار، و من باعوا دينهم بدنياهم، أرسل اليه يطلب ارجاء القتال الى الغد، و أجابه ابن‌سعد الى ما طلب، و لعله ظن أن وراء رغبة الامام فى الارجاء عزما على التسليم، و على بيعة يزيد بن معاوية، ربما لأن عمر لم يدرك معنى الفداء و التضحية، و لم يرث عن والد العظيم سعد بن أبى‌وقاص رضى الله عنه معنى جهاد الظالمين، لم يدرك أن الامام الحسين عندما استبانت له نتيجة المعركة، أراد أن يدفع حياته وحده زلفى لها و قربانا، و لم يشأ أن يدفع لسيوف البغى حياة أنصاره الخمسين و معهم [صفحه ۱۰۴] الأشبال و الرجال من أهل البيت و أبنائه، بعد أن تغير الموقف بالنسبة لهم، فلقد خرجوا معه على حساب أن الكوفة فى انتظارهم، ليبدأوا منها و بها مقاومة مشروعة، يدحضون به ضلال حاكم الشام، و يدرأون به عن الاسلام خبث بنى‌أمية، لكنهم فوجئوا بالكوفة تنظرهم بوجه آخر، كالح عبوس، فرسل الامام الحسين صرعوا و استشهدوا، و الألوف التى أعطت بيعتها لمسلم بن عقيل تبددت و اختفت كالجرذان، و بدلا من أن يجد الامام الحسين كتائب الحق من شيعته و أنصاره، وجد عصابات البغى تنتظره بالغدر و المنايا، و هكذا تغير الموقف بالنسبة لأنصار الامام، و ان لم يكن قد تغير بالنسبة له، و لما وطن عليه ارادته و عزمه و ضميره، ومن ثم فقد طلب ارجاء القتال ليجعل أهله و أصحابه فى حل من كل التزاماتهم تجاهه.غير أن أهل البيت النبوى الشريف و أنصارهم، رفضوا العرض الكريم جميعا، و صاح أخوه العباس بن على بن أبى‌طالب «معاذ الله و الشهر الحرام، و ماذا نقول للناس اذا رجعنا اليهم، نقول: تركنا سيدنا و ابن سيدنا غرضا للنبال، و دريئة للرماح، و حرزا للسباع، و فررنا عنه رغبة للحياة، معاذ الله، معاذ الله، بل نحيا بحياتك، و نموت معك»، و صاح بمثل هذا بنوعقيل و بنوجعفر، و تقدم ابنه «على بن الحسين» فتى لم يتجاوز سنه التاسعة عشرة، و سأل أباه:

ألسنا على الحق يا أباه، قال الامام: بلى و الذى أنفسنا بيده، فصاح فتاه العظيم: «اذن و الله لا نبالى»، و سرعان ما قام الأبطال من أنصار الامام الحسين، رضى الله عنهم و أرضاهم، فها هو «مسلم بن عوسجة الأسدى» يقوم فيقول «أنحن نتخلى عنك، و لم نعذر الى الله فى آداء حقك، أما و الله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى، و أضربهم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى، و لو لم يكن لى سلاح لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت»، و ها هو زهير بن القين يقول «و الله لو وددت أن أقتل ثم أبعث، ثم أقتل ثم أبعث، هكذا ألف مرة، فيها ردءا عن حياتك و حياة هؤلاء الفتيان من آل بيتك»، و ها هو «سعيدبن عبدالله الحنفى» يقسم على الوفاء و الفداء و يقول «و الله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا [صفحه ۱۰۵] ثم أذر، يفعل ذلك بى سبعين مرة، ما فارقتك، حتى ألقى حمامى دونك، فكيف لا- أفعل ذلك، و انما هى قتلة واحدة، ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبدا»، و استمر هؤلاء الرجال المخلصون، واحدا تلو الآخر، يعبرون عما فى قلوبهم من محبة و ايثار و تضحية لمولانا الامام الحسين و أهل بيته، ثم يعودون لمضاربهم و خيامهم يتهيأون للقاء القتال غدا بالصلاة و الابتهال، و بشحذ سيوفهم، و برى سهامهم، و صقل رماحهم، و لعل من أطراف ما حدث فى تلك الليلة المشهودة أن «نافع بن هلال البجلى» رضى الله عنه قضى شطر ليله فى كتابة اسمه على سهام نبله، امعانا فى طلب المثوبة و الأجر، و امعانا فى السخرية من الخطر، و الترحيب بالموت.و من عجب أنه فى هذا الموقف النبيل، و بينا تقدم تلك الفئة المؤمنة من آل البيت و أنصارهم، أروع ضروب الفداء و التضحية للانسانية جمعاء، بينما يحدث هذا السمو الانسانى فى معسكر الامام و آل بيته الطاهرين، تحدث الخسة و الخديعة و السفالة الانسانية فى معسكر الظالمين، فلقد ظهرت مكيدة جديدة دبرها عبيدالله بن زياد ليفرق بها بين الامام الحسين و اخوته من أبيه، فكتب لههم أمانا، دون غيرهم، بايعاز من أقارب أمهم فى الكوفة، و جاء ابن ذى الجوشن بكتاب ابن‌زياد الى العباس و جعفر و عثمان و عبدالله، أولاد الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، من أم البنين ابنة خزام، و لكنهم جميعا رفضوا العرض الدنىء باحتقار، و قالوا له: «لعنك الله، و لعن أمانك، أتؤمننا و ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لا أمان له، لا حاجة بنا الى أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن‌مرجانة»، و هكذا صمم هؤلاء الفتية من آل البيت أن يفدوا أخاهم الأكبر و سيدهم سيدنا الامام الحسين و أن لا يدعوه وحده، مهما كانت المخاطر التى تحيط به و بهم.

يوم عاشوراء

قضى الامام الحسين ليلة عاشوراء، ليلة الفاجعة الكبرى أو المأساة [صفحه ۱۰۶] الدامية، مالكا لجأشه و كل شىء حوله يوهن الجأش، و يحل عقدة العزم، و يغرى بالدعة و المجارة، ملك الامام العظيم جأشه، و من حوله نساؤه و أبناؤه فى نضارة العمر يجوعون و يظمأون، و يتشبثون به و يبكون، و فى السحر من هذه الليلة خفق الامام خفقة ثم استيقظ و أخبر أصحابه بأنه رأى فى منامه كلابا شدت عليه تنهشه، و أشدها عليه كلب أبقع، و أن الذى يتولى قتله من هؤلاء رجل أبرص، و أنه رأى جده صلى الله عليه و سلم بعد ذلك و معه جماعة من أصحابه و هو يقول له: أنت شهيد هذه الأمة، و قد استبشر بك أهل السموات، و ليكن افطارك عندى الليلة، عجل و لا تؤخر، فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك فى قارورة خضراء، و يقول المسعودى: لما أصبح الحسين يوم عاشورا و صلى بأصحابه صلاة الصبح، قام خطيبا فحمدالله و أثنى عليه، ثم قال «ان الله تعالى أذن فى قتلكم و قتلى فى هذا اليوم فعليكم بالصبر و القتال».و هكذا بدأ اليوم المشهود، يوم العاشر من المحرم عام ۶۱ ه (۱۰ أكتوبر ۶۸۰ م)، بدأه الامام البطل بصلاة الصبح أم فيها أهله و صحبه، ثم طلعت شمس هذا اليوم على نيف و سبعين بطلا- فى جانب، و أربعة الآف ذئب فى الجانب الآخر، و وقف الامام يعبىء رجاله، فجعل «زهير بن القين» على الميمنة، و «حبيب بن مظهر» على الميسرة و أعطى الراية أخاه «العباس بن على»، و تقدم شباب آل البيت ليأخذوا مكانهم فى الصف الأول، فدفعهم عنه الانصار قائلين «معاذ الله أن تموتوا، و نحن أحياء، نشهد مصارعكم، بل نحن أولا، ثم تجيئون على الأثر»، و هكذا وقفوا فى الصف الثانى وراء القائد و الأنصار، و فى الجانب الآخر وقف قائد العدو عمر بن سعد يعبىء جيشه، و ينظم ميمنته و ميسرته، لينصر باطلا يراه رأى العين، و يعمل فى سبيل أكذوبة صغيرة اسمها يزيد بن معاوية، و جريمة

منكرة اسمها ابن زياد، و من عجب أنهم خرجوا لجريمتهم تلك بعدت أن صلى بهم قائدهم صلاة الصبح، و لكن أصحيح أنهم صلوا، و قرأوا فى آخر صلاتهم «اللهم صلى على محمد، و على آل محمد»، فاذا كان ذلك، فما بالهم ينفلتون من صلاتهم ليحصدوا بسيوفهم [صفحه ۱۰۷] الآئمة آل محمد، و صدق «نافع بن هلال البجلى» و هو يقول لشمر بن ذى الجوشن «و الله لو كنت من المسلمين، لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذى جعل منايانا على أيدى شرار خلقه».و على أى حال، فلقد خرج الامام الحسين، سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، على ظهر جواده، و بين يديه كتاب الله، و قد تزى بزى جده سيدنا و مولانا و جدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم متقلدا سيفه، لا بسا عمامته و رداءه، و قد أراد أن يرمى بآخر سهم من سهام الدعوة، قبل أن يرمى بسهم واحد من سهام القتال، لعل الضمائر الميتة تستيقظ، و لعل القلوب الغافلة تصحو، فآراهم أنه سيخطبهم، و عنئذ أدرك رؤساؤهم أنهم ان تركوا له آذان القوم، فسوف ينفد الى قلوبهم، و يكسبهم الى صفه، و من ثم فقد أمروهم أن يضجوا بالصياح و الجلبة و أن يكثروا من الضجيج و الحركة، لحجبوا كلامه عن أسماعهم، و يتقوا أثر موعظته فيهم، و هو بتلك الهيئة التى تغضى عنها الأبصار، و تعنوا لها الجباه، و لكن الامام صابرهم حتى ملوا، ثم هدأوا، ثم سمعوه يقول، بعد الحمد و الصلاة «أنسبونى من أنا، هل يحل لكم قتلى و انتهاك حرمتى، ألست ابن بنت نبيكم، أولم يبلغكم ما قاله رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لى و لأخى، هذان سيدا شباب أهل الجنة، و يحكم أتطلبونى، بقتيل لكم قتلته أو مال لكم استهلكته»، ثم نادى بأسماء أنصاره الذين استدعوه الى الكوفة ثم خرجوا لحربه فى جيش ابن‌زياد، مثل شبث بن الربعى، و حجار بن بحر، و قيس بن الأشعث، و يزيد بن الحارس، و عمر بن الحجاج، و قال لهم: «ألم تكتبوا الى أن قد أينعت الثمار و اخضرت الجنبات، و انما تقدم على جند مجند»، فزلزلت الأرض تحت أقدامهم بهذه الكلمات، و بلغ بها المقنع ممن فيه مطمع لاقناع، و تحولت الى صف الامام فئة منهم تعلم أنها تتحول الى صف لن تجد فيه غير الموت العاجل، و استطابت هذا الموت، و لم تستطب الموت مع ابن‌زياد، لاغتنام الغنيمة، و انتظار الجزاء من الأموال و المناصب.و قام «زهير بن القين» فركب فرسه و تعرض لأهل الكوفة قائلا: «يا أهل [صفحه ۱۰۸] الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، ان حقا على المسلم نصيحة المسلم، و نحن حتى الآن أخوة على دين واحد، ما لم يقع بيننا و بينكم السيف، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة، و كنا نحن أمة و أنتم أمة، ان الله قد ابتلانا و اياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه و سلم لينظر ما نحن و أنتم عاملون، و انا ندعوكم لنصر حسين، و خذلان الطاغية بن الطاغية عبيدالله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما الا سوءا، يسملان أعينكم، و يقطعان أيديكم و أرجلكم و يمثلان بكم، و يرفعانكم على جذوع النخل، و يقتلان أماثلكم، أمثال حجر بن عدى، و أصحابه، و هانىء بن عروة و أشباهه»، و فى رواية اليعقوبى: «يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله، نذار عبادالله، ولد فاطمة أحق بالود من ولد سمية، فان لم تنصروهم فلا تقاتلوهم، أيها الناس، انه ما أصبح على ظهر الأرض ابن بنت نبى، الا الحسين، فلا يعين أحدكم على قتله، و لو بكلمة، الا نغصه الله الدنيا، و عذبه أشد عذاب الآخرة».فوجم منهم من وجم، و توقح من توقح على ديدن المريب المكابر، اذا خلع العذار، و لم يأنف من العار، و توعدوه و توعدوا الامام الحسين معه أن يقتلوهم أو يسلموهم صاغرين الى ابن‌زياد.غير أن دعوة الامام لم تذهب هباء، فسرعان ما رأينا «الحر بن يزيد»، ذلكم القائد الذى أرسلوه على رأس ألف فارس ليجلى الامام الحسين عن دخول الكوفة، فالتقى بركب الامام و اضطره للنزول فى كربلاء، و كان يحسب أن عمله ينتهى الى هذه المراقبة و لا يعدوها الى القتال و سفك الدماء، فلما تبين له نية القتال أحس فداحة الجريمة التى ستلوثه، و بشاعة الوزر الذى سيحمله، و ظلام المصير الذى سيكون له عندالله، فخرج بجواده من صفوف فرسانه و اقترب من قائد الجيش عمر بن سعد، و صاح به: أمقاتل أنت ذلك الرجل، فقال ابن‌سعد: نعم و الله، قتالا أيسره أن تبتر الأيدى، و تطوح الرؤوس، فقال الحر بن يزيد: أولستم تاركيه يرجع الى حيث أتى أو يضرب، كما قال فى الأرض العريضة، فقال ابن‌سعد: لو كان الأمر بيدى لفعلت، و لكن ابن‌زياد [صفحه ۱۰۹] يأبى ذلك، فصاح الحر، و هو يدفع جواده نحو صفوف الامام الحسين: اذن فقاتلنى معه، و نزل من فوق جواده يعانق الامام الحسين و دموعه تنفجر من مآقيه، و يقول له: «قد كان منى بالأمس ما كان، و قد استبان لى حقك فجئتك أفتديك بنفسى، أفترى فى ذلك توبة مما صنعت»، فأجابه الامام البطل: «انها خير توبة، فابشر،

فأنت حر فى الدنيا، و أنت الحر فى الآخرة ان شاء الله»، و كما صنع الحر، صنع «يزيد الكندى» فقد غادر مكانه فى جيش ابن‌زياد، و بصق عليه، ثم انطلق يعدو بجواده الى جبهة الامام الحسين العظيم.و ليس هناك من ريب، كما يقول الأستاذ العقاد، أن هناك فى معسكر ابن‌زياد كالحر بن يزيد، و يزيد الكندى، من يؤمنون ايمانهما و يودون لو يلحقون بمعسكر الامام الحسين، و يزعجهم أن يتحول الحر و يزيد الى ذلك المعسكر و هم ناظرون اليه لأنه يبكتهم و يكف مغالطتهم بينهم و بين أنفسهم، و يحضهم على الاقتداء بهما، فكلهم و لا ريب يشعر بشعورهما و يعتقد فى فضل الامام الحسين على يزيد بن معاوية، مثل اعتقادهما، و بعيد عن العقل أن يصدق فى هؤلاء الشراذم أنهم قد أطاعوا يزيد لأنه صاحب بيعد حاصلة، و أنهم قد تأدبوا بأدب الدولة، أدبا يغلب شعور الجماعة و ايمان المرء بحق الشريعة و حرمة البيت النبوى الشريف، و يهون عليه قتل سبط النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا السبيل، و كيف و ان منهم لمن بايع الامام الحسين على البعد، و دعاه اليه ليقود الجند المجند الى منهم لمن بايع الامام الحسين على البعد، و دعاه اليه ليقود الجند المجند الى قتال يزيد بن معاوية، فكلامهم فى البيعة يلوكونه بألسنتهم و لا يستر ما فى طويتهم، و ليس أثقل على أمثال هؤلاء من عبء المغالطة، كلما تلجلج فى مكانه و حركته القدوة التى يريدونها، و لا يقوون عليها، كتلك القدوة الماثلة بصاحبهم الحر بن يزيد، أو يزيد الكندى، و هكذا كان أعظم الجيشين قلقا، و أشدهما حيرة و أعجلهما الى طلب الخلاص من هذا المأزق الثقيل، انما هو أكبر الفئتين، و أقوى العسكرين، معسكر ابن‌زياد، و قائده عمربن سعد بن أبى‌وقاص.و بدأت المعركة، و لكنها أردت أن تقدم مثالا، يكاد يكونه فريدا فى [صفحه ۱۱۰] الخسة و النذالة، و لمن يبيع دينه من أجل دنياه، و لمن يفرط فى شرف قريش، بل شرف الاسلام، ليشهد له اللئام بذلك عند كبير اللئام، فاذا بعمر بن سعد، ابن أول من رمى بسهم فى سبيل الله، و قائد المسلمين فى فتح بلاد الفرس، و أحد الذين اعتزلوا الفتنة فلم يشاركوا فيها من قريب و لا من بعيد، و نعنى به الصحابى الجليل سعد بن أبى‌وقاص، اذ بابنه عمر هذا يزحف نحو الامام الحسين، ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، يتناول سهما ثم يرميه نحو معسكر الامام الحسين، و لا يخجل أن يصيح قائلا «اشهدوا لى عند الأمير أننى أول من رمى الحسين»، أليس ذلك دليلا على أن خصوم الامام الحسين فى تلك المعركة كانوا أشرارا، أشرارا من الرأس الى القاع، و لم يكن فيهم خير واحد، و لا بر واحد، يمكن أن يشكل وجوده بينهم امارة احتجاج أو حتى علامة استفهام، حتى أن أميرهم عمر بن سعد يريد أن يشهد له جنوده عند ابن‌مرجانة من ابن‌سمية، أنه أول من رمى ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بسهم، اللهم غفرانك.و على أى حال، فلقد تتابعت السهام فبطلت حجة السلم و ذهب كل تأويل فى نية القوم، و قام الامام الحسين و هو ينظر الى السهام، و ينظر الى أصحابه، فقال: «قوموا يا كرام، فهذه رسل القوم اليكم»، و بذلك بدأ القتال، و برز صف من جيش ابن‌زياد يطلبون المبارزة فخرج اليهم من صفوف الامام أكفاء أشداء، فهذا «عبدالله بن عمر الكلبى» مؤمن من الكوفة لم يكد يعلم باحتجاز الامام الحسين عند كربلاء، حتى اصطحب زوجته معه، و شد اليه الحال، و قال قولته المشهورة «و الله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا، و انى لأرجو أن لا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عندالله من ثوابه اياى فى جهاد المشركين»، و ها هو يوفى الله بيعه، و يخرج الى مبارزة فيصرعه من فوره، و كان استهلالا بارعا أطار صواب أعداء الامام، فهجم عليه الشياطين المرقة حيث ضربه أحدهم بسيفه، فطارت أصابع كفه فى الهواء لكنه انثنى على ضاربه فصرعه فى لحظة، فتكالب عليه آخرون، و لم يتركوه الا عندما أبصروا فريقا من أصحابه يقتربون منهم بسيوفهم المشرعة و سرعان ما لحقت به [صفحه ۱۱۱] زوجته و هى تقول له «فداك أبى و أمى، قاتل دون الطيبين من ذرية محمد»، و قد قاتل الرجل دون الطيبين، و قدم روحه، كما فعلت زوجته، فداء لذرية محمد صلى الله عليه و سلم، بعد أن قتل من الأعداء الكثير.و كثرت المبارزات بين الفريقين، حتى ضاق أعداء الامام بذلك، و فزعوا من فدائية أصحاب الامام الحسين، و تفانيهم فى التضحية، و حرصهم على الشهادة و فى الواقع لو جرى القتال على سنة المبارزة التى كانت دعوة مجابة فى ذلك العصر، اذا اختارها أحد الفريقين، لكان النصر فى جانب أصحاب الامام، فالمعروف أن آل الامام على كانوا من أشهر العرب، بل من أشهر العرب و العجم، بالقوة البدنية و الصبر على الجراح و الاضطلاع بعناء الحرب ساعات بعد ساعات، و الامام الحسين، عليه‌السلام، و من معه من شباب آل على ممن

ورث هذه القوة البدنية، كما ورثوا ثبات الجأش و حمية الفؤاد، و كانوا كفئا لمبارزة الأنداد واحدا بعد واحد حتى يفرغ جيش ابن‌زياد من فرسانه القادرين على المبارزة، و لا يبقى منهم غير الهمل يتبددون فى منازلة الشجعان، كما تتبدد السائمة المذعورة فى العراء، هذا فضلا عن أنه كان مع الامام الحسين نخبة من فرسان العرب كلهم له شهرة بالشجاعة و البأس و سداد الرمى بالسهم و مضاء الضرب بالسيف، و لن تكون صحبة الامام غير ذلك بداهة و تقديرا، لا يتوقفان على الشهرة الذائعة و الوصف المتواتر، لأن مزاملة الامام الحسين فى مثل تلك المرحلة هى وحدها آية على الشجاعة فى ملاقاة الموت و كرم النحيزة فى ملاقاة الفتنة و الاغراء، فاذا جرى القتال كله مبارزة بين أمثال هؤلاء و من يبرزون لهم من جيش ابن‌زياد، فهم كفء للمنازلة، و ليس أملهم فى الغلب بضعيف، و من ثم فما تعرض للمبارزة أحد من جيش ابن‌زياد الا فشل أو نكص على عقبيه.و هكذا بدأ الهجوم بالخيل، و التحمت الجبهتان التحاما رهيبا، و دمر فرسان الامام، و الذين لم يكونوا أكثر من اثنين و ثلاثين فارسا، هجوم أعدائهم تدميرا، و جاوزوا الدفاع الى الهجوم فى سرعة ما حقة، و أحاطوا بفرسان ابن [صفحه ۱۱۲] زياد، ثم مرقوا داخل صفوفهم يطوحون رؤوسهم كالذباب، مما اضطر قائدهم عمر بن سعد أن يأمر جيشه كله بالهجوم، و فى مقدمته خمسمائة من الرماة، و كبر الامام الحسين تكبيرة هزة الأرض و نادت زلزالها، و ذكرت الناس بتكبيرة أهله من بنى‌هاشم، ذكرتهم بتكبيرة جده المصطفى الهاشمى، و أبيه الامام على، و أعمامه حمزة و جعفر و غيرهم من فرسان بنى عبدالمطلب، و انقذف الامام الحسين، سليل البيت الهاشمى يضرب بسيفه فكأنه قدر، لا راد لأمره، و لا مهرب من حكمه، كان، عليه‌السلام، يشد كالليث على غريم فيصرعه، ثم يبصر آخر فى طريقه بسيفه الغادر الى بعض أصحابه، فينثنى اليه كالصقر و يرديه، و حل روحه الغلاب من أفئدة أصحابه فاشتعل حماسهم، و امتلأت قلوبهم المؤمنة عزما و شوقا، و راحوا يضربون و يقاتلون فى شوق عظيم، كلما قل عددهم بوقوع الشهداء منهم، ازدادوا اقداما و قوة، حتى عجزت خيل القوم مع كثرتها، عن مقاومة خيل الامام الحسين، و هى تنكشف كل ساعة عن فارس قتيل، و ليس هناك ما يصور هذه الحقيقة مثل اقام الأعداء على حرق المضارب و الخيام التى كانت لأهل الامام الحسين و أنصاره، و ما أن اشتعلت الحرائق عالية، حتى نادى الامام الحسين فى ثبات عجيب «لا- بأس، اجعلوا الحرائق وراء ظهوركم فلا- يستطيعوا اجتياز النار اليكم»، و نجا فسطاط الامام من الحريق، و فيه أهل بيته من النساء و الأطفال.و فى خضم هذا الهول الذى شكله القتال الضارى الوبيل، وقف الامام البطل يقلب وجهه فى السماء، فقد كان ينتظر مقدم عزيز لم يخلف قط موعوده معه، ذلكم هو «الصلاة» فلقد انتصف النهار، و جاء ميقات الظهر و موعد صلاته، و هكذا نادى الامام الحسين لصلاة الظهر، صلاة حرب و قتال، و هكذا كان الحسين دائما و أبدا، هو سبط النبى، و بضعة الزهراء و فلذة كبد الامام على، هكذا كان سليل بيت النبوة، لا يغفل أبدا عن واجب ربه، و لا عن فرائض دينه، حتى و الموت ينوشه، و ينوش أصحابه م كل جانب، و ما أن يفرغ الامام و أصحابه من صلاتهم حتى يواصلوا جهادهم، و قد بدأ النصف الثانى من [صفحه ۱۱۳] النهار، و تتابعت صور الفداء و التضحية و الاستشهاد، و التى سقط فيها معظم أصحاب الامام الذين تسابقوا لافتدائه بأرواحهم، فلم يبق معه الا القليل، الذين سرعان ما لحقوا بهم فى جنات النعيم.

شهداء آل البيت

و تقدم آل محمد صلى الله عليه و سلم، تقدم فتيان بنى‌هاشم، سادة العرب فى الجاهلية و الاسلام، الى ميدان القتال، يتشوقون الى الجنة، و هم فى لحظاتهم المجيدة تلك انما كانوا يشمون عبير جدهم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و جدتهم خديجة الكبرى، و عبير حمزة و جعفر و على و فاطمة الزهراء، فيدركون أنهم صاروا من الجنة على قرب ذراع، فينطلقون نحوها فى هيام، روى ابن أبى الحديد فى شرح نهج‌البلاغة أنه قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد، ويحك أقتلتم ذرية رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فقال «عضضت بالجندل أنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها فى مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا و شمالا، و تلقى أنفسها على الموت، لا- تقبل الأمان و لا- ترغب فى المال، و لا يحول حائل بينها و بين الورود على

حياض المنية أو الاستيلاء على الملك «؟» فلو كففنا عنها رويدا لأتت نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك.و كان أول آل البيت انطلاقا «على بن الحسين بن على بن أبى‌طالب»، فتى لم يجاوز التاسعة عشرة من عمره، تقدم الفتى الهاشمى، ابن الحسين، و حفيد الامام على، و سليل النبى صلى الله عليه و سلم شاهرا سيفه، مدافعا عن أبيه الامام يتوسط حراب الأعداء و سيوفهم، و هو ينشد:أنا على بن الحسين بن على نحن و رب البيت أولى بالنبى‌تالله لا يحكم فينا ابن الدعى فذكر القوم لو كانوا يذكرون، بما كان يصنع جده الامام على، حين كان يقتحم المعارك فى عنفو انه اللجب، فلا يقف فى وجهه من فارس و لا بطل، [صفحه ۱۱۴] و هكذا أراد الفتى الهاشمى، و كأنه يعيد سيرة جده الى الحياة مرة أخرى، و صدق الله العظيم حيث يقول: «ذرية بعضها من بعض»، ثم أراد ابن الحسين أن يذكر الناس، لو كانوا يذكرون، بنسبه الشريف و اتصاله الوثيق بشجرة النبوة و الرسالة، فأخذ ينشد و سيفه مصلت فى يده:أنا ابن على الحبر من آل هاشم كفانى بهذا مفخرا حين أفخرو جدى رسول‌الله أكرم من مشى و نحن سراج الله فى الناس يزهرو فاطمة أمى سلالة أحمد و عمى يدعى ذا الجناحين جعفرو فينا كتاب الله أنزل صادقا و فينا الهدى و الوحى و الخير يذكرو مضى الشهيد ابن الشهيد، مضى على بن الحسين بن على، يضرب بسيفه و يضرب حتى تصيبه طعنة رمح فيقع على الأرض، و قبل أن يتحامل على جراحه لينهض من جديد، كانت عشرات السيوف الباغية قد مزقت جسده الغض الشريف، و يراه أبوه الامام الحسين، مجدالله الحسين، فيسرع نحوه، و يسرع معه شاب بنى‌هاشم، و فى رباطة جأش تذهل كل حى، حمل الامام البطل ابنه الحبيب، ثم سجاه على ذراعى واحد من بنى عمومته، و أمره أن يذهب به الى فسطاطه، و لا تكاد الطاهرة البتول «زينب بنت على» رضى الله عنها و أرضاها، تبصر جثمان ابن أخيها حتى تعلو زفرات أساها، فانكبت على الأشلاء الطاهرة الناضرة تضمخها بدموعها و شجنها، و تقدم الامام الى أخته يسألها الصبر، و ان لم يملك نفسه، و قد فجعته المصيبة الا أن يقل «قتل الله قوما قتلوك يا بنى، ما أجرأهم على الرحمن، و على انتهاك حرمة الرسول صلى الله عليه و سلم فعلى الدنيا بعدك العفاء».و تبع على بن الامام الحسين الى جنات الفردوس ابن عمه «عبدالله بن مسلم بن عقيل» الذى سقط شهيدا بعد أن أصيب بسهم فى جبهته، و آخر فى قلبه، ثم جاء من بعده محمد بن عبدالله بن جعفر، حيث تجمع من حوله اللئام فقتلوه، بعد جولات مجيدة فى الدفاع عن عميد آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، و ما أن رأى عون الأكبر ما فعله أعداء الله و رسوله بأخيه حتى اندفع اليهم فى بأس و غضب، [صفحه ۱۱۵] و أخذ يصرع جنود العدو حتى طوقوه، و أحاطوا به و انهالوا عليه بسيوفهم، الى أن استشهد، و تقدم اخوة الامام الحسين، عبدالله و جعفر و عثمان و محمد الأصغر، و أبوبكر و العباس، يقذفون بأنفسهم وسط الهول، و أخوهم العباس يهتف فيهم قائلا: «تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله و لرسوله» فيتقدمون الى قلب الجيش المسعور بسيوفه العاوية، و رماحه الباغية، و كلما لمحوا خطرا يقترب من أخيهم الامام الحسين البطل تلقوه بأجسادهم حتى سقطوا جميعا صرعى، بل قولوا: صعدوا جميعا شهداء.و تقدم أبناء الامام الحسين و أبناء الامام الحسن، كما تقدم أبناء جعفر و عقيل، تقدموا جميعا فى بطولات تتحدى نفسها، و اندفع أصغرهم، القاسم بن الحسن، يهز سيفه فى الهواء الساخن، ثم يهوى به فوق الأعناق الضالة، حتى سقط بسيف ظلوم من عمرو بن سعد الأزدى، فاستغاث الغلام بعمه الامام الحسين الذى انطلق كالصقر نحو قاتل ابن أخيه، فشد عليه شدة الليث و ضربه بسيفه، فبتر يده الشقية، ثم طرحه أرضا، حيث داسته خيل ابن‌زياد، الذى كان فى صفوفها، فهلك تحت حوافرها، ثم رجع الامام الى ابن أخيه حيث حمله الى حيث أرقده بجوار ابنه على، و لأول مرة سالت عبرات الأسد، و هو يخاطب الجثمان المسجى بالمجد «عزيز و الله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره، و قل ناصره».و هكذا ظل آل البيت النبوى الشريف يتساقطون واحدا بعد الآخر، و اشتد العطش بالأطفال، و الامام الحسين يصول هنا و يقاتل هناك، و انه لفى هذا الهول كله، و بعضه يهد الكواهل، و يقصم الأصلاب، اذا بالرماح و السيوف تنوشه من كل جانب، و اذا بالقتل يتعدى رجاله المقاتلين الى الأطفال و الصبيان من عترته و آل بيته، و سقط كل من معه واحدا بعد واحد، فلم يبق حوله غير ثلاثة يناضلون دونه، و يتلقون الضرب عنه، و هو يسبقهم و يأذن لمن شاء منهم أن ينجو بنفسه، و قد دنت الخاتمة و وضح المصير، و نهض السجاد، على زين‌العابدين ابن الامام الحسين، يتوكأ على عصا لأنه مريض، فصاح الحسين بأم كلثوم «أحبسيه لئلا [صفحه ۱۱۶]

تخلو الأرض من نسل آل محمد» فأرجعته الى فراشه، ثم أمر عياله بالسكوت، و دعا ولده الرضيع يودعه فأتته السيدة زينب بابنه عبدالله و أمه الرباب، فأجلسه فى حجره يقبله و يقول: بعدا لهؤلاء القوم اذا كان جدك المصطفى خصمهم، ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه «حرملة بن كاهل الأسدى» بسهم فذبحه، فتلقى الامام الحسين الدم بكفه و رمى به نحو السماء، و يقول الامام أبو جعفر الباقر «فلم يسقط منه قطرة»، ثم سرعان ما لحق بالصبى الشهيد بقية الثلاثة الذين بقوا مع أبيه الامام الحسين، و هكذا راح الأبرار جميعا، و بقى الامام الحسين، وحده، روى الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب عن الحسن البصرى: «أن الذين قتلوا مع الحسين من أهل بيته رجال ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه»، و لم يقف اللئام عند هذا الحد فى الخسة و الدناءة من تقتيل أصحاب الامام و أبنائه و أهل بيته، بل تعدوه الى تكرار محاولتهم الدنيئة للوصول الى خيامه، حيث أطفال و نساء بيت النبوة، و من ثم فقد صرخ الامام الحسين فيهم صائحا «ويلكم، ان لم يكن لكم دين، و كنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا فى أمر دنياكم أحرارا و ذوى أحساب، امنعوا أهلى و رحلى من طغاتكم و جهالكم»، و كان قائد ذلكم النفر هو «شمر بن ذى الجوشن»، الذى قاد نفرا آخر من قبل لهذه المهمة الدنيئة، و كما استخزى فى المرة الأولى، استخوذى هذه المرة.

استشهاد الامام الحسين

وقف الامام الحسين، عليه‌السلام، وحده فى ميدان القتال، و اللئام يحيطون به من كل جانب، و دمه الزكى الشريف يتفجر من فمه الذى اخترقه سهم من الحصين بن تميم، و هو يحاول أن يأخذ جرعة ماء، و هكذا كان سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، وحيدا فى هذه الدنيا، و يزيد الفاجر تطاطىء له رؤوس المنافقين فى دمشق، و ابن الدعى، عبيدالله بن زياد، على دستة الامارة فى الكوفة، و هكذا اختارت المقادير الامام الحسين ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم [صفحه ۱۱۷] لهذا العبء الذى يدغدغ الرجال، فصبرا آل محمد فهذا دوركم فى الحياة، و حظكم من الدنيا، يا سادة الآخرة، و يا ملوك الجنة، و مضت ساعة، و كأنها الدهر كله، و اللئام يحيطون بخير أهل الأرض جميعا وقت ذاك، و لكنهم جميعا قد سمرت أرجلهم فى أماكنها، زائغة أبصارهم، واجفة قلوبهم، فلقد كانوا جميعا، على كثرة ما اقترفوا من آثام، و سفكوا من دماء طاهرة، يهولهم دم الامام الحسين، فيتفادى كل منهم و زر الاجهاز على حياته، و هنا انبعث أشقاها «شمر بن ذى الجوشن» فصرخ فيه ليختطفوا رأس الامام البطل، فاقتربوا منه، و هم لا يزدادون الا- ترددا و احجاما، كل منهم يتمنى لو كفاه الآخرون مؤونة ذلك الاثم العظيم، الذى «تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هدا»، و تمضى لحظات ثقيلة، و اللئام فى حيرة من أمرهم، كل منهم يحرض الآخر على الاقام، و كل منهم لا- يجد الشجاعة لاقتراف الاثم العظيم، و يغضب ألأم اللئام «شمر بن ذى الجوشن» و يأمر الرماة أن يرشقوه بالنبل من بعيد، و صاح بمن حوله «و يحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم»، و ينظر الامام الحسين الى شمر هذا فيراه قبيح الصورة، أشبه ما يكون بالكلب الأبقع لما به من برص، فأدرك أنه هو الكلب الذى سبق أن أخبر عنه جده النبى صلى الله عليه و سلم حين قال «كأنى أنظر الى كلب أبقع يلغ فى دماء أهل بيتى».و يواجه الامام البطل أعداءه فى جولة أخيرة، فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف فتدميه، فيشده بعصابة و يحمل سيفه و الدم ينزف من كل جسده، و المجرمون يضربون و يضربون، بيد أنهم لا يزالون يرهبون دمه، و مرة أخرى تخرج العقيلة الطاهرة السيدة زينب من خدرها، فترى أخاها وحيدا بين الوحوش، فتتقدم الى حيث يسمعها عمر بن سعد بن أبى‌وقاص، قائد جيش الظلم و الطغيان، و تصيح به: يا عمر «أيقتل أبا عبدالله، و أنت تنظر»، فيطرق ابن‌سعد خزيا و خجلا، لكنه لا يستطيع أن ينسلخ من الموقف الذميم الذى ورطه فيه هواه، فباع دينه و شرفه، و يأمر الامام عقيلة بنى‌هاشم أن تعود الى خدرها، ثم يصيح فى القتلة «أعلى قتلى تجتمعون، انى لأرجو الله أن يكرمنى [صفحه ۱۱۸] بهوانكم، ثم ينتقم لى من حيث لا- تشعرون»، و يطير صواب الزنيم شمر بن ذى الجوشن فينادى فرسانه من جديد، و يأمرهم أن يقفوا من وراء مشاته و رماته ليمنعوهم عن النكوص الى وراء، ثم يصرخ فى الرماة كالمسعور طالبا رأس الامام الحسين، عليه‌السلام، و يتقدم «زرعة بن شريك التميمى» فيضرب الامام بسيفه الأثيم على كتفه،

و رغم شدة الضربة، فلقد ضربه الامام على عاتقه فصرعه، و لكن سرعان ما يتقدم آخر من اللئام فيضرب الامام بسيفه الظلوم، فخر الامام البطل على وجهه، ثم جعل يقوم و يكبو، و هم يطعنونه بالرماح و يضربونه بالسيف حتى سكن حراكه بطعنة قاتلة من رمح «سنان بن أنس»، و يقول «ابن الأثير» فى «أسد الغابة»: قتله سنان بن أنس النخعى، و قيل: قتله «شمر بن ذى الجوشن»، و أجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى، و قيل قتله عمر بن سعد، و الصحيح أنه قتله سنان بن أنس النخعى، و أما قول من قال قتله شمر و عمر بن سعد، لأن شمر هو الذى حرض الناس على قتله و حمل بهم اليه، و كان عمر أمير الجيش، فنسب القتل اليه، و يقول ابن عبد البر: قتله سنان بن أنس النخعى، و هو جد شريك القاضى، و قيل قتله رجل من مذحج، و قيل قتله شمر بن ذى الجوشن، و كان أبرص، و أجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير، حز رأسه و أتى به عبيدالله بن زياد، و قال:أو قر ركابى فضة و ذهبا انى قتلت الملك المحجباقتلت خير الناس أما و أبا و خيرهم اذ ينسبون نسباو روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب أيضا، عن يحيى بن معين، أن أهل الكوفة يقولون أن عمر بن سعد هو الذى قتل الحسين، و يرى ابن عبدالبر أنه ربما نسب ذلك اليه لأنه كان قائد الجيش، هذا و قد و جد فى جسد الامام الحسين ثلاث و ثلاثون طعنة، و أربع و ثلاثون ضربة، غير اصابة النبل و السهام، و أحصاها بعضهم فى ثيابه فاذا هى مائة و عشرون، و نزل «خولى بن يزيد الأصبحى» ليحتز رأسه فملكته رعدة فى يديه و جسده، فنحاه شمر و هو يقول له: «فت الله فى عضدك». [صفحه ۱۱۹] و يتقدم شمر بن ذى الجوشن، رجس البشرية كلها، فيحتز رأس الامام الحسين البطل، ثم يحتفظ به ليحمله هدية الى ابن الدعى عبيدالله بن زياد، و الى الفاجر يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، تماما، كما قدم من قبل رأس النبى يحيى بن زكريا، عليه‌السلام، هدية لبغى من بغايا بنى‌اسرائيل، و ان ذهبت رواية أخرى الى أن سنان هو الذى طلب الى خولى بن يزيد الأصبحى أن يحتز الرأس الشريف، فجبن و أصابته رعدة، فقال سنان «فت الله عضديك و أبان يديك»، ثم نزل اليه بنفسه فأجهز عليه و احتز رأسه، و وقف يشد بسيفه على كل من يدنو منه، مخافة أن يغلبه على غنيمته التى يرجو أن تحقق له ما تطمع فيه نفسه الخبيثة لدى سادته فى الكوفة و دمشق، من مال و جاه، فلما اطمأن رفع بالرأس الشريف الى صاحبه «خولى بن يزيد» و أمره أن يحملها و يتحفظ عليها، و كان موعد لقاء الشهيد بن الشهيد و أبوالشهداء، مولانا الحسين بن مولانا الامام على، و فاطمة البتول، بنت سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، كان موعد لقاء الامام مع ربه بين الظهر و العصر من يوم الجمعة العاشر من المحرم عام ۶۱ ه (العاشر من اكتوبر عام ۶۸۰ م)، و هو فى السادسة و الخمسين على رأى، و الثامنة و الخمسين على رأى آخر.و سرعان ما يثبت اللئام للبشرية كلها أنهم انما يحملون أحط ما فى الانسان من دناءة و خسة، و أن حربهم لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم انما تمثل حربا بين أشرف ما فى الانسان، و أحط ما فى الانسان، حينما كان الرجل فى معسكر الامام الحسين ينهض من بين الموتى، و لا يضن بالرمق الأخير فى سبيل ايمانه، كما فعل سويد بن أبى المطاع، حين تنادى القوم بمصرع الامام الحسين فبلغت صيحتهم مسمعه الذى أثقله النزع و أو شك أن يجهل ما يسمع، فلم يخطر له أن يسكن لينجو، و قد ذهب الأمل و حم الختام، و انما تفقد سيفه فلم يجده، و عثر على سكين فأخذه، و برز اليهم فقاتلهم و أثخنهم طعنا و ضربا، حتى تحاملوا عليه من كل جانب فقتلوه، فكان هذا حقا هو الكرم و المجد فى عسكر الامام الحسين الى الرمق الأخير، و أما فى عسكر اللئام، قتلة أبناء الأنبياء، فاننا نراهم [صفحه ۱۲۰] يقترفون أسوأ المآثم فى رأيهم، قبل رأى غيرهم، من أجل غنيمة هينة لا تسمن و لا تغنى من جوع، فلو كان كل ما فى عسكر الامام الحسين ذهبا و درا، لما أغنى عنهم شيئا، و هم قرابة أربعة الآف، و لكنهم ما استيقنوا بالعافية، و قبل أن يسلم الامام نفسه الأخير، حتى كان همهم الى الاسلاب يطلبونها حيث و جدوها، فأهرعوا الى النساء من بيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ينازعونهن الحلى و الثياب التى على أجسادهن، لا يزعهم عن حرمات رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ازع من دين أو مروءة، و انقلبوا الى جسد الامام الشريف يتخطفون ما عليها من كساء تخللته الطعون حتى أو شكوا أن يتركوه على الأرض عاريا، لولا سراويل لبسها، عليه‌السلام، ممزقة و تعمد تمزيقها ليتركوها على جسده و لا يسلبوها، ثم ندبوا عشرة من الفرسان يوطئون جسده الشريف الخيل، كما أمرهم ابن الدعى عبيدالله بن زياد، فوطئوه مقبلين و مدبرين، حيث رضوا صدره و ظهره، هذا و قد يساق الغنم هنا معذرة للاثم بالغا ما بلغ هذا من العظم، و بالغا ما بلغ

ذاک من التفاهة، لکنهم فی الحقیقة قد ولعوا بالشر للشر من غیر ما طمع فی مغنم کبیر أو صغیر، فحرموا الری علی الطفل الظامیء العلیل و أرسلوا الی أحشائه السهام بدیلا من الماء، و قتلوا من لا غرض فی قتله، و روعوا من لا مکرمة فی ترویعه، فربما خرج الطفل من الأخبیة ناظرا و جلا- لا- یفقه ما یجری حوله، فینقض علیه الفارس الرامح فوق رأسه، و یطعنه الطعنة القاضیة بمریی من الأم و الأخت و القریبة، و لم تکن فی الذی حدث من هذا القبیل مبالغة یزعمونها کما زعم أجراء الذمم بعد ذلک عن حوادث کربلاء و جرائر کربلاء، فلقد قتل فعلا فی کربلاء کل کبیر و صغیر من سلالة الامام علی، کرم الله وجهه فی الجنة، و لم ینج من ذکورهم غیر الصبی علی زین‌العابدین، و کأنما شاءت العنایة الآلهیة أن ینجو من هذه الأخطا و الکوارث التی اجتاحت البیت النبوی الشریف، لیبقی امتدادا للدوحة النبویة الکریمة، و لیظل النسب النبوی الشریف، متصلا فی ذریته، رضی الله عنهم أجمعین.و من عجب أن قائد جیش اللئام عمر بن سعد، انما أمر قبل أن تغیب شمس هذا الیوم الکئب بدفن القتلی من جیشه (۸۸ رجلا) بعد أن صلی علیهم [صفحه ۱۲۱] «!!» و فی نفس الوقت أمر هذا السفیه عمر عشرة من خیالته بأن یدوسوا جسد الامام الحسین، أشرف و أطهر جسد علی وجه الأرض، وقت ذاک، بحوافر خیلهم حتی ألصقوه بالأرض، مرضاة لابن مرجانة، و تنفیذا لأوامره، أما بقیة شهداء آل البیت الطاهرین، فقد أنفذ عمر أمر سیده ابن‌مرجانة، بأن أمر اللئام من جنده، فقطعوا رؤوسهم و رفعوا أمامهم علی الحراب، و اقتسمتها القبائل لتتقرب بها الی ابن‌زیاد، کل قبیلة حملت نفسها من غنائم الرؤوس، ثم ترکوا الجثث ملقاة علی الأرض لا یدفنونها و لا یصلون علیها، کما صلوا علی جثث قتلاهم، و مروا بالنساء حواسر من طریقها فولولن باکیات، و صاحت عقیلة بنی‌هاشم «یا محمداه، هذا الحسین بالعراء، و بناتک سبایا، و ذریتک مقتلة، تسقی علیها الصبا»، فوجم القوم مبهوتین و غلبت دموعهم قلوبهم، فبکی العدو، کما بکی الصدیق، و هکذا، کما یقول الأستاذ العقاد، لم تنقض فی ذلک الیوم خمسون سنة علی انتقال النبی صلی الله علیه و سلم من هذه الدنیا الی حظیرة الخلود، محمد صلی الله علیه و سلم الذی بر بدینهم و دنیاهم فلم ینقل من الدنیا حتی نقلهم من الظلمة الی النور، و من حیاة التیه فی الصحراء الی حیاة عامرة یسودن بها أمم العالمین، ثم هذه خمسون سنة لم تنقض بعد، و اذا هم فی موکب جهیز یجوب الصحراء الی مدینة بعد مدینة، سباياه بنات محمد صلی الله علیه و سلم حواسر علی المطایا، و أعلامه رؤوس أبنائه صلی الله علیه و سلم علی الحراب، و هم داخلون به دخول الظالمین، و هکذا نظر المسلمون، فاذا قوم منهم، علی رأسهم رجل من قریش من أبناء المهاجرین، هو عمر بن سعد بن أبی وقاص، یقتلون أبناء فاطمة بنت رسول‌الله صلی الله علیه و سلم و یقتلون أبناء الامام علی، و یقتلون ابنی عبدالله بن جعفر بن أبی‌طالب الطیار شهید مؤتة ثم یحزون رؤوسهم ثم یسلبونهم، و یسلبون الامام الحسین حتی یترکوه متجردا بالعراء، و یصنعون بهم ما لا یصنع المسلمون بغیر المسلمین، ثم یسبون النساء کما یسبی الرقیق، و فیهم عقیلة بنی‌هاشم السیدة زینب بنت فاطمة بنت رسول‌الله صلی الله علیه و سلم، ثم یأتون بهم ابن الدعی عبیدالله بن زیاد، فلا یکاد یرفق بهم الا حیاء و استخزاء.و بقیت أجساد آل بیت النبی الطاهرین المطهرین، جثث نبذوها فی العراء [صفحه ۱۲۲] «تسقی علیها الصبا»، ثم استقرت تحت الثری الدامی لأرض کربلاء، حیث خف لها مع اللیل، و بعد أن أخلی اللئام میدان المعرکة تماما، جماعة من بنی‌أسد کانوا ینزلون علی مقربة منها، فلما أمنوا العیون بعد یوم أو یومین سروا مع القمراء الی حیث طلعت بهم علی منظر لا یطلع القمر علی مثله، شرفا و لا وحشة، فی الآباد بعد الآباد، و کان یوم المقتل، کما هو معروف، فی العاشر من المحرم، فکان القمر فی تلک اللیلة علی و شک التمام، فحفروا القبور علی ضوئه و صلوا علی الجثث و دفنوها، بدأوا بدفن جثمان البطل العظیم مولانا الامام الحسین، و عند قدمیه دفنوا جثمان ابنه الحبیب «علی بن الحسین»، و من حولهما دفنوا أجساد بقیة الشهداء الممجدین، و حیث وقع «العباس بن علی» أخو الامام الحسین، بطریق الغاضریة، شهیدا، دفنوا جثمانه الکریم، ثم ترکوا هذه الأجساد الطاهرة المطهرة هناک فی ذمة التاریخ، فهی الیوم مزار یطیف به المسلمون متفقین و مختلفین، و من حقه أن یطیف به کل انسان، لأنه عنوان قائم لأقدس ما یشرف به هذا الحی الأدمی بین سائر الأحیاء، فما أظلت قبة السماء مکانا لشهید قط هو أشرف من تلک القباب بما حوته من معنی الشهادة و ذکری الشهداء.و هکذا دفن فی هذه البقعة من الأرض اثنان و سبعون شهیدا، منهم تسعة عشر من أهل البیت الطاهرین المطهرین، أکثرهم من ذریة فاطمة الزهراء بنت النبی صلی

الله عليه و سلم ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه أو نظير، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: و روى مطر عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال: قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا، كلهم من ولد فاطمة، و قال أبوموسى عن الحسن البصرى: أصيب مع الحسين بن على ستة عشر رجلا- من أهل بيته، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه، و قيل أنه قتل مع الحسين من ولده و اخوته و أهل بيته ثلاثة و عشرون رجلا، و فى رواية لابن حجر فى الاصابة: أنهم سبعة عشر شابا، و أما أسماء شهداء أهل البيت، فعلى رأسهم الامام الحسين، ثم ابناه على الأكبر و عبدالله، ثم خمسة من أخوته لأبيه الامام على، و هم العباس و جعفر و عثمان و محمد و أبوبكر، ثم ثلاثة من أبناء أخيه الامام الحسن، و هم أبوبكر و عبدالله [صفحه ۱۲۳] و القاسم، ثم اثنان من أبناء عمه جعفر بن أبى‌طالب، و هما عون الأكبر بن عبدالله بن جعفر «و هو ابن السيدة زينب أخت الامام الحسين» و أخوه محمد، ثم ستة من أبناء عمه عقيل بن أبى‌طالب و هم مسلم و جعفر و عبدالرحمن و عبدالله و محمد، ثم عبدالله بن مسلم بن عقيل (و هو ابن رقية أخت الامام الحسين) هؤلاء هم شهداء أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و هم و ان كانوا شهداء، فقد كانوا و ما يزالون و سيظلون هم الأحياء عندالله و عند الناس، و هم يحتلون فى قلوب الملايين من المسلمين أسمى منزلة، و يحظون بأصدق آيات الحب و الاجلال و التوقير، أما أعداؤهم فالناس لا يحفلون بهم، و ان ذكروا فانما يذكرون بالاحتقار و اللعنة و العار.و ليس هناك من ريب فى أن مذبحة كربلاء، انما كانت، كما يقول الدكتور طه حسين، محنة أى محنة للطالبيين عامة و أبناء السيدة فاطمة الزهراء خاصة، ثم كانت محنة أى محنة للاسلام نفسه، خولف فيها عما هو معروف من الأمر بالرفق و النصح و حقن الدماء الا بحقها، و انتهك أحق الحرمات بالرعاية، و هى حرمة سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم التى كانت تفرض على المسلمين أن يتحرجوا أشد التحرج، و يتأثموا أعظم التأثيم، قبل أن يمسوا أحدا من أهل بيته، كل ذلك و لم يمض على وفاة النبى صلى الله عليه و سلم الا خمسون عاما، فاذا أضفت الى ذلك أن الناس تحدثوا فأكثروا الحديث، و ألحوا فيه بأن موت الامام الحسن قد مات مسموما، لتخلص الطريق ليزيد بن معاوية الى ولاية العهد، ثم قتل كبار أنصار الامام على مثل حجر بن عدى و أصحابه، و كل من كان على استعداد للدفاع عن آل البيت بنفسه و ماله، عرفت أن أمور المسلمين قد صارت أيام معاوية و ابنه الى شر ما يمكن أن تصير اليه.

الرسول و استشهاد الحسين

كان سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يحب الحسين حبا جما، فهو منه، و هو من الحسين، كما أعلم المسلمين بذلك، و من ثم فقد كان قلبه يتفطر رحمة و حنانا لأقل أذى يصيب الحسين، حتى أنه سمعه مرة يبكى، فاذا به صلى الله عليه و سلم يقول [صفحه ۱۲۴] للزهراء «ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى»، فكيف بقتله، و حز رأسه، و كيف بوطئه، عليه‌السلام، بسنابك الخيل، و كيف مع ذلك بقتل ولده و اخوته، و لا شك أن النبى صلى الله عليه و سلم، كما يقول الأستاذ حسين يوسف، كان يتابع الأحداث من روضته الشريفة، بكل ما فى هذه الأحداث من قسوة و ضراوة، و كان صلى الله عليه و سلم على صلة وثيقة بسبطه فى كل خطوة يخطوها، حتى لقد بشره صلى الله عليه و سلم بالشهادة قبيل المعركة الدامية فقال له فى رؤياه «انك تروح الينا» و كان قلبه صلى الله عليه و سلم الذى يتفجر بالرحمة و الرأفة للناس أجمعين، يوشك أن تنقطع نياطه، لما أصاب أهل بيته المطهر من سفك لدمائهم و تقطيع لأوصالهم.و أخرج الترمذى من حديث سلمى، مولاة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و زوج مولاه أبى رافع، قالت: دخلت على أم‌سلمة، رضى الله عنها، و هى تبكى، فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و على رأسه و لحيته التراب، فقلت ما لك يا رسول‌الله، قال: «شهدت قتل الحسين آنفا» و قد كانت أم سلمى رضى الله عنها، آخر من مات من زوجات النبى صلى الله عليه و سلم، و كانت تحب الحسين، عليه‌السلام، حبا جما، حتى لقد بلغ من تأثرها لمقتله، فيما يروى الذهبى فى سير أعلام النبلاء، أنها ما كادت تعلم به حتى و جمت و غشى عليها، و حزنت عليه حزنا شديدا، و لم تلبث بعده الا يسيرا، حتى لحقت بربها، رضى الله عنها، و روى ابن كثير عن شهر بن حوشب قال: انا لعند أم‌سلمة، زوج النبى صلى الله عليه و سلم فسمعنا صارخة، فأقبلت حتى انتهت الى أم‌سلمة،

فقالت: قتل الحسين، فقالت: قد فعلوها، ملأ الله قبورهم، أو بيوتهم، عليهم نارا، و وقعت مغشيا عليها.غير أن رواية اليعقوبى تؤكد أن أول صارخة صرخت فى المدينة أمسلمة، زوج رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كان صلى الله عليه و سلم دفع اليها قارورة فيها تربة، و قال لها: ان جبريل أعلمنى أن أمتى تقتل الحسين، و أعطانى هذه التربة، و قال لى: اذا صارت دما عبيطا فاعلمى أن الحسين قد قتل، و كانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة فى كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دما صاحت: «واحسيناه، و ابن رسول‌الله، و تصارخت النساء من كل ناحية، حتى ارتفعت [صفحه ۱۲۵] المدينة بالرجة التى ما سمع بمثلها قط»، و قد روى ابن حجر العسقلانى فى «الاصابة فى تمييز الصحابة»: و قد صح عن ابراهيم النخعى أنه كان يقول: لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة، لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول‌الله «صلى الله عليه و آله و سلم».و أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل، و عبد بن حميد فى منتخب مسنده، و الحاكم فى المستدرك، و صححه على شرط مسلم، و وافقه الذهبى فى تلخيصه، و الطبرانى فى الكبير، و ابن عبدالبر فى الاستيعاب، عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن‌عباس قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام بنصف النهار، أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئا، قلت يا رسول‌الله ما هذا، قال: دم الحسين و أصحابه، ثم لم أزل أتتبعه منذ اليوم، قال عمار، فحفظنا ذلك فوجدناه قتل ذلك اليوم، عليه‌السلام، و فى رواية أخرى للامام أحمد، قال ابن‌عباس: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فيما يرى النائم بنصف النهار، قائل أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت بأبى و أمى يا رسول‌الله ما هذا، قال: دم الحسين و أصحابه، فلم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم، فوجدوه قتل ذلك اليوم، عليه‌السلام «تكرر الحديث فى كتاب فضائل الصحابة للامام أحمد بن حنبل بأرقام (۱۳۹۶، ۱۳۸۹، ۱۳۸۰،۱۳۸۱) و فى رواية لابن أبى الدنيا أن ابن عباس استيقظ من نومه فاسترجع و قال: «قتل الحسين و الله، فقيل له لم يا ابن‌عباس، قال رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و معه زجاجة من دم فقال: «أتعلم ما صنعت أمتى من بعدى، قتلوا الحسين، و هذا دمه و دم أصحابه أرفعها الى الله»، فلم يمض أربعة و عشرون يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة، أنه رضى الله عنه، قتل فى ذلك اليوم و تلك الساعة».و بدهى أن يتابع مولانا و سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحداث مذبحة كربلاء من قبره الشريف، فالأنبياء أحياء يصلون، روى أبو يعلى بسنده عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» و روى الامام أحمد و ابن ماجة عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «ان الله حرم على الأرض أن تأكل [صفحه ۱۲۶] أجساد الأنبياء» و يقول ابن القيم فى «الروح» أن للأرواح المطلقه من أسرار البدن من التصرف و القوة، و النفاذ و الهمة، ما ليس للروح المحبوسة فى علائق البدن و عواتقه، و قد تواترت الرؤيا على فعل الأرواح بعد موتها، ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن، من هزيمة الجيوش الكبيرة بالواحد و الاثنين و العدد القليل و نحو ذلك، و كم قد رئى النبى صلى الله عليه و سلم و معه أبوبكر و عمر، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر و الظلم، فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة، مع كثرة عددهم و عددهم، و ضعف المؤمنين و قلتهم» و قد أكد النبى صلى الله عليه و سلم هذه المعانى فى الحديث الشريف الذى يرويه ابن‌سعد بسنده عن بكر بن عبدالله، حيث يقول صلى الله عليه و سلم «حياتى خير لكم، تحدثون و يحدث لكم (أى تحدثون شئونا و تحدث لكم أحكامها) فاذا أنامات كانت وفاتى خيرا لكم، تعرض على أعمالكم، فان رأيت خيرا حمدت الله، و ان رأيت شرا استغفرت لكم».

الجن و استشهاد الامام الحسين

لم يكن لاستشهاد الامام الحسين و آل البيت الطاهرين أثره الواضح فى المسلمين عامة، و فى بنى‌هاشم و أنصارهم خاصة، و فى سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم على الأخص، و انما كان له كذلك أثره العظيم فى الجن كذلك، ذلك لأن مقتل الامام الحسين و آل البيت و أنصارهم على أيدى اللئام من جنود آل أبى‌سفيان، انما كان من أقسى و أشد الأحداث الأليمة فى تاريخ البشرية بأسرها نكرا، ان لم يكن أقساها و أشدها نكرا، فهو من المآسى الأليمة التى تكاد السموات يتفطرن منه، و تنشق الأرض و تخر

الجبال، هدا، و قد روى أبوالجناب الكلبى أن أهل كربلاء كانوا يسمعون أصوات الجن، و هن يبكين الامام الحسين، سيد شباب أهل الجنة، و ينحن عليه و يقلن:مسح الرسول جبينه فله بريق الخدودأبواه من علياء قريش جده خير الجدودو أخرج الامام أحمد فى المسند، و أحمد بن منيع فى مسنده، و الطبرانى [صفحه ۱۲۷] عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبىعمار، قال: «سمعت أمسلمة، زوج النبى صلى الله عليه و سلم قالت: سمعت الجن يبكين على حسين، قال و قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين، رضى الله عنه، و روى الحسين بن ادريس بسنده عن أمسلمة، رضى الله عنها، قالت: سمعت الجن ينحن على الحسين و هن يقلن:أيها القاتلون جهلا حسينا أبشروا بالعذاب و التنكيل كل أهل السماء يدعو عليكم و نبى و مرسل و قبيلقد لعنتم على لسان ابن‌داود و موسى و صاحب الانجيلو قد روى، فيما يرى ابن كثير، من طريق آخر عن أمسلمة بشعر غير هذا، فالله أعلم».و روى الحاكم فى المستدرك عن سعيد بن جبير عن ابن‌عباس قال: «أوحى الله تعالى الى محمد، انى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، و أنا قاتل بابن ابنتك سبعين ألفا و سبعين ألفا»، و روى ابن لهيعة عن ابن قبيل المعافرى أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، و أن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دما، و صارت السماء كأنها علقة، و أن الكواكب ضربت بعضها بعضا، و أمطرت السماء دما أحمر، و أن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، و لم يرفع حجر من حجارة البيت المقدس الا ظهر تحته دم عبيط، و أن الابل التى غنموها من ابل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم»، و روى أبونعيم فى دلائل النبوة أنه مما ظهر يوم قتله «أى الامام الحسين» من الآيات، «أن السماوات اسودت اسودادا عظيما، حتى رويت النجوم نهارا»، و يروى ابن حجر الهيثمى فى صواعقه عن ابن عيينة عن جدته أن السماء احمرت لمقتله، و أن الشمس انكسفت، حتى بدت الكواكب نصف النهار، و ظن الناس أن القيامة قد قامت، و نقل ابن الجوزى عن ابن سيرين: «أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، ثم ظهرت الحمرة فى السماء»، و روى عبدالوهاب الشعرانى فى الطبقات أنه لما قتل الحسين رضى الله عنه احتزوا رأسه [صفحه ۱۲۸] و قعدوا فى أول مرحلة يشربون فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب عليه سطرا:أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحسابروى ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن يسار بن عبدالحكم قال: «انتهبت عسكر الحسين فوجد فيه طيبا، فما تطيبت به امرأة الا برصت»، و قال شرف على بن عبد الولى فى رياض ذكر البارى عن المنصور بن عمار، أنه رأى رجلا بالشام و وجهه خنزير، فسأله أنه حضر مع من قتل الحسين، عليه‌السلام، و روى الامام الطبرى فى تاريخه أنه لما قتل الحسين، عليه‌السلام، و سرح عمر بن سعد برأسه مع خولى بن يزيد، أقبل به خولى فأراد القصر فوجد بابه مغلقا، فأتى منزله، فوضعه تحت اجانة، و غضبت امرأة خولى لما أخبرها بأنه جاءها برأس الحسين و تركته و قامت من فراشها، فخرجت الى الدار، قالت: فما زلت أنظر الى نور يسطع مثل العمود من والى الاجانة، و رأيت طيرا بيضاء ترفرف حولها، و قيل لم تر هذه الحمرة فى السماء، الا بعد قتل الحسين عليه‌السلام، و روى الأستاذ محمد محمود عبدالعليم فى كتابه «سيدنا الامام الحسين» أنه روى فى أثناء طواف الأعداء بالرأس الشريف فى شوارع دمشق، كان يسير أمامه أحد قراء القرآن الكريم يقرأ سورة الكهف، و حينما وصل الى قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا)، ردت الرأس الشريف «و ان قتلى أعجب من ذلك».

ذكرى يوم عاشوراء

و يذهب الطاهر بن عبدالسلام فى كتابه «حصن السلام» الى أنه فى عهد الخليفة العباسى المطيع لله (۳۶۳ – ۳۳۵ ه) و كان النفوذ فى الدولة فى عهده لمعز الدولة من آل بويه، و قد أمر بالاحتفال بيوم عاشوراء «العاشر من المحرم» يوم استشهد الامام الحسين و آل بيته الكرام و أنصارهم، و ذلك عام ۳۵۲ ه، كما أمر بالاحتفال باحياء ذكرى حديث غديرخم يوم ۱۸ ذى الحجة، و هو [صفحه ۱۲۹] الحديث المشهور الذى رواه أصحاب السنن الأربع و الامام أحمد بطرق صحيحة، و قال عنه السيوطى حديث متواتر، و قد جاء فيه عن النبى صلى الله عليه و سلم «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه»، و يذهب ابن كثير الى بنى بويه قد بالغوا فى الاحتفال بيوم عاشوراء، فاذا كان هذا الاحتفال لم يلق قبولا حسنا عند بعض المسلمين، فما هو الرأى فى النواصب من أهل الشام

الـذين كانوا، فيما يقول ابن كثير، كانوا يوم عاشوراء يطبخون الحبوب و يغتسلون و يتطيبون و يلبسون أفخر ثيابهم، و يتخـذون ذلك اليوم عيدا، يصـنعون فيه أنواع الأطعمة، و يظهرون السـرور و الفرح، يريدون بذلك عناد الروافض و معاكسـتهم»، و لست أدرى أكانوا حقـا يعانـدون الرافضـة،: كمـا يقـول ابن كـثير، أم كـانوا يعانـدون رسـول‌الله صـلى الله عليه و سـلم و العيـاذ بـالله، و آل بيته الطـاهرين المطهرين، و بعد ذلك يقول من يقول، انهم كانوا يحبون الله و رسوله صـلى الله عليه و سلم رحم الله الامام الحسين و آل بيته، و صلى الله و سـلم على جـده المصـطفى و آله الطاهرين المطهرين، و على آيـة حال، فلقد صدق الامام ابن تيمة حيث يقول: و من قصد منهم أهـل البيت بـذلك أو غيره أو فرح أو استشـفى بمصـائبهم «أى أهل البيت» فعليه لعنـة الله و الملائكـة و الناس أجمعين، فقـد قال النبى صلى الله عليه و سـلم: «و الـذى نفسـى بيـده لا ـ يـدخلون الجنـة حـتى يحبوكم من أجلى»، و قـال، فيمـا يروى الترمـذى و الحـاكم عن ابن‌عباس عن النبى صـلى الله عليه و سـلم أنه قال: «أحبو الله لما يغـذوكم به من نعمـة، و أحبونى لحب الله، و أحبوا أهل بيتى لحبى».و لعـل من المفيـد هنـا الاشـارة الى رأى الامـام ابن تيميـة فى يوم عـاشوراء فى رسالته «فضل أهل البيت و حقوقهم» حيث يقول: ان يوم عاشوراء هو اليوم الـذى أكرم الله فيه سـبط نبيه، و أحد سـيدى شـباب أهل الجنة، بالشـهادة على أيدى من قتله من الفجرة الأشـقياء. و كان ذلك مصـيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة فى الاسـلام، و قد روى الامام أحمد و غيره عن فاطمة بنت الحسـين، و قد كانت قد شـهدت مصـرع أبيها، عن أبيها الحسين بن على، رضى الله عنهم، عن جده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، قال: «ما من رجل يصاب بمصـيبة فيذكر مصيبته، و ان قدمت، [صفحه ۱۳۰] فيحـدث لها استرجاعا، الا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصـيب بها» فقد علم الله أن مثل هذه المصـيبة العظيمة سـيتجدد ذكرها مع تقادم العهد، فكان من محاسن الاسلام أن روى هذا الحديث صاحب المصيبة، و المصـاب به أولا ـ و لا ـ ريب أن ذلـك انمـا فعله اله كرامـة للحسـين رضـى الله عنه، و رفعا لـدرجته و منزلته عنـدالله، و تبليغا له منازل الشـهداء، و الحاقـا له بأهـل بيته الـذين ابتلوا بأصـناف البلاء، و لم يكن الحسن و الحسـين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجـدهما و لأمهما و لعمهما، لأنهما ولـدا فى عز الاسـلام، و تربيا فى حجور المؤمنين، فأتم الله نعمته عليهما بالشـهادة، أحـدهما مسـموما، و الآخر مقتولا، لأن الله عنـده من المنازل العاليـة فى دار كرامته، ما لا ينالها الا أهل البلاء، كما قال النبى صـلى الله عليه و سـلم و قد سـئل: أى الناس أشـد بلاء، فقال: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فان كان فى دينه صـلابة زيد فى بلائه، و ان كان فى دينه رقة خفف عليه، و ما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض و ليس عليه خطيئة» «رواه الامام أحمد و الترمذى و ابن ماجة و الطبرانى و الحاكم و عبدالرزاق».هذا و قد شـقى بقتل الحسـين من أعان عليه أو رضى به، فالذى شرعه الله للمؤمنين عند الاصابة بالمصائب، و ان عظمت، أن يقولوا: انا لله و انا اليه راجعون، و قد روى الامام الشافعى فى مسنده أن النبى صلى الله عليه و سلم لما مات، و أصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم، سمعوا قائلا يقول: يا آل بيت رسول‌الله، ان فى الله عزاء من كل مصيبة، و خلفا من كـل هالـك، و دركـا من كـل فـائت، فبـالله ثقوا، و اياه فارجوا، فان المصاب من حرم الثواب، فكانوا يرونه الخضـر جاء يعزيهم بالنبى صلى الله عليه و سـلم، فأما اتخاذ المآتم فى المصائب، و اتخاذ أوقاتها مآتم، فليس من دين الاسـلام، و هو أمر لم يفعله رسول‌الله صلى الله عليه و سـلم و لا ـ أحـد من السـابقين الأولين، و لا من التابعين لهم باحسان، و لا من عادة أهل البيت و لا غيرهم، و قـد شـهد مقتل الامام على أهل بيته، و شـهد مقتل الحسـين من شـهده من أهل بيته، و قد مرت على ذلك سـنون كثيرة و هم متمسكون سنة رسول‌الله صلى الله عليه و سـلم و لا يحـدثون مأتما، و لا نياحـة، بل يصبرون و يسترجعون، كما أمر الله و رسوله، أو يفعلون ما [صـفحه ۱۳۱] لا بأس به من الحزن و البكاء عند قرب المصـيبة، قال النبى صـلى الله عليه و سلم: «ما كان من العين و القلب فمن الله، و ما كان من اليد و اللسان فمن الشـيطان»، و قال: «ليس منا من لطم الخدود، و شق الجيوب، و دعا بدعوى الجاهلية» «رواه الامام أحمد و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجة عن ابن مسعود»، و قال جرير بن عبدالله: كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت و صنعتهم الطعام الناس من النياحـة، و انمـا السـنة أن يصـنع لأهـل الميت طعـام، لأـن مصـيبتهم تشـغلهم، كمـا قـال النبى صـلى الله عليه و سـلم لمـا نعى جعفر بن أبى‌طالب، لما استشـهد بمؤتة فقاتل: «اصـنعوا لآل جعفر طعاما، فقد جاءهم ما يشغلهم» (رواه أحمد و أبوداود و الترمذى و ابن ماجة و

الحاكم عن عبدالله بن جعفر).هذا و قد ثبت عن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: أنه صام يوم عاشوراء، و أمر بصيامه و قال: صومه يكفر سنة؛ و قرر النبى صلى الله عليه و سلم أن الله أنجى فيه موسى و قومه، و أغرق فرعون و قومه، و روى أنه كان فيه حوادث الأمم، فمن كرامة الحسين أن الله جعل استشهاده فيه، و قد يجمع الله فى الوقت شخصا أو نوعا من النعمة التى توجب شكرا، أو المحنة التى توجب صبرا، كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة بدر، و فيه كان مقتل على، و أبلغ من ذلك أن يوم الأثنين فى ربيع الاول مولد النبى صلى الله عليه و سلم و فيه هجرته، و فيه وفاته، و العبد المؤمن يبتلى بالحسنات التى تسره، و السيئات التى تسوءه فى الوقت الواحد، ليكون صبارا و شكورا، فكيف اذا وقع مثل ذلك فى وقتين متعددين من نوح واحد. [صفحه ۱۳۳]

آل بيت النبى بعد مذبحة كربلاء

آل البيت ما بين كربلاء و الكوفة

تجمع المصادر جميعا على أن عمر بن سعد بن أبى وقاص، قائد جيش اللئام فى كربلاء، ما أن انتهى من مجزرته الدنيئة فى كربلاء، حتى أمر بقطع رؤوس الشهداء من آل البيت، ثم رفعت الرؤوس الشريفة على الرماح، تشفيا و حرصا على مرضاة ابن مرجانة، أو أن عمر فعل فعلته الدنيئة تنفيذا لأمر سيده و أميره عبيدالله بن زياد، ثم سرعان ما أمر القائد المسلم القرشى «و يا للعار» بأن تحمل رؤوس آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و نساء بنى‌هاشم، سادة قريش و العرب جميعا، بل و العجم، فى الجاهلية و الاسلام، الى ابن الدعى عبيدالله بن زياد، أمير الكوفة، من قبل الفاجر يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، و هكذا فان عمر هذا لم يمنعه دينه بمحمد صلى الله عليه و سلم و لم يمنعه شرفه القرشى، و لم تمنعه صحبة أبيه لرسول الله صلى الله عليه و سلم جد هؤلاء الشهداء، لم يمنعه شىء من هذا كله، أن يرتكب كل تلك الخطايا و الآثام، و زاد الطين بلة، أن عمر هذا، و كأن كل ما فعله لم يره كافيا لمرضاة مولاه و سيده ابن مرجانة من ابن سمية، فاذا به يأمر بأن يمر موكب النساء و الصبيان من آل محمد صلى الله عليه و سلم، حواسر، على جثث الشهداء، فما أن تطلعت سيدات بيت النبوة على هذا المشهد المخيف حتى و لولن، و ارتفعت أصواتهن بالعويل و البكاء، و لما وقع بصر العقيلة الطاهرة السيدة زينب على جثة شقيقها [صفحه ۱۳۴] مولانا الامام الحسين، صرخت متفجعة تنادى جدها رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و هى تقول: «يا محمداه! صلى الله عليك و ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مزمل بالدماء مقطع الأعضاء، يا محمداه و بناتك سبايا، و ذريتك مقتلة، تسفى عليها الصبا»، فأنشجع الجميع بالبكاء، حتى الأعداء.و ما أن وصل الموكب المهيب الى الكوفة، و التى كانت منذ عهد قريب، مقر الخلافة لآل البيت، على أيام الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و الامام الحسن، عليهماالسلام، حتى أمر اللئيم ابن‌زياد بأن يطاف برؤوس الشهداء و سيدات البيت النبوى الشريف فى أحياء الكوفة، قبل أن ترسل الى الفاجر يزيد فى دمشق، و هكذا رأى المسلمون فى الكوفة رأس سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و بقية رؤوس شباب آل محمد صلى الله عليه و سلم على الحراب، كما رأوا أميرهم ابن زياد يسبى نساء آل محمد صلى الله عليه و سلم، كما يسبى الرقيق، و على رأسهم عقيلة بنى‌هاشم السيدة زينب بنت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، بنت سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و فيهم ذلك بنأت الامام الحسين و نسائه، فاستخزى من استخزى ممن لا يزال فيهم بقية من ايمان بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم و فرح من فرح ممن لا دين لهم و لا خلق، و صاحت السيدة أم‌كلثوم: يا أهل الكوفة أما تستحون من الله و رسوله أن تنظروا الى حرم النبى، ثم نظرت العقيلة الطاهرة زينب بنت على، الى الكوفة ثم قالت، كما جاء فى نور الأبصار، «يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر و لختل، أتبكون، فلا سكنت العبرة، و لا هدأت الرنة، و انما مثلكم مثل التى «نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم» فابكوا كثيرا، و اضحكوا قليلا، فقد ذهبتم بعارها و شنارها، فلن ترحضوها بغسل أبدا، و أنى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، و معدن الرسالة، و منار حجتكم، و سيد شباب أهل الجنة، أتدرون أى كبد لرسول‌الله صلى الله عليه و سلم فريتم، و أى دم له سفكتم، و أى

كريمة له أبرزتم، لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه، و تنشق الأرض، و تخر الجبال هدا». [صفحه ۱۳۵]

آل البيت فى قصر ابن زياد

لا ريب فى أن عبء الحفاظ على بيت النبوة انما ألقى كله بعد مذبحة كربلاء على العقيلة الطاهرة السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء و الامام على، حفيدة النبى صلى الله عليه و سلم و شقيقة الامامين الحسن و الحسين، و من ثم فقد كان عليها أن تقوم وحدها، بعون من ربها، بهذه المهمة الجليلة، أمام أكبر جبارين فى عصرها، عبيدالله بن زياد فى الكوفة، و يزيد بن معاوية فى دمشق، و قد اقتضت حكمة الله أن يصطفى الامام الحسين، عليه‌السلام، ليخلد به فى تاريخ البشرية أروع صور البسالة و الاقدام، و أقوى أمثلة الشمم و الاباء و التضحية و الفداء، كما اقتضت كذلك أن يتخذ الله من شقيقته الطاهرة، مثلا رائعا، و نورا ساطعا، تستمد منه نساء الاسلام القدوة الطيبة، و الأسوة الحسنة، ليروا كيف يكون الصبر الجميل فى أشد مواطن البلاء، و كيف يكون الرضا بالله تعالى، مع قسوة القضاء، و كيف تكون العزة و الكرامة، و الايمان بالله و الثقة فيه، و كيف تكون رباطة الجأش أمام الطغاة المتكبرين، و الجبابرة الحاكمين، فكان عقيلة بنى‌هاشم، فى ضعفها و وحدتها، أعظم قوة، و أشد بأسا، و كانوا فى جموعهم و سلطانهم، أضعف جندا، و أقل عددا، و لكى نقدر موقف العقيلة الطاهرة و ما حل بها من كروب، علينا أن نتذكر أنها شهدت أسعد أيام الاسلام، و بلغت المنتهى فى العز و الاكرام، فكانت قرة عين جدها المصطفى صلى الله عليه و سلم ثم عاصرت أيام الخلفاء الراشدين، و ما كانت تفيض به من عدل و رحمة، و كرامة لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم حتى انتهت امارة المؤمنين الى أبيها الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، ثم عاصرت انتقال الخلافة الى شقيقها الامام الحسن، و تنازله عنها لمعاوية بن أبى‌سفيان، حقنا لدماء المسلمين، ثم عاصرت أيام معاوية و البيعة المشئومة لولده يزيد،ثم امتناع شقيقها الامام الحسين عن هذه البيعة ثم خروه الى الكوفة ثم مجزرة كربلاء، حيث رأت بنفسها أقمار أهل البيت المطهر، من أبناء أبيها، و أبناء شقيقها سيدا شباب أهل الجنة، و هم يسقطون قتلى الواحد بعد الآخر، و منها ابنها و فلذة كبدها عون الأكبر، حول عاهل بيت النبوة، فى [صفحه ۱۳۶] ميدان الشرف و الخلود، ثم يحملون اليها، و قد مزقتهم الرماح، و قطعتهم السيوف، ثم رأت اللئام حين يتمكنون من ساداتهم، بل سادة الدنيا كلها، فرأت الامام الحسين صريعا، و واحد من رجالات قريش، و يا للعار، يدعى عمر بن سعد، و ينسب الى سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، صاحب جدها النبى صلى الله عليه و سلم يأمر بقطع رأس الحسين و رؤوس بقية شهداء آل البيت، ثم يندفع اللئام فى خسة، حتى سلبوه و جردوه من سلاحه، كما سلبوا خباءه، و لم يتركوا حتى ثياب النساء من أهل بيته، حيث كانوا ينتزعونها انتزاعا لا تجد فيه السيدة بدا من تركه، ثم يأمر هذا السفيه عمر بأن يدوس اللئام جسد الامام الطاهر بحوافر خيلهم حتى ألصقوه بالأرض، ثم يحزون رؤوس الشهداء ليحملوها الى الزنيم ابن‌زياد، و معها سيدات آل بيت النبوة، كأنهن سبايا. و ما أن وصل موكب آل البيت الطاهرين الى قصر زياد، و أدخلت العقيلة الطاهرة، و عليها أرذل ثيابها و معها عيال الامام و اماؤها، فجلست ناحية لا- تتكلم و لا تنظر الى ما أمامها، لكن جلال النبوة و بهاء الامامة، و نور آل البيت النبوى الشريف، استلفت نظر ابن‌زياد، فقال: من هذه التى انحازت ناحية و معها نساؤها، فلم تجبه، فأعاد سؤاله ثلاثا و هى لا تجيبه، ثم أجابت عنها احدى الاماء: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فما كان من اللئيم ابن‌زياد، الا أن يجترأ قائلا «الحمدلله الذى فضحكم و قتلكم و أبطل أحدوثتكم» و كانت عقيلة بنى‌هاشم حقا جديرة بنسبها الشريف فى تلك الرحلة الفاجعة التى تهز عزائم الرجال، كانت كأشجع ما تكون حفيدة محمد النبى، و بنت الامام على، و أخت الشهيد الحسين، و قد كتب لها أن تحفظ بشجاعتها و تضحيتها بقية العقب الحسينى من الذكور، و لولاها لانقرض من يوم كربلاء، فلم تمهل الطاغية ابن‌زياد أن ثارت به قائلة «الحمدلله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه و سلم و طهرنا من الرجس تطهيرا، انما يفضح الفاسق، و يكذب الفاجر، و هو غيرنا و الحمدلله»، فاشتد غضب ابن‌زياد، و ازداد حنقه و قال شامتا «فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك»، فأجابت العقيلة الطاهرة: «كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، [صفحه ۱۳۷] و سيجمع الله بينك و بينهم، فتحاجون الله و تتخاصمون عنده، فانظر لم الفلج يومئذ

ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»، فتهافت الطاغية ساخرا و قال: هذه سجاعة، لعمرى لقد كان أبوها سجاعا شاعرا، فقالت زينب: ان لى عن السجاعة لشغلا، ما للمرأة و السجاعة.و عندما أراد ابن‌زياد قتل على، ابن الامام الحسين، و بقية النبوة، تعلقت العقيلة الطاهرة به مستميتة، فاستخزى الطاغية من شجاعتها عندما قالت «ان قتلته فاقتلنى معه»، فقال ابن‌زياد: عجبا للرحم، و الله انى لأظن أنها ودت لو أنى قتلته أن أقتلها معه، دعوا الغلام، ثم التفت اليه و قال «انطلق مع نسائك».و روى الطبرى و ابن الأثير أن ابن زياد أمر فنودى الناس الى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس بالمسجد الأعظم بالكوفة، ثم صعد المنبر و قال «الحمدلله الذى أظهر الحق و أهله، و نصر أميرالمؤمنين يزيد بن معاوية و حزبه، و قتل الكذاب بن الكذاب، الحسين بن على و شيعته»، و لم يكد يفرغ من مقالته الذكوب حتى وثب اليه «عبدالله بن عفيف الأزدى»، و هو من أتباع الامام على، و كان قد حارب معه و فقد عينيه، الواحدة يوم الجمل، و الأخرى يوم صفين، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلى فيه الى الليل ثم ينصرف، فصاح بابن زياد «يا ابن مرجانة، ان الكذاب ابن الكذاب، أنت و أبوك، و الذى ولاك و أبوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين و تتكلمون بكلام الصدقين»، فهاج الطاغية الأثيم و صاح: على به،و أمر بقتل ابن عفيف، و صلبه فى المسجد، فصاح عبدالله بن عفيف: «لقد كنت ادعوا الله أن يجعل نهايتى على يد أشر خلقه،فالحمدلله الذى حقق لى أملى»، و انصرف الناس و هم فى جزع و حزن عميق، و ما كادت مرجانة، أم عبيدالله بن زياد تعلم أن ابناه قد اقترف هذه الجريمة الشنعاء، حتى صرخت فى وجهه قائلة: «يا خبيث، قتلت ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و الله لا ترى الجنة أبدا».و لم يتعظ ابن‌زياد بكلامه أمه، و لم يكتف بكل آثامه و خطاياه التى ارتكبها فى حق آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم من القتل و التنكيل، فضلا عن العبث بالرأس [صفحه ۱۳۸] الشريف، و من ثم نراه يأمر عصابة السوء من اللئام بأن يطاف برأس مولانا الامام الحسين فى شوارع الكوفة و أزقتها، مبالغة منه فى التشفى و الانتقام، و ارضاء لنفسه الدنيئة، و احساسا منه بوضاعة الأصل و سوء المنبت، بالمقابل بالنسبة لهؤلاء الشهداء، حفدة سيد الأولين و الآخرين، و سادة العرب فى الجاهلية و الاسلام، هذا فضلا عن اثارة الرعب فى النفوس باظهار صورة من بطشه و جبروته، حتى لا يفكر أحد فى أن يبدى أسفا، أو يظهر اعتراضا، خاصة و أن بوادر الغضب قد بدت على الناس، و من ذلك ما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة من أن قيس بن خرشة القيسى» صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كان من أشد الناس تنديدا بابن زياد، و انكارا عليه بما فعله بعترة النبى صلى الله عليه و سلم، فلما بلغ ابن‌زياد ذلك أرسل اليه و قال: «أنت الذى تفترى على الله و رسوله، فقال قيس: لا و الله، لكن ان شئت أخبرتك بمن يفترى على الله و رسوله، قال من هو، قال قيس: من ترك العمل بكتاب الله و سنة رسوله، قال: و من ذاك، قال أنت و أبوك، فاستشاط ابن‌زياد فقال: و أنت الذى تزعم أنه لا يضرك بشر، قال نعم، قال: لتعلمن اليوم أنك كاذب، ائتونى بصاحب العذاب، فمال قيس عند ذلك، فمات رضى الله عنه.

السيدة زينب و آل البيت فى قصر يزيد بدمشق

لما قضى ابن‌زياد الخبيث نهمة كبده من الطواف برأس الامام الحسين فى الكوفة و أرباضها، أمر بأن يحمل الرأس الشريف، مع رؤس أصحاب الامام من آل البيت الى سيده يزيد بن معاوية فى مقر حكمه بدمشق، و قد حمل هذه الرؤوس الشريفة من يدعى «زحر بن قيس» مع اثنين من أعوانه، ثم أرسل العقيلة الطاهرة و سيدات آل البيت، فضلا عن الصبيان، على أقتاب الابل، و فى الركب الامام على زين‌العابدين بن الحسين، مغلول الى عنقه، يقوده شمر بن ذى الجوشن و محضر بن ثعلبة، فتلا حق الركبان فى الطريق و دخلا الشام معا لى يزيد، فلم يكن على بن الحسين يكلم أحدا فى الطريق كلمة حتى بلغوا. [صفحه ۱۳۹] و روى الطبرى عن الغاز بن ربيعة الجرشى، و كان حاضرا فى مجلس يزيد، «و الله انا لعند يزيد بن معاوية فى دمشق اذ أقبل زحر بن قيس، فدخل على يزيد، فقال يزيد: ويحك ما وراءك، فقال: أبشر يا أميرالمؤمنين بفتح الله و نصره، ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر من أهل بيته و ستين من شيعته، فسرنا اليهم و غدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية، فما كان الا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، و ثيابهم مرملة، و خدودهم مغمرة، و تصهرهم الشمس، و تسفى عليهم الريح، زوارهم العقبان و

الرخم»، و تكرر منظر القصر فى الكوفة فى قصر دمشق عند يزيد، و كما يقول الاستاذ العقاد، لا نستغرب أن يتكرر بعضه حتى بظن أنه وقع فى التاريخ خلط بين المنظرين، لأن المناسبة فى هذا المقام تستوحى ضربا واحدا من التعقيب، و ضربا واحدا من الحوار، و ارتاع من بمجلس يزيد من نبأ المقتلة فى كربلاء حين بلغتهم و قال يحيى بن الحكم الأمويلهام بالطف أدنى قرابة من ابن‌زياد العبد ذى الحسب الوغل‌سمية أمسى نسلها عدد الحصى و بنت رسول‌الله ليست بذات نسل‌فأسكت يزيد قريبه يحيى الأموى هذا، و قال و هو يشير الى الرأس الشريف، و ينكث ثناياه بقضيب فى يده: أتدرون من أين أتى هذا «يعنى الامام الحسين» أنه قال: أبى على خير من أبيه، و أمى فاطمة خير من أمه، و جدى رسول‌الله خير من جده، و أنا خير منه، و أحق بهذا الأمر، فأما أبوه فقد تحاج أبى و أبوه الى الله، و علم الناس أيهما حكم له، و أما أمه فلعمرى فاطمة بنت رسول‌الله خير من أمى، و أما جده فلعمرى ما أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر، يرى لرسول الله فينا عدلا و لا نِدا، و لكنه أتى من قبل فقه، و لم يقرأ «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء»، و هو كلام نسب مثله الى أبيه معاوية فى رده على حجج الامام على فى الخلافة، و لعل يزيد قد استعاره من كلام أبيه و زاد عليه.و سواءا كان هذا من كلام يزيد أو من كلام أبيه معاوية، فمن الواضح، [صفحه ۱۴۰] كما يقول الأستاذ حسين يوسف، أن هذا الكلام فيه كثير من المغالطات، و لعله، أو أبوه ان كان حقا من كلامه، قد أخذته الغرة بالاثم، فوضع نفسه موضع المنبسط لما يجول بخاطر سيد شباب أهل الجنة، ثم وضع نفسه موضع المعلم منه، فضلا عما فيه من تهافت، يبدو واضحا فى عدة نقاط، منها (أولا) أن الامام الحسين، عليه‌السلام، لم يثبت عليه أنه قال ما ادعاه عليه يزيد، لأنه من باب المسلمات، فما كان الامام الحسين بحاجة الى القول أنه خير من يزيد، أبا و أما وجدا و نفسا، فتلك أمور لا يختلف عليها اثنان من المسلمين، فالامام الحسين هو سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، و قد صحب النبى صلى الله عليه و سلم و روى عنه، فضلا عن تصريح النبى صلى الله عليه و سلم أن حسينا معه، و أنه من الحسين، و أن الله يحب من أحبه و يبغض من يبغضه، و ليس بعد هذا علوا أو فضل، و أما الامام على، فأمره أمر الحسين، فكما أنه لا مجال للمقارنة بينه و بين يزيد، فلا مجال كذلك للمقارنة بين الامام على و معاوية، فالامام على كرم الله وجهه فى الجنة، و هو رابع الخلفاء الراشدين، و زوج الزهراء، و أبوالحسن و الحسين، و ابن عم النبى و أقرب الناس اليه، و أحد العشرة المبشرين بالجنة و أول من آمن به صلى الله عليه و سلم و صلى خلفه، بعد السيدة خديجة، رضى الله عنها، و من اعتبره رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كنفسه، و هو الذى قال له رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: أنت أخى فى الدنيا و الآخرة، و أنت منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبى بعدى، و لا يحبك الا مؤمن و لا يبغضك الا منافق، و من قال فيه صلى الله عليه و سلم: من كنت مولاه فعلى مولاه، الى غير ذلك من الفضائل التى تكاد لا تحصى، حتى قال الامام أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلى»، و قال اسماعيل القاضى و النسائى و أبوعلى النيسابورى: لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان، أكثر مما جاء فى على رضى الله عنه، فأين ذلك الذى من طليق ابن طليق، و ما زعم يزيد الكذوب من أن الامام على حاج معاوية الى الله، و علم الناس أيهما حكم له، فتلك دعوى لا سند لها من كتاب أو سنة أو سند فى التاريخ.و منها (ثانيا) أن ادعاء يزيد أن الامام الحسين قال انه أحق بهذا الأمر منه، [صفحه ۱۴۱] فتلك حقيقة لا يمارى أحد فيها، حتى مرتزقة الأمويين، و مع ذلك فقد تسامى الامام عن الأمر و زهد فيه، و لو لم يحاول الأمويون ارغامه على البيعة ليزيد، لبقى فى المدينة، و لما حدث كل ما حدث من مذابح و مخازى يخجل الشيطان نفسه من أن يرتكبها، و لكن يزيد و عصابته فعلوها، و منها (ثالثا) أن الجهل و الغرور بلغ بيزيد الى أن يظن بأنه أكثر من الامام علما، و أعمق فقها، و أنه أراد أن يعلم سبط النبى، و بضعة الزهراء، و ابن الامام على، ما لم يعلمه، و أنه و هو القوام بالليل، الصوام بالنهار، لم يقرأ قوله تعالى «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء»، و لكن ماذا نقول للفاجر يزيد، أنقول للفاجر يزيد، أنقول له ان مثل هذه الجهالة لا تستحق أى مبالاة، أم نقول له، صدق من قال: اذا لم تستح فاصنع ما شئت.ثم هناك أمر آخر، فى منتهى الخطورة، ثم هو فى الوقت نفسه يبين لنا بمنتهى الوضوح: كيف جنى معاوية بن أبى‌سفيان على الاسلام و المسلمين، حين فرض عليهم ولده يزيد هذا، بسيوف جهال الشام و أموال المسلمين التى اغتصبها معاوية، كما يبين لنا مدى معرفة يزيد و جهال الشام

بالاسلام و أحكامه، و قد أصبح يزيد بسيف أبيه و ذهبه أميرالمؤمنين و خليفة المسلمين، الأمر الذى يجعلنا نتذكر قول الامام الحسن البصرى المشهور فى معاوية بهذا الصدد، حيث قال، فيما يروى الطبرى، «أربع خصال كن فى معاوية، لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة، و استخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا، يلبس الحرير و يضرب بالطنابير، و ادعاؤه زيادا، و قد قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الولد للفراش، و للعاهر الحجر، و قتله حجر، ويل له من حجر و أصحابه حجر، ويل له من حجر و أصحابه حجر».و أما هذا الذى حدث، فلقد روى الطبرى و ابن الأثير و ابن كثير، أن رجلا- من أهل الشام من بلاط يزيد، رأى السيدة فاطمة بنت الامام الحسين، حفيدة الزهراء بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و كانت جارية وضيئة، فقال ليزيد، هب لى هذه، [صفحه ۱۴۲] فأرعدت و أخذت بثياب عمتها العقيلة الطاهرة زينب بنت على، و كانت من العقل و الفقه بحيث تعلم أن ذلك لا يجوز فى شريعة الاسلام و قد أجاب أبوها الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، من سألوه بعد موقعة الجمل: كيف حل لنا قتالهم، و لم يحل لنا سبيهم و أموالهم؟ فقال: «ليس على الموحدين المؤمنين سبى و لا- يغنم من أموالهم، الا- ما قاتلوا به و عليه» و من ثم فقد وقفت فى الزود عنها موقف كموقفها بقصر الامارة فى الكوفة، زيادا عن ابن أخيها على زين‌العابدين، و صاحب بالرجل: كذبت و لؤمت، ما ذلك لك و لا له، فتغيظ يزيد و قال: كذبت، ان ذلك لى، و لو شئت لفعلت»، و هكذا أثبت يزيد، و من فرض أميرا على المؤمنين، أنه جاهل كل الجهل، بحكم الاسلام فى هذه الأمور، و من ثم فقد وقفت مه العقيلة الطاهرة موقف المعلم من التلميذ الخائب الغرور، فقال متحدية «كلا و الله ما جعل الله ذلك لك، الا أن تخرج من ملتنا و تدين بغير ديننا»، فازداد يزيد غضبا و أحس بموقفه يزداد حرجا أمام بطانة السوء من أهل الشام، فقال لها مهددا: «اياى تستقبلين بهذا، انما خرج من الدين أبوك و أخوك»، و هكذا ورط الغرور يزيد فسقط سقطة خطيرة بتكفيره الامام على و الامام الحسين و قد بشر النبى صلى الله عليه و سلم الامام على بالجنة، و أخيرا بأن الامام الحسين سيد شباب أهل الجنة، فكيف يكون خروجهما من الدين، مع ذلك كله، الا أن يكون يزيد كافرا بما جاء به رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أو على الأقل جاهلا به، و على أى حال فلقد استمرت السيدة زينب تؤدى دور المعلم لمن فرض على المسلمين خليفة لهم، فلم تبال بثورته و لا- بتمكنه من الأرض و قدرته على البطش، فردت حفيدة النبى صلى الله عليه و سلم فى ثقة و ايمان، تذكر يزيد بالحقائق التى لا ينكرها أحد، و لا مجال للمناقشة فيها، و تقول له: «بدين الله، و دين أبى، و دين أخى و جدى، اهتديت أنت و أبوك و جدك»، و أسقط فى يد الخليفة الجهول، و الأمير السكير الخمير، و مع ذلك أخذته الغرة بالاثم فقال: كذبت يا عدوة الله؛ و حقا اذا لم تستح فاصنع ما شئت، و هل هناك عدم حياء أكثر من أن توصف بنت [صفحه ۱۴۳] رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بأنها عدوة الله، اللهم غفرانك، و من ثم لم تجد العقيلة الطاهرة من أن توقف هذه المهاترات التى يسىء بها خليفة المسلمين الى الاسلام و المسلمين فقالت «أنت أمير متسلط، تشتم ظالما، و تقهر بسلطانك»، و هكذا لقنت السيدة زينب يزيد درسا، فلم يجد سبيلا الا أن يلجا الى المكابرة، فأنكر دون أن يدرى، أن الاسلام الذى بعث به سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم هو الذى أخرج الناس، و منهم هو و أبوه و جده، من ظلمات الوثنية الى نور الايمام، فأظهر بذلك للملأ جهله، كما كشف من قبل عن قلة فقهه فى الدين حين غاب عنه ما أدركته العقيلة الطاهرة لأول و هلة من أن مطالبة الشامى الجهول بأن توهب له السيدة فاطمة بنت الامام الحسين، لا تجوز شرعا، لأن نساء المسلمين لا يصح أبدا اعتبارهم سبيا، و معاملتهم معاملة السبى فى الحروب، فما بالك بالسيدة فاطمة بنت الامام الحسين «أو بنت الامام على فى بعض الروايات» و بقية سيدات بيت النبوة الطاهرات.ثم أن هناك موقف آخر، لا ينتظر الا من العقيلة الطاهرة، سليلة محمد صلى الله عليه و سلم سيد الأولين و الآخرين، و ابنه الامام على و فاطمة البتول، ذلك أنها، سلام الله عليها، عندما رأت الطاغية الأموى، سليل الطلقاء، أبا عن جد، ينكث ثغر شقيقها الامام الحسين، فاذا بعروقها الهاشمية تنتفض، و اذا بشرفها المطلبى يثور، و اذا بحفيدة النبى صلى الله عليه و سلم، و قد رأت المشهد الأليم، كما يقول الأستاذ أحمد فهمى، لم تستطع صبرا، فانبرت ثائرة غاضبة تندد بيزيد، و من نكب الاسلام و المسلمون بولايته، و تقرعه فى قوة و جرأة، و تقول له: أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض، و أكناف السماء،

فأصبحنا نساق، كما يساق الأسارى، أن بنا هوانا على الله، و بك عليه كرامة، و أن هذا لعظيم خطرك، فشمخت بأنفك، و نظرت فى عطفيك جذلان فرحا، حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، و الأمور متسقة عليك، أنسيت قول الله تعالى «و لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما و لهم عذاب مهين»، أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك و ايماءك، و سوقك [صفحه ۱۴۴] بنات رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كالسبايا، و قد هتكت شعورهن، و أبديت وجوههن، ليس معهم من حماتهم حمى، و لا من رجالهن ولى، و أنت تنكث ثنايا أبى عبدالله بمخصرتك، و الله ما فريت الا فى جلدك، و لا خرزت الا فى لحمك، و سترد على رسول‌الله صلى الله عليه و سلم برغمك، و عترته و لحمته فى خطيرة القدس، يجمع الله شملهم ملمومين من الشعب، و هو قول الله تعالى (و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)، و سيعلم من بوأك من رقاب المؤمنين، اذا كان الحكم الله، و الخصم محمد صلى الله عليه و سلم و جوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلا، أيكم شر مكانا و أضعف جندا، فلئن اتخذتنا مغنما، لتتخذن مغرما، حين لا تجد الا ما قدمت يداك، تستصرخ بابن مرجانة، و يستصرخ بك، و تتعاوى و أتباعك عند الميزان، و قد وجدت أفضل زاد لك قتلك ذرية محمد صلى الله عليه و سلم فو الله ما اتقيت غير الله، و لا شكواى الا الى الله، فكد كيدك، واسع سعيك، و ناصب جهدك فو الله لا يرحض عنك عار ما أتيت الينا أبدا، يوم ينادى المنادى «ألا لعنة الله على الظالمين»، و الحمدلله الذى ختم بالسعادة و المغفرة لسادات شبان الجنان، فأوجب لهم الجنة».هذا و قد روى أن لقاء نساء يزيد لآل البيت خير من لقاء يزيد، ذلك أن يزيد بعد مناقشات طويلة مع الامام زين‌العابدين و العقيلة الطاهرة السيدة زينب، ظهر له فيها بشاعة ما ارتكبه فى حق الاسلام و بيت النبوة، و استشعر شيئا من الخزى و الندم، و أمر بتوجيه السيدة زينب و من معها الى دار الحكم و معهن على بن الحسين، حيث استقبلهن النساء من آل يزيد بالبكاء و النحيب، و أخذن يواسين السيدة زينب و من معها و يعزينهن، ثم سألنها عما سلب منها و منهن فى كربلاء، و حاولن رده،فكن أكرم من يزيد و حاشيته، و أوفى منهم ذمة و عهدا، و أقمن على المناحة ثلاثا.

السيدة زينب و آل البيت فى المدينة

استشار يزيد رجال بلاطه فى أمر أهل البيت، و طبقا لرواية ابن كثير، فقد قال رجال ممن قبحهم الله: يا أميرالمؤمنين لا تتخذن من كلب سوء جروا، أقتل [صفحه ۱۴۵] على بن الحسين، حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد، فسكت يزيد، فقال النعمان بن بشير: «يا أميرالمؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لو رآهم على هذه الحال»، و أخيرا تحرك الموكب الحزين، و على رأس العقيلة الطاهرة و الامام على زين‌العابدين، و البقية الباقية من آل البيت الطاهرين الى مدينة جدهم الرسول صلى الله عليه و سلم، و تكاد تجمع المصادر على صدى الأسى و الحزن الذى عم أمة محمد صلى الله عليه و سلم على ما أصاب آل بيته، و محاولة الناس فى ظلال القهر الأموى، أن يظهروا شعورهم الودى نحو آل بيت نبيهم صلى الله عليه و سلم حتى أن الرسول الذى بعث به يزيد لمصاحبة آل البيت الى المدينة المنورة، أظهر من حسن الصحبة و صدق الرعاية، و التفانى فى حب آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و خدمتهم، ما حمل العقيلة الطاهرة و ابنة أخيها السيدة فاطمة على أن يبعثن بما بقى معهن من حلى، تقديرا لمروءته و تفانيه فى خدمة آل محمد صلى الله عليه و سلم، و لكن الرجال أبى أن يأخذ شيئا و قال كلمته التى ارتفع بها عندالله و رسوله الى فوق من ابتلى المسلمون بهم، سواء من الحاكمين فى الكوفة أو فى دمشق، حيث قال للعقيلة الطاهرة، فيما يروى الطبرى، «لو كان الذى صنعت هو للدنيا لكان فى حليكم ما يرضينى و دونه، و لكن و الله ما فعلته الا لله و لقرابتك من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و هكذا يتجلى الاخلاص لله، و الوفاء لرسول الله و آل بيته الكرام، و من عجب أن يحدث هذا من رجل من غمار الناس، فاذا بوالى المدينة الأموى، عمرو بن سعيد، يعلن للناس استشهاد الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، اعلان الظافر السعيد بانتظار سيده فى دمشق، و تابعه الزنيم فى الكوفة.و على أى حال، فما أن أشرفت القافلة الحزينة على المدينة حتى خرج أهلها فى سواد الحداد لاستقبال آل

البيت بالبكاء و النحيب، و قد تفطرت القلوب حزنا و جزعا من هول ما حدث، اذ أن الفاجعة كانت أكبر من أن يتحملها أهل مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و رأى نساء آل البيت هذه المظاهرة الحزينة، فصرخت العقيلة الطاهرة و بقية نساء آل البيت و ارتفع العويل و الصياح و أجهش الجميع بالبكاء و هم يرددون: واحسيناه، واحسيناه، واحبيباه، واحبيباه، و هاجت الشجون، [صفحه ۱۴۶] فخرجت من بين الجموع الحزينة السيدة زينب بنت عقيل بن أبى‌طالب، ضمن بعض النسوة ناشرة شعورها، و هن يندبن و يولولن، ثم أخذت تنشد:ماذا تقولون ان قال النبى لكم ماذا فعلتم و أنتم آخر الأممبعترتى و بأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى و منهم ضرجوا بدمو ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمىو انطلق الموكب الحزين حتى أناخ بباب مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم حيث وقفت السيدة أم‌كلثوم أمام مقام جدها تبكى و هى تقول: السلام عليك يا جداه، انى ناعية اليك ابنك الحسين، و ساد مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم جو غائم بالأسى و الحزن على قتل آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، علم الله أن التاريخ لم يشهد لهذا الحدث الأليم مثيلا صحيح أننا عرفنا أقواما قتلوا أنبياء لهم يؤمنوا بهم، كما فعلت يهود، و عرفنا آخرين قتلوا بعض الصالحين منهم خوفا على ملكهم، كما فعل معاوية بن أبى‌سفيان بحجر و أصحابه، و لكنه صحيح كذلك أن التاريخ لم يعرف من قبل قوما قتلوا أهل بيت نبيهم، و هم يؤمنون بهذا النبى، و يؤمنون أن القتلى أبناءه و عترته، فضلا عن أن يكون ذلك فى مجزرة واحدة، فى يوم واحد، هى مجزرة كربلاء، فى يوم عاشوراء، و من ثم فان صدى الأحداث بدأ فى المدينة يتحول الى صيحات من السخط و الاستنكار، و بدأت قصائد الشعر تتطور من السلبية التى تقف عند حد تصوير الحزن و الألم الى الايجابية التى تنتقل الى التنذير بالطغاة الظالمين، حتى أن أحد الشعراء قام ينددد ببشاعة ما اقترفه المجرمون، و يرثى مولانا الامام الحسين قائلا:جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملا بدمائه تزميلاو كأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهارا عامدين رسولاقتلوك عطشانا و لم يتدبروا فى قتلك القرآن و التنزيلاو يكبرون بأن قتلت و انما قتلوا بك التكبير و التهليلاو ظل أهل المدينة و من حولها يفدون على بيوت آل النبى صلى الله عليه و سلم مواسين معزين، يستمعون الى ما تقصة السيدة زينب، رضى الله عنها، من حديث [صفحه ۱۴۷] المأساة و أنباء الفاجعة التى حلت بآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، فأودت بحيلة سيدنا الامام الحسين، سيد شباب أهل الجنة، و سبط النبى و ريحانته، و الذى قال عنه النبى صلى الله عليه و سلم «حسين منى، و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، هذا الى ثمانية عشر من آل البيت، و ستين من أصحاب الامام الحسين الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل نصرته و الوقوف بجانبه، حتى اختارهم الله الى جواره مع الصديقين و الشهداء و الأبرار، و حسن أولئك رفيقا.

السيدة زينب فى مصر

كانت العقيلة الطاهرة موضع الاعزاز و الاجلال، و التقدير و التعظيم من أهل المدينة فقد كانت، رضى الله عنها، تتمتع بكل صفات أهل البيت، و لا عجب فى ذلك، فلقد نشأت السيدة زينب فى أطيب بيت و انحدرت من أطهر معدن، تحيط بها أنوار النبوة، و تغذى روحها أمثلة البطولة و الفخار، فشبت كريمة النفس حمية الأنف، لا تقيم على مذلة، و لا تسكت على غضاضة و لا ترضى بهوان، فمنذ أن ولدت فى شعبان عام ۵ ه و هى فى حضانة جدها النبى الأعظم صلى الله عليه و سلم و أمها فاطمة البتول، ثم تعهدها أبوها الامام على بكل الحب و الرعاية، فتشربت منه الكثير من ورعه و فصاحته و علمه، كما ورثت الكثير من زهده و تقواه، فكانت دائبة الصيام و القيام، دائمة التلاوة لكتاب الله، فقيهة فى الدين، عارفة بالأحكام، روت أصدق الحديث عن أبويها، كما روت عن أخويها الحسن و الحسين، و عبدالله بن عباس، رضى الله عنهم أجمعين، و من ثم فقد كتب لها نجحا بعيد المدى فى شرح المأساة الأليمة التى وقعت لآل البيت، بيت النبوة، و معدن الرسالة، و مهبط الوحى و كيف وصل الأمر بالطغاة الظالمين و حثالة البشر الذين جمعهم ابن‌زياد، و أسلم قيادتهم الى ابن سعد، فقتلوا الامام الحسين و شباب آل محمد و أنصارهم، و لم ينتظروا حتى تصعد أرواح الشهداء الى بارئها حتى هرعوا الى النساء من بيت الرسول صلى الله عليه و سلم ينازعونهن الحلى و الثياب التى على أجسادهن، لا يزعهم عن حرمات

رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ازع من دين أو مروءة، و انقلبوا الى جسد الامام الحسين يخطفون ما عليها من كساء [صفحه ۱۴۸] تخللته الطعون حتى أو شكوا أن يتركوا على الأرض عارية، ثم ندبوا عشرة من فرسانهم يوطئون جثته الخيل، كما أمرهم ابن‌زياد، فوطئوا مقبلين و مدبرين حتى رضوا ظهره و صدره.و هكذا استطاعت العقيلة الطاهرة أن تهز قلوب أهل المدينة هزا، و تملاء النفوس سخطا و غضبا على الجناة الذين ارتكبوا جريمة ليس لها مثيل فى تاريخ الاسلام كله، شناعة و دناءة، مما أقض مضاجع الطغاة الأمويين و أثار الفزع فى نفوسهم، خاصة بعد أن خطبت فى الناس و طالبتهم بأخذ الثأر، مما جعل والى المدينة، عمرو بن سعيد يكتب الى يزيد بشأنها، فكتب اليه يزيد أن يفرق بينها و بين أهل المدينة لأن وجودها قد يثير الناس ضد سلطان بنى‌أمية، و من ثم فقد طلب منها عمرو ترك المدينة و الاقامة حيث تشاء، فقالت له: «قد علم الله ما صرنا اليه، قتل خيارنا، و سقنا كما تساق الأنعام، و حملنا على الأقتاب، فو الله لا خرجنا وان أهرقت دماؤنا» فتدخلت سيدات بنى‌هاشم فى اقناع العقيلة الطاهرة بالرحيل الى بلد آمن، لا تتكرر فيه مجزرة كربلاء، و اختارت السيدة زينب مصر على غيرها، ففى مصر أحباب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته الطاهرين.و هكذا هاجرت العقيلة الطاهرة من المدينة الى مصر، و تعلقت بها ابنتا أخيها الامام الحسين، فاطمة النبوية و سكينة و بعض نسائها و امائها، فهاجرت معها الى أرض الكنانة، و ما أن وصل الركب الميمون الى العباسية، و هى قرية فى مجاورات بلبيس فى محافظة الشرقية، حتى علم المصريون بقدومها فهبوا جميعا لاستقبالها بما يليق بحفيدة النبى صلى الله عليه و سلم من الحفاوة و التكريم، يتقدمهم والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى و العلماء و القضاة و الأعيان و التجار و الصناع و الفلاحون، و استقبلوها حفاة الأقدام، اجلالا لمنزلتها و تعظيما لشخصها، و تقدم اليها مسلمة بن مخلد و عبدالله بن الحارث و أبو عميرة المزنى، مقدمين أصدق العزاء فى استشهاد مولانا الامام الحسين و شباب أهل البيت الأطهار، فبكت و بكى الحاضرون جميعا، ثم قالت لهم «هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون». [صفحه ۱۴۹] و يذهب الأستاذ أحمد فهم الى أن وصول السيدة زينب الى مصر انما كان فى أول هلال شعبان عام ۶۱ ه (۲۶ ابريل ۶۸۱ ه) و قد تنازل لها الوالى عن الدار التى أقامت بها، و كان المصريون يتوافدون على مجلسها المبارك، يتقدمهم أهل الفضل و العلم، يستمعون منها الى تفسيرها لآيات القرآن الكريم و أحاديث جدها سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و سيرة أهل البيت الأطهار، و ينتفعون بما تفيضه عليهم من فقه و علم، و بما ورثته من جدها النبى صلى الله عليه و سلم و ما تعلمته من أمها فاطمة الزهراء و أبيها الامام على. كرم الله وجهه فى الجنة. و ما أخذته عنه شقيقها سبطى النبى و سيدى شباب أهل الجنة، الامامين الحسن و الحسين، و كان مجلس عقيلة بنى‌هاشم عامرا بأنوار النبوة، محفوظا بأجنحة الملائكة موصولا بنور السماء و ما عسى أن يكون مجلس بضعة النبى صلى الله عليه و سلم و فلذة كبد الزهراء، و ابنة علم الهدى و امام المتقين مولانا الامام على، و هكذا أخذت السيدة زينب تشع نور النبوة، و هداية جدها سيد المرسلين، فى أرض الكنانة، قرابة عام أو يزيد قليلا، حتى صعدت روحها الطاهرة الى عليين، عشية يوم الأحد، الرابع عشر أو الخامس عشر من شهر رجب الفرد من عام ۶۲ ه «مارس ۶۸۲ م»، و بعد عام و نصف العام من استشهاد الامام الحسين و آل البيت الطاهرين.هذا و قد دفنت العقيلة الطاهرة، سلام الله عليها و على آل بيتها أجمعين، فى مكان سكناها، حيث أقيم عليه مسجدها المعروف الآن بالقاهرة، فى أكبر أجياء أكبر مدينة اسلامية فى العالم، فى الحى الى يشرف باسمها الكريم، حى السيدة زينب، و يقول العارف بالله الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى المنن الكبرى: أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع «كما كانت تسمى وقت ذاك) ابنة الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فى هذا المكان بلا شك، و كان الشيخ الخواص يخلع نعليه من عتبة الدرب و يمشى حافيا حتى يجاوز مسجدها و يقف تجاه وجهها الشريف، و يتوسل الى الله تعالى أن يغفر له، و لعل مما تجدر ملاحظته أن كثير من أهل البيت الطاهرين و السادة الأولياء، انما تكون بيوتهم فى حياتهم هى نفسها مدافنهم بعد مماتهم، و لله فى [صفحه ۱۵۰] ذلك حكمة، هذا و قد تم توسيع ميدان السيدة زينب «قنطرة السباع سابقا» و قام الأمير عبدالرحمن كتخدا بتوسيع جامع السيدة زينب عام ۹۵۱ ه، و أما المسجد الحالى فقد بنته وزارة الأوقاف عام ۱۹۴۰ م، ثم تم توسيعه عم ۱۹۶۹ م، و أضيفت اليه مساحة تعادل مساحة المسجد الأصلى، و أمام ضريح السيدة مشهدان، الواحد للامام العتريس و هو

محمد بن أبى المجد من الدوحة الحسينية، و هو شقيق العارف بالله ابراهيم الدسوقى، ولى الله و قطب زمانه، و الآخر للعيدروس، و هو وجيه الدين أبو المراحم عبدالرحمن الحسينى من سلالة الامام الحسين.و أما من ينكرون وجود قبرها بمصر، فهم خصوم أهل البيت الطاهرين المطهرين، الذين يكرهون أن يحيا لهم ذكرا، أو يعرف لهم قبر، و لا اعتبار لأقوالهم على الاطلاق، هذا و قد قدمم العارف بالله الشيخ محمد زكى عدة أدلة فى رسالته «ملحق التبصير بمشاهد شهيرات آل البيت بالقاهرة» «اعتماد على بحث للأستاذ حسن قاسم بمجلة الاسلام» - على أن ضريح السيدة زينب الحالى انما ضريحها، و منها: ما ذكره الفاسى (و قد زار مصر عام ۳۵۶ ه) من أنه قد زار مشهد السيدة زينب بنت الامام على، و كان داخل دار كبيرة تشرف على الخليج، مما يدل على أن الضريح موجود قبل القرن الرابع الهجرى، و منها: ما ذكره السخاوى فى كتابه «أوقاف مصر» من أن الحاكم بأمر الله قد أوقف على هذا المشهد و مشاهد أخرى عدة قرى و ضياع كصول و أطفيح و غيرهما، و منها: ما ذكره المؤرخان ابن عساكر و ابن طولون الدمشقيان من العقيلة الطاهرة قد دخلت مصر بعد مصرع أخيها بيسير من الزمن، و أقامت بها أشهرا و دفنت بها، و منها أن المشهد الذى زاره ابن جبير انما هو للسيدة زينب بنت يحيى المتوج من سلالة الحسن بن على، و قد دخلت مصر فى عام ۱۹۳ ه، و أنه فى القرافة شرقى الشافعى، ليس فى منطقة المشهد الزينبى، و منها: ما جاء فى رسالة العبدلى النسابة من القرن الثالث الهجرى، و التى دعاها «أخبار الزينبات» من أن السيدة زينب بنت الامام على، بعد أن سيرت للشام ثم [صفحه ۱۵۱] للمدينة، ثارت فتنة بينها و بين عمرو بن سعيد والى المدينة من قبل يزيد بن معاوية، و الذى أمر بنقلها الى المدينة فانتقلت منها الى مصر فى أول شعبان عام ۶۱ ه، فأقامت بها ۱۱ شهرا، و نحو عشرة أيام، حيث توفيت يوم الأحد مساء لأربعة عشر يوما مضت من رجب عام ۶۲ ه فى الحمراء القصوى، و اذن فهذا المشهد معروف من قبل القرن الثانى الهجرى، و قد حدد المقريزى الحمراء القصوى بمنطقة الضريح الزينبى الحالى.هذا و فى ۱۵ رجب عام ۶۳ ه، و فى يوم الذكرى السنوية الأولى لانتقالها الى الرفيق الأعلى، اجتمع أهل مصر، و فى مقدمتهم الشيوخ و الفقهاء و القراء، و أقاموا لها المولد الزينبى الذى يتم فى شهر رجب من كل عام، هذا و قد عرفت السيدة زينب بعقيلة بنى‌هاشم، و هى عند أهل العزائم أم العزائم، و عند أهل الجود و الكرم أم هاشم، و كثيرا ما كان أبوها و أخواها الحسن و الحسين يرجعون اليها للمشورة فسميت صاحبة الشورى، كما كانت دارها مأوى للضعفاء فسميت أم العواجز، و لما جاءت الى مصر كان الوالى و رجاله يعقدون جلساتهم بدارها و تحت رياستها فعرفت باسم رئيسة الديوان، و بدهى أنه كان للسيدة زينب كرامات لا تكاد تحصى، تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل من المصريين و غير المصريين، فقل من قصدها باخلاص، متوسلا بها الى الله تعالى فى أمر من الأمور، الا و أصابه من نفحاتها ما قدر الله له، و من عونها ما يتفق و صدق ايمانه بالله و رسوله، و محبته لأهل البيت الطاهرين، رضى الله عنهم أجمعين، و نحن نقول، مع الأستاذ حسين يوسف، أن تلك حقيقة قد لا يدركها أولئك الذين لم يحظوا بصحبة أهل الحق و الشهود، و لم يسلكوا طريقهم الى الله تعالى، فظلوا فى حجاب عن الله و رسوله، فتطاولوا على مقام أهل البيت، و سخروا من اللائذين بحماهم، و كفروا المتوسلين بهم الى الله و رسوله، وفاتهم أن الله تعالى هو الفعال لما يريد، و أنه يصطفى من يشاء لما يشاء، و أن أرواح المؤمنين هى أقطع سلاح فى نصرة المؤمنين، و أن حياة الصالحين و فاعليتها لا تنقطع بالموت، و أن أهل البيت هم أئمة الصالحين المتقين، و أنهم، فى روضاتهم، [صفحه ۱۵۲] هم الأحياء حقا، و هم الأمراء حقا، لا يذل أبدا من والاهم، لأنه انما يوالى الله تعالى، و لا يعز أبدا من عاداهم، لانه انما يعادى الله تعالى، من اقترب من هداهم عاش فى أمن و سلام، و من لاذ بحماهم حاشا أن يضام، فهم أهل التقوى و أهل المغفرة، و هم أهل البطش و أهل المقدرة. [صفحه ۱۵۳]

قصة الرأس الشريف

رأس الامام الحسين عند ابن زياد

استشهد الامام الحسين، كما أشرنا من قبل، فى كربلاء فى العاشر من المحرم عام ۶۱ ه «۱۰ أكتوبر ۱۶۸۰»، و سرعان ما تقدم «شمر بن ذى الجوشن» رجس البشرية، فاحتزى رأس الامام البطل، ثم احتفظ به ليقدمه هدية ولاء و خنوع لسيده الدعى ابن‌زياد، ثم الى سيدهما يزيد طاغية دمشق، أو أن سنان بن أنس هو الذى ارتكب تلك الخطيئة الكبرى، ثم قدمها الى صاحبه «خولى بن يزيد» ليحتفظ بها، و أيا كان اسم هذا الزنيم الذى احتز الرأس الشريف عن الجسد الشريف، فان سنان بن أنس سرعان ما ركب فرسه ثم انطلق به الى فسطاط عمر بن سعد بن أبى‌وقاص، قائد جيش اللئام، و صاح بأعلى صوته:أوقر ركابى فضة و ذهبا فقد قتلت السيد المحجباقتلت خير الناس أما و أبا و خيرهم اذ ينسبون نسبافغضب عمر بن سعد من اطرائه لنسب الامام الحسين و تمجيده لحسبه، اذ كان هو و ابن‌زياد يكرهان أن يذكر الناس النسب الشريف لابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بالتعظيم و التمجيد، و صاح فى وجهه: أشهد أنك مجنون، ثم ضربه بقضيب و قال: أتتكلم بهذا الكلام، و الله لو سمعك ابن‌زياد لضرب عنقك. [صفحه ۱۵۴] و أمر عمر بن سعد «خولى بن يزيد» و «حميد بن مسلم الأسدى» أن يحملا الرأس الشريف الى ابن‌زياد بالكوفة، فحملها خولى، و لما وجد قصر الامارة مغلقا ذهب به الى بيته، و طبقا لرواية الطبرى و ابن الأثير، فان امرأته «النوار بنت مالك» انما تروى أن خولى قد أقبل برأس الامام الحسين فوضعه تحت اجانة فى الدار، ثم دخل الدار فقالت له: ما الخبر، ما عندك، فقال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك فى الدار، فصاحت به غاضبة: «جاء الناس بالذهب و الفضة، و جئت برأس ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، لا و الله ما يجمع رأسى و رأسك بيت واحد أبدا»، و قامت المرأة المؤمنة من فراشها، حيث باتت ليلتها فى صحن الدار، فى حين دعا الشيقى زوجة أخرى له، فأدخلها اليه، ثم تروى «النوار» بعد ذلك فتقول «و جلست أنظر، فو الله ما زلت أنظر الى نور يسطع مثل العمود من السماء الى الاجانة، و رأيت طيرا بيضا ترفرف حولها».و سرعان ما حمل خولى هذا رأس الامام الحسين فى صباح الغد الى ابن‌زياد، و ما أن جلس ابن‌زياد فى قصر الامارة فى الكوفة حتى اذن للناس اذنا عاما، ثم أحضرت الرؤوس الشريفة أمامه، و وضعت بجوار رأس الامام الشهيد، و أخذ اللئيم ابن‌زياد ينكث بين ثنيتى الامام بقضيب فى يده، و الناس من حوله واجمون يعلوا وجوههم الخزى و الأسف، و يقاومون جزعهم و لا يجرؤون على منعه أو حتى الانكار عليه، خوفا من بطشه و طغيانه، غير أن الصحابى الجليل زيد بن أرقم، و كان حاضرا هذا المجلس المنكود، سرعان ما وثب مستنكرا هذه الفعلة الدنيئة النكراء، و صاح فى ابن مرجانة «اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فو الله الذى لا اله غيره، لقد رأيت شفتى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم على هاتين الشفتين يقبلهما» ثم أجهش فى البكاء و انخرط فى النحيب، فاهتزت مشاعر الناس بالجزع و الاشفاق، و اشتعلت نفوسهم بالحنق و الأسى، غير أن ابن‌زياد الملعون أخذته العزة بالاثم، ورد على صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بقوله: أبكى الله عينيك، فو الله لو لا أنك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك، لضربت عنقك، فخرج بن أرقم من المجلس ساخطا غاضبا و هو يهمهم و يقول «ملك عبد عبدا، [صفحه ۱۵۵] فاتخذهم تلدا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، و أمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم و يستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعدا لمن رضى بالذل»، غير أن رواية أخرى تذهب الى أن صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أنس بن مالك لم يطق صبرا على أفعال ابن زياد بالرأس الشريف، فأقسم فى نفسه أن يحدث الطاغية بما يسيئه، فقال «انى رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يلثم حيث يقع قضيبك»، و سواء صحت الرواية أم الثانية، أم أن الروايتين قد وقعتا، فان الدعى ابن زياد لم يبال بما سمع و استمر ينكث ثنايا مولانا الامام الحسين، عليه‌السلام.

رأس الامام الحسين عند يزيد

أمر ابن‌زياد بارسال رؤوس الشهداء جميعا، و فى مقدمتهم رأس الامام الحسين، الى يزيد، و هناك تكرر منظر القصر بالكوفة فى قصر يزيد بدمشق، و كما فعل ابن‌زياد برأس الامام الحسين، فعل طاغيته يزيد، فلقد دعا كبار رجال بلاطه الشاميين فأجلسهم حوله، ثم دعا بارأس الشريف و وضعه فى طست من ذهب، و كانت النساء خلفه، فقامت سكينة و فاطمة يتطاولان النظر، و يزيد يستره عنهما، فلما

رأينه صرخن بالبكاء، ثم أذن للناس أن يدخلوا و أخذ يزيد القضيب ينكث ثغر الحسين، و يقول: يوم بيوم بدر، و روى أن أبا برزة الأسلمى قال: «أشهد لقد رأيت النبى يرشف ثناياه و ثنايا أخيه، و يقول أنتما سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتلكما و لعنه و أعد له جهنم و ساءت مصيرا»، و فى رواية أخرى أن أبابرزة الأسلمى قال ليزيد: أما و الله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذا، لقد رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يرشفه، ثم قال: ألا ان هذا سيجىء يوم القيامة و شفيعه محمد صلى الله عليه و سلم و يجىء شفيعك ابن‌زياد، ثم قام فولى، و عن أبى الدنيا بسنده عن جعفر قال: لما وضع رأس الحسين بين يدى يزيد، و عنده أبوبرزه، و جعل ينكث بالقضيب، فقال له: «ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يلثمه» [۳] ، [صفحه ۱۵۶] و فى رواية: «ارفع قضيبك فطال و الله ما رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يضع فهم على فمه يلثمه».غير أن لئيما من لئام الشام انبرى فجأة يلعن الامام الحسين و أباه الامام على، و العياذ بالله، تزلفا منه لسادته الامويين و ثقة منه أن أحدا لن ينكر عليه سفاهته و خسته، و لكن أبى الله الا أن يخيب فأله، و طبقا لرواية ابن الأثير فى أسد الغابة، فان صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم واثلة بن الأسقع، يقوم قائلا «و الله لا أزال أحب عليا و الحسن و الحسين و فاطمة بعد أن سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول فيهم ما قال، لقد رأيتنى ذات يوم، و قد جئت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى بيت أم‌سلمة، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى و قبله، ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى و قبله، ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلى، ثم قال: انما يريد الله أن ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» فوجم القوم، و لم يستطع أحد منهم أن يرد على واثلة قوله.

الاختلاف فى مكان دفن الرأس الشريف

اشاره

لعل من الأهمية بمكان الاشارة، بادىء ذى بدء، الى حقيقة هامة يخشى ألا تظهر بوضوح فى هذا الجدل الذى طال بين المؤرخين حول المكان الذى دفن فيه رأس الامام الحسين، و الذى تنازعته ما يقرب من ثمانى مدن اسلامية هى: كربلاء و المدينة و دمشق و عسقلان و الرقة و مرو و حلب و القاهرة، تلك [صفحه ۱۵۷] الحقيقة هى أن كثيرا من البقع الاسلامية راحت تتنافس ادعاء شرف ايواء رأس مولانا الحسين، و تدعى كل منها أن الرأس الشريف عندها يعطر أرضها، و يبارك حماها، و يشرف أهلها بأن الله تعالى أكرمهم بأن جعل رأس الامام الحسين من نصيبهم، دون سواهم من بقاع أرض الاسلام المختلفة، و من المعروف أن للتاريخ اختلافات كثيرة، ربما جاز لنا أن نسميها بالاختلافات اللفظية أو العرضية، لأن نتيجتها الجوهرية، سواء بين جميع الأقوال، و منها الاختلاف على مدفن رأس الامام الحسين، عليه‌السلام، فأيا كان الموضع الذى دفن فيه الرأس الشريف، فهو فى كل موضع أهل للتعظيم و التشريف، و انما أصبح الامام الحسين بكرامة الشهادة، و كرامة البطولة، و كرامة الأسرة النبوية، معنى يحضره الرجل فى صدره، و هو قريب أو بعيد من قبره، و أن هذا المعنى، لفى القاهرة، و فى عسقلان، و فى دمشق، و فى الرقة، و فى كربلاء و فى المدينة، و فى غير تلك الأماكن سواء.و بدهى أن كل ذلك، انما يتسق مع حياة البطل و مصيره، و من ثم فرأس الامام الحسين، بكل ما مثله و يمثله الى أبد الآبدين، من صمود و عظمة و تضحية، و فداء و نبل و شهامة، و دفاع عن الحق بالنفس و الولد و الأهل، لم يعد ملكا للامام الحسين وحده، و لا ملكا لرأس الامام و جسده الشريف، كما أنه لم يعد ملكا لأرض دون أرض، بل ولا دين دون دين، و انما صار ذلك منذ استشهاد الامام البطل، و الى أن يغير الله الأرض غير الأرض، صار ملكا للحق وحده، يرفعه فى أوديته العامرة و الثائرة، لواء و قدوة، و يملأ بسناه ارادة الحياة عزما، و ضميرها نورا، و كذلك صارت رؤوس أهله و أصحابه، مشاعل فوق طريق الحق و الشرف و الايمان، و سلام الله على مولانا الامام الحسين يوم ولد، و يوم استشهد و يوم يبعث حيا.هذا و قد تعددت الآراء بشأن الأماكن التى دفن فيها رأس الامام الحسين، كما أشرنا من قبل و تنازعته ثمانى مدن، هى كربلاء و المدينة المنورة و حلب و مرو الرقة

و دمشق و عسقلان و القاهرة، و هى تدخل فى بلاد الحجاز و العراق [صفحه ۱۵۸] و الشام و الديار المصرية، و تكاد تشمل على مداخل العالم الاسلامى كله من وراء تلك الأقطار، فان لم تكن هى الأماكن التى بها دفن رأس الامام الحسين، عليه‌السلام، فهى الأماكن التى تحيا بها ذكراه، لأمراء. و لنحاول الآن مناقشة هذه الآراء بشىء من التفصيل:

الرأس الشريف فى كربلاء

تؤكد طائفة الشيعة الامامية و بعض أهل السنة أن الرأس مدفون مع الجسد الشريف فى كربلاء، حيث أعيد الرأس الى الجسد بعد أربعين يوما من استشهاد الامام، معتمدين فى ذلك على عدة روايات، منها ما قاله ابن طاوس فى كتاب «الملهوف على قتلى الطفوف» من أن رأس الحسين عليه‌السلام، مدفون فى كربلاء مع جسده الشريف، و منها ما ذهب اليه سبط بن الجوزى فى كتاب «تذكرة خواص الأمة» قولا، من بين الأقوال التى ذكرها، يذهب الى أن الرأس الشريف رد الى المدينة مع السبايا، ثم رد الى كربلاء، و هذه الأقوال، و ان لم يكن هناك ما يمنعها عقلا، فليس هناك من دليل تاريخى على صحتها، هذا الى أن الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر تذهب فى «مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى» الى أن قول غالبية الشيعة الاثنى عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد فى كربلاء، انما هو قول لا تؤيده مراجعة الحوادث، فمن المستبعد عقلا أن يعيد يزيد الرأس الى كربلاء حتى لا يزيد الناس اشتعالا، و هو يعلم بأنها لا تزال مركزا لشيعة الامام الحسين و المؤيدين لمذهبه، هذا بالاضافة الى ما جاء فى أحداث سنة ۲۳۶ ه من أن الخليفة المتوكل أمر «الذيريج» بالمسير الى قبر الحسين و هدمه، فتناول الذيريج مسحاه و هدم أعالى القبر الشريف، و انتهى هو و من معه الى الحفرة موضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة و لا غيرها، و بعيد أن نتصور أن الرأس الشريف قد بلى فى ذلك الوقت المبكر، لأن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين.

الرأس الشريف فى المدينة

روى ابن‌سعد فى الطبقات الكبرى أن يزيد بن معاوية بعث بالرأس الشريف الى عمرو بن سعيد بن العاص، نائب [صفحه ۱۵۹] المدينة، فدفنه عند قبر أمه الزهراء و أخيه الحسن بالبقيع، و قد أخذ القرطبى و ابن بكار و الهمدانى بهذا الرأى، كما ذهب الامام البخارى فى تاريخه الى أن رأس الحسين حمل الى المدينة و دفن فى البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها، و الأمر كذلك بالنسبة الى ابن فضل العمرى، حيث قال فى «مسالك الأبصار»: جاء من أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسن و رأسه الى المدينة المنورة حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن.و لعل هذا الرأى ربما كان أكثر ضعفا من الرأى الأول لسببين، أو لهما: أن ارسال رأس الامام الحسين الى المدينة انما يزيد من ثورة أهلها اشتعالا على يزيد و بقية الأمويين، و لم يمكن يزيد بحاجة الى زيادة الثورة التى انتشرت فى الحجاز بمجرد أن علم القوم هناك بمقتل آل البيت، و على رأسهم الامام الحسين، فى مجزرة كربلاء، ثم أن فيه نوعا من الاستخفاف بمشاعر المسلمين التى بدأت تغلى بالغضب، بعد أن علم الناس بما فعله ابن‌زياد فى الكوفة بالرأس الشريف، و كيف أخذ ينكث فيها بقضيب فى يده، ثم أمر أن يطاف بها فى شوارع الكوفة، امعانا فى الكيد و التشفى، و ارهابا للناس حتى لا يفكر أحد فى الخروج عليه، و بعد أن أشبع رغبته الجامحة، أمر بها أن تنقل الى يزيد بن معاوية فى دمشق، الذى كرر فعلة ابن‌زياد الدنيئة، فوضع الرأس الشريف بين يديه، و أخذ ينكث الفم الشريف بقضيب فى يده، كما فعل الزنيم ابن الدعى، ثم أمر يزيد بأن يطاف بالرأس الشريف فى مدن الشام و أقاليمه، كما أمر الخطباء أن يسبوا الامام على و ابنه الامام الحسين على المنابر، كما فعل سلفه، و كما سيفعل خلفاؤه، الا عمر بن عبدالعزيز، الأمر الذى أهاج الناس جميعا و ما أظن أن يزيد فى حاجة الى زيادة هياج بارسال الرأس الشريف الى المدينة المنورة.أما ثانى السببين، فهو النص الذى ذكره المسعودى عن دفن الامام الحسين ببقيع الغرقد مع أمه الزهراء، و قد جاء فيه «و هناك الى هذا الوقت «أى القرن الرابع الهجرى» رخامة مكتوب عليها «الحمدلله مبيد الأمم و محيى الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول‌الله

صلى الله عليه و سلم سيدة نساء العالمين، و الحسن بن [صفحه ۱۶۰] على بن أبى‌طالب، و على بن الحسين بن على، و محمد بن على، و جعفر بن محمد، رضوان الله عليهم أجمعين»، و هذا يعنى أن الذين دفنوا فى البقيع انما هم: سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، و سيد شباب أهل الجنة الامام الحسن، و قرة عين الاسلام، الامام على بن زين‌العابدين، و ولده الامام محمد الباقر و ولده شيخ علماء الأمة الامام جعفر الصادق، و أنه لو كان الامام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم، كما يقول الأستاذ حسن عبدالوهاب فى كتابه «تاريخ المساجد الأثرية» و لما أغفل صاحب النص ذكر سيدالشهداء، الامام الحسين.

الرأس الشريف فى حلب

لا ريب فى أن هذا الرأى، انما هو أضعف الآراء جميعا، فكل ما قيل عنه أنه جاء فى تاريخ حلب أن رأس الامام الحسين مدفون فى حلب فى وسط جبل جوشن، و قد بنى عليه الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين، و لكنه لم يذكر متى و كيف جيء بالرأس الشريف الى حلب، فضلا عن أن واحدا من ثقات المؤرخين لم يقل بذلك.

الرأس الشريف فى مرو

اعتمد هذا الرأى، و هو أشد ضعفا من سابقه، على رواية للمقدسى ذهب فيها الى أنه يوجد على مبعدة فرسخين من مرو رباط، قيل ان فيه رأس الحسين، و قد رد على ذلك عمر بن أبى المعالى أسعد بن عمار، بأن القول بأن الرأس الشريف كان فى خزائن بنى‌أمية الى أن ظهرت الخلافة العباسية و أن أبامسلم نقله الى خراسان، فهذا بعيد جدا، لان أبامسلم لما فتحت الشام كان فى خرسان و أن الذى فتح دمشق انما هو عبدالله بن العباس، فكيف يتصور أن ينقله عبدالله أو يمكن أبامسلم من نقله الى خرسان، هذا فضلا عن أنه لو ظفر به فى خزائن بنى‌أمية لأظهره للناس ليزدادوا لهم غضبا، و من ثم تذهب الدكتورة سعاد ماهر الى أن القول بوجودالرأس الشريف برباط مدينة مرو بخرسان منقوض من أساسه، لأن أبامسلم الخرسانى الذى قيل أنه نقل الرأس من دمشق لما استولى عليها و بنى عليه الرباط بمرو، لم يكن موجودا بالشام وقت فتحها، و لأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة العباسى [صفحه ۱۶۱] لمولاه أبامسلم بنقل الرأس الشريف لكى يدفنه فى مرو، ثم أن الخليفة نفسه، لو ظفر بالرأس الشريف لأظهره للناس ليزدادوا بغضا لبنى أمية.

الرأس الشريف فى الرقة

اعتمد هذا الرأى على رواية لسبط بن الجوزى من بين الروايات التى تعرضت لمكان الرأس الشريف، فذهب الى أن هناك رواية تذهب الى أن بمسجد الرقة على الفرات، ذلك أن الرأس الشريف لما جيء به الى يزيد بن معاوية قال «لأبعثنه الى آل أبى‌معيط عن رأس عثمان»، و كانوا بالرقة، فدفنوه فى بعض دورهم، ثم دخلت تلك الدار فى المسجد الجامع، و هو الى جانب سوره هناك، غير أن هذا الرأى الذى انفرد به ابن الجوزى، انما يناقضه أن الرقة التى فتحها المسلمون عام ۱۸ ه، لم يثبت أن أحدا - على مدى العصر الأموى كله - من خلفاء بنى‌أمية، بنى بها مسجدا جامعا، كما ذكر سبط الجوزى، و أن هذا المسجد قد أقيم على الدار التى دفن بها الرأس الشريف، و كل ما ثبت، كما أورد المقدسى فى البدء و التأريخ، و ياقوت الحموى فى معجمه، أن هشام بن عبدالله الملك بنى بها قصرين، على مبعدة فرسخ من المدينة، و فى عام ۱۵۵ ه، أسس الخليفة العباسى المنصور مدينة جديدة الى الغرب من المدينة القديمة سماها «الرفيقة» و فى شمالها بنى المنصور الجامع، و لم يذكر أحدا أبدا أنه أقيم على أنقاض دار قديمة أو أن به تصميما لمدفن ما، على أن المدينة القديمة سرعان ما خربت، و أخذت المدينة الجديدة مكانها كعاصمة للبلاد.

الرأس الشريف فى دمشق

تذهب الشيعة الاسماعيلية و كثير من أهل السنة أن الرأس الشريف انما دفن عند باب الفراديس بدمشق، و قد اعتمد هذا الرأى على عدة روايات، منها ما رواه ابن كثير عن أبى الدنيا عن طريق عثمان بن عبدالرحمن عن محمد بن عمر بن صالح، و هما ضعيفان، أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى، فأخذ من خزانته فكفن و دفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق، و كان يعرف مكانه، على أيام ابن كثير (القرن الثامن الهجرى) بمسجد الرأس، داخل باب الفراديس الثانى، و منها ما رواه ابن [صفحه ۱۶۲] عساكر فى تاريخه من أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه، نصبه بدمشق ثلاثة أيام، ثم وضع فى خزائن السلاح، حتى كان زمن سليمان بن عبدالملك فجىء به اليه، و قد بقى عظما أبيضا، فكفنه و طيبه و صلى عليه، و دفنه فى مقبرة المسلمين فلما جاء المسودة، يعنى بنى العباس، نبشوه و أخذوه معهم، و منها ما رواه ياسين الفرضى فى «المزارات المشهورة للصحابة بدمشق و نواحيها» من أن المشهور فيها بتربة باب الفراديس المسماة بمرج أبى الدحداح مسجد سمى مسجد الرأس داخل باب الفراديس فى أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل، و غربى المحراب المذكور فى الجدار طاقة على الطريق يقال ان رأس الحسين دفن بها، و لذا يقال له مشهد الحسين، و منها ما وراه ابن فضل الله العمرى و بان الطولونى من أن للامام الحسين مشهد معروف بدمشق داخل باب الفراديس و فى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا، و منها ما رواه الذهبى عن أبى‌بكر قال: كنت فى القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد، و كنت فيمن نهب خزنتهم بدمشق، فأخذت سفطا و قلت فيه غنائى فركتب فرسا و جعلته بين يدى و خرجت من باب توما ففتحته فادا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه: هذا رأس الحسين، فحفرت له بسيفى و دفنته، و منها ما رواه محمد بن قاسم بن يعقوب بأن قبر الحسين بكربلاء، و رأسه بالشام فى مسجد دمشق على رأس اسطوانة.و روى المقريزى أن الرأس مكث مصلوبا بدمشق أيام، ثم أنزل فى خزائن السلاح، حتى ولى سليمان بن عبدالملك، فبعث اليه فجىء به، و هو عظم أبيض، فجعله فى سفط و طيبة، و جعل عليه ثوبا و دفنه فى مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبدالعزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الى برأس الحسين بن على، فكتب اليه أن سليمان أخذه و جعله فى سفط و صلى عليه و دفنه، فلما دخل العباسيون دمشق سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف فنبشوه و أخذوه، و الله أعلم ما صنع به.و تذهب الدكتورة سعاد ماهر الى أن القول بأن رأس الامام الحسين قد وضع [صفحه ۱۶۳] فى أول الأمر فى خزائن السلاح بدمشق قد يكون مقبولا، لأسباب منها أن مقتل الامام الحسين حدث خطير، و له ما بعده، و لو طيف بالرأس فى البلاد بقصد التشفى لأدى ذلك الى فتنة، بل ربما أدى الى خلع يزيد نفسه، لأن الناس جميعا، حتى أولئك المناصرين ليزيد، طمعا فى الكسب المادى، كانوا يحترمون الامام لحسين و يعظمونه فى حياته، و يستعظمون ما حدث له و يأسفون على تفريطهم فى نصرته بعد وفاته، و منها أن من مصلحة يزيد أن يحرض على اخماد فتنة قتل الحسين، و اقتضى حرسه أن يحتفظ برأسه فى مكان أمين، و ليس هناك أكثر أمنا من خزانة السلاح، أما دفن الرأس فى دمشق فى عصر يزيد فلم يكن من الحكمة فى شىء، لأنه كان فى امكادن الشيعة نبش القبر ليحصلوا على الرأس الشريف، و منها أنه من المقبول أن الرأس الشريف قد ظل فى خزائن السلاح بدمشق، حتى ولى سليمان بن عبدالملك عام ۹۶ ه، فحمل الرأس و دفنه فى مقابر المسلمين بعد أن هدأت الفتنة و مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما.

الرأس الشريف فى عسقلان

لا ريب فى أن هذه الرواية انما تعتبر دفن رأس الامام الحسين فى عسقلان مجرد مرحلة، نقل بعدها الى القاهرة فى عصر الدولة الفاطمية، و من ثم فالفضل بين هذه الرواية و رواية دفن الرأس الشريف فى المشهد الحسينى بالقاهرة، فصل غير منطقى، و من ثم فسنناقش الروايتين معا، غير أن هذا لا يمنعنا نم أن نشير الى بعض الروايات التى ذهبت الى دفن الرأس الشريف فى عسقلان و التى أوردتها الدكتورة سعاد ماهر و منها تلك الرواية التى تقول بأن الرأس الشريف قد طيف به فى البلاد بأمر يزيد، فلما وصل عسقلان دفن هناك، و منها أن هناك نصا تاريخيا يؤيد وجود رأس الامام فى عسقلان فى العصر الفاطمى، و هو نص منقوش على منبر

المشهد الذى أعاد بناءه بدر الجمالى، و لما نقل المشهد الى مصر نقل المنبر الى المشهد الخليلى بالقدس، و منها ما ذكره المقريزى من أن المؤرخ ابن المأمون ذكر فى حوادث عام ۵۱۶ ه أن الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب و آخر من فضة الى مشهد الحسين بعسقلان، و أهدى اليه الوزير المأمون قنديلا [صفحه ۱۶۴] ذهبيا له سلسلة فضية، و لو كان الرأس موجودا فى غير عسقلان لأمكن لخلفاء الدولة الفاطمية الوصول اليه، و منها ما ذكره عثمان مدوخ فى كتابه العدل الشاهد من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن، مما يؤدى نقل الرأس الشريف منها.

الرأس الشريف بالمشهد الحسينى بالقاهرة

لا ريب فى أن كثيرا من المؤرخين القدامى و المحدثين، فضلا عن كثير من رجال الدين و الفكر فى هذا العصر و ما سبقه من عصور، انما يؤكدون أن رأس سيدنا و مولانا الامام الحسين عليه‌السلام، انما هى بالمشهد الحسينى، بالقاهرة، و أنها قد نقلت الى القاهرة من عسقلان، و ان ذهبت آراء الى أن الرأس الشريف جيء به الى مصر منذ البداية، و لا ريب كذلك فى أن هناك من يعارضون هذه الآراء، و أغلبهم من علماء الشام و ممن يرون فى المزارات نفسها، سواء أكانت مشهد الامام الحسين أو غيره، رأيا يختلف عن رأى كثير من المسلمين فى هذه المزارات، و اننى لأميل الى مناقشة رأى المعارضين لوجود رأس الامام الحسين بمشهده المعروف بالقاهرة، قبل مؤيديه، و لعل أهم هؤلاء المعارضين هو الامام ابن تيمية (۷۲۸ - ۶۶۱ ه) و الحافظ ابن كثير (ت ۷۷۴ ه).«أ» رأى المعارضين: لعل ابن تيمية انما على قمة المعارضين لوجود الرأس الشريف بالقاهرة، و له فى ذلك رسالة ضمن الرسائل المعروفة باسمه، أعيد نشرها حديثا عام ۱۹۷۷ م بالقاهرة تحت عنوان «رأس الحسين» و خلاصة ما جاء فيها أن المشهد المنسوب الى الحسين بن على، رضى الله عنه، بالقاهرة كذب مختلق بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، و لا يعرف عالم مسمى معروف بعلم و صدق أنه قال هذا المشهد صحيح، و انما يذكره بعض الناس قولا عمن لا يعرف، على عادة من يحكى من مقالات الرافضة و أمثالهم من أهل الكذب، ثم يذكر بعد ذلك أن مشهد القاهرة بنى عام بضع و أربعين و خمسمائة، و أنه نقل بمشهد بعسقلان، و أن ذلك المشهد بعسقلان كان قد أحدث بعد [صفحه ۱۶۵] التسعين و أربعمائة، فأصل هذا المشهد القاهرى ذلك المشهد العسقلانى، و هو محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة و ثلاثين سنة، و هذا بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة.و اذا كان أصل هذا المشهد القاهرى هو ما نقل عن المشهد العسقلانى باتفاق الناس و النقل المتواتر، فمن المعلوم أن قول القائل ان ذلك الذى بعسقلان هو مبنى على رأس الحسين رضى الله عنه قول بلا حجة أصلا، فان هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا، لا من أهل الحديث، و لا من علماء الأخبار و التواريخ، و لا من العلماء المصنفين فى النسب، نسب قريش أو نسب بنى‌هاشم و نحوه، و ذلك المشهد العسقلانى أحدث فى آخر المائة الخامسة، لم يكن قديما و لا كان هناك مكان قبله أو نحوه مضاف الى الحسين، و لا حجر منقوش و لا نحوه مما يقال انه علامة على ذلك، فاضافة مثل هذا الى الحسين قول بلا علم أصلا، و لا فرق بين أن يجيء الرجل الى بعض القبور، فيدعى أن فى واحد منها رأس الحسين أو نبيا من الأنبياء أو نحو ذلك مما يدعيه أهل الكذب و الضلال، و غالب ما يستند الواحد من هؤلاء أن يدعى أنه رأى مناما أو علامة تدل على صلاح ساكن القبر، اما رائحة طيبة، و اما توهم خرق عادة و نحو ذلك، و رائى المنام غالبا ما يكون كاذبا، و بتقدير صدقه فقد يكون الذى أخبره بذلك الشيطان، و كان من الشيوخ المعروفين بالعلم و الدين بالقاهرة من ذكروا عنه أنه قال هو قبر نصرانى، و هذا غير مستبعد، فان اليهود و النصارى هم السابقون فى تعظيم القبور و المشاهد.و اذا كان ذلك المشهد العسقلانى قد قال طائفة انه قبر بعض النصارى أو بعض الحواريين، و ليس معنا يدل على أن يكون قبرا لرأس الحسين، كان قول من قال انه قبر مسلم، الحسين أو غيره، قولا مردودا على قائله، فهذا كاف فى المنع من أن يقال هذا مشهد الحسين.ثم ينتهى ابن تيمية الى النتيجة التالية: نحن نقول و نجزم بأنه ليس رأس الحسين، و لا كان ذلك المشهد العسقلانى،

مشهدا للحسين، من وجوه متعددة، [صفحه ۱۶۶] منها تأخر الكشف عن هذا المشهد بآكثر من اربعمائة عام، و منها ان الذين جمعوا أخبار الحسين و مقتله مثل أبى الدنيا و البغوى و غيرهما، لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل الى عسقلان و لا الى القاهرة، و منها أن الذى ذكره من يعتمد عليه من العلماء و المؤرخين أن الرأس حمل الى المدينة و دفن عند أخيه الحسن، و منها أنه ثبت فى صحيح البخارى أن الرأس حمل الى قدام عبيدالله بن زياد، و جعل ينكث بالقضيب على ثناياه بحضرة أنس بن مالك، و فى المسند أن ذلك كان بحضرة أبى برزة الأسلمى، و لكن بعض الناس و روى باسناد متقطع أن هذا النكث كان بحضرة يزيد بن معاوية، و هذا باطل، فان أبابرزة و أنس بن مالك كانا بالعراق و لم يكونا بالشام، و يزيد كان بالشام و لم يكن بالعراق حين مقتل الحسين، و منها أنه لو قدر أنه حمل الى يزيد، فأى غرض لهم فى دفنه، بعسقلان، فاذا كان المراد التعفية فمثل عسقلان تظهره لكثرة من ينتابها للرباط، و ان كان بركة البقعة فلا ينظر ذلك من عدو متسحل لدمه، ثم انه من المعلوم انه دفن بالبقيع عند أمه و أخيه، و القبة التى على العباس «هدمها الملك عبدالعزيز عام ۱۳۴۳ ه حين استولى على المدينة» يقال ان فيها كذلك الحسن و على بن الحسين و الباقر و جعفر الصادق، و أن فاطمة تحت الحائط أو قريبا من ذلك، و أن رأس الحسين هناك أيضا، و منها أن دفنه بالبقيع انما تشهد به عادة القوم، فقد كانوا فى الفتن اذا قتل الرجل فيهم، لم يكن منهم، سلموا رأسه و بدنه الى أهله، كما فعل الحجاج و ابن الزبير أعظم بكثير مما كان بين الحسين و خصومه.هذه خلاصة رأى ابن تيمية فى رسالته عن «رأس الحسين» و قد أخطأ ابن تيمية، فيما يرى الأستاذ حسين يوسف، فى استنتاجاته من عدة وجوه، منها (أولا) أن عدم تناقل أحد من أهل العلم و الدين، فى نظر ابن تيمية، للقول بوجود الرأس الشريف فى عسقلان لا يكفى لبطلانه و أنه قول بلا حجة أصلا، فان اشتهار وجود الرأس الشريف فى عسقلان بين جمهور المسلمين و عدم ظهور من [صفحه ۱۶۷] ينكر ذلك، قيل بناء مشهد عسقلان أو بعده، الى أن تم نقله الى القاهرة فى مشهد عظيم يحف به العلماء و الكبراء و الأمراء، كل ذلك أقوى دلالة على وجود رأس الامام الحسين من النفى الذى ذهب اليه ابن تيمية، دونما دليل أو برهان، و منها (ثانيا) أن قوله بأن رائى المنام غالبا ما يكون كاذبا، و ان صدق يكون الذى أخبره بذلك الشيطان، قول لا تقوم به حجة، و احتمال يقبل عكسه بأن يكون الرائى صادقا، و أن تكون رؤياه من الملك لا من الشيطان، و الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، فلقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى‌هريرة أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال «لم يبق من النبوة الا المبشرات، الرؤيا الصالحة»، و روى البخارى و مسلم عن أبى‌سعيد و ابن عمر أن النبى صلى الله عليه و سلم قال «الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة»، و روى أصحاب السنن عن قتادة أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «قال الرؤيا الصالحة من الله، و الحلم من الشيطان»، و هكذا يصف رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الرؤيا بالصلاح، و أنها بشارة بخير، و أنها جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة، بينما لا يرى فيها ابن تيمية الا الجانب السيء فيصفها غالبا بالكذب، و لا يقدم لنا الا الظن السيء بالناس، ليبرر بذلك ظنونه التى لم يستطع اثباتها بالأدلة و البراهين.و منها (ثالثا) أن من قوله: ان من الشيوخ المشهورين بالعلم و الدين من قالوا: انه قبر نصرانى، ادعاء يحتاج الى اثبات، فمن هم هؤلاء الشيوخ المشهورين بالعلم و الدين، و الذين قالوا ان ذلك القبر الذى ظل المسلمون يعظمونه و يجلونه مئات السنين بعسقلان، انما هو قبر نصرانى؛ ثم ما هى أدلة شيوخ ابن تيمية على أن قبر عسقلان هذا انما هو قبر نصرانى، و ليس القبر الذى شرف بالرأس الشريف لسبط النبى صلى الله عليه و سلم مولانا الامام الحسين كما أجمعت الأمة على ذلك جيلا بعد جيل، و منها (رابعا) أن قول ابن تيمية أن طائفة قالت انه قبر نصرانى أو أحد الحواريين، و ليس معنا ما يدل على أنه قبر رأس الحسين، قول فيه مغالطة لا دليل عليها، فابن تيمية لم يقدم لنا دليلا واحدا على أن مشهد عسقلان انما هو قبر بعض النصارى أو الحواريين، فى حين أن الأمة كلها تكاد تجمع على أنه قبر رأس الامام الحسين، و لا يقلل من جديه هذه الدلالة أن بناء [صفحه ۱۶۸] المشهد جاء متأخرا بعد استشهاد الامام الحسين بأربعة قرون، و ربما كان السبب الظروف السياسة التى كانت تمر بها الدولة الاسلامية على أيام الأمويين و العباسيين، ابن تيمية يعرف تماما موقف هؤلاء و أولئك من أبناء الزهراء، و سلالة الامام على، هذا فضلا عن أن كثيرا من الصحابة و الصالحين و الشهداء لم تبن مشاهدهم بصورتها الأخيرة، الا بعد وفاتهم بمئات السنين، و منها «خامسا» أن كثيرا من أكابر العلماء و المؤرخين، الذين جاءوا

بعد ابن تيمية أو كانوا قبله، لم ينكروا وجود الرأس الشريف بعسقلان قبل نقله الى القاهرة بل جاءت رواياتهم و أقوالهم تؤكد وجوده من هؤلاء ابن ميسر و القلقشندى و على بن أبى‌بكر المشهور بالسائح الهروى و ابن اياس و سبط الجوزى، و يقول عثمان مدوخ الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار، مشهد دمشق دفن به الرأس أولا، ثم مشهد عسقلان نقل اليه الرأس من دمشق، ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلى و الجامع الأزهر.و منها (سادسا) أننا ناقشنا من قبل وجهة النظر التى ذهبت الى أن رأس الامام الحسين قد دفن بالبقيع بالمدينة و قد أثبتنا بطلان ذلك بأدلة ذكرها المسعودى، و نعنى بها تلك الرخامة التى كانت على أيامه، و التى سجلت عليها أسماء السيدة فاطمة الزهراء و الحسن و على زين‌العابدين و الباقر و جعفر الصادق، الأمر الذى دفع علماء الآثار الاسلامية الى القول بأن رأس الامام الحسين لو كانت مدفونة معهم، لما أغفل صاحب النص ذكر سيدالشهداء الامام الحسين، هذا الى أن ارسال رأس الامام الحسين الى المدينة فيه ما فيه من خطر على بنى‌أمية، خشية اشتعال الفتنة بها، كما أشرنا من قبل، هذا الى أن ابن تيمية نفسه يذهب الى يزيد ندم على قتل الحسين، و لم يظهر الرضى، بل أظهر الندم، فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالرأس الشريف فى البلاد ما بين الشام و المدينة، لا لشىء الا ليدفنه فى المدينة، و ما الهدف من ذلك، ألتكريم الحسين أم لزيادة التشفى و الانتقام من آل البيت خاصة، و أهل المدينة عامة، و منها (سابعا) أن ما ذكره ابن تيمية فى دليله الرابع من حديث البخارى على أن [صفحه ۱۶۹] الذى نكث الرأس الشريف بالقضيب، بحضرة أنسب بن مالك هو عبيدالله بن زياد، و أن النكث بحضرة يزيد كذب، ليس له صلة بدفن رأس الامام بعسقلان أو المدينة، و لست أدرى ماذا يريد ابن تيمية من ذلك،: فهل يريد أن يقول أن الرأس الشريف لم يذهب الى دمشق أبدا، أم يريد أن يقول أن زياد أرسل الرأس الشريف الى المدينة مباشرة، أم يريد أن يبرىء يزيد بن معاوية من خطاياه، و ما أكبرها، و فى كل تلك الحالات نقول مرة أخرى: ما صلة ذلك كله بمكان دفن رأس الامام الحسين؟و منها (ثامنا) أن تسأل ابن تيمية بأنه لو قدر أن الرأس الشريف حمل الى يزيد، فأى غرض لهم فى دفنه فى عسقلان و فيها المرابطون، فأما الدفن فى عسقلان فتكاد الروايات تجمع على أنه تم بعد فترة، و بعد موت يزيد، ثم يجب ألا ننسى أن عسقلان من أماكن الشام، و الشام كما هو معروف، حماة بنى‌أمية، و المحاربون معهم لآل البيت، سواء على أيام معاوية أو يزيد، و أما الخوف من المرابطين، فما أظن أن ابن تيمية كان يقصد أن يزيد كان يخشى هؤلاء المرابطين، و ما حدثنا التاريخ أن واحدا منهم ثار على المذبحة الدنيئة التى راح ضحيتها آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم فى كربلاء فضلا عن أن جنود الشام هؤلاء هم الذين سوف يرسلهم يزيد لاستباحة حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى المدينة، ثم حرم الله فى البلد الحرام، و أما تساؤل ابن تيمية هل كانوا يقصدون بركة البقعة، فالمعروف أن يزيد ما كان يقيم لبركة البقاع و زنا، و الا لأقام حرمة لمدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و حرمه، و لبلد الله و الكعبة المشرفة، حيث استباح حرمة كل منهما على حدة، و ابن تيمية نفسه، و فى رسالته وقعة الحرة، و قد جاء فى الصحيح عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «المدينة حرم ما بين عائر الى كذا، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا»، و قال صلى الله عليه و سلم «من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح فى الماء». [صفحه ۱۷۰] و منها (تاسعا) قول ابن تيمية أن دفن رأس الحسين فى البقيع هو ما تشهد به عادة القوم، فلقد سعى الحجاج الى قتل ابن الزبير، فلما قتله و صلبه سلمه الى أهل بيته، رغم أن ما بين الزبير و بينه من الحروب أعظم بكثير ما بين الحسين و خصومه، تلك مقارنة علم الله أن ابن تيمية لم ينصف فيها الامام الحسين أبدا، فمقتل ابن الزبير لا يمكن بحال من الأحوال أن يقارن عند المسلمين بمذبحة كربلاء التى حارب فيها ۷۲ رجلا، جيشا قوامه أربعة الآف، فاستشهدوا جميعا، و على رأسهم الامام الحسين و شباب آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، الا زين‌العابدين الذى أراد الله أن يبقى فيه ذرية النبى صلى الله عليه و سلم من جهة الحسين، ثم ما فعله اللئام بالشهداء بعد المذبحة الدنيئة، انما هو عار على المسلمين الى أبد الآبدين، ثم أن نتائج مذبحة كربلاء أكبر بكثير من آثار مقتل ابن الزبير، ثم هل يقارن الامام الحسين، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و من قال النبى فيه: حسين منى و أنا من حسين، بأحد فى عصره، ثم اذا كان هناك لبنى أمية حجة فى خروج ابن الزبير عليهم و استقلاله بكثير من أقطار الاسلام، فما هى

حجتهم على حفيد النبى صلى الله عليه و سلم و أحب أهل الأرض الى أهل السماء فى عصره، هذا الى أن القوم كانوا على أيام ابن الزبير قد بلغوا درجة من الطغيان لا يخشون معها غضب أحد من المسلمين، حتى أنهم هدموا الكعبة المشرفة، أما على أيام الامام الحسين فكان الوضع مختلفا، و كان من المسلمين من هو على استعداد للثورة ضدهم، كما حدث فى المدينة، بل ان ثورة ابن الزبير نفسها من نتائج مذبحة كربلاء، و من ثم فالمقارنة لا تصح هنا، و بالتالى فعادة تسليم القتيل بعد قتله، كما حدث مع ابن الزبير، قياس مع الفارق.و يأتى ابن كثير، بعد ابن تيمية، فيقول برأيه، و لكنه ينسب المشهد الحسينى الى الفاطميين فيذهب الى أن الفاطميين ادعوا أن رأس الحسين رضى الله عنه وصل الى الديار المصرية، و دفنوه بها، و بنوا عليه المشهد المشهور به بمصر، يقال له «تاج الحسين» بعد سنة خمسمائة، و قد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا أصل له، وانما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما [صفحه ۱۷۱] ادعوه من نسب الشريف، و هكذا فان ابن كثير انما يبنى رفضه للمشهد الحسينى بالقاهرة، على أن الفاطميين أتوا به ليروجوا بذلك لما ادعوه من النسب الشريف، فالأمر اذن صحة نسب الفاطميين للامام الحسين أو عدم صحته، و ليس أمر وجود الرأس الشريف بالمشهد الحسينى بالقاهرة، ثم ان مسألة اشك فى نسب الفاطميين التى اتخذها البعض سبيلا- للشك فى حقيقة الرأس الموجود بالمشهد الحسينى، ليست هى نفسها حقيقة، ذلك لأن جمهرة من المؤرخين انما ترى صحة النسب، فابن الأثير يذهب فى الكامل الى أنه ناقش مسألة نسب الفاطميين مع جماعة من العلويين العالمين بالأنساب، فلم يرتابوا فى أن الفاطميين من أبناء على و فاطمة، رضى الله عنهما، و المقريزى يؤمن بصحة هذا النسب، و يقول فى الخطط، و كفاك بكتاب المعتضد، من خلائف بنى العباس، حجة، فانه كتب فى شأن عبيدالله الى ابن الأغلب بالقبروان، و ابن مدرار بسجلماسة، بالقبض على عبدالله، فتفطن لصحة هذا الشاهد، فان المعتضد، لو لا صحة نسب عبيدالله عنده، ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه، فلو كان من الأدعياء، لما مر بفكره الامامة على ضيغة من ضياع الأرض.«ب» رأى المؤيدين: لا ريب فى أن المؤيدين لوجود رأس مولانا الامام الحسين فى المشهد الحسينى بالقاهرة، انما هم جمهرة العلماء و الغالبية العظمى للمسلمين، و خلاصة و جهة نظرهم أن الرأس الشريف انما قد طيف به فى البلاد حتى وصل الى عسقلان، فدفنه أميرها هناك، و بقى بها حتى استولى عليها الافرنج فى الحروب الصليبية، فبذل لهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمصر ثلاثين ألف درهم، على أن ينقله الى القاهرة حيث دفن بمشهده المشهور، قال الشعرانى فى طبقات الأولياء: ان الوزير صالح طلائع بن رزيك خرج هو و عسكر حفاة الى الصالحية، فتلقى الرأس الشريف و وضعه فى كيس من الحرير الأخضر على كرسى من الأبنوس، و فرش تحته المسك و العنبر و الطيب، و دفن فى المشهد الحسينى قريبا من خال الخليلى فى القبر المعروف، و قال الشيخ على الأجهورى فى رسالة «فضائل عاشوراء» ذهب جمع من أهل التاريخ الى [صفحه ۱۷۲] دفن الرأس الشريف بالمشهد المصرى المعروف، و كذا قال جمع من أهل الكشف، و ان ذلك قد تم فى عام ۵۴۹ ه على أيام الدولة الفاطمية، و يعتمدون فى ذلك على أدلة تاريخية كثيرة، منها «أولا» ما ذكره الفاروقى فى تاريخ «ميارافين و آمد»، من أن رأس الامام الحسين رضى الله عنه بقى فى عسقلان حتى عام ۵۴۶ ه، فقويت الافرنج على أهل مصر، و عزموا على منازعة عسقلان فخرج خليفة مصر بنفسه و صحبه الى عسقلان، و كان الظافر بن الحافظ عبدالمجيد، فحمل الرأس ملفوفا فى صندوق على صدره من عسقلان الى مصر، و بنى عليه مشهدا عظيما.و منها (ثانيا) ما ذكره ابن بطوطة فى رحلته المشهورة من أنه سافر الى عسقلان، و بها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن على، عليه‌السلام، قبل أن ينقل الى القاهرة، و منها (ثالثا) ما ذكره على بن أبى‌بكر المشهور بالسائح الهروى (ت ۶۱۱ ه) فى الاشارات الى أماكن الزيارات، عند الكلام عن عسقلان فقال «و بها مشهد الحسين رضى الله عنه، كان رأسه بها قبل أن ينقل الى القاهرة، فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة سنة تسع و أربعين و خمسمائة، و منها (رابعا) ما قاله الصبان فى «اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى و فضائل أهل بيته الطاهرين»: و اختلفوا فى رأس الحسين بعد مسيره الى الشام الى ابن صاروفى أى موضع استقر؟، فذهبت طائفة الى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف فى البلاد، فطيف به حتى انتهى الى عسقلان فدفنه أميرها بها، فلما غلب الافرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل، و مشى الى لقائه من عدة مراحل و وضعه فى كيس

حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس و فرش تحته المسك و الطيب و بنى عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلى.و منها (خامسا) ما ذكره ابن اياس فى تاريخه من أن رأس الامام الحسين نقلت فى أيام الفائز من عسقلان الى القاهرة عام ۵۴۹ ه، و منها (سادسا) ما قال به المقريزى فى الخطط: و كان حمل الرأس الشريف الى القاهرة من عسقلان، [صفحه ۱۷۳] و وصوله اليها فى يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة، سنة ثمان و أربعين و خمسمائة، و كان الذى وصل بالرأس الشريف من عسقلان، الأمير سيف المملكة تميم، و اليها، و القاضى المؤتمن بن مكين، و حصل فى القصر يوم الثلاثاء، عاشر جمادى الآخرة، و نقل عن ابن عبد الظاهر أن ذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة ۵۴۰ ه.و منها (سابعا) ما جاء فى كتاب «مرشد الزوار الى طريق الأبرار» أن بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين ذكر أن الرأس الذى وضع بالمشهد القاهرى انما هو رأس الامام الحسين رضى الله عنه كان بعسقلان، فلما كان أيام الظاهر الفاطمى، كتب عباس الى الظاهر يقول له: أما بعد فان الفرنج أشرفوا على أخذ عسقلان، و أن بها رأسا يقال انها رأس الحسين بن على رضى الله عنه فأرسل اليه من تختار ليأذخه فبعث اليه مكنون الخادم فى عشارى من عشارى الخدمة، فحمل الرأس من عسقلان و أرسى به فى الموضع المعروف بالكافورى ممن الخليج الحاكمى فحمل و أدخل الى القصر و استقر فيه كما هو الآن، و بنى الظاهر مسجد الفكهانى ليجعله فيه، و بنى طلائع بن رزيك مسجدا بظاهر باب زويلة أيضا و هو المسمى بجامع الصالح ليجعله فيه، ثم اجتمع رأيهم على يجعلوه بالقصر فى قبة تعرف بقبة الديلم، و كانت دهليزا من دهاليز الخدمة، و منها (ثامنا) ما ذهب اليه البعض من أن الرأس الشريف قد طيف به فى البلاد تشهيرا به حتى انتهى به حاملوه من أعدائه الى عسقلان فدفنه أمير الأمويين بها، و لما استولى الصليبون على عسقلان افتدى الرأس الشريف منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين حينئذ بمال كثير، ثم حمله الى القاهرة، و بنى عليه المشهد المعروف بها، و مما يثبت ذلك أن القاضى الفاضل الشاعر المصرى المشهور ذكر هذا فى قصيدة مدح بها الصالح، و هذا دليل تاريخى يثبت أن رأس الامام الحسين قد دفن فعلا فى مشهده المعروف بالقاهرة، و منها (تاسعا) ما جاء فى القريزى من أن طلائع بنى مسجدا لرأس الامام الحسين خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر و هو المعروف بجامع الصالح طلائع الآن، و كشف الحجب [صفحه ۱۷۴] عن تلك الذخيرة النبوية فوجد دمه لم يجف و وجد له رائحة أطيب من المسك، فغسله فى المسجد المذكور على ألواح من الخشب، و جاء فى البلاوى: بأعلى حائط مسجد الصالح طلائع ألواح الآن يقال انها هى التى كان عليها الغسل.و تذهب الدكتورة سعاد ماهر فى تعليقها على المقريزى أنه مما لا شك فيه أن رأسا قد احضرت الى القاهرة و أنها قد غسلت فى مسجد الصالح طلائع، و قد كشفت الحفائر التى أجريت عام ۱۹۴۵ م عن وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها «أدخلوها بسلام آمنين»، و مثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن، و من ثم فمن المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاورا لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين، كما ذكر ابن دقماق، ثم تنهى الدكتورة سعاد ماهر الى القول بوجود رأس بمشهد عسقلان، و من المرجع أن يكون هو رأس الامام الحسين، و أن هذا الرأس الشريف قد نقل الى مشهد الحسين بالقاهرة.هذا باختصار رأى رجال التاريخ و أساتذة الآثار و الحضارة الاسلامية، و كلها تؤيد وجود رأس سيدنا و مولانا الحسين، عليه‌السلام، بالمشهد الحسينى بالقاهرة.و أما أهل الحقيقة و أئمة التصوف فانهم يجمعون على أن رأس الامام الحسين عليه‌السلام، قد استقر به الترحال فى النهاية فعلا فى مكانه الحالى بالمشهد الحسينى بالقاهرة، يرون، كشفا و شهودا، أنه دفن فى كربلاء، ثم الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهرى، ذلك أن من حكم باب البرزخ الطريق ما بين الدنيا و الآخرة هو حكم الانسان أو يشبه الانسان المتدلى فى تيار حار، كذلك أعضاء الانسان فى عالم البرزخ يطوف الميت ذى الولاية من مكان الى آخر، و بخاصة رأس الولى، اذا كان منفصلا من جسده، و لأسباب برزخية غيبية طاف فى تيار الوجوه، و انتهى الى هذا الحل من المشهد الحسينى، و هم بذلك يدعمون أقوال بعض المؤرخين، هذا و يذهب الصوفية الى أنهم يخاطبونه و يخاطبهم و يزورونه و يتلقون عنه، و بدهى أن هؤلاء السادة الشيوخ العارفين من [صفحه ۱۷۵] أهل الكشف و التجلى يدركون حقيقة وجود الرأس الشريف فى المشهد الحسينى بالقاهرة الهاما و كشفا، حيث يشهدون بأرواحهم، و يلتقون مع مولانا الامام الحسين

بأشياخهم، ذلك أن العبد اذا وصل الى مقام الشهود انكشفت له الحجب و أزيحت الأستار، فشاهد ما لم يشهد، و أبصر ما لم يبصر، و صار يسمع بقلبه و يرى ببصيرته و يشهد بروحه.و لسنا هنا فى مقام التحدث و الاضافة فى مثل هذه المواضيع، و لكن يكفى لاعطاء صورد عنها، أن يعلم المنكرون لفضل الله على من اجتباهم مولاهم، أن الشيخ الشعرانى، كما يقول الأستاذ طه سرور، الذى بلغ القمة من علوم الفقه و الحديث و التفسير و اللغة و الأصول و غيرها، كان أستاذه بعد ذلك فى سلوك طريق الحق و الشهود، هو الشيخ على الخواص، الذى يقول عنه الشعرانى: ان من منن الله عليه أن كان وصوله و فتحه على يد أمى لا يعرف القراءة و الكتابة، ثم يقول فى وصفه: رجل غلب عليه الخفاء، فلا يكاد يعرفه بالولاية و العلم الا العلماء العاملون، لأنه رجل كامل عندنا بلا شك، و الكامل اذا بلغ مقام الكمال فى العرفان، صار غريبا من الأكوان، هذا و قد أورد لنا الشبلنجى فى «نور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار» كثيرا من أقوال أهل الكشف، كما قدم لنا غير الشبلنجى كثيرا من الأدلة المختار» كثيرا من أقوال أهل الكشف، كما قدم لنا غير الشبلنجى كثيرا من الأدلة على أن رأس الامام الحسين انما انتهى بها المطاف فى أرض الكنانة، تشريفا لها و تعظيما، و تبركا بحفيد المصطفى صلى الله عليه و سلم، كما تباركت من قبل بشقيقته العقيلة الطاهرة،و ابنته السيدة فاطمة النبوية، و السيدة سكينة، و كذا السيدة نفيسة حفيدة الامام الحسن، رضوان الله عليهم و على آل البيت أجمعين.و أما أدلة أهل الحقيقة و أئمة التصوف على وجود رأس الامام الحسين بالمشهد الحسينى بالقاهرة فكثيرة، منها (اولا) ما أورده المناوزى فى طبقاته حيث قال: ذكر لى بعض أهل الكشف و الشهود أنه حصل له اصلاح على أن الرأس الشريف دفن مع الجثة بكربلاء، ثم ظهر بعد ذلك بالمشهد القاهرى، و ذكر أنه خاطبه منه، و هذا القول انما قد جمع بين رأى الشيعة الامامية القائل بدفن [صفحه ۱۷۶] الرأس بكربلاء، و بين قول المقريزى و من نحا نحوه بنقل الرأس الى القاهرة، منها (ثانيا) ما قاله العارف بالله العلامة الشعرانى فى «المنن الكبرى» أخبرنى يعنى شيخه القطب الشيخ على الخواص، أن رأس الامام الحسين رضى الله عنه حقيقة فى المشهد الحسينى، قريبا من خان الخليلى، و أن طلائع بن رزيك، وضعها فى القبر المعروف بالمشهد فى كيس أخضر، ثم قال بعد ذلك فى «المنن الكبرى» أيضا: زرت مرة رأس الحسين بالمشهد، أنا و الشيخ شهاب‌الدين بن الجلبى الحنفى، و كان عنده توقف فى أن رأس الاما الحسين فى ذلك المكان، فثقلت رأسه فنام، فرأى شخصا كهيئة النقيب طلع من عند الرأس و ذهب الى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية الشريفة، فقال يا رسول‌الله: أحمد بن الجلبى و عبدالوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين، فقال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم تقبل منهما و اغفر لهما، و من ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب‌الدين زيارة الرأس الشريف الى أن مات، و كان يقول: آمنت بأن رأس الحسين هنا».و منها «ثالثا» ما نقل عن الشيخ أبى حسن التمار أنه كان اذا دخل الضريح يقول: السلام عليكم، فيسمع الجواب و عليك السلام يا أبا الحسن، فجاء يوما من الأيام فسلم، فلم يسمع الجواب برد السلام، فزار و رجع، ثم جاء مرة أخرى، فسمع الجواب برد السلام فقال: يا سيدى،: جئت بالأمس فسلمت فما سمعت جوابا، فقال: يا أبا الحسن، لك المعذرة، كنت أتحدث مع جدى صلى الله عليه و السلام فلم أسمع كلامك، و منها (رابعا) ما روى عن نجم‌الدين الغيطى، نقلا عن شمس‌الدين اللقانى شيخ المالكية فى عصره، أنه كان جالسا يوما بالأزهر، مع القطب الشيخ أبى المواهب التونسى، و اذا به يقوم مستعجلا، فتبعه شمس‌الدين و هو لا يشعر، الى أن وصل الى المشهد المبارك، فوجد انسانا واقفا على باب الضريح الشريف، و يداه مبسوطتان بالدعاء، فلما فرغ و مسح عن وجهه بيديه، رجع الشيخ أبو المواهب، فأخبره اللقانى بأنه فى ذهابه الى المسجد، و سأله عن سبب ذلك، فقال له ما رأيت، قال رأيت انسانا واقفا [صفحه ۱۷۷] على باب الضريح يدعو، و قد وقفت خلفه، فوقفت خلفكما أدعوا أيضا، فقال أبشر يا شمس‌الدين، فان جميع ما دعوت به أستجيب لك، قال و من هذا الرجل، قال: القطب الغوث الجامع يأتى كل يوم، أو قال كل يوم ثلاثاء، فيزور هذا المشهد، فلما وقع عندى مجيئه فى ذلك الوقت، قمت اليه و حضرت معه الزيارة، و قبلت يده، فالزم ذلك يحصل لك خير، فما زال الشيخ شمس‌الدين اللقانى يزور ذلك المكان الى أن مات رحمه الله.و منها (خامسا) ما روى عن الشيخ فتح‌الدين أبوالفتح الغمرى الشافعى أنه كان يتردد الى زيارة، فجلس يقرأ الفاتحة و دعا، فلما وصل فى الدعاء الى قوله «و اجعل ثوابا مثل ذلك فى صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس»،

فحصل له حال، و نظر فاذا بشخص جالس على الضريح وقع له أنه السيد الحسين رضى الله عنه فقال فى صحائف هذا، و أشار بيده اليه، فلما أتم الدعاء ذهب الى الشيخ الشعرانى و أخبره بذلك، فقال له الشيخ: صدقت، و أنا وقع لى مثل ذلك، ثم ذهب الى الشيخ كريم‌الدين الخلوتى و أخبره بذلك فقال له: صدقت، و أنا ما زرت هذا المكان الا باذن من النبى صلى الله عليه و سلم، و منها (سادسا) ما أورده الأستاذ محمد محمود عبدالعليم فى كتابه «سيدنا الامام الحسين» من أن أستاذه الشيخ عبد المقصود محمد سالم يحرص على زيارة سيدنا الحسين كثيرا، و فى أواخر أيام حياته كان يزوره كل يوم ثلاثاء فى صلاة الظهر، و كان يحتفل بمولده كل عام فى دار جماعة تلاوة القرآن الكريم، و كان مما رواه له أنه فى احدى زياراته قال لسيدنا الحسين رضى الله عنه: السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين، يا أميرالمؤمنين، فسمع جوابا صادرا من ضريحه يملاء جنبات المسجد: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.و منها (سابعا) أن العارف بالله العلامة الشيخ صالح الجعفرى انما كان يؤكد أنه رأى سيدنا الحسين أكثر من مرة فى برزخة بالمشهد الحسينى، و يروى فى كتابه «لا اله الا الله» أنه فى احدى زياراته، و كان قد أكل سمكا مملحا و بصلا و جلس بجوار مقام سيدنا الحسين فأخذته سنة من النوم، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم [صفحه ۱۷۸] يقول له: أتأكل هذا و تحضر عند ابنى الحسين، و قد تحدث عن هذا فى قصيدته «روضة القلوب و الأرواح» التى يقول فيها:رأيت المصطفى كالبدر يأتى يزور حسينه حينا فحينافزوروا مثله سبطا سميا و كونوا مثل خير المرسلينا‌و قل يا رب صل على محمد و آل محمد و المؤمنيناسلام الله من قلبى اليكم و رحمة ربنا للصادقينا‌و منها (ثامنا) ما نشرته الصحف المصرية عام ۱۹۵۶ م من أن سلطان البهرة بالهند الدكتور سيف‌الدين طاهر، كان قد زار ضريح سيدنا الحسين بكربلاء، و عقد العزم على أن يهدى اليه مقصورة فخمة من الفضة المطعمة بالذهب، فرأى الامام الحسين فى منامه و قال له: ان ضريحى بكربلاء لا بأس به، و لكن أحضرها الى مقامى بالقاهرة، و قد روى سلطان البهرة هذه القصة، و يعزوا اليها السبب فى اهدائه للمقصورة المقامة الآن على ضريح الامام الحسين، و منها «تاسعا» ما يذكره الأستاذ محمد محمود عبدالعليم من أنه حدث له شخصيا، أنه فى أثناء كتابته لكتابه «سيدنا الامام الحسين» عام ۱۴۰۳ ه، أنه رأى الامام الحسين جالسا فى ضريحه يسطع فى وجهه النور، و تعلوه الهيبة و الجلال، و بيده ريشة، و هو يدون تاريخ حياته، ثم أشار الى أحد حكام مصر السابقين و قال لى: لا تنسى أن تذكر أنه فى عهد هذا تم احضار المقصورة و توسعة المسجد، ثم يقول: و قد أكرمنى الله سبحانه و تعالى بصحبة رجال عارفين عاشقين لسيدنا الامام الحسين رضى الله عنه و سمعت منهم كثيرا، مما يؤكد أن سيدنا الحسين فى مكانه هذا، و أنهم قد حظوا برؤيته، كما يروى أنه رأى فى منامه شيخه عبد المقصود بعد وفاته، و هو يزور سيدنا الحسين فى عديد من المرات، و أنه أدخله الضريح مرة، فرأى نورا باهرا لم ير مثله، و يعجز عن تصويره، و أن كثيرا من الكرامات قد أظهرها الله لعبده لاحسين، و استجيبت الدعوات، و انفرجت الكربات فى حضرته.و منها (عاشرا)، فى كتاب «سيدنا الامام الحسين» من أن عمرا بن سعيد [صفحه ۱۷۹] والى المدينة، سأل السيدة زينب رضى الله عنها حين أجبرها الأمويون على ترك المدينة و اختارت مصر، لماذا اخترت مصر، فأجابته: لأكون و أنا فى برزخى بعد سنين ستمضى، فى شرف استقبال رأس الحسين، الذى سودتم تاريخكم بدمه الطاهر البرىء»، و هذه الكرامة الخارقة التى أظهرها الله على يد العقيلة الطاهرة، و التى تحققت بعد مئات السنين، انما تدل كذلك على أن رأس الامام الحسين، انما هى حقيقة فى مشهده بالقاهرة (و انظر: موسى محمد على: السيدة زينب – و قد نسب الحديث الى العبيدلى النسابة فى أخباره، و الحافظ ابن عساكر فى تاريخه الكبير، و ابن طولون الدمشقى فى الرسالة الزينبية). ثم أخيرا تلك الأنوار الربانية التى تحيط بالمشهد الحسينى، و تلك الجاذبية الخفية التى تأخذ بلألباب، و تجعل النفوس المحبة لآل البيت الطاهرين تنجذب من كل صوب فى العالم الاسلامى الى هذا المكان، مما يشير دون ريب الى أن هناك قوة خفية تدفع بالمسلمين من مشارق الأرض و مغاربها لأن يقصدوا القاهرة لزيارة المشهد الحسينى، تحية منهم و اكبارا، و ليس عبادة كما يتوهم المتحذلقون، و تعبيرا عن صادق الحب و الوفاء، لأكرم الشهداء، سيدنا الامام الحسين، سبط النبى و ريحانته، و سيد شباب أهل الجنة، رغم انقضاء مئات السنين على استشهاده، و لا ريب فى أن تلك القوة الخفية حقيقة لا ريب فيها، لها اشعاعاتها التى تلمسها القلوب المخلصة، و تراها البصائر الصادقة، و أن تلك القوة الخفية، ذات التأثير

المهيب الذى يستهوى القلوب، و يجتذب المشاعر و الأرواح، انما تنبع من حقيقة أن ذلك المشهد الحسينى المقدس فى عاصمة الكنانة انما يضم بين جنباته بضعة من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أن تلك البضعة الشريفة انما هى رأس سيدنا الامام الحسين التى يتوافد ملايين المسلمين اليها، يلتسمون الراحة و البركة و القبول و يرتعون فى رحابها فى رياض الجنات.و ان من حظوا بزيارة لاروضة الشريفة فى المدينة المنورة، و شرفوا بالمثول بين يدى مولا و سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ليشعرون، اذا ما زاروا المشهد الحسينى الشريف الذى يضم رأس الامام الحسين، بما يذكرهم ببعض احساسهم و هم [صفحه ۱۸۰] فى رحاب المصطفى صلى الله عليه و سلم من هيبة و محبة و اجلال و تعظيم، و يلتمسون هنا بعض ما لمسوه هناك، من أنوار و رحمات و فيوضات و تجليات و قداسة و طهارة و خشوع و جلال، تصديقا للحديث الشريف الذى أخرجه الامام الترمذى عن يعلى بن مرة عن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أنه قال «حسين منى، و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و هكذا كانت زيارة الامام الحسين من جلائل الأعمال، روى المحب الطبرى فى ذخائر العقبى عن الأئمة موسى بن على الرضا بن جعفر الصادق قال: سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين رضى الله عنه فقال أخبرنى أبى (أى الامام محمد الباقر) أن من زار قبر الحسين، عليه‌السلام، عارفا بحقه، كتب الله له فى عليين».

قبر الامام الحسين

لم يختلف المؤرخون فى مكان جسد الامام الحسين، بضعة النبى و سبطه و ريحانته، و انما يتفقون جميعا على أنه دفن فى مكان استشهاده فى كربلاء، و كما أشرنا من قبل، فلقد انصرف عمر بن سعد بن أبى‌وقاص، قائد جيش اللئام، بعد مذبحة آل البيت فى كربلاء، و ارسال رؤوس الشهداء الى ابن‌زياد، و قد أخذ معه بقية أهل البيت من النساء و الصبيان، تاركا خلفه أشلاء الشهداء مبعثرة فى العراء، و من ثم فقد خرج قوم من بنى‌أسد، من أهل الغاضرية، فصلوا على الامام الحسين و أصحابه، ثم دفنوهم، و طبقا لرواية الشيخ المفيد فى «الارشاد» فلقد دفنوا سيدنا الحسين، حيث قبره الآن، و دفنوا ابنه على الأكبر عند رجليه، ثم حفروا للشهداء من آل البيت و أنصارهم، مما يلى رجلى الامام الحسين، عليه‌السلام، فدفنوهم جميعا، ما عدا العباس بن على، فقد دفن فى موضعه الذى قتل فيه على طريق الغاضرية، حيث قبره الآن، كما روى ابن الأثير أن الامام الحسين قتل فى كربلاء من أرض العراق، و قبره مشهور يزار.هذا و قد أقيم حول مدفن الامام الحسين مشهد عظيم بكربلاء، كان قبلة الزائرين من محبى آل البيت الطاهرين، حتى عام ۲۳۶ ه، حيث أمر المتوكل [صفحه ۱۸۱] بهدم ذلك المشهد و منع الناس من التردد عليه، و قد روى المسعودى و أبوالفرج أن الخليفة العباسى المتوكل (۲۴۷ - ۲۳۲ ه) كان شديد الوطأة على آل أبى‌طالب، غليظا على جماعتهم، و كان وزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان، على سنته، و من ثم فقد حسن له كل قبيح من معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بنى العباس قبله، و فى عام ۲۳۶ ه (۸۵۱ م) أمر بهدم قبر الامام الحسين، و محو أرضه و ازالة أثره، و جعل عقاب من يزوره القتل، و هكذا بعث أحد رجاله و يدعى «الديزج» أو «الذيرج»، و كان يهوديا فأسلم، لهدم قبر سيدنا الامام الحسين، فامتنع الناس عن ذلك، رغم كل الاغراءات المادية، و من ثم فقد أحضر قوما من اليهود، فكربوه، و أجرى الماء حوله، و وكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائرا الا أخذوه اليه، و وكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائرا الا أخذوه اليه، و روى الطبرى أن المتوكل أمر عام ۲۳۶ ه بهدم قبر الحسين و هدم ما حوله من المنازل و الدور، وأن يحرث و يبذر و يسقى موضع قبره، و أن يمنع الناس من اتيانه، و أن صاحب الشرطة نادى من الناحية «من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة بعثنا به الى المطبق» فهرب الناس و امتنعوا من المصير اليه، و حرث ذلك الموضع و زرع ما حوله»، و كان لذلك أسوأ الأثر فى نفوس الناس، فأطلقوا ألسنتهم فى المتوكل و كتبوا شتمه على الحيطان و المساجد، مهجاه كثير من الشعراء، و منهم الشاعر المعروف بالبسامى، حيث قال فيه:تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوماًفلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوماًأسفوا على أن لا يكونوا شاركوا هى قتله فتبعوه رميماهذا و قد روى أبوالفرج عن محمد بن

الحسين الأشفانى، أن عهده بعد بزيارة قبر الحسين، ثم ساعده عطار على ذلك، تكمن النهار و تسير الليل حتى وصل نواحى العاضرية و خرج نصف الليل حتى أتى القبر الشريف، فخفى عليه فجعل يشمه و يتحراه، بعد أن ضاعت كل المعالم، فلما وصل المكان شم رائحة ما شم مثلها من قبل، و لما سأل العطار عن [صفحه ۱۸۲] هذه الرائحة أخبره أنه لم يشم مثلها من قبل، ثم جعلا علامة على القبر الشريف، فلما قتل المعتصم اجتمع مع جماعة من الطالبيين و الشيعة و أخرجوا تلك العلامات و بنوا القبر الشريف من جديد، و يضيف المسعودى أنه فى خلافة المستنصر أمن الناس و كف عن آل أبى‌طالب، و لم يمنع أحد من زيادة قبر الامام الحسين أو أبيه الامام على، و روى ابن كثير عن ابن الكلبى أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوما، فجاء أعرابى من بنى‌أسد فجعل يأخذ قبضة و يشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى و قال: بأبى و أمى، ما كان أطيبك و أطيب تربتك ثم أنشد يقول:أرادوا أن يخفوا قبره عن عدوه فطيب القبر دل على القبرهذا و قد وصف ابن بطوطة الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى رحلته الى كربلاء فقال: سافرنا الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن على عليه‌السلام، و هى مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل و يسقيها ماء الفرات، و الروضة المقدسة داخلها، و عليها مدرسة عظيمة، و زاوية كريمة فيها الطعم للوارد و الصادر، و على باب الروضة الحجاب و القوصة لا يدخل أحد الا عن اذنهم، فيقبل العتبة الشريفة و هى من الفضة، و على الضريح المقدس قناديل الذهب و الفضة و على الأبواب أستار الحرير.و أما الخليفة المتوكل فلقد لقى جزاء عدائه لآل البيت الطاهرين، فلم تمض سنوات حتى لقى مصرعه فى ثالث أيام عيد الفطر عام ۲۴۷ ه (۸۶۱ م) و هو فى لهوه و شرابه بين ندمائه و مغنياته، و كان قتل على يد أقرب الناس اليه، ابنه المنتصر بالله، الذى أمن الناس، كما يقول المسعودى، و تقدم بالكف عن آل أبى‌طالب و ترك البحث عن أخبارهم، و أن لا يمنع أحد زيارة الخيرة لقبر الامام الحسين رضى الله عنه و لا ـ قبر غيره من آل أبى‌طالب، و أمر برد «فدك» الى ولد الحسين، و أطلق أوقاف آل أبى‌طالب، و ترك التعرض لشيعتهم و دفع الأزدى عنهم. [صفحه ۱۸۳]

العدالة الالهية

اشاره

لا ـ ريب فى أن مقتل الحسين كان له رد فعل عنيف عند المسلمين، بل ان جمهور المسلمين ما كان أبدا أن يتصور وقوع مثل هذا الشركلة، بينما كان المسلمون يتباهون على الأمم الأخرى بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و بهما أصبحوا خير الأمم و أفضلهم، غير أن هذه الأفضلية أصبحت فى محنة بعد مجزرة كربلاء و مقتل الامام الحسين و شباب آل البيت و أنصارهم، و قد بلغ من قسوة الأمر على المسلمين أن ابن حجر يروى فى الاصابة أنه صح عن ابراهيم النخعى أنه كان يقول لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحيت أن أنظر فى وجه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و قد أدى مقتل الامام الحسين الى بغض بنى‌أمية، و تأييد حجة أعدائهم، و كان آخر الأمر أكبر أسباب زوال دولتهم، فقامت الثورات ضدهم الواحدة تلو الأخرى فى المدينة و فى مكة و فى الكوفة و فى غيرها من أمصار المسلمين، و فى كل ثورة كان الأمويون يرتكبون جرما أكبر من الآخر، و خطئة أشد من التى سبقتها، فانتهكوا كل ما حرم الله، كما سنرى:

ثورة المدينة المنورة

كانت ثورة الغضب التى اجتاحت العالم الاسلامى على مذحبة كربلاء، [صفحه ۱۸۴] و استشهاد الامام الحسين و أهل بيته و أنصارهم على أشدها فى المدينة، خاصة و قد كان الحسين يعيش طوال حيانه بين أهل المدينة، و يحتل من قلوبهم أسمى مكان، يرون فى صورته و مكارم أخلاقه ما يذكرهم بالحبيب الأعظم سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، الذى من الله عليهم به، فكانوا

ببركته أسعد الناس، و غدوا بهدايته و نوره خير أمة أخرجت للناس، و هكذا ما أن انتهت محنة الامام الحسين الى الحجاز، الا و كانت صدمة لأهله، و للصالحين منهم خاصة، و جعل الناس يتحدثون بها فيكثرون الحديث، و جعلوا يعظمون أمرها، و ما أكثر ما تحدثت قلوبهم اليهم، و ما أكثر ما تحدث بعضهم الى بعض حين كانوا يخلون، بأن سلطان يزيد بن معاوية أمعن فى الخلاف عن أمر الله، فلم تصبح طاعته لازمة، بل أصبح الخروج عليه واجبا حين يمكن الخروج عليه، و قد عظم فى الحجاز أمر عبدالله بن الزبير، و كثر أصحابه و أشياعه، و جعل يزيد يجد فى أن يفرغ منه، كما فرغ من أمر الامام الحسين، و انتهى الخبر الى يزيد بأن أمر المدينة قد اضطرب، و بأن أهلها يظهرون النكر عليه و لا- يستخفون به، فطلب الى عماله أن يرسل اليه وفدا منهم ففعل، أو كما يقول الأستاذ العقاد، لجت بالولاة الأمويين رغبتهم فى تلفيق المظاهرات الحجازية، فلم يرعوا ما بأهل المدينة من الحزن اللاعج و الأسى الدفين، و جعلوا همهم كله أن يكرهوا القوم على نسيان خطب الامام الحسين، و اصطناع الولاء المغتصب ليزيد، فحملوا الى دمشق وفدا من أشراف المدينة.و أقبل الوفد الى دمشق فلقيه يزيد أحسن لقاء، و وصل أعضاءه، فأعطى كل واحد منهم خمسين ألفا، و ظن أنه قد آسى باحدى يديه، ما أفسد بالأخرى، و أنه اشترى ولاءهم بالمال، كما كان يفعل أبوه، و لكن الوفد يعودون الى المدينة فيقولون لأهلها جهرة: «جئناكم من عند فاسق يشرب الخمر، و يضيع الصلاة و يتبع شهواته و يضرب بالطنابير و تغنى عنده القيان، و يلعب بالكلاب و يسمر عنده الخراب»، و قال رئيسهم عبدالله بن حنظلة الأنصارى، و هو ثقة عند القوم لصلاحه و زهده «لو لم أجد الا بنى هؤلاء، و كان له ثمانية بنين، لجاهدت بهم، [صفحه ۱۸۵] و قد أعطانى و ما قبلت عطاءه الا لأتقوى به»، و هكذا التهبت نار الثورة بالألم المكظوم و الدعوة الموصولة، فأخرج أهل المدينة و الى يزيد و جميع من بالمدينة من الأمويين و مواليهم و أعلنوا خلعهم للبيعة، و يضطر يزيد الى أن يرسل اليهم النعمان بن بشير الأنصارى ليستصلح قومه، فلا يبلغ النعمان منهم شيئا، فيرسل اليهم يزيد جيشا قوامه اثنا عشر ألفا من أهل الشام.و يبدو أن بنى‌أمية لم يكفهم عار مذبحة كربلاء و خزيها، فأرادوا أن يضيفوا اليها خزيا آخر، و أن يزيد لم يستفد كثيرا أو قليلا من عبرة كربلاء، فسلط على أهل المدينة رجلا- لا- يقل فى لؤمه و غله و سوء دخيلته، و ولعه بالشر و التعذيب، و عبثه بالتقتيل و التمثيل، عن عبيدالله بن زياد، و هو مسلم بن عقبة المرى، أو أن يزيد، طبقا لبعض الروايات انما فعل ذلك بنصيحة أبيه معاوية، حين قال له: «ان لك من أهل المدينة يوما، فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فانى عرفت نصيحة»، و أيا ما كان الأمر، فلقد وجه يزيد مسلما هذا على رأس جيش كثيف لمحاربة أهل المدينة عدته اثنا عشر ألفا، قال ابن كثير، أرسل معه عشرة الآف فارس، و قيل اثنا عشر ألفا، و خمسة عشر ألف راجل، و أمره أن يسوم الثائرين البيعة بشرطه، و ان يستبيح مدينتهم ثلاثة أيام، ان لم يبادروا الى طاعته، و كان شرطه الذى سامهم اياه بعد اقتحام المدينة المنورة و انقاضاء الأيام الثلاثة التى انتظر فيها طاعتهم «أنهم يبايعون أميرالمؤمنين على أنهم خول له يحكم فى دمائهم و أموالهم ما شاء»، و كذلك عصى الله و خولف عن الدين جهرة فى مدينة النبى صلى الله عليه و سلم و هكذا كانت وقعة الحرة فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث و ستين، و قيل لثلاث ليال (۲۸ سبتمبر ۶۸۲ م) فقتل فيها خلق كثير، و استبيحت المدينة ثلاثة أيام، و أوقع مسلم، كما يقول ابن كثير، كثيرا من المفاسد العظيمة فى المدينة النبوية ما لا- يحد و لا- يوصف»، حتى ذهبت بعض المصادر الى أن عدد القتلى بلغ ألف و سبعمائة من بقايا المهاجرين و الأنصار و خيار التابعين، و قتل من أخلاط الناس عشرة الآف، سوى النساء و الصبيان و قتل بها من حملة القرآن سبعمائة، و من قريش ۹۷ قتلوا [صفحه ۱۸۶] ظلما فى الحرب صبرا، و افتضت ألف عذراء، روى ابن الجوزى بسنده الى المدائنى عن أبى قرة قال هشام بن حسان» ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج، و روى المدائنى بسنده عن أم الهيثم ابنة يزيد قالت: «رأيت امرأة من قريش تطوف فعرض لها أسود فعانقته فقبلته فقلت: يا أمة الله أتفعلين هذا بهذا الأسود، فقالت هو ابنى، وقع على أبوه يوم الحرة».يقول ابن حزم: و جالت الخيل فى مسجد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و بالت، وراثت بين القبر و المنبر «الروضة الشريفة» أدام الله تشريفها، و أكره الناس على البيعة على أنهم عبيد ليزيد، ان شاء أعتق، و لما طلب يزيد بن زمعة أن يبايع على حكم القرآن و السنة، أمر به فقتل، و هكذا بايع أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد، ما عدا الامام على زين‌العابدين بن الامام الحسين و على بن عبدالله بن العباس، يروى المسعودى أن

الناس نظروا الى على بن الحسين السجاد، و قد لاذ بالقبر الشريف و هو يدعو، فأتى به الى مسرف و هو مغتاظ عليه، فتبرأ منه و من آبائه، فلما رآه و قد اشرف عليه ارتعد، و قام له و أقعدهٔ الى جانبه و قال له سلنى حوائجك، فلم يسأله عن أحد ممن قدم الى السيف الاـ شفعهٔ فيه ثم انصرف، فقيل لعلى: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذى قلت قال قلت «اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و الأرضين السبع و ما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد و آله الطاهرين، أعوذ بك من شره، و أدرأ بك فى نحره، أسألك أن تؤتينى خيره، و تكفينى شره»، و قيل لمسلم بن عقبهٔ: رأيناك تسب هذا الغلام و سلفه، فلما أتى به اليك رفعت منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأى منى، لقد ملىء قلبى منه رعبا»، و أما على بن عبدالله بن العباس، فان أخواله من كندهٔ منعوه منه، و أناس من ربيعهٔ كانوا فى جيشه و خلت المدينهٔ من أهلها، و عندئذ عدت الكلاب على سوارى المسجد، و روى أنه ما كان هناك أحد، غير سعيد بن المسيب، يصلى فى المسجد، و أنه كان يسمع فى كل صلاهٔ أذانا من لقبر، ثم تقام الصلاهٔ، فيتقدم ابن المسيب فيصلى.و كان الأمويون فى المدينهٔ يحرضون غزاهٔ الشام على الفتك بأهل [صفحه ۱۸۷] المدينهٔ، و على رأسهم مروان بن الحكم، و روى اليعقوبى أن أهل المدينهٔ قاتلوا المعتدين من جيش الشام قتالا شديدا، و خندقوا على المدينهٔ، فرام «أى مسلم بن عقبهٔ» ناحيهٔ من نواحى الخندق، فتعذر ذلك عليه، فخدع مروان بعضهم، فدخل و معه مائهٔ فارس، فأتبعته الخيل حتى دخلت المدينهٔ، فلم يبق بها كثير أحد، الا قتل، على أن روايهٔ أخرى تقول: دخل ولده عبدالملك على مسلم فدله على عورهٔ أهل المدينهٔ و على الخطهٔ الحربيهٔ التى يسلكها معهم، ثم دخل عليه مروان فقال ايه، فقال مروان: أليس قد دخل عليك عبدالملك، قال بلى، و أى رجل عبدالملك، قلما كلمت من رجال قريش رجلا شبيها به، فقال مروان: اذا لقيت عبدالملك فقد لقيتنى، و أن مسلما سار الى المدينهٔ على ارشاد عبدالملك، و لما قدم مروان على يزيد بن معاويهٔ شكر له ذلك و أدناه، و يروى عن سعيد بن المسيب قوله: «ما أصلى الله تعالى صلاهٔ، الاـ دعوت على بنى‌مروان».و هكذا أراد بنوأميهٔ اذلال أهل المدينهٔ بكل وحشيهٔ و قسوهٔ، لم يعهدها العرب فى الجاهليهٔ، فضلا عن أن يعرفوها فى الاسلام، و لعل حادثا واحدا من حوادث التمثيل و الاستباحهٔ يدل على سائر الحوادث من أمثاله، دخل رجل من جند مسلم بن عقبهٔ على امرأهٔ من نساء الأنصار، و معها صبى لها، فقال: هل من مال، قالت لاـ و الله ما تركوا لنا شيئا، قال و الله لتخرجن لى شيئا أو لأقتلنك و صبيك هذا، فقالت له: ويحك انه ولد ابن أبى كبشهٔ الأنصارى صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فأخذ برجل الصبى و الثدى فى فمه فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض، و هو مثل من أمثال تكررت بعدد تلك البيوت التى قتل فيها أولئك الألوف من النسوهٔ و الأطفال و الآباء و الأمهات، و روى الطبرانى عن أبى هارون العبدى قال رأيت أبا سعيد الخدرى ممط اللحيهٔ فقلت تعبث بلحيتك، قال لا، هذا ما لقيت من ظلمهٔ أهل الشام، دخلوا زمن الحرهٔ فأخذوا ما كان فى البيت من متاع أو غيره، ثم دخلت طائفهٔ أخرى فلم يجدوا فى البيت شيئا فأسفوا أن يخرجوا بغير شىء فقالوا أضجعوا الشيخ، فجعل كل يأخذ من لحيتى خصلهٔ. [صفحه ۱۸۸] هذا و قد روى الوافد فى كتاب الحرهٔ، و البيهقى فى دلائل النبوهٔ عن أيوب بن بشير المعادى مرسلا، أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج فى سفر من أسفاره، فلما مر بحرهٔ زهرهٔ وقف و استرجع فسىء بذلك من معه، فظنوا أن ذلك من أمر بسفرهم، فقال عمر بن الخطاب يا رسول‌الله ما الذى رأيت، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: أما ان ذلك ليس من سفركم هذا، قالوا فما هو يا رسول‌الله، قال يقتل فى هذه الحرهٔ خيار أمتى بعد أصحابى، و روى الواقدى أيضا عن سفيان بن أبى أحمد قال، كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم اذا أشرف على بنى عبدالأشهل أشار بيده فقال: «يقتل بهذه الحرهٔ خيار أمتى».و لعل السيفه يزيد بن معاويهٔ بن أبى‌سفيان ظن أنه بذلك العنف الجبان انما يوطد سلطانه و يقضى على الفتنهٔ، التى أشعلها بموقفه من سيد شباب أهل الجنهٔ، سيدنا الامام الحسين، و آل البيت الطاهرين، و لكنه بدلا من ذلك زاد سلطانه ضعفا، و الفتنهٔ اشتعالا، و قد غاب عنه ما لأهل المدينهٔ عندالله و رسوله من مقام كريم، فهم الذين آووا و نصروا، و هم الذين آثروا على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصهٔ،: و هم الذين حذر النبى صلى الله عليه و سلم من اذائهم أو الاعتداء عليهم، روى البخارى و مسلم عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «لا يكيد أهل المدينهٔ أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء»، و جاء فى الصحيح عن على بن أبى‌طالب عن النبى

صلى الله عليه و سلم أنه قال «المدينة حرم ما بين عاثر الى كذا، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا»، و روى الامام أحمد بسنده عن جابر عن النبى صلى الله عليه و سلم «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى»، هذا هو جزاء من أخاف أهل المدينة، فكيف بمن قتل ألف و سبعمائة من نجوم الهدى من المهاجرين و الأنصار و التابعين، و عشرة الآف من غيرهم، بل كيف بمن استباح أعراض نسائها، و هدم دورها، و نهب أموالها، و لهذا كان سعيد بن المسيب، رضى الله عنه، يسمى سنى يزيد بن معاوية بالشؤم، فى السنة الأولى قتل الحسين بن على، و أهل بيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و الثانية استبيح حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم [صفحه ۱۸۹] و انتهكت حرمة المدينة، و الثالثة سفكت الدماء فى حرم الله حرقت الكعبة، و يقول ابن تيمية، قيل للامام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد، فقال لا، و لا كرامة، أو ليس هو الذى فعل بأهل الحرة ما فعل، و قيل له (أى للامام أحمد) ان قوما يقولون: انا نحب يزيد، فقال: و هل يحب يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر، فقيل فلماذا لا تلعنه، فقال «أى الامام أحمد لولده عبدالله»: «و متى رأيت أباك يلعن أحدا».و من عجب أن يرى مسلم بن عقبة، قائد جيش يزيد، فى قلت أهل المدينة، و العياذ بالله، عملا صالحا، و ها هى آخر كلماته قبل أن يهلك مشيعا بلعنات المسلمين فى كل الأرض، ما عدا بنى‌أمية و أهل الشام، كما رواها ابن كثير «اللهم انى لم أعمل عملا قط، بعد شهادة أن لا اله الا الله، و أن محمدا رسول‌الله، أحب الى من قتل أهل المدينة، و لا أرجى عندى فى الآخرة، و ان دخلت النار بعد ذلك، انى لشقى»، ثم مات قبحه الله، و فى رواية أخرى قال «أللهم ان عذبتنى بعد طاعتى لخليفتك يزيد بن معاوية، و قتل أهل الحرة، فانى اذا لشقى» ثم خرجت نفسه بثنية المشلل، و جاءت أم ولد يزيد بن عبدالله بن زمعة، فنبشته و صلبته فى المشلل، و جاء الناس فرجموه، و بلغ الخبر الحصين بن نمير «خليفته على جيش أهل الشام» فرجع فدفته، و قتل جماعة من أهل ذلك الموضع، و قيل لهم يدع منهم أحدا، ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية، فمات بعده فى ربيع الأول، فما متعهما الله بشىء مما رجوه و أملوه، بل قهرهم القاهر فوق عباده، و سلبهم الملك».

ثورة ابن الزبير فى مكة

لم يمض الا قليل على مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها شباب آل البيت، ما على وجه الأرض خير منهم، و على رأسهم الامام الحسين، حتى أعلنت مكة الثورة على الطاغية القابع فى قصر الخضراء، و زاد من غضب المكيين ما فعله الثام من جيش الشام بحرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و أخذ عبدالله بن الزبير يحرض [صفحه ۱۹۰] الناس على القتال، و طبقا لرواية الطبرى و ابن كثير، فقد خطبهم قائلا «أفبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم و نصدق قولهم و نقبل لهم عهدا، لا، و لا نراهم لذلك أهلا، أما و الله لقد قتلوه، طويلا بالليل قيامه، كثيرا فى النهار صيامه، أما و الله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء و الملاهى، و لا بالبكاء من خشية الله، اللغو و الحداء، و لا بالصيام شرب المدام، و أكل الحرام، و لا بالجلوس فى حلق الذكر الصيد، فسوف يلقى غيا»، و أرسل اليهم سفاحه مسلم بن عقبة ليفعل بمكة المكرمة ما فعله بالمدينة المنورة، و لكنه هلك فى الطريق، و تعقبه بعض الموتورين من أهل المدينة فنبشوا قبره و أحرقوه، و تولى قيادة جيش الشر بعده الحصين بن نمير، فحاصر البلد الحرام حصارا شديدا طوال شهرين كاملين، و أقام المجانيق تجاه الكعبة المشرفة ترميها بالأحجار و النيران، حتى تهدمت جدرانها، و احترقت أستارها و أخشابها، و لم تنج المدينة المقدسة الا بهلاك يزيد، مشبعا باللعنات من كل حر أبى، من خاصة المسلمين و عامتهم.و روى اليعقوبى فى تاريخه أن عبدالله بن عمير الليثى قاضى ابن الزبير كان اذا تواقف الفريقان، قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام، هذا حرم الله الذى كان مأمنا فى الجاهلية يأمن فيه الطير و الصيد، فاتقوا الله يا أهل الشام، فيصيح الشاميون: الطاعة الطاعة، الكرة الكرة، الرواح قبل المساء، فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة، فقال أصحاب ابن الزبير: نطفىء النار، فمنعهم، و أراد أن يغضب الناس للكعبة، فقال بعض أهل الشام: ان الحرمة و الطاعة اجتمعتا، فغلبت الطاعة الحرمة، و كان حريق الكعبة فى سنة ۶۳ ه.و روى المسعودى أنه أثناء ضرب الكعبة المشرفة بالمجانيق و العرادات، و رميها مع الأحجار بالنار و النفط و مشاقات الكتان و غير ذلك من المحروقات، حتى انهدمت الكعبة و احترقت البنية،

وقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا، و قيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول عام ۶۴ ه، ثم يقول: و ليزيد أخبار عجيبة و مثالب كثيرة، من شرب [صفحه ۱۹۱] الخمر، و قتل ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و لعن الوصى، و هدم البيت و احراقه، و سفك الدماء، و الفسق و الفجور، و غير ذلك مما ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده، و خالف رسله...).و فى الواقع فلقد كان حصار ابن الزبير بمكة، كما يقول الدكتور طه حسين، و المضى فى هذا الحصار حتى يستسلم ابن الزبير مقنع ليزيد و أصحابه، و لكن جيش يزيد أبى الا أن ينتهكت حرمة مكة، كما انتهت حرمة المدينة قبلها، و أسخط يزيد على نفسه بذلك أهل الحجاز و عامة المسلمين، كما أسخطهم من قبل بقتل الامام الحسين و آل البيت، و الغريب المنكر من هذا كله هو تجاوز الحدود و الغلو فى الاثم، فقد كانت السياسة تقتضى أن يقاتل الخارجون على يزيد حتى يقتلوا أو يفئوا الى طاعته، فأما المثلة و انتهاك الحرمات ففظائع لا ينكرها الدين وحده، و انما تنكرها السياسية أيضا، و تنكرها السنة العربية المعروفة، و هى بعد ذلك تحفظ الصدور و تملاء القلوب ضغينة و حقدا، و قد أحفظ يزيد أهل الجماعة أنفسهم، بعد أن أحفظ قلوب غيرهم من الشيعة و الخوارج، ثم لم تكمن عاقبة هذا كله على آل أبى‌سفيان، الا خروج المكّ منهم و انتقاله الى غيرهم، فقد مات يزيد، و لما يملك الا أقل من أربع سنين، قتلته لذته أشنع قتلة، فقد كان فيما يقول الرواة، يسابق قردا فسقط عن فرسه سقطة كان فيها الموت فى صفر عام ۶۴ ه.

حركة التوابين فى الكوفة

لم يمض الا قليل على مذبحة كربلاء، حتى أحس أهل الكوفة بعقدة الذنب تجاه موقفهم من الامام الحسين و آل البيت الطاهرين، فهم قد أخطأوا خطأ عظيما فى حق الامام حين دعوه فلما جاءهم تخاذل أخيارهم عن نصرته، و عاون أشرارهم على حربه، حتى قضى شهيدا، و فى عام ۶۵ بدأ التفكير فى الكفارة عن هذا الذنب العظيم، ففريق تحول عن الكوفة حتى يبعد عن تلك البقعة المشئومة، الملوثة بدماء سيد شباب هل الجنة عليه‌السلام، و دماء آل البيت و أنصارهم، رضى الله عنهم أجمعين، و من هؤلاء عبدالرحمن النهدى [صفحه ۱۹۲] الذى تحول عن الكوفة الى البصرة و قال «لا أسكن بلدا قتل فيه ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و أما الفريق الآخر، و هم الأكثر عددا، و أعظم ايجابية، فقد رأوا ألا كفارة لما ارتكبوا من اثم، سوى الاستماتة دون ثأره، و قتل قتلته، فذهبوا الى قبره، و صاحوا طالبين التوبة و المغفرة من الله و سموا أنفسهم «التوابين»، و تزعم هذه الحركة خمسة من زعماء الشيعة هم: سليمان بن صرد الخزاعى، و كان صحابيا جليلا، جميلا عابدا، ذا شرف فى قومه، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أحاديث فى الصحيحين، ثم تحول الى الكوفة بعد انتقال النبى صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، و شهد مع الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، الجمل و صفين، و كان من الذين كتبوا الى الحسين أن يقدم الكوفة، غير أنه لم يقاتل معه خوفا من ابن زياد، و أما الأربعة الآخرون فهم المسيب بن نجية الفزارى، و عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدى و عبدالله بن والى التميمى، و رفاعة بن شداد البجلى، و تولى زعامة حزب التوابين سليمان بن صرد، الذى سمى «أمير التوابين»، فأخذ يعد القوم سرا ليوم اللقاء، و الأخذ بثأر الامام الحسين.و أخيرا، و بعد مضى عام من موت يزيد، بعث أمير التوابين الى أصحابه أن يأتوه الى النخيلة، فخرج اليهم، فلم تعجبه قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ الكندى و الوليد بن غضين الكنائى فى خيل فنايا فى الكوفة «يا لثارات الحسين» فكانا أول خلق دعا يا لثأرات الحسين، فأصبح من الغد و قد أتاه نحو مما فى عسكره ثم نظر فى ديوانه فوجد من بايعه ستة عشر ألفا، وفاه منه أربعة آلاف، فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته الى من تخلف عنه فخرج اليه نحوا من ألف رجل، سار بهم من النخيلة عشية الخميس لخمس مضين من ربيع الآخر عام ۶۵ ه، و قد بلغه اقبال عبيدالله بن زياد من الشام فى جنود كثيرة، و ما أن وصل سليمان دار الأهواز حتى تخلف عنه خلق كثير، ثم اتجه بجيشه الى قبر الامام الحسين، و طبقا لرواية ابن الأثير، فما أن وصلوا الى القبر الشريف حتى صاحوا صيحة واحدة، فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم، فترحموا عليه و تابوا عنده من خذلانه و ترك القتال معه، و يقول الطبرى: لما انتهى سليمان بن صرد و أصحابه [صفحه ۱۹۳]

الى قبر الامام الحسين نادوا صيحة واحدة: «يا رب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا و تب علينا انك التواب الرحيم، و ارحم حسينا و أصحابه الشهداء الصديقين، و انا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين»، ثم أقاموا عنده يوما و ليلة يبكون و يتضرعون و يترحمون عليه و على أصحابه.و اتجه سليمان بجيشه نحو الشام حتى اذا ما وصلوا الى «عين الوردة» دارت رحى الحرب بينهم و بين جند الشام، و أبلى التوابون بلاء حسنا، فكان النصر لهم أول الأمر، غير أن ابن‌زياد سرعان ما أمد جيش الشام باثنى عشر ألفا بقيادة الحصين بن نمير، ثم بثمانية آلاف بقيادة ابن ذى الكلاع، فأحاطوا بالتوابين من كل جانب، و رأى سليمان ما يلقى أصحابه من شدة، فترجل عن فرسه، و هو يومئذ فى الثالثة و التسعين من عمره، و كسر جفن سيفه، و صاح بأصحابه «يا عباد الله من أراد البكور الى ربه و التوبة من ذنبه و الوفاء بعهده، فليأت الى»، و من ثم فقد استجاب له الكثير، و حذوا حذوه، و كسروا جفون سيوفهم و قتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، حتى أصيب أميرهم سليمان بسهم فوثب و وقع ثم وثب و وقع، و هو يقل «فزت و رب الكعبة» و حمل الراية بعده المسيب بن نجية، فقاتل بها حتى استشهد، رحمه الله، و انتهت المعركة الى جانب أهل الشام، بعد أن ترك التوابون أمثلة رائعة للبطولة و الفداء التى استمدت روحها من مواقف الامام الحسين و أهل بيته و أصحابه، و التى صداها فى النفوس، و أثرها القوى فى التاريخ الانسانى كله.

حركة المختار الثقفى

تولى المختار بن أبى عبيد بن عوف الثقفى حركة التوابين بعد معركة عين الوردة، و مقتل سليمان بن صرد، و المختار الثقفى هذا لم يكن فى أول الأمر محبا لآل البيت، بل انه هو الذى حاول اغراء عمه سعد بن منصور الثقفى، و الى المدائن من قبل الامام الحسن، بتسليم الحسن الى معاوية بن أبى [صفحه ۱۹۴] سفيان، فنهره عمه و لعنه، و لكنه سرعان ما أصبح، بعد مقتل مسلم بن عقيل، ناقما على بنى‌أمية، فانضم الى ابن الزبير، ثم تركه الى الكوفة داعيا الى «محمد بن الحنفية بن الامام على»، بعد رفض «على زين‌العابدين بن الحسين» لذلك، مظهرا التشيع للامام الحسين، حتى استحوذ عليها و أخرج منها عامل ابن الزبير، و دخل قصر الامارة بالكوفة و طلب البيعة من الناس و قال «تبايعونى على كتاب الله و سنة نبيه و الطلب بدماء أهل البيت و الدفع عن الضعفاء، و قتال من قاتلنا و سلم من سالمنا و الوفاء ببيعتنا لا نقيلكم و لا نستقيلكم»، و قتال من قاتلنا و سلم من سالمنا و الوفاء ببيعتنا لا نقيلكم و لا نستقيلكم»، و هكذا سلط الله على قتلة الامام الحسين، المختار الثقفى، فأهاب بأهل الكوفة أن يكفروا عن تقصيرهم فى نصرته، و أن يتعاهدوا على الأخذ بثأره، فلا يبقين من قاتله أحد ينعم بالحياة، و هو دفين مذال القبر فى العراء، فكان المختار هذا كفؤا فى النقمة و النكال يغل حديدهم بحديده، و يكيل لهم بالكيل الذى يعرفونه.و بدأ المختار يتجب الى الناس بحسن السيرة، و وجد فى بيت المال تسعة آلاف ألف، فأعطى الجيش الذى حضر معه القتال نفقات كثيرة، و قرب أشراف الناس فكانوا جلساءه، و استجمعت له الشيعة، بعد أن أذن لهم ابن الحنفية، فبايعه اثنا عشر ألفا، منهم الشعبى و أبوه، و ابراهيم بن الأشتر، فضلا عن كثير من أمراء النواحى و البلدان و الأقاليم فى العراق و خراسان، و سرعان ما اشتبكت قواته مع قوات عبدالملك بن مروان، الذى خلف أباه مروان بن الحكم فى رمضان عام ۶۵ ه، و ذلك فى أطراف أرض الموصل مما يلى الكوفة فى معركة حامية يوم عرفة عام ۶۶ ه، ثم فى اليوم التالى، يوم عيد الأضحى، و كتب فيها نصر مؤزر لقوات المختار على قوات الشام، و أسروا منهم ثلاثمائة، ضربت أعناقهم، غير أن أهل الكوفة علموا أن عبيدالله بن زياد فى طريقه اليهم فى ثمانين ألفا من أهل الشام، و عنئذ، و كعادتهم، نقضوا عهدهم للمختار، و خرجوا عليه ترضية لابن زياد، و لكن المختار هزمهم بعد معركة ضروس عرفت باسم «جبانة السبيع» فى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة عام ۶۶ ه، [صفحه ۱۹۵] و أسر منهم زهاء خمسمائة، فلما عرضوا عليه قال: «أنظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه» فقتلوا منهم ۲۸۴ رجلا، ثم نادى منادى المختار «من أغلق داره فهو آمن، الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه و سلم»، و عظم المختار فى أعين الكثيرين من أهل الكوفة، فى حين خرج منها كل من له صلة بمقتل الامام الحسين، عليه‌السلام، فرارا بحياته من القتل، و لكن المختار استمر فى

تتبعهم واحدا بعد الآخر، حتى استأصل شأفة معظمهم، و لم ينج منهم الا القليل، فمنهم من أدركته عدالة السماء، فلقى جزاءه بعد حين، و منهم من انقطعت أخباره فلم يعرف له مصير، و منهم عمرو بن الحجاج قائد ميمنة اللئام فى معركة كربلاء، و الذى ركب راحلته فهرب، فلا يدرى أحد أى أرض بخسته أم سماء حصبته.و أما «شمر بن ذى الجوشن» رجس البشرية كلها، و قد رأينا دوره فى مأساة كربلاء كاملا، فلقد اتجهت اليه أنظار الثأر و الانتقام، و تمكن رجال المختار منه فقتلوه، و هو عريان، ثم تناولوا جثته البرصاء، فأطأوا الخيل صدره و ظهره، كما فعل بمولانا الامام الحسين، ثم تركوه أشلاء نهبا للكلاب، و أما خولى بن يزيد الأصبحى، حامل رأس الامام الحسين الى ابن زياد، فلقد ذهب اليه حرس المختار فى داره فخرجت اليهم امرأته فسألوا عنه فقالت لا أدرى أين هو، ثم أشارت الى المكان الذى هو فيه مختبىء، و كانت تبغضه من ليلة قدم برأس الامام الحسين، فأخرجوه و جاءوا به الى المختار، فأمره برده الى داره و قتله بجانب أهله و هم يشهدون، ثم أحرقت جثته و صارت رمادا، و أما حكيم بن الطفيل الطائى الذى رمى الامام بسهم، و كان يقول: تعلق سهمى بسر باله و ما ضره، و أصاب سلب العباس بن على، و قد استغاث أهله بعدى بن حاتم الطائى، فقتله الشيعة قبل أن يصل الى المختار خشية أن يقبل شفاعة عدى فيه، فرموه بالسهام حتى صار كأنه القنفذ لكثرة ما رشق فيه من نبال، و أما سنان بن أن أنس الذى احتز الرأس الشريف و حملها الى ابن زياد مفاخرا بما اقترف، و طلب منه أجر ما اكتسب من اثم، فان الله جعل هلاكه على يد من اقترف الاثم له، [صفحه ۱۹۶] و هو ابن‌زياد، الذى غضب له حين أنشده شعرا يمجد فيه الامام الحسين و نسبه، فأمر بضرب عنقه.و أما مالك بن النسير الكندى الذى سلب برنس الامام الحسين، فيما أخذه من أسلاب، و رجع الى بيته و أقبل يغسله من الدماء التى علقت به، فصاحت به امرأته مستنكرة: «أسلب ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم تدخل بيتى، أخرجه عنى»، و قد ظن اللئيم أن ما سلبه من الامام سيغنيه أبد الدهر، و لكن الشقى عاش بقية عمره فى فقر وبؤس، حتى وقع يد المختار، مع اثنين من المجرمين، عبيدالله بن أسيد الجهنى، و حمل بن مالك المحاربى، فقال لهم المختار: أين الحسين بن على، أدوا الى الحسين، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه فى الصلاة، فقالوا: رحمك الله، بعثنا و نحن كارهون، فامنن علينا و استبقنا، فقال المختار: فهلا مننتم على الحسين بن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و استبقيتموه و سقيتموه، ثم التفت الى الكندى و قال له: أنت صاحب برنسه، فلما قيل للمختار انه هو، قال: اقطعوا يدى هذا و رجليه، و دعوه فليضطرب حتى يموت، فلم يزل الشيقى تنزف دماؤه حتى مات، بينما أخذ الرجلان الآخران فضربت أعناقهما.و قبض رجال المختار على أصحاب الورس الأربعة، زياد بن مالك الضبعى و عمران بن خالد القشيرى و عبدالرحمن بن أبى خشكارة البجلى و عبدالله بن قيس الخولانى، و كانوا قد نهبوا الورس الذى كان مع الامام الحسين، فلما جىء بهم أمامه قال لهم: يا قتلة الصالحين و قتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون أن الله قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الورس بيوم نحس، ثم أمر بهم فأخرجوا الى السوق فضربت أعناقهم، ثم أحضر الحجاج عبدالله و عبدالرحمن ابنى الطلحة، و عبدالله بن وهيب الهمدانى ابن عم الأعشى فقتلهم، و أحضر عثمان بن خالد الجهنى، و أبا أسماء بشر بن شميط القابضى، و كانا مشتركين فى قتل عبدالرحمن بن عقيل، و فى سلبه، فقتلهما و حرقهما بالنار، و طلب المختار عمرو بن صبيح الصدائى، و كان يقول طعنت فيهم و ما قتلت [صفحه ۱۹۷] منهم أحدا، فأحضر الى المختار و طعن بالرماح حتى مات.و هناك مجموعة أخرى انتقم الله منهم، على غير يد المختار، يروى الطبرى أن عبدالله بن الحصين نادى الامام الحسين، وقت محاربتهم له و منعه الماء عنه، قائلا يا حسين: ألا تنظر الى الماء كأنه كبد السماء، و الله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا، فقال الامام الحسين: اللهم اقتله عطشا، و لا تغفر له أبدا، فكان ذلك الخبيث يشرب الماء حتى يبغر حتى يقىء، يم يعود فيشرب حتى يبغر، فيما يروى، و ما زال هذا دأبه حتى هلك، و روى الطبرى و ابن كثير، أن عبدالله بن حوزة كان يتقدم الصفوف أثناء معركة كربلاء و ينادى: يا حسين أبشر بالنار، فأجابه الامام: كلا ويحك، انى أقدم على رب غفور، و شفيع مطاع، فمن أنت، فأجابه: أنا ابن حوزة، فدعا عليه الامام قائلا: اللهم حزه الى النار، فغضب ابن حوزة و أراد أن يدفع فرسه نحو الامام، فجالت فسقط عنها، و بقى جانب معه معلقا بالركاب، فشد عليه مسلم بن عوسجة، من أصحاب الامام، و ضربه ضربة أطارت رجله اليمنى، ثم جمحت به فرسه، فما مر بحجر الا أصابه فى رأسه، حتى مات فى أبشع صورة بعد أن تناثرت عظام

رأسه، و أما الحصين بن تميم، فقد حال بين الامام و الماء، و لم يكد الامام يتناول غرفة من الماء بعد جهد جهيد حتى رماه بسهم وقع فى فمه و أسال دمه، فدعا عليه الامام، فعاش بعد ذلك لا يروى من ظمأ، فكلما شرب ماء أو لبنا ازداد ظمؤه، فكان يصيح: أسقونى ويلكم فلقد قتلنى الظمأ، و ظل كذلك حتى انقدت بطنه انقداد البعير، و مات على هذا الحال، و أما عمرو بن سعد الأزدى الذى قتل القاسم بن الحسن، و هو غلام لم يبلغ الحلم، فشد عليه و ضرب رأسه بالسيف، فاستغاث الصبى بعمه الامام الحسين، فشد الامام عليه و ضربه بالسيف، ثم تقدمت خيل ابن زياد لانقاذه، فى الوقت الذى اتجه عمرو اليها، فاستقبلته الخيل بصدورها و حركت حوافرها، و جالت بفرسانها عليه، فوطأته حتى مات أشنع ميتة، و باء بغضب الله و ملائكته و الناس أجمعين. [صفحه ۱۹۸]

مقتل ابن زياد و ابن سعد

كان عمر بن سعد منفذ الشر و قائد جيش اللئام أسبق فى مقتله من سيده ابن زياد، و عمر هذا هو الذى باع آخرته بدنياه حين خير بن ولاية الرى، و بين قيادة الجيش لقتال الامام الحسين و آل البيت الطاهرين، فاختار أن يسير فى طريق الشر حتى نهايته، بل لم يخجل أن يكون أول من يرمى الامام الحسين و آل بيته بسهم، ثم يصل الى هاوية الانحطاط حين يلعن للملأ من اللئام فى جيشه: اشهدوا لى عن الأمير أنى أول من رمى الحسين و أصحابه بسهم، و هكذا كان عمر هذا السفيه عارا على قريش، و على أبيه الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص، أول من رمى بسهم فى سبيل الله، فاذا به يشهد الناس على أنه أول من رمى سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة بسهم، ابتغاء مرضاة ابن مرجانة من ابن سمية، و سبحان من يخرج من الصالح طالحا، و من يجعل من النار رمادا، و من عجب أن عمر هذا لم يتمتع بولاية الرى، و انما باء بغضب الله، و شاءت ارادة الله أن تنتقم للامام الحسين من هذا السفيه، و من ثم فما أن ولى المختار الثقفى حتى أصبح خائفا يترقب الفتك به فى أية لحظة، و حتى بلغ به الذل أن يرسل الى المختار من يتوسط له بالأمان، فأعطاه المختار ما أراد حتى لا يهرب، بينما هو يسر قتله، ثم قال المختار لمن حوله: لأقتلن غدا رجلا عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر بقتله المؤمنون و الملائكة المقربون، فأدرك عمر أنه هو المقصود، و اشتد ذعره، و حاول الفرار، غير أن المختار أرسل اليه رئيس حرسه ليحول بينه و بين الفرار، و أن يجهز عليه، و أن يحمل رأسه الى المختار، فوضعه بين يديه، و فى مجلسه ولده حفص بن عمر، فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس، فاسترجع الابن و قال لا ير فى العيش بعده، فقال المختار: صدقت، ثم أمر بضرب عنقه، فلحق بأبيه، و وضع المختار رأسه بجانب رأس أبيه، و قال: هذا بالحسين، و هذا بعلى الأكبر، و لا سواء، و الله لو قتلت بالحسين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله، ثم أرسل برأسيهما الى محمد بن الحنفية بن الامام على. [صفحه ۱۹۹] و ينتهى بنا المطاف الى عبيدالله بن زياد، و الذى ولاه معاوية بن أبى‌سفيان البصرة، و هو فى الثانية و العشرين من عمره، و قد وصفه الحسن البصرى رضى الله عنه فقال: «قدم علينا عبيدالله، أمره معاوية، غلاما سفيها، سفك الدماء سفكا شديدا»، و مع ذلك فقد كان جبانا، كما كان فاجرا فى خصومته، جاهلا فى تجبره و قسوته كما كان قبله يمتلىء حقدا على كل عظيم، و هو الذى أرسل الجيش لقتال الامام الحسين، و أصر على حربه، و هو الذى أخذ ينكث بقضيبه فيفم الامام الحسين حين حملت اليه، و هو الذى أظهر الشماتة بمقتل الامام الحسين، ثم وقف على منبر الكوفة معلنا متقل الامام متطاولا عليه بأقبح ألفاظ السباب، فاذا ما اعترض عليه عبدالله بن عفيف الأزدى، أمر به فقتل ثم صلب، ثم أمر بنصب رأس الامام الحسين، و الطواف بها فى الأزقة، و كانت نهاية هذا الطاغية ابن الدعى على يد ابن الأشتر، و ذلك حين أراد استرداد الكوفة من المختار فأرسل اليه المختار قائده ابراهيم بن الأشتر النخعى على رأس سبعة آلاف من المطالبين بثأر الامام الحسين، فلما التقيا أخذ ابن الأشتر يحرض الناس على ابن زياد فقال: فيما يروى الطبرى، «هذا قاتل ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، قد جاءكم الله به، و أمكنكم منه، فانه قد فعل فى ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ما لم يفعله فى بنى‌اسرائيل... هذا ابن زياد قاتل الحسين، الذى حال بينه و بين ماء الفرات أن يشرب منه هو و أولاده و نساؤه.... و يحكم أشفوا صدوركم منه، واروا رماحكم و سيوفكم، هذا الذى فعل فى آل نبيكم ما فعل»، فهجم القوم الشجعان على جيش

ابن‌زياد فهزموه، و استطاع ابن الأشتر أن يظفر بابن زياد و يضربه بسيفه ضربة قدته نصفين، و لعل من تمام العدالة أن يكون ذلك، يوم عاشوراء، العاشر من المحرم عام ۶۷ ه، و هو نفس اليوم الذى استشهد فيه الامام الحسين عام ۶۱ ه، و قطعت رأس ابن زياد و أرسلت الى المختار الذى وضعها بين يديه فى نفس المكان الذى وضع فيه ابن الدعى، رأس سيدنا الامام الحسين، و يروى الطبرى عن عبدالملك بن عميرة فيقول:دخلت على عبيدالله بن زياد و بين يديه رأس الامام الحسين، فو الله ما لبثت الا زمنا قليلا حتى دخلت على المختار الثقفى، فوجدت رأس ابن‌زياد بين يديه [صفحه ۲۰۰] على ترس فى نفس المكان، و لعل من أعجب ما يرويه الطبرى عن العدالة الالهية أن رأس ابن‌زياد حينما وضعت بين رؤوس أصحابه، شاهد الناس حية تدخل من فمه و تخرج من أنفه، ثم تدخل من أنفه و تخرج من فمه، و هكذا ظلت و الناس يتصايحون و يتعجبون.و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب أن الهل قضى أن قتل عبيدالله بن زياد فى يوم عاشوراء قتله ابراهيم بن الأشتر النخعى فى الحرب، و بعث برأسه الى المختار الذى بعث به ألى ابن الزبير، فبعث به ابن الزبير الى على زين‌العابدين بن الحسين، و روى ابن سعد فى الطبقات أن المختار بعث ابراهيم بن الاشتر الى ابن زياد فى عشرين ألفا، فقتله و بعث برأسه الى المختار فجعله فى جونة ثم بعث به الى محمد بن الحنفية و على زين‌العابدين بن الحسين و سائر بنى‌هاشم، فلما رأى على بن الحسين رأس عبيدالله ترحم على الحسين، و قال أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين و هو يتغدى، و أتينا برأس عبيدالله و نحن نتغذى، و روى الكشى فى معرفة الرجال عن عمر بن على بن الحسين أن على بن الحسين عليه‌السلام، لما أتى برأس عبيدالله بن زياد، و رأس عمر بن سعد، خر ساجدا، و قال: الحمدلله الذى أدرك لى ثأرى من أعدائى، و جزى الله المختار خيرا، و روى أن الامام على زين‌العابدين لم يكن راضيا فى أول الأمر عن حركة المختار حتى لا تؤدى الى قتل بقية شيعة آل البيت فى الكوفة، و لكن ما لبث أن رضى عن المختار حين قتل ابن زياد، و روى أن المختار وجه برأس ابن زياد، قاتل الحسين عليه‌السلام، الى على بن الحسين عليه‌السلام فى المدينة مع رجل من قومه، و قال له: قف بباب على بن الحسين، فاذا رأيت أبوابه قد فتحت و دخل الناس، فاذا ذاك الوقت فيه طعامه، فادخل اليه، فجاء الرسول الى باب على بن الحسين، عليه‌السلام، فلما فتحت أبوابه و دخل الناس للطعام نادى بأعلى صوته: «يا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الملائكة و منزل الوحى، أنا رسول المختار بن أبى عبيد، معى رأس عبيدالله بن زياد، فلم تبق فى بيت من دور بنى‌هاشم امرأة الا صرخت، و دخل [صفحه ۲۰۱] الرسول، فأخرج الرأس، فلما رأى على زين‌العابدين رأس قاتل أبيه و قاتل اخوته و أولاده عمه و مذل نسائه، أشاح بوجهه و قال: أبعده الله الى النار، و يروى اليعقوبى أن على بن الحسين لم يرضاحكا منذ قتل أبوه الا فى ذلك اليوم، و أنه كان له ابل تحمل الفاكهة من الشام الى المدينة، فلما أتى برأس عبيدالله أمر بتلك الفاكهة ففرقتى أهل المدينة، و فى هذا اليوم أيضا اختضبت نساء آل الرسول صلى الله عليه و سلم، و ما اختضبت امرأة منهن منذ قتل الحسين»، و روى عن جعفر الصادق، عليه‌السلام، أنه ما اكتحلت هاشمية و لا اختضبت، و لا روى فى دار هاشمى دخان خمس سنين حتى قتل عبيدالله بن زياد، و عن فاطمة بنت على، أميرالمؤمنين، عليه‌السلام أنها قالت ما تحنأت امرأة منا و لا أجالت فى عينيها مرودا و لا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيدالله بن زياد.و مات المختار بعد أن قتل كل من شارك فى قتل الامام الحسين و آل بيته، قتل فى منتصف رمضان عام ۶۷ ه، فى قصر الامارة حيث حاصره مصعب بن الزبير و من معه أربعة أشهر، ثم طلب المختار لرجاله الأمان، فأبى مصعب، و بالغ المختار فى النقمة فقتل و أحرق و مزق و هدم الدور و تعقب الهاربين، و جوزى كل من قاتل أو ضارب أو ناهب بكفاء عمله، و مات مئات من رؤوسهم بهذه المثلات و ألوف من جندهم و أتباعهم مغرقين فى النهر أو مطاردين الى حيث لا وزر لهم و لا شفاعة، فكان بلاؤهم بالمختار عدلا، لا رحمة فيه، و ما نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من الغدر ما بلغته قسوة المختار، و ظلت العدالة الالهية تتعقب المجرمين على مر الزمان، حتى فى ذرياتهم، فقد حدث فى الكوفة مرض الجدرى فى احدى السنين، فأصاب أهلها و عمى بسببه ألف و خمسمائة ممن حضروا مقتل الامام الحسين، و قبل ذلك، و فى عام ۶۵ ه، حدث الطاعون الجارف بالبصرة فهلك به خلق كثير، حتى أن أم أمير البصرة عبيدالله بن معمر ماتت فى هذا الطاعون، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج، فحملوها الى حفرتها، و هو الأمير يؤمئذ. [صفحه ۲۰۲]

مسئولية يزيد عن مقتل الامام الحسين

اختلف المؤرخون فى مدى مسئولية يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان فى مقتل مولانا الامام الحسين و آل بيته الطاهرين و أنصارهم، و الواقع أن الناس فى تقدير التبعة التى تصيب يزيد من عمل ولاته مشارب و أهواء، يرجع كل منهم الى مصدر من مصادر الرواية فيبنى عليها حكمه، فمنهم من يرى أنه برىء من التبعة كل البراءة، و منهم من يرى أنه أقر فعلة ابن‌زياد و توقع حدوثه و لم يمنعه، و هو مستطيع أن يمنع لو شاء، و من هنا كان الاضطراب فى الروايات التى تحدثت عن مسئولية يزيد فى مذبحة كربلاء، حتى أن المؤرخ الواحد قد يرى رأيا، ثم فى نفس القت قد يرى رأيا آخر يخالف رأيه الأول، بل ان الخلاف بين الروايات انما يبدأ منذ بداية حديثها عن خلافة يزيد لأبيه معاوية، فروايات تذهب الى أنه كتب الى عامله بالمدينة بأن يبدأ بوجوه الناس، و يرفق بالامام الحسين بينما تذهب أخرى الى أنه انما أمره باستعمال العنف مع الامام الحسين، حتى أن بعض الروايات ذهبت الى أن الوليد عامل يزيد على المدينة أغلظ للحسين فشتمه الحسين، و أخذ عمامته و نزعها من رأسه»، و الأمر كذلك بالنسبة الى موقف يزيد بعد مقتل الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، فبعض الروايات تشير الى أسف يزيد بعد مقتل الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، فبعض الروايات تشير الى أسلف يزيد لما وقع بالحسين عليه‌السلام و أهل بيته و حزنه على ذلك، و البعض الآخر يؤكد فرحه بما حدث و ارتياحه له، و أنه كان بعلمه و أمره، و من ثم فقد أظهر الشماتة لما حل بالامام الحسين و آل البيت و أنصارهم، فأذن لأشراف الشام بالدخول عليه، و رأس الامام الحسين بين يديه، و هو ينكث فى ثغره بقضيب كان فى يده، ثم قوله للامام على زين‌العابدين أمام الناس: يا على، أبوك الذى قطع رحمى و جهل حقى، و نازعنى سلطانى، فصنع الله به ما قد رأيت، و كما يقول الأستاذ حسين يوسف، فمثل هذه الروايات المتضاربة لا نصل منها الى نتيجة، فما يمكن فهمه أو استنباطه من بعضها، ينفيه البعض الآخر و يأتى بعكسه، و لذلك فلا مناص من قياس مدى صحة هذه الروايات، بمقياس الأحداث الثابتة و الحقائق الواقعة، فهى وحدها لها دلالته القاطعة فى تأكيد رواية ما أو نفى أخرى، ثم هى فى النهاية تدين يزيد، و تحمله مسئولية [صفحه ۲۰۳] الخطايا التى ارتكبت فى عصره، و على رأسها مذبحة كربلاء، و هى كثيرة: منها (أولا) أنه من الثابت الذى لا جدال فيه أن يزيد لم يعاقب أحد من ولاته، كبر أو صغر هذا الوالى، على شىء مما اقترفوه فى فاجعة كربلاء، و من المعروف أن سيرة ابن‌زياد التى سارها فى الامام الحسين و أصحابه انما كانت بدعا منكرا مما ألف المسلمون، حتى فى أيام الفتنة التى دارت فيها معارك الجمل و صفين، فقد كان الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، يتقدم الى أصحابه فى حروبه، ألا يتبعوا هاربا، و لا يجهزوا على جريح، و لا يأخذوا من المنهزمين الا ما أوجفوا به من خيل أو سلاح، و لكن اللئيم ابن‌زياد أسرف فى القتل و التنكيل بالمقتولين، و بمن تركوا من الأطفال و النساء، فقد سلب القتلى، و فيهم ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و فيهم أحفاد الزهراء، و سلب أبناء الامام على من غير الزهراء، و غيرهم من أصحاب الامام الحسين، و نزع من النساء كل ما كان معهن من حلى و ثياب و متاع، فضلا عن قطع رؤوس القتلى و رفعهما على الحراب و الطواف بها بين شوارع الكوفة و أزقتها، و ما بين الكوفة و دمشق، فى موكب جهير يجوب الصحراء، و يحمل معه سيدات آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم سبايا حواسر على المطايا، و جثث أبناء الرسول صلى الله عليه و سلم ملقاة على أرض كربلاء، لا يدفنونها و لا يصلون عليها، ثم ندبوا عشرة من فرسان اللئام يوطئون جثة الامام و صحبه الخيل، لم يتقوا الله فى عملهم الخسيس هذا، و لم يراعوا أية حرمة، حتى حرمة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم التى كانت أقل ما تفرضه على المسلمين أن يتحرجوا أشد التحرج، و يتأثموا أعظم التأثيم، قبل أن يمسوا أحدا من أهل بيته صلى الله عليه و سلم، فضلا عن أن يقوموا بكل ما أشرنا اليه من الخطايا، و مع ذلك كله، فان التاريخ يحدثنا، فيما يتفق عليه المؤرخون جميعا، سنة و شيعة، أن ابن‌زياد أو غيره، لم يلق من يزيد بن معاوية فى ذلك عقابا بل لا عتابا و لا لوما، و انما لقى منه رضا و ايثارا، مما يدل على أن كل ما فعله ابن‌زياد و عصابته انما كان طبقا لأوامر يزيد و وفقا لهواه، و لو كان ما حدث مخالفا لأمره و هواه، لكان فى امكان يزيد أن يعزل ابن‌زياد، كما عزل الوليد عن ولاية المدينة، و النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة، لتهاونهما فى

تنفيذ أوامره ضد الامام الحسين و مسلم بن عقيل، و لكنه على العكس من ذلك أبقاه على [صفحه ۲۰۴] ولاية المصرين «الكوفة و البصرة» و بالغ من رفعة شأنه حتى أدخله على نسائه، و فى ذلك دليل قاطع على رضائه عنه، و ارتياحه لشدته و بطشه، و من ذلك ما يرويه المسعودى من أن يزيد، و كان صاحب طرب و جوارح و كلاب و قرود و فهود و منادمة على الشراب، جلس يزيد ذات يوم على شرابه، و عن يمينه ابن‌زياد، و ذلك بعد مقتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:أسقنى شربة تروى مشاشى ثم مل فاسق مثلها ابن‌زيادصاحب السر و الأمانة عندى و لتسديد مغنمى و جهادى‌ثم أمر الغنين فغنوا به.و منها (ثانيا) ما ذهب اليه البعض - فيما يروى الأستاذ العقاد - من أن ابن‌زياد كان على اذن مستور من يزيد بكل ما صنع، و يملى للبعض فى هذا الظن أن استئصال ذرية الامام الحسين من الذكور، انما كانت خطة تهم يزيد لوراثة الملك فى بيته و عقبه، و يفيده أن يقدم عليها مستترا من وراء ولاته، ثم يتنصل منها و يلقى بتبعتها عليهم، و لو لم يكن ذلك لكان عجيبا أن توكل حياة الامام الحسين و أبنائه و بقية آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و أنصارهم الى والى الكوفة بغير توجيه من سيده و مولاه، فقد كان الزمن الذى انقضى منذ خروج الامام الحسين من مكة الى نزوله بالطف على الفرات كافيا لبلوغ الخبر الى يزيد و رجوع الرسل بالتوجيه الضرورى فى هذا الموقف لوالى الكوفة و غيره من الولاة، فان لم يكن الأمر تدبيرا متفقا عليه، فهو المساءة التى تلى ذلك التدبير فى السوء و الشناعة، و هى مساءة التهاون الذى لا تسقيم على مثله شئون الدولة، و قد روى ابن شريح البشكرى أن عبيدالله صارحه بعد موت يزيد فقال «أما قتلى الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله أو قتلى، فاخترت قتله».ثم هناك روايتان جاءتا فى تاريخ اليعقوبى، و فى كل منهما أمر بقتل الامام الحسين، فى الرواية الأولى يقول يزيد لواليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى‌سفيان: «اذا أتاك كتابى هذا، فاحضر الحسين بن على، و عبدالله بن الزبير، [صفحه ۲۰۵] فخذهما بالبيعة لى، فان امتنعا فاضرب أعناقهما، و ابعث لى برؤوسهما، و خذ الناس بالبيعة فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، و فى الحسين بن على و عبدالله بن الزبير، و السلام»، و تذهب الرواية الثانية الى أن يزيد كتب الى عبيدالله بن زياد، بعد أن ولاه الكوفة: «قد بلغنى أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين فى القدوم عليهم، و أنه قد خرج من مكة متوجها نحوهم، و قد بلى يه بلدك من بين البلدان، و أيامك من بين الأيام، فان قتلته، و الا رجعت الى نسبك و الى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك».و منها (ثالثا) أن سياسة يزيد بن معاوية فى سياسته دولته بعد ذلك، كانت هى سياسية أولئك الولاة على و تيرة واحدة مما حدث فى كربلاء، فاستباحة المدينة، دار النبى صلى الله عليه و سلم، و تحيكم مسلم بن عقبة فى رجالها و نسائها، ليست بعمل رجل ينكر سياسة كربلاء بفكره و قلبه، أو سياسة رجل تجرى هذه الحوادث على نقيض تدبيره و شعوره، فان الرجل الذى يستبيح مدينة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، تجرى فيها دماء الصحابة و التابعين أنهارا، و تنتهك فيها الحرمات جهارا، حتى تفتض فيها ألف عذراء، و تحمل ألف امرأة من غير زواج، كما يقال، و يؤخذ من بقى من أهل المدينة بالبيعة، لا على كتاب الله و سنة رسول‌الله، كما تعود المسلمون أن يبايعوا، و لكن على أنهم خول ليزيد، فمن أبى منهم هذه البيعة المنكرة أمر به فضربت عنقه، ثم يلعن قائد يزيد بعد ذلك أنه لم يعمل عملا صالحا، بعد الشهادتين، أحب اليه من ذلك، و حتى مكة المكرة بمسجدها الحرام يرسل اليها يزيد من يستبيحها و يستبيح مسجدها الحرام، لا شك أن من يأمر بكل هذه الخطايا و المخازى، مما يعتبر عارا على الاسلام و المسلمين، لا يتورع أبدا عن الأمر بقتل الامام الحسين و أهل بيته و أنصاره.و منها (رابعا) أن يزيد بن معاوية ظل، كما كان أبوه و كما سيكون خلفاؤه من الأمويين غير عمر بن عبدالعزيز، يأمرون الناس بلعن الامام على و الامام الحسين، و آلهما، على المنابر فى أرجاء الدولة الاسلامية، و العياذ بالله، [صفحه ۲۰۶] و يستفتون من يفتيهم من مرتزقة السلطان، باهدار دمهم و صواب عقابهم بما أصابهم، و بدهى فيما يقول الأستاذ العقاد أمن من تجب لعنته على المنابر بعد موته بسنين، فقتله جائر أو واجب،فى رأى لاعنيه، و منها (خامسا) أنه من الثابت أن يزيد عزل الوليد بن عتبة، كما يقول الأستاذ حسين يوسف، عن امرة المدينة لتهاونه فى أمر الامام الحسين، حتى أمكنه من الخروج الى مكة، و ولى عمرو بن سعيد بن العاص بدلا منه، و كان متألها متكبرا، معروفا بالقسوة و الغلظة، و هذا مما يؤكد أن ما نسب الى يزيد من دعوته الى الرفق بالامام الحسين لا أساس له، و أن مطالبته بأخذ البيعة أخذا شديدا، هو الواقع الذى لا شك فيه، و منها (سادسا) أنه من الثابت أن يزيد

عزل النعمان بن بشير، و هو صاحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فضلا عن وقوفه الى جانب معاوية فى كل حروبه ضد الامام على، عن امرة الكوفة لسبب مشابه لما عزل الوليد من أجله، و هو عدم أخذ القائمين بالدعوة للامام الحسين عليه‌السلام، بالشدة، و اكتفاؤه بنهيهم عن الاختلاف و الفتن، و دعوتهم الى الأئتلاف و السنة، و اعلانه أنه لا يقاتل من لا يقاتله، و لا يثب الا على من وثب عليه، و لا يأخذ بالظنة و لا التهمة، كما يقول الطبرى، و قد أضاف يزيد، بمشورة سجون مولى أبيه، الكوفة بعد عزل النعمان، الى عبيدالله بن زياد، والى البصرة، كما سبق أن أضاف المدينة الى والى مكة، عمرو بن سعيد بن العاص، و كلا هما سواء فى التجبر و البطش، و قد كتب يزيد الى ابن زياد، حين ولاه الكوفة يقول: «اذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فان قدرت عليه فاقتله أو انفه».و منها (سابعا) أن يزيد، و قد اختار ابن‌زياد لولاية الكوفة، فى وقت وجود مسلم بن عقيل فيها، و ظهور أمره، فمن الطبيعى أن يكون قد زوده بالتعليمات التى يجب أن يعمل فى حدودها، و يتصرف على ضوئها، و طبقا لتصرفات ابن‌زياد فى الكوفة يمن التأكد من كنه هذه التعليمات، و من الثابت أن ابن‌زياد بطش بطش الجبارين، فقتل هانىء بن عروة، و مسلم بن عقيل، و بعث برأسيهما الى يزيد فى دمشق، مع هانىء بن حبة الهمدانى و الزبير بن الأرواح [صفحه ۲۰۷] التميمى، فكتب اليه يزيد يعلن رضاءه عنه و ثقته فيه، و طبقا لما جاء فى الطبرى و ابن الأثير، فقد كتب اليه يقول: «عملت عمل الحازم، و صلت صولة الشجاع، الرابط الجأش، فقد أغنيت و كفيت، و صدقت ظنى بك و رأيى فيك»، و هكذا استمر ابن‌زياد فى جبروته و طغيانه، طبقا لتعليمات سيده يزيد، يحبس على الظنة و يأخذ فى جبروته و طغيانه، طبقا لتعليمات سيده يزيد، يحبس على الظنة و يأخذ بالتهمة الى أن سير الى الامام الحسين سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، رجاله و فرسانه، بقيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص، حتى انتهى الأمر بحصاره هو و أهله، و حتى قتلوهم جميعا، و احتزوا رؤوسهم الشريفة، و على رأسهم رأس الامام الحسين، و داسوا بسنابك الخيل أجسادهم الطاهرة حتى ألصقوها بالأرض، و ليس من شك فى أن يزيد لم يظهر أى استياء حقيقى لما اقترفه ابن‌زياد من تقتيل و تمثيل بالامام الحسين و أهل بيته الطاهرين، و لم يقف من ابن‌زياد أى موقف يشعر باستنكاره لفعلته الشنيعة، و خطئته الكبرى، بل انه استقبل سيدات بيت النبوة، و على بن الحسين فى قصره بدمشق بكل وقاحة و خسة، فى أول الأمر على الأقل، فتطاول على مقام سيدنا الامام الحسين، و على عقيلة بنى‌هاشم السيدة زينب، بل و سمح لزنيم من لئام الشام من رجال بلاطه أن يطلب منه أن يهبه السيدة فاطمة حفيدة النبى صلى الله عليه و سلم، مما يدل على رضاه على كل خطايا و آثام ابن‌زياد، ان لم تكن تلك الخطايا و الآثام بأمر منه.و هكذا يبدو واضحا أن يزيد بن معاوية هو المسئول أمام الله و رسول‌الله و المسلمين أجمعين عن قتل الامام الحسين و آل بيت النبى الطاهرين و أنصارهم فى مجزرة كربلاء، و أن ما قام به ابن‌زياد لم يكن بأمر يزيد، و قد حاول بعض الباحثين تبرئة يزيد من جريمة قتل مولانا الامام الحسين و آل البيت، و لكنهم فشلوا، و لنأخذ كمثال، الحافظ ابن كثير، و هو علم من أعلام الفقه و التفسير، و الحديث و التاريخ، فألقى بالتبعة كلها على ابن‌زياد، و حاول تبرئة يزيد، بل و كثير من رجال الجيش الذين قتلوا الامام، لانه كما يقول «ليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله، بل و لا يزيد بن معاوية رضى بذلك، و الله أعلم، و لا [صفحه ۲۰۸] كرهه، و الذى يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه لعفا عنه، كما أوصاه بذلك أبوه، و كما صرح هو به مخبرا عن نفسه بذلك، و قد لعن ابن‌زياد على فعله ذلك، و شتمه فيما يظهر و يبدو، و لكن لم يعزله على ذلك و لا عاتبه، و لا أرسل يعيب عليه ذلك»، و هكذا فيزيد، فى رأى ابن كثير، لم يرض و لم يكره، و غالب الظن لو قدر لعفا، و أنه فيما يظهر لعن ابن‌زياد، و لكنه لم يعزله و لا عاقبه، بل و لا حتى أرسل يعاتبه، و هكذا نرى ابن كثير لا يحزم بشىء، و ربما كان اتهامه ليزيد أقوى من براءته.و مثال آخر، هو الأستاذ العقاد الذى يذهب الى الظن بتهاون يزيد، أقرب الى الظن بايعازه و تدبيره، لأنه جرى عليه طوال حكمه، و ألقى حبل ولاته على غاربهم، و هو لاه بصيده و عبثه، و أنه ربما ارتاح فى سريرته بادىء الأمر الى فعلة ابن‌زياد و أعوانه، و لكنه ما عتم أن رأى بوادر العواقب توشك أن تطبق عليه بالوبال من كل جانب، حتى تيقظ من غفلته بعد فوات الوقت فعمد الى المحاسنة و الاستدراك جهد ما استطاع، و لم يكن فى يقظته على هذا معتصما بالحكمة و السداد، و لقد رأى البوادر منه غير بعيد، و لما تنقض ساعات على ذيوع الخبر فى بيته، قبل عاصمة ملكه، فنعى ابن الحاكم

فعلة زياد، و ناح نساؤه مشفقات من هول ما سمعن و رأين، و بكى ابنه الصالح معاوية، فكان يقول اذا سئل «نبكى على بنى‌أمية، لا على الماضين من بنى‌هاشم»، و مهما تكن غفلة يزيد، فما أحد قط يلمح تلك البوادر، ثم يجهل أنها ضربة، هو جاء، لن تذهب بغير جريرة، و لن تهون جريرتها فى الحاضر القريب، و لا فى الآتى البعيد، و الواقع أنها قد استتبعت بعدها جرائر شتى، لا جريرة واحدة، و ما تنقضى جرائرها الى هذا اليوم، و هكذا فان يزيد، فى رأى الأستاذ العقاد، مشغول بلهوه و صيده، حتى عن مذبحة كربلاء، و أنه فرح بها أولا، ثم ندم بعد أن رأى العواقب توشك أن تطبق عليه بالوبال من كل جانب.و ما أظن أن هذه تبرئة من الأستاذ العقاد، ليزيد، بقدر ما هى اثبات للتهمة، عليه، ثم أى خليفة هذا الذى فرضه أبوه على الناس، و ابتلى الاسلام [صفحه ۲۰۹] و المسلمين به، حتى يترك أشرار الناس يعيثون فى الأرض فسادا، و هو مشغول بصيده و لهوه، فابن زياد فى الكوفة يحز رأس كل من تسول له نفسه أن يقول: لم، ثم يقتل أبناء الرسول صلى الله عليه و سلم و أحفاده و آل بيته فى كربلاء قتلا تناهى فى البشاعة و الرجس، ثم هناك مسلم بن عقيل، مبعوث يزيد الى المدينة المنورة، دار الهجرة و وطن الأنصار، و عاصمة الاسلام، يصنع بها و بأهلها من الوحشية و الجريمة ما يتعاظم كل وصف، و حتى مكة يرسل اليها يزيد من يستبيحها و يستبيح مسجدها الحرام، و فى كل ذلك و غيره من الخطايا و الآثام، فالمسئول يزيد، لأنه المسئول عن الأمة بأسرها، باعتباره الراعى لأمورها و قد قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «كلكم راع، و كلكم مسئول عن رعيته، الامام راع و مسئول عن رعيته» و قال «ان شر الرعاء الحطمة» أى القساة الذين يظلمون الناس و يظلمونهم، و لا يرقبون الله فيهم.

استئصال شأفة يزيد

لا ريب فى أن مسئولية يزيد عن مذبحة كربلاء، و اباحة حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، ثم حرق الكعبة المشرفة و ضربها بالمجانيق، و لأول مرة فى التاريخ على وجه اليقين، أكبر من أن تنكر، و أخطر مما يتصور أى انسان، خاصة و أن ذلك كله قد تم على يد يزيد بن معاوية، و لم ينقض الا نصف قرن على انتقال الرسول صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، و عقدان من الزمان على انتهاء الخلافة الراشدة، و بداية الملك المعضوض، فاذا أضفنا الى ذلك أن هناك شبهات قد دارت عن وفاة الامام الحسن مسموما ليخلو الطريق ليزيد لولاية العهد، لتبين لنا أن أمور المسلمين على أيام يزيد و أبيه قد صارت الى ما لا يحبون، و أن يزيد قد أراد أن يقضى على الامام الحسين و ذريته من الذكور، و قد كاد ابن‌زياد أن تقضى على الامام على زين‌العابدين بن الحسين، لو لا استمائة العقيلة الطاهرة، فحفظ الله ذرية الامام الحسين به، و هكذا أراد يزيد أن يوطد ملكه و يثبت سلطانه، و لكن حكمة المولى، جل و علا، و عدالته، اقتضت أن تعجل بملكه، و أن تهدم كل ما بناه معاوية من ملك عنيف، قام على السياسة، [صفحه ۲۱۰] و لم يقم على الدين، و كان يظن حين استقام له هذا الملك عشرين عاما، أنه سيمضى فى طريقه و ادعا مطمئنا فى بنى أبى‌سفيان دهرا على أقل تقدير، و لكنه لم يستقر فيهم، الا ريثما تحول عنهم، فلم يدم ملك يزيد أكثر من ثلاث سنوات و تسعة أشهر، ثم قبضه الله اليه، و هو فى عنفوان قوته، و كان هلاكه بعد ضرب الكعبة بالمجانيق و حرقها بأحدى عشرة ليلة، و يذهب ابن حجر الهيثمى فى صواعقه أن ذلك كان استجابة لدعوة أبيه معاوية الذى حين خوطب فى أمر توليته العهد ليزيد، قال: «اللهم ان كنت انما عاهدت ليزيد لما رأيت من فعله، فبلغه ما أملته و أعنه، و ان كنت انما حملنى حب الوالد لولده، و أنه لما صنعت به أهلا، فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك»، فكان الأمر كما قال معاوية، فهلك يزيد عام ۶۴ ه، و هو فى الثامنة و الثلاثين، بعد أن عهد لابنه معاوية بن يزيد، الذى لحق بأبيه بعد أربعين يوما من خلافته، عن احدى و عشرين سنة.غير أن هذا التفسير لا يستقيم مع الأحداث التاريخية، فدعوة معاوية أن يقبضه قبل أن يبلغ الملك، و لكن الله تعالى لم يقبضه الا بعد أن بلغ الملك، و ارتكب من الخطايا و الآثام ما لم يرتكبه مسلم على وجه الأرض، فقتل الامام الحسين و آل البيت الأطهار و أنصارهم، و اعتدى على المدينة، حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثم انتهك حرمة البلد الحرام و البيت الحرام، فضرب الكعبة بالمجانيق، و هكذا فعل يزيد ما يخجل الشيطان نفسه أن يرتكبه، ان كان الشيطان يخجل، ثم

يموت يزيد، بعد أن يضع الاسلام و المسلمين فى محنة لا ينتهى عارها الى أبد الآبدين، ثم لا يستحى بعد ذلك من يدافع عن يزيد، و من جاء بيزيد الى خلافة المسلمين، و كأنه هو لم يكتف باغتصاب الخلافة، بل يمعن فى تحويل الاسلام الى مزرعة أموية، هذا حصادها، قتل ذرية النبى صلى الله عليه و سلم و سبى سيدات بيت النبوة، و استباحة المدينة و حرق الكعبة، فماذا بقى للمسلمين من مقدسات لم ينتهك يزيد حرماتها، و أما الملك العضوض فقد أراد الله تعالى أن يقتضى عليه، فبتر عمر يزيد، ثم اقتضت عدالته سبحانه و تعالى أن تنقرض ذريته كذلك، و قد كان له من البنين خمسة عشر، و من البنات خمس، انقرضوا [صفحه ۲۱۱] جميعا، فلم يبق ليزيد عقب، و قد أدرك ذلك ولده الصالح معاوية بن يزيد بن معاوية، و كان شابا صالحا، تقيا و رعا عابدا، و رغم أنه تسلم الملك شابا، لم يتجاوز العشرين من عمره الا بقليل، فان تقوى روحه كانت أقوى من اغراء شبابه، فلم يلبث فى منصبه الا فترة قليلة، تراوحت آراء المؤرخين بشأنها فيما بين عشرين يوما و أربعة أشهر، حتى ضاق بالأمر، و دعا المسلمين الى مؤتمر مشهود، و نهض يخطب الجمع الحاشد فقال، فيما يروى الكندى فى الولاة و القضاة، و الدميرى فى حياة الحيوان، و غيرهما من المؤرخين القدامى و المعاصرين:«أيها الناس، ان جدى معاوية، نازع الأمر أهله، و من هو أحق منه لقرابته من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و عظم فضله و سابقته، أعظم المهاجرين قدرا، و أشجعهم قلبا، و أكثرهم علما، و أولهم ايمانا، و أشرفهم منزلة، و أقدمهم صحبة، ابن عم الرسول و أخوه، و صهره و زوج ابنته و أبو سبطيه الحسن و الحسين، سيدى شباب أهل الجنة، و أفضل الأمة من الشجرة الزكية، على بن أبى‌طالب، فركب جدى معاوية معه ما تعلمون، و ركبتم معه ما لا- تجهلون، حتى أتته منيته، فصار فى قبره، رهينا بذنوبه، و أسيرا بخطاه، ثم تقلد أبى يزيد الأمر من بعده، و كان غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه و سلم فركب هواه و تجرأ على الله بما استحل من حرمة أولاد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فأخلفه الأمل، و قصر به الأجل، ثم صار فى قبره رهين ذنبه و أسير جرمه، ان من أعظم الأمور علينا، علمنا بسوء منقلبه، و قد قتل عترة رسول‌الله، و أباح الحرم و خرب الكعبة، و ما أنا بالمتقلد أمركم و لا بالمحتمل تبعاتكم، فاختاروا لأنفسكم، و الله لئن كانت الدنيا خيرا، فلقد نلنا منها حظا، و لئن كانت شرا، فكفى ذرية أبى‌سفيان ما أصابوا، ألا- فليصل بالناس حسان بن مالك، و شاوروا فى خلافتكم يرحمكم الله».و غادر الشاب الصالح منبره الى داره، و لبث بها عاكفا على عباده الله حتى لقيه راضيا مرضيا، و قيل أن أهله و أقاربه الأمويين، و بخوه على ما قال، و قالت له أمه: ليتك كنت حيضة و لم أسمع بخبرك، فقال: «و ددت الله ذلك»، و يروى [صفحه ۲۱۲] أن الأمويين قالوا لمعلمه و مؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته حب على و أولاده، و أخذوه و دفنوه حيا، ثم دسوا السم لمعاوية فمات.و ليس هناك من ريب فى أن هذه الكلمات التى قالها معاوية الثانى بن يزيد بن معاوية، و حفيد معاوية بن أبى‌سفيان لتشكل برهانا باهرا على عدالة القضية التى هى فى غنى عن كل برهان، تلك القضية التى ذهب الامام الحسين و شباب آل بيت النبوة الطاهرين، شهداء لها، كما ذهب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، من قبل شهيدا لها، و كما ذهبت معهم ثلة مباركة طاهرة من صفوة المؤمنين و الأصحاب، فلتكن كلمات معاوية بن يزيد، شهادة شاهد من أهلها، ذلك الرجل الصالح، الذى أثقلت ضميره الحر أوزار آبائه و آثامهم، فقد بموقفه هذا، أو بالأحرى قدم القدر بمعاوية بن يزيد و بموقفه، وثيقة الادانة كاملة و صادقة لأولئك الذين وقفوا من سيدنا الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و من أبنائه الكرام البررة، سلالة بيت النبوة، و من القضية التى حملوا مشعلها، مواقف الكيد و العداء، و اننا اليوم، و بعد مضى ما يقرب من أبعة عشر قرنا على ذلك الصراع، لنجد حرارة الصدق، و وضوح الحق فى موقف الامام على من معاوية، ثم فى موقف الامام الحسين من يزيد. [صفحه ۲۱۳]

قضية الامام الحسين فى الميزان

الحركة الفريدة فى التاريخ

ان خروج الامام الحسين من مكة الى العراق، كما يقول الأستاذ العقاد، حركة لا يسهل الحكم عليها بمقياس الحوادث اليومية، لأنها حركة من أندر حركات التاريخ، ان لم تكن أندرها، فى باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسة، حركة لا تتكرر كل يوم، و لا يقوم بها كل رجل، و من ثم فقد كان من أعظم ما صنع الامام الحسين و أهله و صبحه يوم كربلاء، هو أنهم جعلوا الحق قيمة ذاته، و مثوبة نفسه، فلم يعد النصر مزية له، و لم تعد الهزيمة ازراء به، فلقد وقف اثنان و سبعون بطلا، وراء قائدهم العظيم أبى عبدالله الحسين، ليس لهم فى احراز النصر على عدوهم أدنى أمل، و ليس أمامهم سوى القتل بأسلحة خصم فاجر متوحش مسعور، و أمامهم فرص النجاة أذا هم أرادوها، لكنهم يرفضون النجاة، ما دامت ستكون عمطا لقداسة الحق، و ثلما لشرف التضحية، و هكذا راحوا يقاتلون حول قائدهم الممجد، معانقين المنايا واحدا بعد واحد، و هم يصبحون بل يغنون: الله و الجنة، الله و الجنة.و لا ريب فى أن الأقدار لم تدع رؤوس أبناء الرسول صلى الله عليه و سلم تحمل على أسنة رماح قاتليهم، الا لتكون مشاعل على طريق الأبد، للمسلمين خاصة، و للبشرية الراشدة كافة، يتعلمون فى ضوئها الباهر، أن الحق وحده هو المقدس، و أن [صفحه ۲۱۴] التضحية وحدها هى الشرف، و أن الولاء المطلق للحق، و التضحية العادلة فى سبيله، هما وحدهما اللذان يحملان للانسان و للحياة قيمة و معنى.و من أجل هذا كله، و من أجل غيره، و هو كثير، كانت حركة مولانا الامام الحسين فريدة فى نوعها، لأنها حركة لا يأتى بها الا رجال خلقوا لأمثالها، فلا تخطر لغيرهم على بال، لأنها تعلو على حكم الواقع القريب الذى يتوخاه فى مقاصده سالك الطريق اللاجب و الدرب المطروق، و هى حركة فذة يقوم عليها رجال أفذاذ، من اللغو أن ندينهم بما يعمله رجال من غير هذا المعدن و على غير هذه الوتيرة، لأنهم يحسون و يفهمون و يطلبون غير الذى يحسه و يفهمه و يطلبه أولئك الرجال، هى ليست ضربة مغامر من مغامرى السياسة، و لا صفقة مساوم من مساومى التجارة، و لا وسيلة متوسل ينزل على حكم الدنيا أو تنزل الدنيا على حكمه، و لكنها وسيلة من يدين نفسه و يدين الدنيا برأى من الآراء، و هو مؤمن به و مؤمن بوجوب ايمان الناس به دون غيره، فان قبلته الدنيا قبلها، و ان لم تقبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة، بل لعلل فواته بالموت أشهى اليه و أحب، و من ثم فحركة مولانا الامام الحسين لا- تقاس اذن بمقياس المغامرات و لا الصفقات، و لكنها تقاس بمقياسها الذى لا- يتكرر، و لا يستعاد على الطلب من كل رجل أو فى كل أوان، على حد تعبير الأستاذ العقاد.

اسباب امتناع الامام الحسين عن بيعة يزيد

لعل من الأفضل هنا، و قبل أن نتحدث عن الدوافع التى منعت سيدنا الامام الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية، أن نشير الى السنين الستين التى انقضت بعد حركة الامام الحسين انما قد انقضت فى ظل دولة الأمويين، و هى دولة انما كانت تقوم على تخطئة الامام الحسين فى كل شىء، و تصويب مقاتليه فى كربلاء، فى كل شىء، و من ثم فالقول بصواب الامام الحسين معناه القول ببطلان دولة بنى‌أمية، كما أن التماس العذر للامام معناه القاء الذنب عليها، و كم قرأنا فى التاريخ، و شهدنا من أحداثه، كيف ينسى الحياء و تبتذل القرائح [صفحه ۲۱۵] أحيانا فى تنزيه السلطان القائم، و تأثيم السلطان الذاهب، فليس الحكم على صواب الامام الحسين أو على خطئه اذن بالأمر الذى يرجع فيه الى أولئك الصنائع المتزلفين الذين يرهبون سيف الدولة القائمة، و يغنمون من عطائها، و لا لصنائع مثلهم، جاءوا بعدهم، يرهبون بعد ذلك سيفا غير ذلك السيف، و يغنمون من عطاء غير ذلك العطاء، و فى كلا الحالين، فالرغبة فى مرضاة السلطان، و نيل عطاياه، بطريق مباشر أو غير مباشر، هما اللذان يحكمان التصويب و التخطئة، قبل أن يحكمها صواب الموقف و خطئه، فضلا عن مكانة صاحب الموقف، و بدهى أن الحاكم الذى وجد من يقتل له الامام الحسين و آل بيت النبى الطاهرين، و أنصارهم، ثم يقترف فى حقهم بعد ذلك ما يخجل الشيطان نفسه من اقترافه، ثم يستبيح حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أياما ثلاثة نهبت فيها الأموال و انتهكت الأعراض فى جوار قبر النبى صلى الله عليه و سلم، ثم يستبيح بعد ذلك حرم الله فى البلد الحرام و يضرب الكعبة المشرفة بالمجانيق، ان من يفعل كل هذه الخطايا، ثم يجد بعد ذلك من يدافع عنه من مرتزقة التاريخ و أصحاب المصالح، ما أسهل

ما يجد من يخطىء سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، و يصوب حفيد هند و أبى‌سفيان و من أتى بعده من المروانيين، و من ثم فالحكم فى صواب الامام الحسين و خطئه انما يرجع لأمرين لا يختلفان باختلاف الزمان و المكان، و هما البواعث النفسية التى تدور على طبيعة الانسان الباقية، و النتائج المقررة التى مثلت للعيان باتفاق الأقوال، و بكل من هذين المقياسين القويين نفيس حركة الامام الحسين فى خروجه على يزيد بن معاوية، فنقول أنه أصاب، أصاب اذا نظرنا الى بواعثه النفسية التى تهيمن عليه و لا يتخيل العقل أن تهيمن عليه بواعث غيرها، و أصاب اذا نظرنا الى نتائج الحركة كلها نظرة واسعة لا يستطيع أن يجادل فيها من يأخذ الأمور بسنة الواقع و المصلحة أو من يأخذ الأمور بسنة النجدة و المروءة.و أما أسباب امتناع الامام الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية فكثيرة منها (أولا) تلك البواعث النفسية التى خامرت نفس الامام الحسين فى تلك المحنة. [صفحه ۲۱۶] الأليمة من أن بيعة يزيد لم تكن بالبيعة المستقرة، و لا بالبيعة التى يضمن لها الدوام فى تقدير صحيح، فهى بيعة نشأت فى مهد الدس و التملق، و لم يجسر معاوية عليها حتى شجعه عليها من له مصلحة ملحة فى ذلك التشيع، و بدهى أننا لا نريد الطعن فى معاوية أو فى غيره، بيد أننا خلال قيامنا بواجبنا فى تحرى الحقيقة فى هذه القضية التى ندرسها، لا نملك، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد، الا ابداء الأسف الشديد و الجزع الأشد لهذا النهج الذى سار عليه معاوية، مؤسس دولة الأمويين، لا سيما حين اتخذ أفدح قراراته، و أكثرها ضراوة و بؤسا، ذلكم هو أخذ البيعة لولده يزيد، و فرضه على الدولة المسلمة و على الأمة المسلمة، الأمر الذى يعينا الآن بحثه، و الذى كان السبب المباشر و الأوحد فى مأساة كربلاء و ما تلا كربلاء من أهوال شهدتها مكة و شهدتها المدينة على نحو أليم و وبيل، هذه الأحداث التى كانت هى الأخرى سببا مباشرا فى ضياع الملك من بيعت معاوية الى الأبد، بعد أربع سنوات من وفاته، ثم انتقال هذا الملك الى بطن آخر من بطون بنى‌أمية، أولئك هم بنو مروان، لقد رأينا معاوية تهتز أعطافه بالامارة ثم بالملك أربعين سنة، أفما كان يكفيه ذلك، ثم يترك الأمر من بعده لاختيار المسلمين، ليكون فى ذلك، على الأقل، وفاء بالعهد الذى أبرمه مع الامام الحسن بن على، و الذى كان أهم شروطه التنازل له عن الخلافة، لكن معاوية لم يفعل ذلك، و انما قرر، بتدبير منه أو بايحاء من بعض مشيرته أو بهما معا، أن يستبقى السلطان فى بيته و أسرته، و اختار لذلك أبعد الناس عن الصلاحية لخلافة المسلمين، ولده يزيد.و منها (ثانيا) أن معاوية عند اختياره لولده يزيد، انما برر البيعة له بحرصه على عدم نشوب الخلاف و الصراع من جديد بين المسلمين، و انه فى الحقيقة لتبرير يدينه أكثر مما يشفع له، فلماذا خشى الصراع و الفتنة اذا هو لم ينقل الملك لولده يزيد، و لم يخشهما اذا هو و سد الأمر لغير أهله و سلم قيادة الدولة المسلمة الى أكثر العالمين بعدا عن الصلاحية لها، و هو ولده يزيد، لا ريب فى أن هذه النظرة انما تكشف بوضوح عن أن معاوية كان ينظر الى الأمر على أنه سلطان [صفحه ۲۱۷] بنى‌أمية، أكثر مما هو سلطان الاسلام و المسلمين، و من ثم فقد كشف معاوية بعمله هذا أحد وجوه القضية الجليلة التى قاتل الامام على دونها، هذا الوجه المتمثل فى أن لا تصير خلافة المسلمين الى طلقاء بنى‌أمية أبدا، و أن تظل فى الصالحين الأولين من المهاجرين و الأنصار، فلقد كانت بصيرة الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، من النفاذ و الصدق، يوم نكص معاوية، بحيث أبصرت أبعاد المصير، اذا استقر السلطان فى أيدى الأمويين، فلقد يهون الأمر، لو بدأ النكوص بمعاوية، ثم انتهى به، غير أن الامام على انما كان يرى ببصيرته الصادقة أن الانحراف اذا بدأ فلن يؤذن بانتهاء، و كان يرى أن الأمويين اذا أفلحوا فى تثبيت ملكهم المنشود، فسيتحول التراث الجليل الذى تركه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى ملك عضوض و دنيا جامحة، و من ثم صار دحض هذه المحاولة التعسة واجب المؤمنين كافة، و هذه كلمات أبى‌سفيان التى يجتر بها نوايا أسرته، يوم بويع للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه، لا تدع مجالا للشك فى أطماعهم و ما يبتغون، فهو يوصى أهله و ذريته قائلا «لقد صار الأمر اليكم فلا تدعوه يفلت و تلقفوه كالكره، فانما هو الملك، و لا أدرى ما جنة و لا نار» ثم يمر أبى‌سفيان بقر سيدالشهداء «حمزة بن عبدالمطلب» عم النبى صلى الله عليه و سلم فيستعيد ذكرى الماضى و يقول «يا أبا عمارة، ان الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار الى غلمان بنى‌أمية»، بل انأباسفيان من قديم لم ير فى الاسلام الا ملكا، فيوم فتح مكة، و قد صحبه العباس عم النبى صلى الله عليه و سلم الى الرسول ليسلم و ينجو بحياته، نظر الى الكتائب اللجبة العارمة تحمل رايات الاسلام،

فينظر الى العباس و يقول «لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما»، فيجيبه العباس: «يا أباسفيان، انها النبوة، لا الملك»، و هكذا يبدو الفارق الكبير واضحا بين تفكير بنى‌هاشم و تفكير بنى‌أمية، فبنو هاشم، رهط النبى صلى الله عليه و سلم يرون الدين على حقيقته، نبوة و رحمة، و هدى و نورا، و بنوأمية يرونه، من خلال أمانيهم أو أطماعهم، ملكا و تسلطا، و من ثم فان الامام على لم ينخدع عن جوهر الموقف الذى اتخذه معاوية حين رفضه بيعة الامام، و لم يخدع عن عواقب هذا الموقف، اذا تركه المسلمون يستشرى و يتفاقم، و اذا كان كبح هذا الجنوح [صفحه ۲۱۸] الأموى الخطير واجب المؤمنين، فلا ريب أن أولى المؤمنين بهذا، انما هم آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، أهل التقوى و أهل التضحية، و هكذا شرع موكب التضحيات فى مسيرة عالية، كلها قمم، مستلها بأشرف تلك القمم و أعلاها، حياة الامام الرشيد الشهيد، سيدنا على بن أبى‌طالب كرم الله وجهه فى الجنة، ثم بحياة الشهيد الممجد مولانا الامام الحسين، و معه عشرات من اخوته و أهل بيته و صحبه، فى يوم يجعل الولدان شيبا، يوم كربلاء العظيم، يوم التضحية و الفداء.و منها (ثالثا) أن معاوية باختياره لولده يزيد، دون الامام الحسين، و غيره من أبناء كبار المهاجرين كأبى بكر و عمر و الزبير، رضى الله عنهم أجمعين، ممن ينالون اجلال الناس، و رضى صحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، انما جعل مقاومة بيعته لولده يزيد، ان آجلا أو عاجلا، أمرا محتوما، و قدرا مقدورا، و قد بدأت المقاومة العلنية بامتناع الامام الحسين و عبدالله بن الزبير، و خروجهما الى مكة عائذين بالبيت الحرام، ثم سرعان ما بدأ النذير الكالح الذى ملأ صفوف الجماهير فى كل مكان، و الذى ارتفع به الصوت داخل الأمويين أنفسهم الذى كانوا يشمئزون من يزيد، و يرون بين رجالهم من هو أحق و أجدر، بل ان المقاومة انما بدأت على أيام معاوية و من داخل بيته، و قد أحس معاوية نفسه الامتعاض من بيته، قبل أن يحسه من الغرباء عنه، فكانت امرأته «فاختة» بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس، تكره بيعة يزيد، و تود لو آثر بالبيعة ابنها عبدالله فقالت له: «ما أشار به عليك المغيرة، أراد أن يجعل لك عدوا من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم»، و اشتدت نقمة مروان بن الحكم، و هو أقرب الأقرباء الى معاوية، حين بلغته دعوة العهد ليزيد، فأبى أن يأخذ العهد له من أهل المدينة، و كتب الى معاوية «ان قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك» فعزله معاوية من ولاية المدينة و ولاها سعيد بن العاص، فأوشك مروان أن يثور و يعلن الخروج و ذهب الى أخواله من بنى‌كنانة فنصروه، و قالوا له «نحن نبلك فى يدك و سيفك فى قربتك، فمن رميته بنا أصبناه، و من ضربناه قطعناه، الرأى رأيك و نحن طوع يمينك» ثم أقبل مروان فى وفد كثير منهم الى دمشق، فذهب الى قصر معاوية [صفحه ۲۱۹] و قد أذن للناس، فمنعه الحاجب لكثرة من رأى معهم فضربوه و اقتحموا الباب، و دخل مروان و هم معه حتى سلم على معاوية و أغلظ له القول، فخاف معاوية هذا الجمع من وجوه قومه و ترضى مروان ما استطاع، و جعل له ألف دينار كل شهر، و مائة لمن كان معه من أهل بيته، و لم يكن مروان وحده بالغاضب بين بنى‌أمية من بيعة يزيد، بل كان سعيد بن عثمان بن عفان يرى أنه أحق منه بالخلافة، لأنه بان عثمان الذى تذرع معاوية الى الخلافة باسمه، فقال لمعاوية: «يا أميرالمؤمنين، علام تبايع ليزيد و تتركنى، فو الله لتعلم أن أبى خير من أبيه، و أمى خير من أمه، و انك انما نلت ما نلت بأبى»، و فى رواية للطبرى «أما لقد اصطنعك أبى و رفاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذى يجارى اليه و لا يسامى، فما شكرت بلاءه و لا جازيته بالآئه و قدمت على هذا - يعنى يزيد - و بايعت له، و و الله لأنا خير منه أبا و أما و نفسا» فسرى عنه معاوية و ولاه حرب خراسان، ثم جمع له بين حربها و خراجها، و هكذا كان أكبر بنى‌أمية أعظمهم أملا فى الخلافة بعد معاوية، و كان بغضهم لبيعة يزيد، بقدر أملهم فيها، و هؤلاء، و ان جمعتهم مصلحة الأسرة فترة من الزمن، لم تكن منافستهم هذه ليزيد بالعلامة التى تؤذن بالبقاء و تبشر بالضمان و القرار، و الأمر كذلك الى عبدالله بن عمرو بن العاص، أحد أركان دولة بنى‌أمية، فلقد امتنع عبدالله، حتى دعا عابس بن سعيد نائب أمير مصر بالنار، فيما يروى المقريزى فى الخطط، ليحرق عليه بابه، فسلم بالأمر.و منها (رابعا) أن يزيد كان شابا لاهيا عابثا، عاكفا على اللهو بفهوده و قروده، حتى لقب «يزيد القرود»، و التاريخ يصوره لنا دائما بين بطانته، و هى بطانة سوء، يلهون و يشربون و يعربدون، و حتى حين أراد أبوه أن يضفى على سيرته بعض التصون و الوقار، فأرسله الى مكة حاجا، لم يغنه ذلك شيئا، فقد اصطحب يزيد معه لهوه و عبثه و بطانته، روى ابن الأثير أن يزيد حج فى حياة أبيه، فلما وصل الى المدينة جلس على شراب له، فاستأذن عليه ابن العباس و الامام

الحسين، فقيل له ان ابن‌عباس ان وجد ريح الشراب عرفه، فحجبه عنه، و أذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب، فقال لله در [صفحه ۲۲۰] طيبك ما أطيبه، فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام، ثم دعا بقدح فشربه، ثم دعا بآخر، فقال اسق أبا عبدالله، فقال له الحسين: «عليك شرابك أيها المرء، لا عين عليك منى».و مرة أخرى، أراد معاوية أن يقدم ولده يزيد للناس كمجاهد فى سبيل الله، و طبقا لرواية ابن الأثير و ابن خلدون، فلقد سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم، و جعل عليه سفيان بن عوف، و أمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل و اعتل، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الجند جوع و مرض فأنشد يزيد:مالى أبالى بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى و من موماذا اتكأت على الأنماط مرتفعا بدير مروان عندى أم‌كلثوم‌فأقسم معاوة حين بلغه هذان البيتان ليحلقن بالجيش ليدرأ عنه عار النكول و الشماتة بجيش المسلمين بعد شيوع مقاله فى خلواته، على أن بعض المؤرخين كأبى الفداء و ابن الوردى يذكران الغزوة عام ۴۸ ه (و ليس عام ۴۹ أو ۵۰ ه، كما قال ابن الأثير) و أن سعيد ابن عوف هو القائد، و لم يذكرا يزيد فيها.ثم ان يزيد، قبل هذا و بعد هذا، تنقصه كل مقومات الرجل المناسب، للمكان المناسب، فهو مفلس افلاسا تاما من كل ما كان لأبيه من دهاء و شخصية و ذكاء و مقدرة، بل انه لم يستطع الافادة من تربيته فى بادية بنى‌كلب، و فى أحضان أمه ميسون بنت مجدل الكلبية التى كرهت العيش مع أبيه معاوية فى قصر الخضراء بدمشق، فطلقها و أرسلها و ابنها يزيد الى بادية بنى‌كلب، أو هو، فى بعض الروايات، طلقها، و هى حامل بيزيد، فنشأ يزيد معها بعيدا عن أبيه، و قد أفاد يزيد من بادية بنى‌كلب بلاغة الفصحى و حب الصيد و ركوب الخيل و رياضة الحيوانات، و لا سيما الكلاب، و هذه صفات فى الرجل القوى تزينه و تشحذ قواه، و لكنها فى أعقاب السلالات، أو عكارة البيت كما يقال بين العامة، مدعاة الى الاغراق فى اللهو، و الولع بالفراغ، لانها هى عنده كل شىء، و ليست مددا لغيرها من كبار الهمم و عظائم الهموم، و هكذا انقلبت هذه الصفات [صفحه ۲۲۱] فى يزيد من المزية الى النقيصة، فكان كلفه بالشعر الفصيح مغريا له بمعاشرة الشعراء و الندماء فى مجالس الشراب، و كان ولعه بالصيد شاغلا يحجبه عن شواغل الملك و السياسة، و كانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرادين و الفهادين، فكان له قرد يدعوه «أبا قيس» يلبسه الحرير و يطرز لباسه بالذهب و الفضة و يحضره مجالس الشراب، و يركبه أتانا فى السباق و يحرص على أن يراه سابقا مجليا على الجياد، و ما أظن أن عقلا يرضى أن تكون هذه صفات خليفة المسلمين، و فيهم بقايا الصحابة و التابعين، و من ثم فلقد أخرج الواقدى و ابن سعد أن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال «و الله ما خرجنا (أى أهل المدينة) على يزيد، حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، ان رجلا ينكح الأمهات و البنات و الأخوات و يشرب الخمر و يدع الصلاة، و الله لو لم يكن معى أحد من الناس لا بليت الله فيه بلاء حسنا» و من المعروف أن الروايات لم تجمع على شىء كاجماعها على ادمانه الخمر و شغفه بالملذات و توانيه عن العظائم، و قد مات بذات الجنب، و هو لم يتجاوز السابعة و الثلاثين بقليل، و لعلها اصابة الكبد من ادمان الشراب و الأفراط فى الملذات، و لا يعقل أن يكون هذا كله اختلافا و اختراعا من الأعداء، لأن الناس لم يختلقوا مثل هذا على أبيه معاوية أو عمرو بن العاص، و هما بغيضان أشد البغض الى أعداء الأمويين، و لأن الذين حاولوا ستره من خدامه لم يحاولوا الثناء على مناقب فيه تحل عندهم محل مساوئه و عيوبه، كأن الاجتراء على مثل هذا الثناء من وراء الحسبان، و لعل العجيب من الأمر: اذا كانت كل تلك المساوىء فى يزيد، فقيم كان استخلافه، و بأى رشد، و أى ضمير، يفرض معاوية واحدا هذا شأنه على الاسلام و المسلمين؟ ثم أين عهده مع الامام الحسن، على أن يترك الأمر بعده شورى، حيث يختار الناس من يرتضون، لكن معاوية فعلها.و منها «خامسا» أن يزيد لم يختص بمزية واحدة محمودة، تقابل نظائرها من مزايا الامام الحسين، حتى فى الخصال التى تأتى بها المصادفة، و لا فضل فيها لأصحابها، و منها مزية السن و سابقة الميلاد، فلما تنازعا البيعة كان الامام [صفحه ۲۲۲] الحسين فى السابعة و الخمسين، مكتمل القوة، ناضج العقل، وافى المعرفة بالعلم و التجربة، و كان يزيد فى نحو الرابعة و الثلاثين لم يمارس من شئون الرعاة و لا الرعية ما ينفعه بين هؤلاء أو هؤلاء، و مزية السن ربما كانت محل أخذ ورد فى العصور الحديثة، و لكنها كانت تقطع القول فى أمة العرب، حيث نشأ الأسلاف و الأخلاف على طاعة الشيوخ و رعاية الأعمار، كما أن سن السابعة و الخمسين ليست بالسن التى تعلو بصاحبها فى الكبر حتى تسلبه مزية الفتوة و مضاءة العزيمة.و منها (سادسا) أنه لا

يمكن القول أن الوراثة المشروعة فى الممالك كان لها شأن يرجح بيزيد على الامام الحسين فى ميزان العروبة و الاسلام، ففى ميزان العروبة، كان بنوهاشم، رهط النبى صلى الله عليه و سلم و أهل الامام الحسين، أصحاب عقيدة و أريحية و وسامة، و كان بنوأمية، أهل يزيد، أصحاب عمل و حيلة و مظهر مشنوء، و كان بنوهاشم سراعا الى النجدة و نصرة الحق و التعاون عليه، و لم يكن بنوأمية كذلك، فتخلفوا عن حلف الفضول الذى نهض به بنوهاشم و حلفاؤهم، و هو الحلف الذى اتفق فيه نخبة من رؤساء قريش «ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا اليه حقه، و ليأخذن أنفسهم بالتآسى فى المعاش و التساهم فى المال، و ليمنعن القوى من ظلم الضعيف و القاطن من عنف الغريب» و اتفقوا على هذا الحلف لأن العاص بن وائل (أبو عمرو بن العاص) اشترى بضاعة من رجل زبيدى و لواه بثمنها، فنصروا الرجل الغريب على القرشى و أعطوه، حقه، كما انتزعوا بنت الخثعمى من التاجر نبيه بن الحجاج كذلك، هذا الى أن بنى‌هاشم كانوا يعملون فى الرياسة الدينية، و بنى‌أمية فى التجارة، و هما ما هما فى الجاهلية، و من هنا كان الخلاف بين البيتين، أخلاق الصراحة و أخلاق المساومة، و بين وسائل الايمان و وسائل الحيلة، ذلك لأن بنى‌أمية، على خلاف ما زعم الزاعمون، لم يكونوا من أصحاب مناصب السيادة و الشرف فى قريش، فلقد اتفق بنو قصى على أن يتولى عبد مناف السقاية و الرفادة، و أن تكون الحجابة و اللواء و رياسة دار الندوة لبنى عبدالدار، ثم تولى هاشم السقاية و الرفادة بعد أبيه عبد مناف، ثم ورث عبدالمطلب زعامة أبيه هاشم، فأصبح [صفحه ۲۲۳] سيد قريش، و ان لم يكن أغناها.و هكذا لم يترك بنوهاشم لبنى أمية شيئا من سيادة الجاهلية، و من ثم فقد اشتغل بنوأمية بالتجارة، بل و حتى التجارة هذه لم يستفد منها معاوية، والد يزيد، فلم يرث معاوية من هذه التجارة أو سيادة المال، التى قيل عنها لبيت أبى‌سفيان، و التى كان قوامها كله و فرة المال، ربما لأن أباسفيان أضاع كثيرا من ماله على حرب الاسلام، و ربما لأن ماله لم يكن من الوفر ما يبقى على كثرة الوارث، و روى أن امرأة استشارت النبى صلى الله عليه و سلم فى التزوج بمعاوية، فقال لها «انه صعلوك»، فلقد روى ابن‌سعد فى الطبقات و ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة فاطمة بنت قيس أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لها: أنكحى أسامة، و فاطمة قرشية من فهر، و قد طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة، و لما انقضت عدتها خطبها اثنان، معاوية بن أبى‌سفيان و أبوجهم بن حذيفة، فجاءت الى الرسول صلى الله عليه و سلم تعرض عليه أمرها ليختار واحدا منهما، فقال لها النبى صلى الله عليه و سلم: أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقة، و أما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحى أسامة بن زيد.و قد جاء الحديث الشريف فى موطأ مالك (باب ما جاء فى نفقة المطلقة)، و فى زاد المعاد (۱۸۶ – ۱۸۵ / ۵ ط بيروت ۱۹۸۵)، كما رواها الامام مسلم فى صحيحه (باب المطلقة البائن لا نفقة لها) بسنده عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة و هو غائب، فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال: و الله ما لك علينا من شىء، فجاءت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فذكرت ذلك له، فقال: ليس لك عليه نفقة، فأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابى، اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك، فاذا حللت فآذنينى، فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبى‌سفيان و أبا جهم خطبانى، فقال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، و أما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحى أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: «أنكحى أسامة فنكحته، فجعل الله فيه خيرا، و اغتبطت به» (انظر صحيح مسلم ۹۸ – ۹۴ / ۱۰ ط بيروت ۱۹۸۱). [صفحه ۲۲۴] و روى الذهبى فى المنتقى من منهاج الاعتدال، قال الحافظ أبوالفضل ابن ناصر، خطب معاوية فى زمن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فلم يزوج لأنه كان كان فقيرا، و انما تزوج فى زمن عمر رضى الله عنه، كما أن معاوية، على عكس ما أشيع عنه، لم يكن من كتاب الوحى، كما أشاع خدام دولته بعد صدر الاسلام، و لكنه كان يكتب للنبى صلى الله عليه و سلم فى عامة الحوائج و فى اثبات ما يجبى من الصدقات و ما يقسم فى أربابها، و لم يسمع عن ثقة قط أنه كتب للنبى صلى الله عليه و سلم شيئا من آيات القرآن الكريم.و أما فى الاسلام فقد كان توريث معاوية ابنه يزيد على غير وصية من السلف، بدعة هرقلية كما سماها المسلمون و قتئذ، و لم يكن معقولا أن العرب فى صدر الاسلام يوجبون طاعة يزيد لأنه ابن معاوية، و هم لم يوجبوا طاعة آل النبى صلى الله عليه و سلم فى أمر الخلافة، لأنهم قرابة نبى الاسلام مولانا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و هكذا شاءت عجائب التاريخ اذن ان تقيم بين الخصمين الامام

الحسين و يزيد، قضية تتضح فيها النزعة النفعية على نحو لم تتضحه قط فى أمثالها من القضايا، و قد وجب أن ينخذل يزيد كل الانخذال، لو لا النفعية التى أعانته، و هو غير صالح لأن يستعين بها بغير أعوان من بطانته و أهله، لئن كان فى تلك النزعة النفعية مسحة تشوبها من غير معدنها الوضيع لتكونن هى عصبية القبيلة من بنى‌أمية، و هى هنا نزعة موارية تعارض الايمان الصريح، و لا تسلم من الختل و التلبيس، و لهذا شك بعض الناس فى اسلام ذلك الجيل من الأمويين، و هو شك لا نرتضيه من وجهة الدلائل التاريخية المتفق عليها، و لكننا نقول، مع الأستاذ العقاد، أنه من عجائب الحيل التى تحاول بها الغرائز الانسانية أن تبقى و جودها و تمضى لطيتها، أن بنى‌أمية انتفعوا من حرب الاسلام للعصبية فى تعزيز عصبيتهم، فجعلوها حجة على بنى‌هاشم أن النبوة لا تحصر الأمر فيهم، و ان الانبياء لا يورثون، و اذا نهضت هذه الحجة على بنى‌هاشم، فبنو أمية أقوى المنتفعين بها من بطون عبد متاف.هذا و قد أوجبت الضرورة قبول المجاملة فى هذه المنافسات فترة من [صفحه ۲۲۵] الزمن على عهد معاوية بن أبى‌سفيان، فكان يلطف القول الى أبناء على و يواليهم بالهدايا و المجاملات، و لكنه كان مضطرا الى مجاملة آل الامام على، و مضطرا الى تنقص الامام على و الغض من دعواه، فكان بذلك مضطرا الى النقيضين فى آن واحد، انه ملك، و بايع بالملك لولده يزيد، و هو يعلم أنه غالب بالسلاح و المال، مغلوب بالسمعة و الشعور، فكان الناس يفضلون الامام على عليه، و هو لا يملك أن يفاضله بقرابة النبى صلى الله عليه و سلم و لا بالسابقة الى الأسلام، و لا بالعراقة فى قريش، فتجنب النسب و السابقة، و عمد الى شخص الامام على فى منازعات الخلافة، فاتهمه كذبا بتفريق الكلمة بين المسلمين، و أمر بلعنه، و العياذ بالله، على المنابر، عسى أن يضعف من مكانة الامام على التى هو مغلوب بها، و يستبقى الدولة التى هو بها غالب، و لج فى ذلك حتى قتل أناسا من الصحابة لم يطيعوه فى لعن الامام على و اتهامه، كحجر بن عدى و أصحابه، و أبى أن يجيب الامام الحسن بن على الى شرطه الذى أراد به أن يرفع اللعن عن أبيه، و كان معاوية على حصافته يجهل أنه قد أضاع سمعة و شعورا، من حيث حارب الامام على فى مقام السمعة و الشعور، و أن مجاملة كهذه التى تحيى الرجل، و تغص من قدر أبيه، لهى أضعف مجالمة بين متلاقيين، فضلا عن خصمين متنافسين، قد آل بهما التنافس بعد أجيال الى مفترق الطرق.و منها (سابعا) أن الامام الحسين عليه‌السلام، انما كان يرى أن الأمور ليس أمر بيعة يزيد أو غيره، و هو كذلك لا يتعلق بشخص الامام فحسب، و انما يتعلق بالأمة المسلمة و نظام الحكم فيها، ثم ان الناس انما ينظرون الى الامام الحسين، نظرتهم الى الامام الذى يجب الاقتداء به، و الاهتداء بهديه، و ذلك لمكانته من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فهم بذلك أمانة فى عنقه رضى بذلك أم كره، و لا يليق به أن يروا منه المثل الأعلى فى القيام بحق الله و رسوله، أيا كانت الظروف، لا يخشى فى ذلك لومة لائم. أو سطوة ظالم.و منها (ثامنا) أن الامام الحسين، ما كان يسمح له دينه و تقواه، و حسبه و نسبه، أن يزكى يزيد هذا أمام المسلمين، و يشهد له أن الرجل الذى يصلح [صفحه ۲۲۶] لخلافة المسلمين، و صاحب الحق فيها و القدرة عليها، و الامام الحسين، كما هو معروف، انما كان يراقب الله فى أقواله و أفعاله، فضلا عن أنه امام المسلمين و أشدهم حرصا على التمسك بشريعة الاسلام، كما أن الصدق و الجرأة من طبعه، لا يعرف المداهنة، و حاشاه أن يشهد بغير الحق، فكيف له أن يبايع يزيد و يرضى بخلافته لخير أمة أخرجت للناس، و هو لا كفاءة و لا وقار، و لا نصحاء و لا مشيرين، الا من كانوا على شر، أو موافقا على ضلالة، هذا الى أن ملك يزيد لم يقم على أى شىء يرضاه سيدنا الامام لدينه أو لشرفه أو لأمة الاسلام، ثم ان هذه المبايعة انما هى أمر يتعلق بالذمة و العقيدة، و أن اقراره على صلاحية يزيد انما هو اقرار فيه مخالفة للشرع يأباها الامام الحسين، و تحمل للمسئولية فيما عاناه الناس من تصرفات يزيد و سوء خلقه و شدة بطشه، هذا فضلا عن أن يزيد انما يأمر خطباء المساجد بلعن الامام على و أبنائه و يسبونهم على المنابر، و العياذ بالله، و هم من هم قرابة من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و عبادة و تقوى و سبقا من الاسلام، فكيف للامام أن يعترف بأهلية يزيد و صدق دعواه، و يقره و أعوانه على هذا المسلك السىء.و منها (تاسعا) أن العقيدة الدينية فى نفس الامام الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، و أنه كان رجلا يؤمن أقوى الايمان بأحكام الاسلام، و يعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين، انما هو أكبر بلاء يحيق به و بأهله و بالأمة العربية قاطبة فى حاضرها و مصيرها، لأنه مسلم، و لأنه سبط رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فمن كان اسلامه هداية نفس، فالاسلام

عند الامام الحسين هداية نفس و شرف بيت.و منها (عاشرا) أن عدم البيعة ليزيد انما يتصل بالعقيدة أكثر منه بالسياسة و الحرب، فلقد أراد الامام الحسين أن يصلح كثيرا من مسائل العقيدة بعد أن اختلت الموازين على أيام معاوية، ذلك لأن معاوية لم يدعم ملكه بالقوة فحسب، و لكن بايديولوجية تمس العقيدة فى الصميم، فلقد كان يعلن فى الناس أن الخلافة بينه و بين الامام على قد احتكما فيها الى الله، و قضى الله فيها له، و ليس للامام على، كما أنه حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل [صفحه ۲۲۷] الحجار انما أعلن اختيار يزيد للخلافة كان قضاء من القضاء، و ليس للقادة خيرة فى أمرهم، و هكذا كاد يستقر فى أذهان المسلمين أن كل ما يأمر به الخليفة، حتى لو كانت طاعة الله فى خلافه، انما قضاء من الله قد قدر على العباد، هذا فضلا عن أن معاوية قد سن لبنى أمية سنة خسيسة هى سب الامام على و آل البيت الطاهرين و من ثم فقد كانوا يسبون الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و ينعوته بالكذب و المروق و العصيان، و كانوا يتحرون أنصاره حيث كانوا، فيقهرونهم على سبه و النيل منه بمشهد من الناس، و الا أصابهم العنت و العذاب، و شهروا فى الأسواق بالصلب و الهوان، فمجاراة هذه الأمور كلها فى مفتتح ملك جديد معناه أنها سنة و جبت و استقرت الجيل بعد الجيل بغير أمل فى التغيير و التبديل، فمن أقر هذه السنة فى مفتتح هذا الملك الجديد، فقد ضعف أمله، و ضعف أمل أنصاره فيه يوما بعد يوم، و ازداد مع الزمن ضعفا، كما ازدادت حجة خصومه قوة عليه.و منها (حادى عشر) أن بيعة الامام الحسين ليزيد انما هى خطوة لا رجعة بعدها، اذا أقدم عليها الامام الحسين بما أثر عنه من الوفاء و صدق السريرة، فاذا بايع يزيد فقد وفى له بقية حياته، كما وفى لمعاوية بما عاهده عليه، و لا سيما حين يبايع يزيد على علم بكل نقيضه فيه قد يتعلل بها المتعلل لنقض البيعة و انتحال أسباب الخروج، فملك يزيد لم يقم على شىء واحد يرضاه الامام الحسين لدينه أو لشرفه أو للأمة المسلمة، و من طلب منه أن ينصر هذا الملك، فانما يطلب منه أن ينصر ملكا ينكر كل دعواه، و لا يحمد له حالة من الأحوال، فضلا عن أن هذا الملك انما كان يقرر دعائمه فى أذهان الناس بالبعض من الحسين فى سمعة أبيه، و كرامة شيعته و مريديه.و منها (ثانى عشر) أن شخصية الامام الحسين و تكوينه النفسى، ما كانت تسمح له بالبيعة لأمثال يزيد الفاجر الفاسق، و لا أن يصير أمر الخلافة، كما أرادها معاوية مزرعة أموية، و قد وصف الامام الحسين بأن فيه مشابهة من جده النبى صلى الله عليه و سلم، و من أبيه الامام على، الا أنه كان فى شدته أقرب الى أبيه، و قد قال [صفحه ۲۲۸] الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، مشيرا الى الحسن: «ان ابنى هذا سيخرج من هذا الأمر، و أشبه أهلى به الحسين»، و اتفق بعض الثقات على أن «الغالب على الحسن الحلم و الأناة كالنبى صلى الله عليه و سلم و على الحسين الشدة كعلى».

قضية الامام الحسين

كان الامام الحسين يعتبر قضيته مع يزيد، قضية النبوة لا الملك، قضية النبوة بكل تألقها الورعة و موازينها العادلة، و ليس، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد، الملك الذى يريد نفر من الأمويين أن يردوا به وثنية الجاهلية فى أثواب تنكرية، و الذين يدرسون معارك الجمل و صفين و كربلاء، خارج هذه الدائرة، لا يأمنون عثار تفكيرهم و زيغ أحكامهم، و قد رأينا أحكامهم، و قد رأينا كثيرين، من مرتزقة التاريخ، ممن تحدثوا عن كربلاء، يحملون الامام الحسين مسئولية مصيره، و مصير الذين خرجوا معه، و الامام الحسين يتحمل فى شجاعة و غبطة مسئولية ذلك المصير، و لكن ليس بالمعنى الذى يقصده هؤلاء، فهم يرون أنه خرج تلبية لدعوة ثوار الكوفة اياه، باعتبار هذه الدعوة فرصة رآها سانحة لاسترداد الخلافة من بيت معاوية الى بيت الامام على، بل ان بعض المؤرخين المحدثين حاول أن يضعه مع يزيد فى كفتين متوازيتين، يزيد الخليفة، و الامام الحسين الخارج على الخلافة، بل ان الله لم يفتح عليه بوصف لخروج الامام الحسين، الا أنه «مغامرة» و أنه كان مشدودا الى تلك المغامرة بدوافع خفية، و من ثم فهم يلومونه أو يكادون، لأنه لم يصغ لنصح الناصحين من عشيرته الأقربين، كى يبقى مكانه فى مكة البلد الحرام، نافضا يديه من مشاكل الموقف الكالح الذى نتج عن استخلاف يزيد.غير أن الأمر غير ما توهم أولئك الذين يحاولون تفسير التاريخ تفسيرا ماديا، و لا غير ذلك، فالقضية فى ضمير الامام

الحسين لم تكن قضية فرصة سنحت، و لا هى قضية حق شخصى فى الخلافة يبتغى استرداده، و لا هى من القضايا التى يكون للانسان الرشيد حق التخلى عنها، و لو كان الأمر كذلك [صفحه ۲۲۹] لاستمع الامام الحسين الى نصح الناصحين بعدم الخروج الى الكوفة، و هم مخلصون فى نصحهم، و لا- يشك الامام فى نواياهم، و ما أراه أبى، كما يقول الدكتور طه حسين، عنادا أو ركوبا لرأسه، و انما كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فان بايع غش نفسه، و خان ضميره، و خالف عن دينه، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، و ان لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء، و لم يكن الامام الحسين مخطيئا فيما قدر، فهو قد عرف ما كان من غضب يزيد على ابن الزبير، حين امتنع عن البيعة، و أقسم أن لا- يرضى حتى يحمل اليه ابن الزبير فى جامعة، يقاد اليه كما يقاد الأسير، و لو كان الأمر، كما يراه المؤرخون، لأعد له عدته، و بدهى أن عدته لن تكون اثنان و سبعون رجلا، هم فتيان آل البيت و بعض أنصارهم، و لما رفض نصرة عشرين ألفا عرضهم عليه الطرماح بن عدى، من فتيان طىء يضربون بين يديه بسيوفهم، و لما عرض على أنصاره ليلة كربلاء الانصراف فى الليل البهيم.و هكذا يبدو واضحا أن القضية فى ضمير الامام الحسين، التقى شجاع، انما كانت قضية دين، و من ثم يستوى عنده التخلى عن هذه القضية، و تخلية عن هذا الدين، صحيح أن الشكل الخارجى للقضية تمثل يومها فى استخلاف يزيد، لكن جوهرها الصحيح كان واضحا أمام وعى سبط النبى صلى الله عليه و سلم و رشده و نور بصيرته، تماما كما كان واضحا من قبل أمام وعى أبيه الامام على و أمام رشده و نور بصيرته، و استخلاف يزيد لا ينفى عن القضية موضوعيتها العميقة، و لا يقلل من تبعة النهوض بها، بل انه، رغم هوانه، انما يزيد من الحاح هذه التبعات، ذلك لأن يزيد هذا لا يمتلك ذرة من الصلاحية التى تؤهله لأن يجلس من الأمة المسلمة، حيث كان يجلس من قبل أبوبكر و عمر و عثمان و على، رضى الله عنهم أجمعين، و من ثم فقد كانت خلافة واحد من طرازه أدهى كارثة تنزل بالدولة و الأمة، لا سيما فى عصر لا تفصله عن عصر النبوة و الوحى سوى سنوات معدودات، و فى جيل لا- يزال يحيى فى رجال أبرار من أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أمثال الامام الحسين و ابن عمر و ابن الزبير و ابن‌عباس و أبى الدرداء [صفحه ۲۳۰] و قيس بن سعد بن عبادة، و لئن كان هناك من خيار الصحابة و المسلمين من سكن لهذا الوضع الأليم بعد وقوعه، فانهم لم يفعلوا عن رضا و اقتناع، بل عن رغبة فى تجنب المسلمين مزيدا من الحروب و الآلام و الدماء، الأمر الذى لم يتردد الامام الحسن نفسه عن النهوض به، من قبل، حين تنازل عن حقه فى الخلافة لمعاوية، و لو أن معاوية و فى بالعهد الذى أبرمه مع الامام الحسن أمام المسلمين كافة، فترك الأمر من بعده لمشورة الناس و اختيار الأمة، لتغير موقف الامام الحسين، و لتغير بذلك مجرى الأحداث، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد».لكن الأقدار أرادت غير ذلك، فشاءت ارادة الله أن يرتكب معاوية خطأ كبيرا فى حق الاسلام و المسلمين، فيجعل من يزيد القرود رأس المسلمين، و من ثم فقد فرض على الامام الحسين أن يجاهد الكارثة ما استطاع الى ذلك سبيلا، و ربما كان لمعاصرى الامام الحسين بعض العذر أو كل العذر فى موقفهم من الامام الحسين أو من يزيد، غير أن المؤرخين الذين أتوا بعد الكارثة، و من نحا نحوهم حتى الآن، لا- عذر لهم فى أن يقولوا كلمة حق، احتراما لأنفسهم، و للأمانة التى يتحملون مسئوليتها أمام المسلمين، و ليس من أجل الامام الحسين و قضيته، فما كان الامام بحاجة الى كلمة منهم، فمقامه، فوق مقام كل امام، و كفى به فضلا و شرفا قول النبى صلى الله عليه و سلم فيه «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا»، و قد رفعه النبى صلى الله عليه و سلم فوق كل مقام حين وصفه بأنه سيد شباب أهل الجنة، و أن كبار الصحابة، رغم مخالفتهم فى الرأى لم يخطئوه و لم ينكروا عليه اجتهاده، اعترافا منهم بمكانته، و تقديرا لعلمه و فقهه، فأولى بمن دونهم أن يقفوا من ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم موقف الأدب الذى وقفه من هو خير منهم، و أن يوقوا بأن كل ما قاله الامام الحسين صدق، و كل ما فعله حق، و هو بذلك فوق كل نقد، و أجل من أى حساب.و أما قضية الامام الحسين، فلا ريب أن أى باحث يستطيع، ان أراد أن يعطى كل ذى حق حقه، أن يتبين عدالة القضية التى ناضل دونها الامام على و أبناؤه، أكثر مما كان متاحا لمعاصريها الذين كانوا ينظرون اليها من خلال [صفحه ۲۳۱] حدسهم و تقديرهم لاحتمالات المستقبل حين يستقر الأمر لبيت أبى‌سفيان، و حين تنتهى الى أيدى أبنائه مصاير الاسلام و المسلمين، أما نحن اليوم فالأمر بالنسبة لنا ليس أمر حدس أو احتمال، فما كان حدسا بالأمس قد صار

حقيقة، و ما كان احتمالا و ظنا، أصبح واقعا و تاريخا، فها هو معاوية لا يكتفى باغتصاب الخلافة، و قتل بعض صحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم صبرا، و مخالفة السنة فى كثير من الأمور، فضلا عن أن يحكم الناس بالخوف لا بالرضى، و يسوسهم بالرغب و الرهب، لا- بما ينبغى أن يساس به المسلمون من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، و أموالهم العامة ليست لهم، و انما هى الى ملكهم و ولا-تهم يتصرفون فيها على ما يشتهون، لا على ما يقتضيه الحق و العدل و المعروف، فالصلات الضخمة تعطى لكثير من الناس تشجيعا لبعضهم على المضى فى الطاعة و الاذعان، و اغراء لبعضهم الآخر بالسكوت عن الجهر بالحق و القيام دونه، أشراف الحجاز غارقون فى الثراء من هذه الصلات التى تشترى بها طاعة ضعفائهم، و يشترى بها سكوت أقوائهم، و أهل الشام غارقون فى الثراء، موسع عليهم فى السلطان، لأنهم جند الملك و حماة دولته، و أهل العراق مضطهدون لأنه بين شيعة للامام على، و بين خارج على الجماعة، و بين قوم آخرين يصنع بهم ما يصنع بأهل الشام و الحجاز، و دماؤهم ليست حراما على الملك و لا على عماله، و انما يستحل منها الملك و العمال ما حرم الله، لا اقامة لحدود الدين، و لكن تثبيتا لسلطان الملك، ثم لا يرغب معاوية و هو على و شك لقاء ربه فى التكفير عن خطئه تاركا امر المسلمين للمسلمين، بل يمعن فى تحويل الاسلام الى ملك عضوض، و الى مزرعة أموية، فيأخذ البيعة ليزيد، كولى عهد له، يأخذها بالذهب و السيف، و رحم الله الحسن البصرى، فقد كان يقول، فيما يروى الطبرى، «أربع خصال كن فى معاوية، لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة، و استخلافة ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير و ادعاؤه زيادا، و قد قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «الولد للفراش [صفحه ۲۳۲] و للعاهر الحجر، و قتله حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر».ثم ها هو يزيد يتربع على عرش أبيه بعد وفاته، فيهمل أمر المسلمين، و يعكف على اللهو بفهوده و قروده حتى يلقب «يزيد القرود»، ثم يسلط من قواده و رجاله من ينزلون بالعباد و البلاد من الهول ما يخجل الشيطان نفسه من اقترافه، فما كان أحد يتصور أن من يجلس فى مكان خليفة المسلمين، مهما بلغ فسوقه، و أيا كانت درجة عصيانه لله و رسوله، أن يبلغ به الأمر القيام بمذبحة كربلاء، يقتل فيها اللئام من جيشه شباب آل محمد صلى الله عليه و سلم، و على رأسهم الامام الحسين، ثم يهرعون الى سيدات بيت النبوة ينازعونهن الحلى و الثياب على أجسادهن الطاهرة، لا- يزعهم عن حرمات رسول‌الله وازع من دين أو مروءة، ثم يوطئون جثث الشهداء من آل البيت الخيل، ثم يقطعون رؤوسهم و يرفعونها على الحراب، ثم يتركون الجثث ملقاة على الأرض لا يدفنونها و لا- يصلون عليها، كما صلوا على جثث قتلاهم، و كأن تلك الخطايا الكبرى لم تشف غليل يزيد و عصابته من الاسلام و المسلمين، فما أن يمضى حين من الدهر، حتى يرسل الطاغية جيوشه لتنتهك حرم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى المدينة، و تقوم بمذبحة مروعة يقتل فيها ألف و سبعمائة (أو حتى سبعمائة فى رواية الزهرى) من بقايا المهاجرين و الأنصار و التابعين، و عشرة آلاف من غيرهم، ثم تستباح الأعراض بعد ذلك جهارا، نهارا فى جوار قبر النبى صلى الله عليه و سلم حتى زعم الرواة أن ألف امرأة حملت بغير زواج، ثم أخذ من بقى من أهل المدينة بالبيعة، لا على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، كما تعود المسلمون أن يبايعوا، و لكن على أنهم خول ليزيد، فمن أبى منهم هذه البيعة المنكرة، أمر به فضربت عنقه، و هكذا عصى الله و خولف عن الدين جهرة فى مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم، بل حتى المسجد النبوى الشريف لم يسلم من أذى جيش يزيد، فزعم البعض أن الخيل جالت فى مسجد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و بالت بين القبر و المنبر (الروضة الشريفة)، ثم تحرك موكب الشر الى بلد الله الحرام، الى مكة المكرمة، فشدوا الحصار عليها، ثم [صفحه ۲۳۳] لم يقفوا عند هذا الحد، و انما رموا الكعبة المشرفة بالمجانيق، و اتصل الحصار حتى جاءهم خبر موت طاغيتهم يزيد، و هكذا كانت خطايا يزيد الثلاثة التى سجلها له التاريخ، كل واحدة منهن كبيرة من الكبائر، لم و لن يرتكبها مسلم على مدى تاريخ أمة العرب و الاسلام: مذبحة كربلاء، و مذبحة المدينة المنورة، و ضرب الكعبة بالمجانيق و حصار البلد الحرام، و هكذا فان كيد يزيد للاسلام و المسلمين أشد من كيد آبائه الأمويين، و هانت موبقات أبيه الأربعة التى ذكرها الحسن البصرى، بجوار موبقات ابنه يزيد الذى فرضه على الاسلام و المسلمين بالسيف و الذهب، ثم حين يختفى بيت

أبى‌سفيان بموت يزيد، و يسطو على الخلافة بيت مروان بن الحكم، طريد رسول‌الله صلى الله عليه و السلام و هو شعبة أخرى، و امتداد آخر للأمويين، يظهر الحجاج الثقفى لينشر الخراب و الدمار و القتل فى كل مكان من باسم الأمويين، و فى سبيل دعم ملكهم.و هكذا تظهر بوضوح قضية الامام الحسين، بل قضية آل البيت، فهذه الأهوال كلها، التى نعرفها نحن اليوم بعد وقوعها، كان الامام على يحسها ببصيرته قبل وقوعها، فلقد كان بالهامه الصادق يرى كل ذلك المصير، فقام قومته ليمنع الكارثة قبل وقوعها، ثم قام من بعده ابنه العظيم الامام الحسين ليمنع امتداد الكارثة و استمرارها، و هكذا نرى أن قضية الامام الحسين لم تكن قضية حق شخصى فى الخلافة، و لا معركة ثأر جاهلى قديم، بل هى قضية الاسلام كله، و قضية كل مؤمن أواب، قضية الحفاظ على دين الاسلام، و تراث النبى محمد صلى الله عليه و سلم، حتى و ان كان الثمن حياته، فاذا كانت الأقدار ستؤثره و آل بيته الطاهرين بأن يكونوا أعظم شهدائها، و أشرف قرابينها، فلتكن مشيئة الله، و ليكن الامام و أبناؤه و أهله شرفا للحق فى مماتهم و استشهادهم، كما كانوا شرفا له فى محياهم، أو ليسوا هم آل بيت الرسول، بل انهم أهله و أبناؤه و كفاهم بذلك شرفا و مجدا.و لعل هذا كله انما يفسر لنا من أقوال الامام الحسين لمن أرادوا منعه من الخروج من ناصحيه، و من أبناء أبيه و عمومته، صحيح أن هناك من أسباب [صفحه ۲۳۴] الخروج عوامل محسوسة لمعاصريه، كافتقاد الأمن الذى كان ينشده فى البلد الحرام عندما جاء عائذا بالبيت، و من ثم فقد قال للفرزدق، فيما يروى الطبرى و ابن الأثير و ابن كثير، عندما سأله «بأبى و أمى يا ابن رسول‌الله ما أعجلك على الحج؟» فقال الامام الحسين «لو لم أعجل لأخذت» هذا فضلا عن تورعه عن أن يستباح البلد الحرام بسببه، و طبقا لرواية ابن كثير، فقد قال لابن عباس حين حاول منعه من الخروج من مكة، «لأن أقتل بمكان كذا و كذا أحب الى من أن أقتل بمكة و تستحل بى»، و لكنه صحيح كذلك، بل هو الأصح، أن هناك عوامل أخرى، لا يدركها الا الباحثون عن الحقيقة، و قد احتفظ الامام الحسين بها لنفسه، فلم يفصح عنها الا بمقدار، و من ثم فعندما ألح عليه ناصحوه بالبقاء فى مكة، أفصح لهم عن طرف من سره، و طبقا لرواية الطبرى و ابن كثير فقد قال لهم: «انى رأيت رؤيا، و رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أمرنى فيها بأمر، و أنا له ماض، على كان أولى»، و رفض أن يحدث أحدا عن رؤياه هذه و من ثم فان الامام الحسين انما كان يسير على هدى و نور من الله و رسوله، و هو اللائق بسبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، المناسب لأحواله، و ما كان له أن يعرض عما أمره به جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و هو الذى لا ينطق عن الهوى، الى ما يظنه الناس و يرجونه، و شتان بين من يتكلم من دار الحق بلسان الحق، و بين من يتكلم من دار الباطل و الغرور، بلسان العاطفة و الرجاء.

رجال القضية

ربما ليست هناك قضية اختلف طرفاها خلقا و دينا، علما و فقها، حسبا و نسبا الى ذلك من الاختلافات بين رجال القضايا التاريخية، كقضية الامام الحسين بن على بن أبى‌طالب، و يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، حتى أن مجرد وضعهما بين كفتى ميزان الواحد، انما هو اهدار لمكانة الامام الحسين و قدره، بقدر ما هو شرف، و أى شرف، ليزيد بن معاوية، و كما يقولون أين الثريا من لثرى، و أين السماء من الأرض، و هكذا كان الامام الحسين من يزيد، و الامام على من معاوية... الخ، بل أين بنوهاشم من بنى‌أمية فى الجاهلية، و أين [صفحه ۲۳۵] بيت النبوة من بيت الطلقاء فى الاسلام، و يكفى أن نشير هنا الى تفوق البيت الهاشمى على البيت الأموى، بل على العرب جميعا، الى قول ابن تيمية فى رسالته «رأس الحسين» ان بنى‌هاشم أفضل قريش، و قريش أفضل العرب، و العرب أفضل بنى‌آدم، كما صح ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم قوله فى الحديث الصحيح «ان الله اصطفى بنى اسماعيل، و اصطفى كنانة من بنى اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى بنى‌هاشم من قريش»، و فى رواية للامام مسلم فى صحيحه بسنده أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى من قريش بنى‌هاشم، و اصطفانى من بنى‌هاشم»، و اذا كان بنوهاشم أفضل الخلائق، فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال، و كان أفضلهم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الذى لا عدل له من البشر، ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش و العرب،بل و بنى‌اسرائيل و غيرهم».هذا و قد كانت

العرب تنفس على قريش مكانتها، و قريش تنفس على بنى قصى، و بنو قصى ينفسون على بنى عبد مناف، و بنوأمية ينفسون على بنى‌هاشم رياستهم للعرب، و كونهم فى المكانة العليا من سدانة البيت و القيام عليه، فهاشم ورث السيادة و الرئاسة من عبد مناف، و عبدالمطلب أخذها من هاشم، ثم أعطاها لولده أبى‌طالب، و لعل فى هذا المعنى كان رد الامام على على معاوية عندما كتب اليه يسأله أن يقره على الشام فيبايعه، و أنهم جميعا من بنى عبد مناف فقال الامام «... و أما قولك انا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، و لكن ليس أمية كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبوسفيان كأبى طالب، و لا المهاجر «أى على» كالطليق «يعنى معاوية» و لا المحق كالمبطل، و لبئس الخلف خلفا يتبع سلفا هوى فى نار جهنم»، و فى الواقع فلقد كان بنوهاشم فى ميزان المجتمع العربى سادته وقادته و أشرافه، و كانوا فى ميزان القيم أجود الناس كفا و أوفاهم ذمة، و أنداهم عطاء، و أكثرهم فى سبيل الخير بلاء، و أحماهم للذمار، و أحفظهم للجار، و بكلمة واحدة هم فى قومهم و زمانهم، ضمير أولئك القوم و ذلك الزمان و هم فى ميزان الاسلام، أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، أكرم المسلمين [صفحه ۲۳۶] و أشرفهم، حتى أن الله تعالى - بمنه و كرمه - حرم عليهم الصدقة، التى هى أوساخ الناس، بينما أباحها لفقراء المسلمين أجمعين، كما جعل لهم فى الغنائم حقا معلوما، بنص كتابه الكريم، و من جعلهم سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أحد الثقلين فى الحديث الصحيح الذى رواه الامام مسلم فى صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم، حيث يقول صلى الله عليه و سلم: «أيها الناس، فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحث على كتاب الله و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى».و أما أبو الامام الحسين، فهو الامام على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، ابن عم النبى صلى الله عليه و سلم و ربيبه، و أخوه و صهره، و أبو سبطيه الحسن و الحسين، و كاتب وحيه، و حامل رايته، و أحد العشرة المبشرين بالجنة، و رابع الخلفاء الراشدين، و أول الخلفاء الهاشميين، امام المتقين، و علم العلماء، و فارس الفرسان، و خطيب الخطباء، و أزهد الزهاد، أول الذكور اسلاما، و أول من شرى نفسه فى الله ليلة الهجرة المباركة، و أول هاشمى يولد من هاشميين، تربى فى حجر النبوة، و شهد مطالع الرسالة و مختتمها، و ما بين مفتتحها و مختتمها، مما نزل به الوحى من آيات الله، أوفر الناس حظا و أطولهم صحبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم فمنذ ولد على، و و بين يدى النبى، قبل النبوة و بعدها، لم يفترق عنه فى سلم أو حرب، و فى حل أو سفر (غير غزوة تبوك) بل كان تحت يدى النبى صلى الله عليه و سلم و تحت سمعه و بصره، الى أن لحق الرسول صلى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى، و هو على صدر على، حيث سكب آخر أنفاسه الشريفة فى الحياة، و من قال عنه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فيما يروى البخارى فى صحيحه، «أنت منى و أنا منك»، و من عهد اليه النبى صلى الله عليه و سلم أنه لا يحبه الا مؤمن، و لا يبغضه الا منافق، فلقد روى مسلم فى صحيحه بسنده عن على قال: «و الذى فلق الحبة و برأ النسمة، انه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه و سلم الى، أن لا [صفحه ۲۳۷] يحبنى الا مؤمن، و لا يبغضنى الا منافق» (رواه الترمذى و النسائى و ابن ماجة و الامام أحمد و الخطيب البغدادى و المتقى الهندى)، و من قال عنه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و من شهد له رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أنه يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، بل أن سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ليرتفع بمكانة أبى الحسين، على بن أبى‌طالب، فيجعله منه بمكانة هارون من موسى، الا النبوة، روى الامام مسلم فى صحيحه بسنده عن عامر بن أبى وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبى‌سفيان سعد فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب (و هو لقب شرف به النبى صلى الله عليه و سلم على بن أبى‌طالب) فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فلن أسبه، لأن تكون لى واحدة منهن أحب الى من حمر النعم، سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول له خلفه فى بعض مغازية، فقال له على: يا رسول‌الله خلفتنى مع النساء و الصبيان، فقال له رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبوة بعدى، و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: أدعوا لى عليا، فأتى به رمد فبصق فى عينه، و دفع الراية اليه ففتح الله عليه، و لما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم)، دعا

رسول‌الله صلى الله عليه و سلم عليا و فاطمة و حسنا و حسينا، فقال: «اللهم هؤلاء أهلى».فأين هذا كله من والد يزيد، معاوية بن أبى‌سفيان، الذى تربى على يدى أبى‌سفيان و هند، و فى بيت مشرك بالله كاره لرسول الله صلى الله عليه و سلم، حاقد على الاسلام و المسلمين، لم يسلم الا يوم فتح مكة كرها، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب كان معاوية بن أبى‌سفيان، هو و أبوه من مسلمة الفتح، و كان هو و أبوه من المؤلفة قلوبهم، ثم اتخذه النبى صلى الله عليه و سلم من كتابه، بناء على توسل من أبيه لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد أشرنا من قبل الى أن معاوية لم يكن من كتاب الوحى كما أشاع خدام دولته بعد صدر الاسلام، و لكنه كان يكتب للنبى فى عامة الحوائج، و فى اثبات ما يجبى من الصدقات و ما يقسم فى أربابها، و من ثم لم يعرف بحفظ شىء من [صفحه ۲۳۸] كتابة الوحى فى أيام جمع القرآن، و قد روى أن النبى صلى الله عليه و سلم دعا معاوية مرة ليكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد،فانصرف الرسول اليه ثلاث مرات، و فى كل مرة يقول «هو يأكل» فدعا عليه صلى الله عليه و سلم فقال: «لا أشبع الله بطنه، فكان لذلك يأكل و لا يشبع أبدا»، و الحديث الشريف، كما رواه مسلم فى صحيحه و الامام أحمد فى مسنده، ليس فى صالح معاوية بكل المقاييس، و على أى حال، فمهما يقل بعض الناس فى معاوية من أنه كان مقربا الى النبى صلى الله عليه و سلم بعد اسلامه يوم الفتح، و بعد حربه للنبى صلى الله عليه و سلم و من أنه كان من كتاب الوحى، و من أنه أخلص للاسلام بعد أن ثاب اليه و نصح للنبى و خلفائه الثلاثة، مهما يقل البعض هذا، فمعاوية هو ابن أبى‌سفيان قائد المشركين يوم أحد و الأحزاب، و هو ابن هند التى أغرت بحمزة حين قتل ثم بقرت بطنه و لاكت كبده، ثم ان معاوية هو عدو الامام اللدود، و هو أبويزيد قاتل الحسين و آل البيت الأطهار فى مذبحة كربلاء، و هو الذى شق عصا الطاعة على أميرالمؤمنين الامام على، على رأس الفتنة الباغية، بحجة القصاص لدم عثمان رضى الله عنه فكانت معارك صفين التى انتهت بخدعة رفع المصاحف و تحكيم الحكمين، ثم كانت قصة التحكيم، أخزى، علم الله، من قصة الحرب، و معاوية هو الذى ابتدع تلك البدعة الخسيسة، حيث أقام معاوية و خلفاؤه من بنى‌أمية منابر يتناوب عليها الخطباء فى سب الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، و آل البيت الطاهرين، و فى افتراء الأباطيل و النيل من الامام على و الزراية عليه، و معاوية هو الذى استلحق زيادا مع مخالفة ذلك للكتاب و السنة، و معاوية هو الذى قتل بعض خيار الصحابة صبرا، و معاوية هو الذى ابتلى المسلمين بابنه يزيد، حيث فرضه عليهم خليفة بحد السيف و رنين الذهب و قد جاء فى أسد الغابة: روى عبدالرحمن بن أبزى عن عمر أنه قال: «هذا الأمر فى أهل بدر، ما بقى منهم أحد، ثم فى أهل أحد، ما بقى منهم أحد، ثم فى كذا و كذا، و ليس فيها لطليق، و لا لولد طليق، و لا لمسلمة الفتح شىء».و أخيرا فقد روى أن الامام النسائى عندما دخل دمشق، فشئل عن معاوية [صفحه ۲۳۹] و ما روى من فضائل: فقال: ما أعرف له فضيلة الا «لا أشبع الله بطنه» فأخرج من المسجد و اتهموه بالتشيع، و هو برىء من ذلك، و أن الامام البخارى حين تعرض فى صحيحه لذكر مناقب و فضائل الصحابة، عبر عن معاوية بن أبى‌سفيان، بقوله: «باب ذكر معاوية» و لم يقل فضائله و لا مناقبه، لأنه لم يصح فى فضائله شىء، كما قاله ابن راهوية، و الى ذلك ذهب أيضا ابن حنبل و النسائى، و ذكر الحافظ فى الفتح أن ما ذكره البخارى مما يشهد لمعاوية بالفقه لا يدل على فضيلة، «مع أن البخارى لم يذكر الا أنه أوتر بعد العشاء بركعة، فلما سئل ابن عباس عن ذلك قال انه فقيه، و ليس غير ذلك).و أما أم الامام الحسين فهى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، أفضل نساء العالمين، بضعة النبى صلى الله عليه و سلم و أحب الناس اليه، و التى يغضب الله لغضبها و يرضى لرضاها، و قد وصفها سيدنا و مولانا وجدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بأنها سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء المؤمنين، و سيدة نساء هذه الأمة، و سيدة نساء أهل الجنة، و هى أم سيدى شباب أهل الجنة، الحسن و الحسين، و ريحانتى النبى صلى الله عليه و سلم، و أم الشهداء، و هى زوج الامام على، ربيب النبى و ابن عمه، ثم هى التى حفظ الله بأولادها ذرية النبى صلى الله عليه و سلم، فهى أم السادة الأشراف جميعا.فأين هذا من أم يزيد «ميسون بنت مجدل الكلبية»، و رغم أنها من كرائم بنى‌كلب، الا أن فضل قرشية، أية قرشية، على كلبية، فضل بين، على حد تعبير معاوية نفسه، فما بالك اذا انت هذه القرشية هاشمية كذلك، فضلا عن أن تكون هذه الهاشمية بنت سيد الأولين و الآخرين، سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فاطمة الزهراء، عليهاالسلام.و أما جد الامام الحسين، فهو مولانا و جدنا

رسول‌الله صلى الله عليه و سلم سيد ولد آدم، و لا يمكن لمسلم، كائنا من كان، أن يتطاول الى تحت أقدام سيدنا و مولانا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم.و أما جد الامام الحسين لأبيه فهو أبوطالب بن عبدالمطلب، عم النبى صلى الله عليه و سلم، و سيد البطحاء، و زعيم مكة، و الذى ورث زعامة أبيه عبدالمطلب، [صفحه ۲۴۰] و كفالته للنبى صلى الله عليه و سلم و الذى كانت قريش تنظر اليه نظرتها الى كبيرها و زعيمها، الكل يحبه و يحترمه و يهابه، لمكانته من قريش، و لما يحمله من نفسه كريمة، و خصال عظيمة، و شخصية عادلة فاضلة، و انه ليكفينا فى التعرف على شخصية هذا البطل، أبو الأبطال و جد الأبطال، لمسات من مواقفه تجاه الاسلام و قريش، فلقد وقع على كله دون أعمام النبى، و دون أهله و عشيرته، عبء مناصرة النبى صلى الله عليه و سلم و مقاومة قريش، فثبت الرجل ثباتا باهرا أمام مناورات و مؤامرات تهد الجبال، و لم يكن ذلك كله لمجرد العصبية، كما يرى الكارهون، و انما لفرط محبته للنبى صلى الله عليه و سلم و لهذا سمى الرسول صلى الله عليه و سلم عام وفاته هو و السيدة خديجة «عام الحزن»، و يكفيه فى هذا شهادة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «ما زالت قريش كاعين عنى حتى مات أبوطالب»، و «ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبوطالب»، و لقد قام أبوطالب بواجبه نحو النبى صلى الله عليه و سلم خير قيام، و كما يقول الواقدى، من سنة ثمان من مولد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى السنة العاشرة من النبوة، ثلاث و أربعين سنة، يحوطه و يقوم بأمره و يلطف به.فأين هذا من أبى‌سفيان، جد يزيد، صاحب العير فى بدر، ثم رأس الكفر فى مكة بعد بدر، و قائد المشركين فى أحد و الأحزاب، و لم يسلم أبوسفيان الا كرها، حين رأى جيوش المسلمين مطبقة على مكة، و حين حثه العباس على الاسلام قبل أن تضرب عنقه، كما تردد فى الشهادة بأن محمدا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و اسلام أبى‌سفيان انما كان على شىء من الخوف و شىء من الشك، و شىء من الحسد فى أن يكون محمد رسول‌الله، و على أية حال، فلقد أسلم، فهو اذا أحد الطلقاء، الذين عفى عنهم رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حين دخل مكة منتصرا، بل و جعل النبى صلى الله عليه و سلم داره مثابة يأوى اليها الخائفون فى مكة، و ان ظل اسلام أبى‌سفيان ليس فوق مستوى الشبهات، على أى حال، الأمر الذى ناقشناه بالتفصيل فى كتابنا عن «الامام على» و بينا موافقه يوم حنين، و يوم انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى، و يوم بويع الصديق بالخلافة، و يوم أختير عثمان رضى الله عنه أميرا للمؤمنين، و كذا مواقفه فى حروب الروم، و كلها تثير شكوكا حول عمق ايمانه، و صلابة اسلامه. [صفحه ۲۴۱] و أما جدة الامام الحسين لأمه، فهى السيدة خديجة، أول الناس اسلاما، و أفضل نساء المسلمين، بعد الزهراء بضعة النبى صلى الله عليه و سلم، و كفاها فخرا ما رواه البخارى و مسلم و النسائى و الترمذى و ابن حنيل عن جعفر بن عبدالله أنه سمع عليا يقول: سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، و خير نسائها خديجة»، و أخرج الحاكم و الامام أحمد عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: حسبك من نساء العالمين: «مريم بنت عمران و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد عليهاالسلام»، و فى رواية «خير نساء العالمين أربع، مريم ابنة عمران، و آسية امرأة فرعون، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و أنها هى وحدها التى أقرأها جبريل السلام من ربها، فلقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى‌هريرة قال: أتى جبريل النبى صلى الله عليه و سلم فقال: «يا رسول‌الله، هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه أدام أو طعام أو شراب، فاذا أتتك فاقرأ عليهاالسلام من ربها و منى، و بشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه و لا نصب»، و قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أفضل نساء أهل الجنة: «خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم، امرأة فرعون».و أما جدة الحسين لأبيه فهى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم، أول هاشمية تتزوج هاشميا، و تنجب أبناء هاشميين من أبوين هاشميين، و أول امرأة تسلم، بعد السيدة خديجة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يعاملها كما يعامل ابن بار أما، و روى ان النبى صلى الله عليه و سلم عند ما علم بوفاتها قال لأصحابه: قوموا الى أمى، فقاموا، و كأن على رؤوس من معه الطير، فما انتهوا الى الباب نزع قميصه و قال: اذا غسلتموها فأشعروها اياه تحت أكفانها، فلما خرجوا بها، جعل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم مرة يحمل، و مرة يتقدم، و مرة يتأخر، حتى انتهوا الى القبر، نزل فاضطجع فى اللحد، و قرأ فيه القرآن صلى عليها عند قبرها، فكبر تسعا، و قال: أدخلوها باسم الله، و على اسم الله، فلما أن دفنوها قام قائما فقال: «جزاك الله من أم و

ربيبة خيرا، فنعم الأم و نعم الربيبة كنت لى»، فقيل له يا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط، قال ما هو: قالوا: نزعك قميصك [صفحه ۲۴۲] و تمعكك فى اللحد، قال: «أما قميصى فأريد أن لا تحسها النار أبدا ان شاء الله تعالى، و أما تمعكى فى اللحد، فأردت أن يوسع الله عليها فى قبرها».فأين هذا من جدة يزيد، هند بنت عتبة بن ربيعة، آكلة الأكباد، و التى يزعم الرواة أنها لم تكن فى سيرتها فوق مستوى الشبهات، فقد طلقت من زوجها الثانى، الفاكه بن المغيرة، لاتهامه اياها، و ان برأها بعض كهان اليمن فى قصة أشبه بالأسطورة منها بالروايات الشعبية، و يذهب ابن أبى الحديد فى شرح النهج الى أنها كانت تذكر بفجور و عهر، و يتهمها صاحب الأغانى بريبة مع المسافرين عمرو بن أمية، و يذهب الزمخشرى فى ربيع الأبرار الى أن ولدها معاوية انما كان ينسب الى أربعة، و كانت هذه المقولات شائعة فى هند قبل فتح مكة، و كانت أخبارها تدور على الألسنة، حتى لقد أمسك بها حسان بن ثابت، شاعر النبى، فى شعره، و جعلها سهاما يرمى بها فى صدور المشركين يوم ذاك، و على رأسهم أبوسفيان، و فى يوم أحد بقرت هند عن كبد حمزة، أسدالله و أسد رسوله، فلم تستطع أن تستسيغها، ثم نزعت ثيابها و حليها و أعطتها وحشيا، قاتل حمزة، ثم قامت فقطعت مذاكيره و جدعت أنفه و قطعت أذنيه، ثم جعلت مسكتين و معضدين، و خدمتين، حتى قدمت بذلك مكة و كبده معها، و جاء فى مسند الامام أحمد قال: فنظروا، فاذا حمزة قد بقرت بطنه، و أخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع، فقال رسول‌الله: أأكلت منها شيئا قالوا لا، قال: ما كان الله ليدخل من حمزة النار، و فى رواية عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: لو أساغتها لم تمسها النار، و فى رواية ابن‌سعد: «ان الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا»، و كانت هند، آكلة الأكباد كما عرفت بين المسلمين، ممن أهدر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم دمهم يوم فتح مكة، و أمر بقتلهم، و لو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة، ثم أسلمت هند مكرهة يوم فتح مكة، كما أسلم زوجها أبوسفيان و ابنها معاوية، ثم عفا عنها النبى صلى الله عليه و سلم، و لم يكن لها دور يذكر فى الاسلام، و قد روى ابن الأثير أن أباسفيان طلقها فى أخريات أيامها، مما اضطرها الى أن تشتغل بالتجارة لتكسب عيشها، مع أن ابنها معاوية كان أميرا فى الشام. [صفحه ۲۴۳] و أما الخلاف بين مكانة بنى‌هاشم و أخلاقهم، و هم أسرة الامام الحسين، و مكانة بنى‌أمية، أسرة يزيد، فلقد أشرنا اليها من قبل، و بينا أن الفارق بينهما كان عظيما فى كل شىء، كان ذلك على أيام الجاهلية، و أما فى الاسلام فليس لمسلم أن يقارن بيت النبوة، و مهبط الوحى، بقوم، أيا كانوا، فضلا عن أن يكون القوم هم بنوأمية بالذات، لا نستثنى منهم الا القليل، كسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، و لقد تقابل الامام الحسين و يزيد فى تمثيل الأسرتين، كما تقابلا فى كثير من الخلائق و الحظوظ، و لكنهما تفاوتا فى تمثيل أسرتيهما، كما تفاوتا فى غير ذلك من وجوه الخلاف بينهما، فكان الحسين نموذجا لأفضل المزايا الهاشمية، و لم يكن يزيد نموذجا لأفضل المزايا الأموية، بل كان فيه الكثير من عيوب أسرته، و لم يكن من مناقبها المحمودة الا النذر اليسير، ان وجد ذلك النذر اليسير فيه.

دروس من كربلاء

لا ريب فى أن يوم العاشرة من المحرم عام ۶۱ ه (العاشر من أكتوبر ۶۸۰ م) انما هو يوم من أخطر الأيام، لا فى تاريخ العرب الاسلام فحسب،، و انما فى تاريخ البشرية جمعاء، ففى هذا اليوم الكئيب كانت مذبحة كربلاء التى لم ير المسلمون لها مثيلا، بل لم ير تاريخ البشرية كله لها مثيلا، فما حدثنا التاريخ أمة من الأمم آمنت بنبها و أحبته، و عملت بكتاب الله و سنة نبيها، كما عمل المسلمون، ثم شاءت ارادة الله أن تجعل منهم سادة العالم المعروف وقت ذاك، ذلك العالم الذى لم يكن قبل الاسلام يعترف بهم أو يقيم لهم و زنا، الا أن يكونوا خدما له و حرسا على قومهم، و مع ذلك ففى هذا اليوم المكنود، قام جيش اللئام بمذبحة مروعة، قتل فيها الامام الحسين، و قتل معظم الهاشميين معه، ثم فعلوا باجسادهم الطاهرة، من قطع للرؤوس و وطىء للأجساد الطاهرة بسنابك الخيل، ما يخجل الشيطان من اقترافه، و قد بكى المسلمون جميعا حتى أعداء آل البيت، الامام الحسين، و ما زالوا يبكونه حتى يوما هذا، و الى أن يغير الله الأرض، و بدهى أن خطئة كبرى كمجزرة كربلاء لن [صفحه ۲۴۴] تذهب بغير جريرة، و أن تكون لها من النتائج

الخطيرة، القريبة منها و البعيدة، حتى دخل فى روع بعض المؤرخين، نتيجة لاصابة الحركة فى نتائجها الواسعة، أنها من تبرير الامام الحسين، عليه‌السلام، و أنه توخاه منذ اللخطة الأولى و علم موعد النصر فيه، فلم يخامره شك فى مقتله ذلك العام، و لا فى عاقبة هذه الفعلة التى ستحيق لا محالة بقاتليه بعد أعوام، و قد قال «ماريين الألمانى» فى كتابه «السياسية الاسلامية»: ان حركة الحسين فى خروجه على يزيد انما كانت عزمة قلب كبير، عز عليه الاذعان و عز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله و ذويه الخروج الذى يبلغ به النصر الآجل بعد موته، و يحيى به قضية مخذولة، ليس لها بغير ذلك حياة»، فان لم يكن رأى الكاتب حقا كله، كما يقول الأستاذ العقاد، فبعضه على الأقل حق لا- شك فيه، و يصدق ذلك على حركة الامام الحسين بعد أن حيل بنيه و بين الذهاب لوجهه الذى يرتضيه، فآثر الموت كيفما كان، و لم يجهل ما يحيق ببنى أمية من جراء قتله، فهو بالغ منهم بانتصارهم عليه، ما لم يكن ليبلغه بالنجاة من وقعة كربلاء.و أما نتائج الحركة كلها، اذا نظرنا اليها نظرة واسعة، فهى أنجح للقضية التى كان ينصرها الامام الحسين من مبايعة يزيد، فلقد كان للحركة نتائج بعيدة المدى، منها (أولا) أنه لم تنقض سنتان على مذبحة كربلاء، حتى كانت المدينة فى أخريات عام ۶۳ ه فى ثورة حنق جارف، يقتلع السدود و يخترق الحدود، لأنهم حملوا اليها خبر الامام الحسين محمل التشهير و الشماتة، وضحك و اليهم عمر و بن سعيد بن العاص حتى سمع أصوات البكاء و الصراخ من بيوت آل النبى صلى الله عليه و سلم و كانت بنت عقيل بن أبى‌طالب تخرج فى نسائها حاسرة و تنشد.ماذا تقولون ان قال النبى لكم ماذا فعلتم و أنتم آخر الأممبعترتى و بأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى و منهم درجوا بدمما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء قى ذوى رحمفكان الأمويون يجيبون بمثل تلك الشماتة، و يقولون كما قال عمرو بن سعيد «ناعية كناعية عثمان»، و لا موضع للشماتة هنا بالامام الحسين، لأنه قد [صفحه ۲۴۵] أصيب، و كذا أخوه الامام الحسن، على باب عثمان، و هو يذود عنه و يجتهد فى سقيه و سقى آل بيته، و لكنها شماتة هو جاء لا تعقل و ما تصنع و لا ما تقول. هذا و قد رأينا من قبل ما فعله جيش اللئام بأهل المدينة، ثم سرعان ما ينتقل موكب الشر الى البلد الحرام فيحاصرها و يضرب الكعبة المشرفة، ثم لحقت الجريرة الثالثة بأعقاب الثانية فى مدى سنوات معدودات، فصمد الحجاز فى ثورته أو فى تنكره لبنى أمية الى أيام عبدالملك بن مروان، حتى اندفع الحجاج الثقفى فنصب المنجنيق على جبال مكة، و رمى الكعبة بالحجارة و النيران فهدمها و عفى على ما تركه منها جنود يزيد بن معاوية، حيث كان قائده الحصين بن نمير، الذى خلف مسلم بن عقبة، و ذهب لحصار مكة، أول من نصب لها المنجنيق، و تصدى لها بالهدم و الاحراق.و منها (ثانيا) أنه لم تمض على استشهاد الامام الحسين و آل البيت الطاهرين نيف و ثلاث سنوات، حتى هلك يزيد الذى أراد بقتل الامام الحسين، عليه‌السلام، أن تصفو له الحياة، فبتر الله عمره لسوء فعاله، فلقد كانت مسئولة الفاجر يزيد عن مقتل الامام الحسين و آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و أنصارهم، ثم اباحته مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، فضلا عن حرق الكعبة المشرفة و ضربها بالمنجنيق، أكبر من أن تنكر، و أخطر من أن تنسى، و من ثم فقد اقتضت حكمه المولى جل و علا و عدالته أن يعجل له العقوبة فى الدنيا، و أن يهدم كل ما بناه من آمال و أحكمه من سوء التبدير، و يقول ابن حجر الهيتمى فى كتابه «تطهير الجنات و اللسان» (و الذى وضعه للدفاع عن معاوية بن أبى‌سفيان): و قد صح عنه صلى الله عليه و سلم أنه رأى ثلاثين منهم (أى من بنى‌أمية) ينزون على منبره نز القرود، فغاظه ذلك، و ما ضحك بعده الى أن توفاه الله سبحانه و تعالى، و لعل هؤلاء، و يزيد بن معاوية، فانه من أقبحهم و أفسقهم، بل قال جماعة من الأئمة بكفرهم.و جاء فى هامشه، قال السعد، الحق أن رضاء يزيد بقتل الحسين و اهانة أهل البيت، مما تواتر معناه، و ان كانت تفاصيله آحادا، فنحن لا نتوقف فى [صفحه ۲۴۶] شأنه، بل فى ايمانه، فلعنة الله عليه و على أنصاره و أعوانه، و فى المسايرة: و اختلف فى كفر يزيد، فقيل نعم، و قيل لا، و قيل بالتوقف، و قد أجاز لعنه أحمد بن حنبل، و القاضى أبو يعلى، و حرمه الغزالى و ابن العربى.و منها (ثالثا) أن موت يزيد انما كان ايذانا بتفكك دولة بنى‌أمية و اندلاع الفتن و الثورات فى مختلف أرجائها، لما اقترفه الطاغية من مظالم و غرسه من أحقاد، ففى البصرة خرج القراء و الخوارج، بقياة نافع بن الأزرق، و طردوا ابن زياد، و فى الكوفة بدأت الدعوة الى الأخذ بثأر الامام الحسين، ففر ابن‌زياد الى دمشق و لحق بمروان بن الحكم، و كان عمر بن سعد، قائد جيش اللئام فى كربلاء، لا يبيت فى

بيته خوفا من القتل، و يحتمى بقصر الامارة، و فى الحجاز استفحل أمر عبدالله بن الزبير، و بايعه الناس، فاستناب على المدينة أخاه عبيدالله، و دانت له جميع الأمصار، حتى تابعه أهل مصر و الجزيرة و اليمن و خراسان، و قام الحجاج، كما أشرنا آنفا، بضرب، الكعبة، و للمرة الثانية فى عهد بنى‌أمية، لم يعرفها العرب فى الجاهلية و الاسلام: «مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها آل بيت الاسلام، و استباحة مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، و ضرب الكعبة بالمنجنيق و احراقها مرتين، و لأول مرة فى التاريخ، الأولى على أيام يزيد، و الثانية على أيام عبدالملك بن مروان، و من ثم فقد سجلوا على أنفسهم عار الأبد، و لعل الذين يدافعون عنهم يستحون، فليس عند المسلمين فى كل زمان و مكان، أقدس و لا أشرف، من آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و مدينة النبى و مكة بلد الله الحرام، و لست أدرى، ان كان الأمويون غير مسلمين، فماذا كانوا بقادرين على أن يفعلوا بمقدسات الاسلام و المسلمين، أكثر مما فعلوا، و من ثم فلم تعمر دولة بنى‌أمية بعد ذلك عمر رجل واحد مديد الأجل، فلم يتم لها بعد مصرع الامام الحسين نيف و ستون سنة، و كان مصرع الامام الحسين هو الداء القاتل الذى سكن فى جثمانها حتى قضى عليها، و اصبحت ثارات الحسين نداء كل دولة، تفتح لها طريقا الى الاسماع و القلوب، بل ظل مقتل سبط النبى صلى الله عليه و سلم يلا حق الأمويين، حتى بعد أن دالت دولتهم و زال ملكهم، فما كاد السفاح أول [صفحه ۲۴۷] الخلفاء العباسيين، يستتب له الأمر، حتى أخذ، فيما يقول ابن طباطبا فى «الفخرى فى الآداب السلطانية» بقابا بنى‌أمية و رجالهم و يضع السيف فيهم، و قد بلغ الهوان بالأمويين أن كانت دماء الأشراف و الأمراء منهم، تهدر لمجرد كلمة قالها قائل أو بيت من الشعر نظمه شاعر، استجلالا للعطاء، روى أن السفاح كان جالسا أحد الأيام فى مجلس الخلافة، و عنده سليمان بن هاشم بن عبدالملك الأموى، و قد كرمه السفاح و قربه، و اذا بسديف الشاعر، يدخل عليهما، فلا يكاد يقع بصره على سليمان، و يرى اكرام السفاح له حتى قال:لا يغرنك ما ترى من الرجال ان تحت الضلوع داء داويافضع السيف وضع السود حتى لا ترى فوق ظهرها أمويافقال سليمان: «قتلتنى يا شيخ»، و فعلا ما أن خرج سليمان من المجلس حتى أمر به فقتل، و دخل على السفاح شاعر آخر، و عنده نحو سبعين رجلا من أشراف الأمويين، و قد جلس الجميع للطعام، فأنشده أبياتا ذكره فيه بمن قتلوا من الهاشميين على أيدى بنى‌أمية، حتى أمر السفاح بقتلهم جميعا و بسط النطوع عليهم، و جلس فوقهم يأكل الطعام و يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا، و هكذا كان انتقام بالله شديدا من أعداء الامام الحسين «فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمدلله رب العالمين».و منها (رابعا) أنه لم تمض سنوات ست على استشهاد الامام الحسين، عليه‌السلام، و بعد عامين من هلاك يزيد، حتى أحسس قتلة الامام الحسين بأن العدالة توشك أن تأخذ بخناقهم، ثم سرعان ما لحق الجزاء بكل رجل أصاب الامام الشهيد فى كربلاء، فلم يكد يسلم منهم أحد من التقل و التنكيل، مع سوء السمعة و وسواس الضمير، ومن عدالة القدر أن جميع الذين اشتركوا فى قتل الامام و قتاله، لقوا حتفهم على أبشع الصور و أشدها مذلة و هوانا، كلهم من ابن‌زياد الى آخر واحد ممن تحمسوا تحمسوا للباطل، و وقفوا من ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم موقف التحدى و العدوان، فلم ينج ابن‌زياد، و لا ابن‌سعد بن أبى‌وقاص، و لا شمر بن ذى الجوشن، و لا الحصين بن نمير، و لا خولى بن يزيد، و لا أحد ممن [صفحه ۲۴۸] أخصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدوا أيديهم بالسلب والمهانة الى الموتى أو الأحياء، و من عجب أن التاريخ تتبع مصارعهم فاذا هم جميعا يقتلون فارين هاربين، ليس فيهم من مات ميتة رجل، و كأنما هذه أولى بشائر دعوة الامام الحسين عليهم حين صاح فيهم، و هو صامد وحده وسط سيوفهم و رماحهم قائلا «انى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم» و هكذا استجاب الله لدعوة وليه و ابن نبيه فقتلوا جميعا و ديست جيفهم بالأقدام.و منها (خامسا) أن ضربة كربلاء، و ضربة المدينة، و ضربة الكعبة المشرفة، انما كانت، فى نظر بنى‌أمية و أعوانهم، أقوى الضربات لتمكين سلطانهم و تغليب ملكهم على المنكرين و المنازعين، فلم ينتصر عليهم المنكرون و المنازعون بشىء، كما انتصروا عليهم بضربات أيديهم، و لم يذهبوا بها ضاربين حقبة، حتى ذهبوا به مضروبين الى آخر الزمان، و تلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء، حيث استشهد الامام الحسين و صحبه، فاذا بالدولة العريضة تذهب فى عمر رجل واحد مديد الأيام، و اذا بالغالب فى يوم كربلاء أخسر من المغلوب اذا وضعت الأعمار المنزوعة فى الكفتين.و منها (سادسا) أن مذبحة كربلاء انما كانت وسيلة المطالبين بثأر الامام الحسين عليه‌السلام، فى اقامة الدول التى أقاموها

تحت لواء «الثأر للحسين»، و هكذا قامت دولة العباسيين و الفاطميين و العلويين فى أنحاء مختلفة من العالم الاسلامى، بل ان خلافة ابن الزبير التى قامت فى مكة المكرمة، و خضعت لها معظم بلاد الاسلام حينا من الدهر، انما كانت نتيجة من نتائج استشهاد الامام الحسين، عليه‌السلام، و هكذا فان الامام الحسين حين استشهد هو و ذووه فى كربلاء، انما ترك بعد الدعوة التى قام بها ملك العباسيين و الفاطميين، و تعلل بها أناس من العلويين و الأمويين و العثمانيين، و استظل بها الملوك و الأمراء بين العرب و الفرس و الهنود، و مثل للناس فى حلة من النور تخشع الأبصار، و باء بالفخر الذى لا فخر مثله من تواريخ بنى الانسان، غير مستثنى منهم عربى و لا أعجمى، و قديم و لا حديث. [صفحه ۲۴۹] و منها (سابعا) أنه رغم الاختلاف حول بداية التشيع للامام على و آل بيت الطاهرين، فذهب فريق الى أن التشيع انما بدأ فى أعقاب انتقال النبى صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، و توليه الصديق خلافة المسلمين مباشرة، حيث بدأت بذور التشيع كامنة فى أولئك النفر الذين يرون الامام على أفضل الصحابة أحقهم بالخلافة، بعد أن فاتت الخلافة الامام على ثلاث مرات، و خاصة فى المرة الثالثة، على أن فريقا آخرا انما يرى أن التشيع انما ظهر ابان الفتن التى وقعت فى أخريات عهد ذى النورين عثمان بن عفان، بينما يرى فريق ثالث أن التشيع انما ظهر على أيام خلافة الامام على، و خاصة أثناء حروبه، حيث أدركت الأغلبية الساحقة من الأنصار الذين كانوا على وعى تام بها يعنيه حكم الأمويين بالنسبة لهم، اذ قد تثور أحقاد الموتورين من الأمويين انتقاما لغزة بدر، هذا الى جانب تلك القلة المخلصة للامام على، و الذى تراه أفضل المسلمين و أحقهم بالخلافة، و ربما كانت هذه الفئة الأخيرة من بين جميع أنصار الامام على فى حروبه انما تعد الرواد الأوائل للشيعة، على أن هناك وجها رابعا للنظر يرى أن التشيع انما ظهر بعد وفاة الامام على و نسليم الامام الحسن الأمر الى معاوية، فلقد لقى أنصار الامام على فى العراق العنت و الظلم فى خلافة معاوية، لم يجدوا ما التمسوه من أمن اشترطه الامام الحسن على معاوية، اذ وجههم الأخير لحرب الخوارج الذين كانت عداوتهم لمعاوية بأشد من عداوتهم للامام على.على أن الحدث الحاسم بين هذه الأحداث جميعا، انما هو فاجعة كربلاء،: ذلك أن السيف الذى جز رأس الامام الحسين - سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة - انما قد جز معه وحدة المسلمين الى اليوم، لم يكن التشيع قد تغلغل فى قلوب أهله، حتى جاءت هذه الكارثة النكراء لتجعل من التشيع مذهبا و عقيدة، فقد روى دم الامام الحسين موات الأحداث ليصبح الانشقاق أمرا مقضيا، ذلك أن الشيعة قد أدركت بعد هذه الفاجعة أن اقتلاع سلطان الغاصبين من بنى‌أمية أو غيرهم لا تكفى فيه قوة السلاح، انه ان عز النصر بسلاح الحرب، فلا بد من قوة معنوية تشد أزر القوة المادية، و ليس ذلك الا سلاح الفكر، اذ أن [صفحه ۲۵۰] الكلمة أحيانا أبقى أثرا، و أشد تنكيلا بالعدو من السيف، و من ثم فقد بات لزاما أن يكون للشيعة مذهب خاص و ايديولوجية متميزة فى الامامة، و لن يتسنى ذلك ما دامت تربطهم بأهل السنة، وحدة الفكر السياسى، و هكذت جعلت فاجعة كربلاء انشقاق الشيعة عن جمهور المسلمين أمرا مقضيا (أنظر: أحمد صبحى: الزيدية ص ۱۷ - ۶).على أن كل تلك النتائج الخطيرة، فيما يرى الأستاذ خالد محمد خالد، لا ترتفع الى مستوى الجوهر النضير لتضحية الامام الحسين و حياته و ثباته، و بالتالى لا نستطيع أن نعتبرها مثوبة لتلك التضحيات و ذلك الثبات، ذلك لأن حصاد تضحية الامام الحسين و تضحية رفاقة، ليجاوز ذلك كله الى غايات أبعد و أمجد و أسمى، و ان الدرس الذى يلقيه يوم كربلاء بالآمة و بطولاته، بمأساته و عظمته، ليتفوق على نظرائه فى قوة النور الباهر الذى أضاء به ضمير الحياة، و من ثم فالأستاذ خالد يرى لاستشهاد الامام الحسين نتائج أخرى أخطر، و مواطن للعظة و العبر أكبر، و منها (أولا) أن جذوة الحق و الصمود التى أضاءها الامام و أصحابه بدمائهم، لم تنطفىء و لم يخب نورها باستشهاده، بل ازدادت تألقا و اندلاعا على نحو يهبر الألباب، تمثل ذلك أول ما تمثل، و أبهى ما تمثل فى أخته العقيلة لطاهرة، و فى ابنه على بن العابدين فلقد توقعت الدنيا يومئذ أن تحنى الكارثة جباه من بقى من آل الحسين، و لكن الطاهرة البتول، زينب بنت الامام على، حفيدة الرسول صلى الله عليه و سلم سرعان ما ردت للدنيا صوابها، حين أرتها من عظمة بيت لنبوة كل عجيب، فلقد توقع ابن مرجانة من ابن سمية، قبل أن يلقى آل بيت لنبى صلى الله عليه و سلم أنه سيلقى انكسارا و ضياعا، يستدران عطف قلبه الجبان، لكن أخت الحسين، البطلة، أخت البطل و بنت البطل، علمته، ان كان لمثه من السفهاء أن نعلم، أن الهزيمة التى يتفجع الناس لها و يستكينون، انما هى هزيمة

الروح، ما كان لدعاة الحق من آل محمد صلى الله عليه و سلم أن تنهزم أرواحهم أبدا، و لا أن تنحنى تباههم أبدا، فلقنته درسا لا ينساه، و ذلك حين دخلت عليه و معهما أهل الحسين الشهيد، فسأل: «من هذه، لم تجبه، و انما أجابت عنها احدى [صفحه ۲۵۱] خادماتها «هذه زينب، ابنة فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، فقال اللئيم للعقيلة الطاهرة «الحمدلله الذى فضحكم و قتلكم»، فردت عليه حفيدة النبى، و سليلة هاشم «بل الحمدلله الذى أكرمنا بنبيه، و طهرنا من الرجس تطهر، و انما يفضح الله الفاسق، و يكذب الفاجر، و هو غيرنا ابن‌زياد»، و عندما تأكد الفاسق أنه لن يقهر العقيلة الطاهرة أبدا، اتجه الى غلام مريض من آل البيت فسأله: من أنت، فقال شبل الحسين و حفيد النبى صلى الله عليه و سلم على بن الحسين، قال ابن‌زياد: ألم يقتل الله على بن الحسين، فأجاب ابن الامام: كان لى أخ أكبر منى يسمى عليها قتله رجالك، قال ابن‌زياد فى جهالة و قحة: بل قتله الله، فأجابه على: «الله يتوفى الأنفس حين موتها، و ما كان لنفس أن تموت الا- باذن الله»، و دارت الارض بالفاجر من اجابة ابن الامام الحسين، فأمر جلاديه بضرب عنقه، فاعترضت العقيلة الطاهرة طريق الجلاد، و ضمت ابن أخيها بين ذراعيها و صاحت يا ابن‌زياد: فاقتلنى معه، هنا لك انخذل الطاغية، و لم ينل الغلام بسوء، و تكرر نفس المنظر فى قصر دمشق، و مثل يزيد فيه دور ابن‌زياد، و كانت العقيلة الطاهرة، كما كان الامام على زين‌العابدين، على نفس مستوى موقف قصر الكوفة، مستوى آل بيت النبوة، و كما انخذل ابن‌زياد، انخذل ابن معاوية و هذا جزاء الظالمين.و منها (ثانيا) أن نصرة الامام الحسين ارتفعت بالنفس الانسانية الى الأفق الأعلى من الأريحية و النخوة، و مثال ذلك أنه ما أن نعى الامام الحسين فى الكوفة، حتى نادى و اليها ابن‌زياد الى الصلاة الجامعة ثم خطب الناس فقال: «الحمدلله الذى أظهر الحق و أهله و نصر أميرالمؤمنين يزيد بن معاوية و حزبه، و قتل الكذاب بن الكذاب، الحسين بن على و شيعته» فما أن انتهى من كلمته حتى وقف عبدالله بن عفيف الأزدى، و كان من شيعة الامام على و فقد احدى عينيه فى يوم الجمل و الأخرى يوم صفين، و لم يمنعه ذهاب بصره و شيخوخته أن صاح بالفاجر ابن‌زياد قائلا: يا ابن مرجانة، أتقتل أبناء النبيين، و تقوم على المنبر مقام الصديقين، انما الكذاب أنت و أبوك، و الذى ولا-ك و أبوه»، فما طلع عليه الصباح الا و هو مصلوب، هذا و فى نفس الوقت هبطت نصرة يزيد بالنفس [صفحه ۲۵۲] الانسانية الى الأغوار المرذولة من الخسة و الأثرة، و حسبك من خسة أنصار يزيد أنهم كانوا يجزون بالحطام و هتك الأعراض على غزو مدينة الرسول و استباحة ذمارها، فيسرعون اليه، و ليسوا هم بكافرين بالنبى الدفين فى تلك المدينة، فيكون لهم عذر الاقدام على أمر لا يعتقدون فيه التحريم، بل حسبك من خسة ناصرى يزيد أنهم كانوا يرعدون من مواجهة الامام الحسين بالضرب فى كربلاء لاعتقادهم بكرامته و حقه، ثم ينتزعون لباسه و لباس نسائه فيما انتزعوه من أسلاب، و لو أنهم كانوا يكفرون بدينه و برسالة جده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لكانوا فى شرعة المروءة أقل خسة من ذاك.و منها (ثالثا) أن جذوة الحق و الصمود التى أضاءها الامام الحسين و آل بيته و أنصارهم باستشهادهم، سرعان ما تنهض فى الكوفة بسببها، كتائب التوابين مقسمة أن تهب حياتها لثأر الحسين، و تشتعل الثورة عامة فى المدينة و فى مكة، حيث يجرد لها يزيد من من جنده و قواده من ينزلون بالحرمين المقدسين من الدمار و القتل و الافك ما يخجل الشيطان فى اقترافه، لو كان الشيطان يخجل، و لكن الجذوة المباركة لا تخبو، حتى يموت يزيد بحسرته، و يخلفه ابنه معاوية الثانى، و هنا يوجه القدر الحكيم أذكى ضرباته، فيقف ابن يزيد، و حفيد معاوية بن أبى‌سفيان، ليحمل شعلة الحسين، و يزيد الجذوة ضراما، حين يجمع الناس ليوم مشهود، ثم يعلن فيهم، كما أشرنامن قبل أن جده معاوية بن أبى‌سفيان، و أباه يزيد، قد اغتصبا الحق من أهله، من الامام على و أبنائه، و أنه يبرأ الى الله مما جنهت أيديهما، و أنه يربأ بنفسه و تقواه عن أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة، ثم يلعن للناس اعتزال منصبه، و يعتكف فى بيته حتى يأتيه الموت فيلقى الله تقيا نقيا سعيدا.و منها (رابعا) أن الامام الحسين، عليه‌السلام، حين خرج الى الكوفة لم يكن طالب دنيا و لا جاه، كما يشيع الضعفاء الهازلون من مرتزقة التاريخ و السلطان، ليغمزوا بذلك شهادة سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، و شهادة أهله و أنصاره، و انما كان مستجيبا لسلطان الايمان الذى لا- يعصى و لا يغلب، [صفحه ۲۵۳] فلقد رأى الاسلام، بكل قيمة الغالية و أمجاده العالية، يتعرض لمحنة قاسية يفرضها عليه بيت أبى‌سفيان، منذ أن خرج معاوية مطالبا بدم عثمان رضى الله عنه ثم انخدع أو تخادع بهذه الصيحة الكذوب أقوم من أهل المنفعة،

رددوا مع معاويـة هـذه الصـيحة، و ساعدهم فى ترديدها حقد الثأر المزعوم و سورة العصبية المتهاجة، و زاد الأمر تعمية أن معاوية فى بادىء الأمر لمن يكن مجاهرا بطلب الخلافة، و لا متعرضا لمزاحة أحد على البيعة، و انما كان يتشبث بمقتل عثمان و المطالبة بدمه، و لا يزيـد فى دعواه على ادعاء ولايـة الـدم و صـلة القربى، و لكن الصائحين بهـذه الصـيحة مع معاويـة قد عاشوا حتى رأوا بأعينهم مبلغ الغيرة على تراث عثمان، و علموا أن الملك هو الغرض المقصود من وراء تلك الفتن و الأزداء، و أن معاوية لا ينقع بأن يملك لنفسه حتى يورث الملـك ولـده من بعـده، و لم يكن هـذا من أهـل الرأى و الصـلاح، و لا هو ممن تتفق عليه آراء هؤلاء، و لكنه فى عربيد يقضى ليله و نهاره بين الخمور و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و الندمان، الى ليهرع الى الصيد فيقضى فيه الأسلوع بين الأديرة و البوادى و الآجام، لا يبالى خلال ذلك تمهيدا لملك، و لا تدريبا على حكم، و لا استطلاعا لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقـة بمـا صـار اليه من التمهيـد و التوطيـد، و مـا سوف يصـير، و انتهت الأمـور الى مصـيرها المرسوم، فجلس يزيـد فى مكـان الخلفـاء الراشدين، أبوبكر و عمر و عثمان و على، رضـى الله عنهم أجمعين و هنا تجلت أمام الحسـين خطئة الصـمت و السـكوت تجتاح الناس رغبـة حينا، و رهبـة أحيانا، و كانت بيعة يزيد دعما لسـلطان الجاهلية على حساب الدين، و دعما لسـلطان القبيلة و الأسـرة على حساب الأمة، و هذا ما لا يقبله الامام الحسين، لأنه مسلم، و لأنه سبط محمد صلى الله عليه و سلم فمن كان اسلامه هداية نفس، فالاسلام عند الامام الحسـين هداية نفس، و شـرف بيت، و هكذا صارت مقاومة بيعة يزيد دعما لسـلطان الدين و الأمة معا، و لئن فات الحسين دعم هذا السـلطان فى النظام العام عن طريق الخلافة التى لم يكن له من أمرها شـىء، بعد نقض معاوية عهده الذى أبرمه مع الامام الحسـين أمام المسـلمين كافـة، على أن يترك الأمر من بعده شورى بين المسـلمين [صـفحه ۲۵۴] يختـارون من يحبون، فان الامام الحسـين لم يتخل عن واجب دعمه فى الضـمير عن طريق التضـحية و الصـمود و الفداء، و هكذا ضـحى الامام فى سبيل ايمانه براحته ثم بحياته، و ضحى معه أهله الأقربون، و صـحبه الأكرمون.هذا و قد يبدو لبضع المتعجلين اصدار الأحكام أن الامام الحسين، و من قبله والده الامام على، انما ان بايمانهما و بما ينشدان للحياة و الحكم من ورع و تقوى يمثلان جموادا لم تعد تطيقه الحياة بعد التطور البعيد الذى حققه الاسـلام و انفعـل به، فـالحق أنهمـا على العكس تمامـا، كانـا يمثلان روح التقـدم و ضـميره، بينما يمثل الأمويون بتحويلهم الـدين الى مزرعـة أمويـة، و بتحويلهم الخلافـة الى ملك يحتكرونه و يتوارثونه، و بتحويلهم السـلطة الى سوط، و باشاعتهم النزعـة القبليـة بعد أن أذابها الاسـلام من وحدته الصـلبة، كانوا بذلك كله يمثلون الرجعية المنتكسة الى عادات الجاهلية و تقاليدها، هذا فضلا عن أن ايمان الحسين انما كانت تضـيئه و تستجيشه دوما، تلك الكلمات الصادقة التى قالها جده النبى الأعظم محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «هلاك أمتى على يـدى أغيلمـة من قريش» و فى روايـة: يكون خسار أمتى على يد أغيلمه من سـفهاء قريش، و قد جاء زمان الأغيلمة ممثلا و ممثلين ليزيـد و ما حوله من بطانة سوء.روى البخارى فى صـحيحه (باب قول النبى صـلى الله عليه و سـلم هلاك أمتى على يد أغيلمة سـفهاء) بسـنده عن عمرو بن يحيى بن سـعيد بن عمرو بن سـعيد قال أخبرنى جدى قال: «كنت جالسا مع أبى‌هريرة فى مسـجد النبى صـلى الله عليه و سـلم بالمدينـة، و معنا مروان، قال أبوهريرة: سـمعت الصادق المصـدوق يقول: هلكـة أمتى على يـدى غلمة من قريش، فقـال مروان: لعنـة الله عليهم غلمـة، فقـال أبوهريرة، لو شـئت أن أقول بنى‌فلانـ و بنى‌فلان لفعلت، فكنت أخرج مع جـدى الى بنى‌مروان حيـن ملكـوا بالشـأم، فـاذا رآهم غلمانـا أحـداثا قـال لنـا: عسـى هؤلاء أن يكونـوا منهم، قلنـا أنت أعلم»، و يقـول ابن حجر العسـقلانى فى «فتـح البارى شـرح صـحيح البخارى» ان أبا هريرة كان يمشـى فى السق و يقول: اللهم لا تدركنى سـنة ستين و لا امارة الصبيان، يقول ابن [صـفحه ۲۵۵] حجر: و فى هـذا اشارة الى أن أول الأغيلمـة كان فى سـنة ستين، و هو كذلك فان يزيد بن معاوية استخلف فيها، و بقى الى سنة ۶۴ ه، فمات ثم ولى ولـده معاوية و مات بعد أشـهر، و يقول: «ان أول هؤلاء الغلمان يزيد، كما دل عليه قول أبى‌هريرة سـنة ستين و امارة الصبيان، و فى الصواعق المحرقة: أخرج الرويانى فى مسـنده عن أبى الدرداء قال: سمعت النبى صلى الله عليه و سـلم يقول: أول من يبدل سـنتى رجل من بنى‌أمية، يقال له يزيد.هناك حقيقة كان يدركها الامام الحسين و أبوه الامام على من قبله هى أن بلاط معاوية و جيش الشام نفسه قد أفسحا مكانا رحبا عريضا لكثير من الموتورين الذين تظاهروا بالاسلام ليندسوا بين

صفوفه مخربين و مدمرين، و مع ذلك فقد كان فيهم ساسة و ذو مشورة، و أما أعوان يزيد فكانوا جلادين و كلاب طراد فى صيد كبير، و كانوا فى خلائقهم البدنية على المثال الذى يعهد فى هؤلاء الطغمة من الناس، و نعنى به مثال المسخاء المشوهين، أولئك الذى تمتلىء صدورهم بالحقد على أبناء آدم، و لا سيما من كان منهم على سواء الخلق و حسن الأحدوثة، فاذا بهم يفرغون حقدهم فى عدائه و ان لم ينتفعوا بأجر أو غنيمة، فاذا انتفعوا بالأجر و الغنيمة، فذلك هو حقد الضراوة الذى لا تعرف له حدود، و شر هؤلاء جميعا شمر بن ذى الجوشن و عبيدالله بن زياد و مسلم بن عقبة و أمثالهم، و لا ريب فى أن الامام الحسين، كما كان أبوه من قبل، يدرك خطورة اسناد أمور المسلمين الى أمثال هؤلاء، و من ثم فالايمان الذى حمل الامام الحسين لواءه، و ذهب شهيده، كان لهذا كله، و بهذا كله، ايمانا مستنيرا و واعيا و رشيدا.و منها (خامسا) أن بطولات كربلاء أبرزت شرف التضحة على نحو باهر جليل، حتى لنكاد نحسب أن الأقدار انما أرادت ذلك اليوم بكل أهواله و تضحياته، لتؤكد شرف التضحية فى وعى البشرية كلها، و لتضىء بمغزاه العظيم ضمير الحياة، و من ثم فقد اختارت لها فى يوم كربلاء، نماذج رفيعة، بالغة الرفعة، و قضية عادلة، بالغة العدالة و نضالا باسلا بالغ البسالة، ثم تركت الضحايا و الشهداء، و هم من قد عرفنا عظمة نفس و نقى ضمير، تركتهم حيث [صفحه ۲۵۶] تنتهى حياتم بأيدى ظالميهم على صورة أليمة و بشعة، و كأن الأقدار تقول للناس كافة، انه ما دام الحق بحاجة الى تضحيات تحميه و تفتديه، و ان التضحية اذن هى شرف الانسان و شرف الحياة، و فى واقعة كربلاء يتألق ذلك المغزى تألق النهار، فاذا كانت التضحية فى شكلها الخارجى تبعث الأسى و الحزن، فانها فى جوهرها العظيم تستجيش كل ما فى النفس البشرية من اعجاب و اجلال، انها تبدو و كأنها مهرجان للحق بالغ الروعة، كما تبدو و كأنها عيد للتضحية نادر المثال، فلقد وقف الامام الحسين و أهله و أصحابه من أجل الحق موقفا استحق ببطولاته و تضحياته أن يكون للتضحية عيدا، و أى عيد، فلقد رفضوا الباطل و اختاروا الحق، ثم رفضوا الصمت و اختاروا المقاومة، ثم رفضوا المساومة و صمدوا مع ايمانهم، ثم رأوا أنفسه اثنين و سبعين، وسط، أربعة آلاف فارس و رام، و لم يعد هناك أدنى ريب فى أن الموت هو الذى ينتظرهم، اقتحموا الهول فى مشهد مجيد مقررين بمحض اختيارهم و ارادتهم أن يمنحوا أمة الاسلام، بل و البشرية كلها، هذه القدوة الرائعة فى التضحية، و هذا العيد المجيد للفداء، و فى جلال المفتدين، و اخبات المتقين، راحو يؤدون مهمتهم القاسية و العالية، حتى أنجزوها فى نجاح عظيم أو ليسوا هم آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و صدق الله العظيم حيث يقول «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، و ها هو علم الله يتألق للدنيا و لا كمثله تألق النهار، فيعطى بيت النبوة الأسوة الحسنة فى التضحية و الفداء، فها هو حمزة بطل الاسلام فى أحد تمزقه السيوف و الأحقاد، حتى تستقر كبده بين أنياب هند أم معاوية و جدة يزيد، و ها هو جعفر بن أبىطالب بطل مؤته تحصد جسده سيوف الروم، و ها هو الامام على، فارس الاسلام فى كل غزواته و مشاهده، و بطله فى وجه الوثنية الأموية التى أرادت أن تحوله الى ملك عضوض، يمضى هو الآخر شهيد اغتيال أثيم، و ها هو الامام الحسن، بطل السلام فى الاسلام تغتال عصابة الشيطان حياته بالسم، و يأخذ مكانه العالى بين الشهداء.ثم ها هم أولاء ابطال كرام من نفس البيت النبوى الشريف، على رأسهم [صفحه ۲۵۷] سبط النبى و ريحانته الامام الحسين، يصارعون أربعة آلاف مدججين بالجريمة و السلاح، و ليس معهم فى ذلك اليوم الرهيب سوى خمسين ناصرا و مقاتلا، و يتقدم الاثنان و العشرون من ال بيت النبى الى التضحية و الموت و الاستبسال، و يعانقون الشهادة جميعا، لا يبقى منهم سوى فتى مريض، أراد الله أن يحفظ به ذرية النبى صلى الله عليه و سلم، أليس حقا، أن الله أعلم حيث يجعل رسالته، أو ليس حقا أنه ليس فى العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الامام الحسين عدة و قدرة و ذكرى، و حسب الامام أنه وحده فى تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد، أبو الشهداء فى مئات السنين، أو ليس حقا أن بيت آل النبى صلى الله عليه و سلم وحدهم فى تلك الفلاة يقاتلون، و هناك فى طول البلاد و عرضها ملايين البيوت آوى اليها أهلها و استقروا آمنين تحت سقوفها، و أى بأس، ما دام الله قد ترك الملايين من تلك البيوت، ثم اختص هذا البيت وحده بأعظم ما فى الدنيا من مجد و شرف، اصطفائهم لحمل رسالته و اعلاء كلمته، انه بيت النبوة، البيت الذى اصطفاه الله على العالمين، و صدق رسولالله صلى الله عليه و سلم حيث يقول فى الحديث الصحيح «ان الله اصطفى بنىاسماعيل، و اصطفى كنانة من

بنى‌اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى بنى‌هاشم من قريش». [صفحه ۲۵۹]

مع المؤرخين

اشاره

لا ـ ريب فى أن مهمة لاباحثين انما هى البحث عن الحقيقة، و لا ريب كذلك فى أنه لا لوم على الباحث عن الحق و أهله لوجه الله، دون تعصب، لأن اقرار الباطل باطل لا ـ يرضاه الله، و تربية الناشئة من أبناء الاسلام على الحق خير من تزييف الباطل و الباسه ثوب الحق، تحت أى ستار، سواء أكان ذلك هو ستار الاجتهاد أو ستار المصلحة أو أى نوع آخر من الأسباب التى تدعو البعض الى تفسير الأحداث تفسيرا قد لا يتفق مع الحقيقة أحيانا، و قد يقرب منها أو يبعد كثيرا أو قليلا فى أحايين أخرى.و قضية آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم مع الأمويين من القضايا الشائكة التى تداخلت فيها بعض العوامل السابقة بدرجة أو بأخرى، و اختلطت فيها العوامل الدينية مع العوامل الدنيوية، و المثل العليا مع المنافع الشخصية، فانحاز فريق من المؤرخين الى جانب أهل بيت النبوة الشريف، و وقف آخرون مع الأمويين، أصابوا أم أخطأوا، و حاول فريق ثالث أن يقول كلمة حق، قد ترضى هؤلاء، و قد تغضب أولئك، هكذا كان النزاع بين الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و معاوية بن أبى‌سفيان، من ناحية، و بين الامام الحسين عليه‌السلام، و بين يزيد بن معاوية من ناحية أخرى، مجالا ـ يقدم فيه المؤرخون أنفسهم، قدر ما يتحدثون عن القضية التى يتعرضون لها، فمثلا ـ تحت ستار الاجتهاد، و الذى من [صفحه ۲۶۰] بين شروطه، ألا يكون فيه هو للنفس الامارة بالسوء، كتصرفات معاوية ضد الامام على و آل البيت الطاهرين، و الذى غلبه فيهما هواه لمصلحته و مصلحة ولد يزيد و ذريته، كانت صحبة معاوية سببا فى أن يحاول كثير من العلماء أن يسووا الخلاف الذى كان بينه و بين الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على وجه مقارب لا يعرف فيه المحق من المبطل، و لا من كان مع الدنيا، و من كان مع الدين، فمثلا الامام ابن حزم الأندلسى، مع ما عرف عنه من جرأة و صراحة، يحكم فى هذه القضية حكما مشوبا بالغموض و التعمية، فيقول فى «المحلى»، «و اذا كان الحق فى ذلك بيد على، لابيده (أى معاوية)، و انما كان معاوية مجتهدا مخطئا، مأجورا فقط»، و المشكلة هنا أن ابن حزم يعرف تماما المبدأ الفقهى «لا اجتهاد مع النص»، بل ان ابن حزم انما يردد هذا المبدأ الفقهى فى كل مسألة يعرض لها، و لا ريب أنه ليس هناك نص أصرح و أبين و أوضح من عمار بن ياسر، الذى جعله سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم آية على الفئة الباغية التى تتولى قتله، و علما منصوبا على البغاة الذين يقتلونه، فهل يكون معاوية مجتهدا، و قد قتلت فئته عمار بن ياسر، و هل يحتاج الأمر الى اجتهاد بعد قتل عمار انه لا اجتهاد مع النص، كما يقرر ذلك الفقهاء، و على رأسهم ابن حزم، و بدهى أن ابن حزم لم يغب عنه شىء من هذا كله، و لكنه، فيما يرى الأستاذ الخطيب، لم يشأ أن يثير عليه ثائره العوام، الذين يتولون جميع الصحابة بالرضا، و خاصة اذا كان هذا الصحابى من بنى‌أمية، الذين أقاموا دولة الأندلس، و التى كان ابن حزم من أبنائها و بين أهلها، و ربما كان ابن حزم، فيما يرى الأستاذ العقاد، أمويا مغاليا فى التشيع للأموية، و كانت دولتهم فى الأندلس على خطر من الدعوة الاسماعيلية، و قد بلغ من كراهية ابن حزم للاسماعيليين أنه تحول من المذهب الشافعى الى المذهب الظاهرى، أى الذى يأخذ بظاهر النص و يرفض التأويل، لأن مذهب الاسماعيليين يقول بالتأويل، و بأنه من حق الامام.ثم هناك العلامة ابن خلدون، الذى وقف نفس الموقف، و هو لا يقل عن ابن حزم ألمعية و ذكاء، و نفاذ بصيرة، يقول ابن خلدون فى مقدمته، بعد أن ذكر [صفحه ۲۶۱] أن الخلاف كان اجتهادا من الفريقين، «و اذا كان المصيب عليا، فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل، و انما قصد الحق و أخطأ، و الكل فى مقاصدهم على الحق» بل ان ابن خلدون، فيما يرى العقاد، انما يضع معاوية فى ميزانه، فيحسبه بقية الخلفاء الراشدين، و يتحمل المعاذير له فى اسناد ولاية العهد الى ابنه يزيد، مع فسوقه و خلل سياسته، و كراهية الناس لحكمه حتى من أبناء قومه الأمويين، و لا يهولن قارىء التاريخ اسم ابن خلدون فيذكره و ينسى الحقائق البديهية التى لا تكلفه أكثر من نظرة مستقيمة الى

الواقع الميسر لكل ناظر فى تاريخ الخلفاء الراشدين و تاريخ معاوية، فما وسع ابن‌خلدون أن يخرج من هذه التواريخ بمشابهة بعيدة، تجمع بين معاوية و بين الصديق و الفاروق و ذى النورين و الامام على، فى مسلك الدين و الدنيا، و فى حالة من أحوالى الحكم و المعيشة، و انه لفى وسع كل قارىء أن يجد المشابهات الكثيرة التى تجمع بين معاوية و مروان و عبدالملك و سليمان و هشام من خلفاء بنى‌أمية، فلا يفترقون فيها الا بالدرجة و المقدار، أو بالتقديم و التأخير، و اذا كان هذا شأن ابن خلدون فقل ما شئت فى سائر المؤرخين و المستجمعين للتواريخ، من مشارقة شهدوا زمان الدولة الأموية، و مشارقة لم يشهدوه، و من مغاربة عاشوا فى ظل تلك الدولة و تعلقت أقدارهم بأقدارها، و أيقنوا أنهم لا ينقصون منها شيئا ثم يستطيعون تعويضه من الأندلس بما يغنيهم عنه، و ما زال العهد بالمنبت عن أرومته أن يلطق بها أشد من لصوق القائمين عليها، و من عجب أن بعض المؤرخين، بعد العصر الأموى و حتى عصرنا الحاضر فى أخريات القرن العشرين، يفعلون ذلك حين ينظرون الى هذه الفترة، فلا تخطئهم من أسلوبهم و لا من حرصهم على مطاوعة أهوائهم، كأنهم صنائع الدولة فى ابان سلطانها و بين عطاياها المغدقة، و نكاياتها المرهوبة و رجالها الذين تنعقد بينهم و بين معاصريهم أو اصر النسب و أواصر المشايعة فى المطالب و المعاذير.و من عجب كذلك أن الذين شايعوا معاوية ضد الامام على، هم أنفسهم أو معظمهم على الأقل، هم الذين شايعوا يزيد ضد الامام الحسين و آل بيت [صفحه ۲۶۲] النبى صلى الله عليه و سلم مع الفوارق الكبرى بين سيرة معاوية و سيرة يزيد، و الفوارق الدنيا بين سيرة الامام على و سيرة الامام الحسين، فما كانت رسالة الامام الحسين الا امتدادا لرسالة أبيه الامام على، و هذه الأخيرة انما كانت على هدى و ستة سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، بل ربما أمكن القول ان سيرة آل بيت النبى انما هى امتداد لسيرة النبى صلى الله عليه و سلم و فى نفس الوقت، فان مجرد المقارنة بين الامام على و معاوية، و بين الامام الحسين و يزيد، انما هى جور كبير، بل تطاول على سيرة آل البيت، و على رأسهم الامام على و ولده الحسين، رضى الله عن آل البيت و أرضاهم أجمعين.على أن هناك أمرا آخر نراه جديرا بالاشارة و التنويه، ذلك أن الطبائع الآدمية قد أشربت حب الشهداء و العطف عليهم و تقديس ذكرهم بغير تلقين و لا نصحية، و خاصة شهد آل بيت النبوة، و على الأخص الامام الحسين الشهيد ابن الشهيد و أبوالشهداء فى مئات السنين، و الذى حسبه فى هذه الدنيا أنه رأس الأسرة التى أنجبت من الشهداء، عدة و قدرة و ذكرة، ما لم تنجبه أسرة أخرى فى تاريخ هذه الدنيا، و من ثم فان الطبائع الآدمية حين تنحرف عن آل البيت، انما تنحرف عن سواء هذه السنة لعوارض طارئة أو باقية تمنعها أن تستقيم معها، و أكثر هذه العوارض انما تأتى من تضليل المنفعة و الهوى القريب، أو من نكسة فى الطبع تغريه بالضغن على كل خلق سوى و سجية سمحة محببة الى الناس عامة، أو من الافراط فى حب الدعة حتى يجفل المرء من الشهادة استهوالا لتكاليفها و استعظاما للقدوة بها. فيتهم الشهداء بالهوج و يتعقب أعمالهم بالنقد، لكيلا يتهم نفسه بالجبن و الضعة و يستحق المذمة و اللوم فى رأى ضميره، و ان لم يتهمهم أحد بشىء من ذلك، وقف من فضائلهم موقف ازدراء و فتور، و جنح الى معذرة الآخرين و معظم المؤرخين الذين يعارضون الشهداء و دعاتهم لغير منفعة أو نكسة، هم من أصحاب الدعة المفرطة و أنصار السلامة الناجية، و يغلب على هذه الخلة أن تسلبهم ملكة التأريخ الصحيح، لأنها تعرضهم للخطأ فى الحكم و التفكير، كما تعرضهم للخطأ فى العطف و الشعور، على حد تعبير الأستاذ العقاد. [صفحه ۲۶۳] و لعل الخطأ الأكبر الذى وقع فيه كثير من الباحثين أن خروج الامام الحسين الى العراق انما كان بهدف المنازعة على الخلافة، و لعل ما دفعهم الى الوقوع فى هذا الخطأ هو أن هذا الأمر ليس فيه ما يغض من كرامة الامام الحسين و مقامه، لأنه كان دون ريب أجدر الناس وقت ذاك بخلافة المسلمين، و أنه لا مجال للمقارنة بينه و بين غيره من أجلاء الصحابة حينئذ، فضلا عن غيرهم من بقية المسلمين، و خاصة يزيد بن معاوية، المشهور بالفسق و الفجور، و من ثم فان الامام الحسين، سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، لو كان يسعى للخلافة حقا، فهو بذلك انما سعى الى مصلحة عامة لا شك فيها، كما أن خروجه على يزيد انما هو خروج فى سبيل الله تعالى، له ما يبرره من الأسباب، و ما يدعمه من الدواقع، فالذى لا ريب فيه أن الامام الحسين، عليه‌السلام، كان أولى بالخلافة من يزيد، كما كان أبوه الامام على ثم أخوه الامام الحسن، أولى بها معاوية، و ان تنازل الامام الحسن عنها حقنا لدماء المسلمين، و تصديقا لما أخبر به النبى صلى الله عليه و

سلم، و على أن تكون له بعد معاوية، أو شورى بين المسلمين يختارون لها من يرضونه لدينهم و دنياهم، و لكن معاوية أمعن فى تحويل الخلافة الى ملك عضوض، و مزرعة أموية، فأخذالبيعة لولده يزيد بالسيف و الذهب، و مع ذلك، فان الامام الحسين، رغم أحقيته فى الخلافة، فقد كان زاهدا فيها، الا أن - بنى‌أمية تعمدوا احراجه بفرض البيعة عليه ليزيد، حتى اضطروه الى الخروج من المدينة الى مكة، ثم تابعوه بمكة حتى تركها خوفا من أن تستحل به حرمتها، ثم طاروده من مكا الى آخر، حتى حصروه فى كربلاء و قتلوه تقتيلا، هو و أهل بيته و أنصاره، و مع ذلك كله، فقد حاول البعض أن يعكس التضحية، و يجعل الامام الحسين خارجا على السلطان الشرعى يزيد، و ياللعجب.و لعل من الأفضل هنا أن نناقش آراء بعض الباحثين عن هذه الفترة الحرجة فى تاريخ الاسلام، و منهم دون شك علماء و فقهاء و مؤرخون أجلاء، لم يكتبوا بغرض الهوى، و ان فعل البعض ذلك، و لم يسيئوا للامام الحسين فيما كتبوه عن [صفحه ۲۶۴] قصد، و لكنها وجهة نظر، قد تصيب و تخطىء، و تلك طبيعة البشر غير المعصومين، و انما الأعمال بالنيات، و لكل امرىء ما نوى، و أما أهم هؤلاء الباحثين فهم:

الشيخ الخضرى

وقف الشيخ محمد الخضرى فى كتابيه «محاضرات فى تاريخ الأمة الاسلامية» و «اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء» من آل البيت الطاهرين، موقفا أقل ما يقال فيه أنه لم ينصف الامام على و ولده الامام الحسين، و انحاز كثير الى معاوية بن أبى‌سفيان و ولده يزيد، و قد ناقشنا بعض آرائه فى كتابنا عن «الامام على» و سوف نناقش هنا آراءه عن الامام الحسين، و منها قوله فى محاضراته «بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة (مذبحة كربلاء) التى أثارها عدم الأناة و التبصر فى العواقب، فان الحسين بن على رمى بقول مشيريه جميعا عرض الحائط و ظن بأهل العراق خيرا، و هم أصحاب أبيه، و كان أبوه خيرا منه و كان له عند الناس و جاهة و كانت له بيعة فى الأعناق، و مع ذلك لم ينفعوه، و أما الحسين فلم تكن له بيعة و كان فى العراق عماله و أمراؤه فاغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن و محبوا الشر، فحمل أهله و أولاده و سار بهم الى قوم ليس لهم عهد، و على الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظميا فى خروجه هذ الذى جر على الأمة و بال الفرقة و الاختلاف و زعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا، و قد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك الا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها، غاية ما فى الأمر ان الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له، و لم يعد له عدته، فحيل بينه و بين ما يشتهى، و قتل دونه، و قبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من يبشع أمر قتله بذلك الشكل المحزن.و فى الواقع فلقد تجاوز الشيخ الخضرى كل الحدود فى حديثه هذا، و تطاول على مقام سبط النبى و سيد شباب أهل الجنة، مولانا الامام الحسين، و خرج عن حدود الأدب و مناهج البحث العلمى، فضلا عن سرده للأحداث طبقا لهواه مرة، و اخفاء للحقائق التاريخية مرة أخرى، الى جانب تعصب ممقوت [صفحه ۲۶۵] ضد حفيد النبى صلى الله عليه و سلم الامام الحسين، كل ذلك فى صالح رجل ما يزال المؤرخون مختلفين فى كفره و لعنه، و قد ناقش العلامة الشيخ محمد العربى التبانى المدرس بمدرسة الفلاح و الحرم المكى مكة المكرمة، ما كتبه الشيخ الخضرى، و ذلك فى الجزء الثانى من كتابه «تحذير العقبرى من محاضرات الخضرى أو افاده الاخيار ببراءة الأبرار»، و قدم الكثير من الحجج التى تناقض الخضرى، و منها (أولا) اتهامه الامام الحسين بعدم الاناءة و التبصر فى العواقب، و من ثم فقد جعل نفسه معلما للامام الحسين، و الذى قال فيه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «حسين منى و أنا من حسين» و ما هكذا يتحدث المسلمون عن آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، فضلا عن أن يكون المتحدث شيخا ينتسب الى رجال الدين، و هم أعرف الناس بمكانة الحسين من رسول الاسلام و المسلمين.و منها (ثانيا) اتهامه الامام الحسين بأنه رمى بقول مشيريه جميعا عرض الحائط، و ظن بأهل العراق خيرا، و ردنا على ذلك أن الاسلام أوجب الشورى، و لكنه لم يجعلها ملزمة، و أن الامام الحسين استشار من رأى استشارتهم، كما أنه استخار الله تعالى فى أمره، فمن حقه بعد ذلك، و هو الفقيه فى دين الله، أن يختار الرأى الذى يراه أقرب الى التقوى، هذا فضلا عن المشيرين اليه لم يشئوه لتركه نصيحتهم، بل كانوا معه قبل الاشارة و بعدها فى غاية التوقير، و لم تكن اشارتهم عليه تخطئه له فى الخروج على يزيد،

و انما كانت شفقة عليه من خذلان محتمل من أهل الكوفة، و ظن الامام، فوق اجتهاده فى يزيد و ما هو متصف به، وفاءهم له لذلك، و لا يلام المرء بعد الاجتهاد الخالص لله.و منها (ثالثا) قول الخضرى «و ظن بأهل العراق خيرا... الى قوله: الى قوم ليس لهم عهد، كما أشرنا آنفا، و الرد على ذلك أن حسن الظن بكل مسلم ظاهر الاستقامة واجب، و اساءة الظن به لا تسوغ دنيا و لا مروءة، و هى من سمات المنافقين، و المؤمن غر، و المنافق خب، و أما اللطعن فى أهل العراق جميعا، فهذا خطأ، ففى العراق كثير من الصحابة، و عدم اخلاص البعض لا يبيح الطعن فى الجميع، و تاريخ العراقيين مع الامام على، على غير ما يقول [صفحه ۲۶۶] الخضرى، و قد أدوا ما عليهم فى صفين، فقتلوا ۴۵ ألف من أهل الشام، و أشرفوا بهم على الهزيمة الكبرى، لو لا خدعة رفع المصاحف على الرماح، ثم قتلهم الخوارج مع الامام على فى النهروان.و منها (رابعا) قول الخضرى أن الامام الحسين لم تكن له بيعة، فهذا غير صحيح، فلقد بايع ابن عمه و رسوله اليهم مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفا، و اجتمع عليه أربعون ألفا لما نادى بشعاره حين بلغه قتل ابن‌زياد لهانىء بن عروة المرادى و أحاطوا بابن زياد فى قصر الامارة، ثم باع رؤساؤهم بيعة الامام الحسين لابن زياد، فان قيل كيف يحل لهم مبايعة الامام الحسين و بيعة يزيد سابقة عليها فى أعناقهم، قلنا لا بيعة ليزيد على رأى الخضرى الذى اشترط فى البعيد أو اشترط فى صحة الامامة رضا جميع الناس ببيعة الامام، فهم قد بايعوا يزيد غير راضين ببيعة، و قد أفتى الخضرى من قبل فى بيعة الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على معاوية و أهل الشام بأنهم امتنعوا عن بيعته لأن أهل الأمصار كلها غير راضين بخلافته، و من المجال أن يكون جميع أهل الأمصار راضين عن بيعة يزيد، بل حتى أهل الشام لم يكونوا جميعا راضين ببيعته، فضلا عن عدم رضا أهل الكوفة ببيعة يزيد. بدليل رفضهم له و بيعتهم للامام الحسين مختارين، و من ثم فبيعة الامام الحسين الزم و أثبت من بيعتهم ليزيد.و منها (خامسا) قول الخضرى أن الامام الحسين اغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن و محبو الشر، فهذا غير صحيح، فالكتب التى وصلت للامام الحسين كثيرة، وصلت الى مائة و خمسين، و ليس الذى كتبوا للامام الحسين من دعاة الفتن و محبو الشر، بل هم أعيان الناس و أشرافهم، و تلك أسماؤهم قد سجلها التاريخ، و منهم على سبيل المثال الصحابى الجليل سليمان بن صرد و المسيب بن نجبة و رفاعة بن شداد و حبيب بن مظاهر، و قد أرسلوا كتابهم مع عبدالله بن سبع الهمدانى و عبدالله بن وال، ثم ان الامام الحسين لم يخرج حتى أتاه كتاب ابن عمه مسلم بن عقيل، و قد جاء فيه طبقا لما رواه ابن كثير «أما بعد، فان الرائد لا يكذب أهله، و ان جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابى [صفحه ۲۶۷] و السلام»، ثم انه لم يخرج الى الكوفة الا مضطرا، حتى لا تستباح مكة و بيتها الحرام بسببه.و منها (سادسا) قول الخضرى؛ ان الامام الحسين قد أخطأ خطأ عظيما فى خروجه هذا الذى جر على الأمة و بال الفرقة و الاختلاف و زعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا»، و لست أدرى كيف سمحت للشيخ نفسه، أو هو كيف سمح لنفسه، أن يقول هذا الكلام، و هو، كما يقول التبانى، طعن بليغ فى الامام الحسين، و وقاحة لم يفه بها منتسب الى الاسلام قبله، و هى عادته التى عرفناها منه مع أبيه الامام على، ثم هو اعتمد فى هذا على ابن خلدون الذى قال ان الامام الحسين قد غلط فى العصبية (و سنناقش رأى ابن خلدون فيما بعد) و لكن الخضرى لم يكتف بالوقوف عند رأى ابن خلدون هذا و يقل مثله انه أخطأ من جهة الشوكة، بل طمس صريح قوله الذى قلده فيه، كما طمس كلامه النفيس فى الامام الحسين، فابن خلدون عارف بقدر الامام الحسين، حسن الأدب معه فى عقيدته، و كلامه مفسق ليزيد، مخطر عليه و على أنصاره قتال الحسين بقوله: «ان الامام الحسين غلط فى أمر دنيوى لا يضره الغلط فيه، و أما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط باجتهاده، و قوله ان يزيد فاسق، و لا يجوز قتال الحسين معه، و لا له هو، بل هى من فعلاته المؤكدة لفسقه، و الحسين فيها شهيد مثاب، و هو على حق و اجتهاد، بل ان ما ذهب اليه الخضرى انما هو رأى المستشرق الانكليزى «وليم موير» الذى ذهب الى أن الامام الحسين بانسياقه الى تدبير الخيانة، سعيا وراء العرش، قد ارتكب جريمة هددت كيان المجتمع و تطلبت من أولى الأمر فى الدولة الأموية التعجيل بقمعها، هذا الى أن اتهام الخضرى الامام الحسين بأنه جر على الأمة و بال الفرقة و الاختلاف، و زعزع ألفتها الى يومنا هذا، انما هو منتهى التجنى على سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و ليت الشيخ الخضرى اتقى الله فى رسول‌الله، و فكر فى أن من يقول عنه النبى صلى الله عليه و سلم «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، ان من

يقول فيه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم هذا القول العظيم، ثم يصفه بعد ذلك بأنه سيد [صفحه ۲۶۸] شباب أهل الجنة، لا يمكن أن يجر و بال الفرقة على المسلمين، و يزعزع عماد ألفتهم، هذا فضلا عن أن قول الخضرى هذا انما يدل على أنه يجهل التاريخ تماما أو أن حبه ليزيد و آل يزيد قد أعماه عن حقائق التاريخ، فهل حقا كانت قلوب الأمة كلها متآلفة، فلما خرج الامام الحسين، مضطرا، جر عليها و بال الفرقة، و زعزع ألفتها.ثم أليس باب الفتنة، كما يقول الشيخ التبانى، قد انفتح بين المسلمين بقتل الفاروق رضى الله عنه و لا يغلق الى يوم القيامة كما فى حديث حذيفة فى الصحيح، ثم اليست الآلاف المؤلفة من ثوار الأمصار على عثمان رضى الله عنه، قد وسعت هذا الاختلاف، حتى قتل شهيدا مظلوما، ثم أليس امتناع معاوية عن مبايعة الخليفة العادل الامام على، تسبب عنه توسعة الصدع بين الأمة، فنشأ عنه شيعة لبنى أمية يلعنون الامام على (و العياذ بالله) على المنابر دينا يدينون به، و رافضة يكفرون معاوية و جل الصحابة و الأمة الاسلامية، و خوارج يكفرونه و عليا و عثمان و جمهور الصحابة و الأمة، ثم أليس تآمر من لا صحبة له و لا قدم سابقة فى الاسلام على أمة فيها بقايا من سادتها، مما زاد توسعة الاختلاف بين الأمة، و الناس فى الحسين و يزيد ثلاث فرق: «أهل الحق و رافضة و خوارج، فأهل الحق يوالون الحسين و يحبونه المحبة الشرعية، و رافضة غلاة فى محبته، و الخوارج يبغضونه، و اتفقت هذه الفرق الثلاث على ذم يزيد، فأهل الحق، معتدلون فى ذمه، يقولون انه ملك ظالم، و الرافضة و الخوارج يكفرونه، و لم يقدسه الا الطائفة الموجودة الآن حول الموصل (اليزيدية) فانهم يعبدون الشيطان و يقدسون يزيد.و منها (سابعا) قول الخضرى: و قد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة «مقتل الامام الحسين و آل البيت» لا يريدون الا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها، و يرد التبانى بأن هذا كلام حانق على علماء الاسلام الذين بينوا للناس أخلاق يزيد و فظائعه، و ليس لحملة العلم محاباة يزيد بخيانة العلم أو كتمه، ثم كيف حكم الشيخ الخضرى على ضمائر الباحثين فى مقتل الامام [صفحه ۲۶۹] الحسين و آل البيت و أنصارهم و أنهم أرادوا ذلك، و حتى لو كان ذلك كذلك، فيما يزعم الخضرى، ألا يستحق هؤلاء الشهداء الكتابة عنهم، حتى من باب أن تحسر القلوب على قتل الصالحين، انما هو من الدين و المروءة و مكارم الأخلاق و الوفاء بحق الاخاء الاسلامى، ثم اليست أقوال الخضرى هذه اعترافا منه بأن يزيد و رجاله قد ارتكبوا عار الدهر الذى لا يحمى بقتلهم الامام الحسين و آل البيت الطاهين و أنصارهم.و منها (ثامنا) قول الخضرى: و غاية الأمر أن الرجل (أى الامام الحسين) طلب أمرا لم يتهيأ له و لم يعدله عدته فحيل بينه و بين ما يشتهى، و أنه لا ينبغى لمن يريد عظائم الأمور أن يسير اليها بغير عدتها، فلا يرفع سيفه الا اذا كان معه من القوة ما يكفل له النجاح، فهذا، كما يقول التبانى، تخرص فاسد، و نظرية باطلة، و قد أشرنا من قبل كثيرا الى أن الامام الحسين ما خرج يريد خلافة، و من ثم فلم يفكر أبدا فى رفع السيف حرصا على وحدة الأمة و أنه كان مضطرا للخروج من مكة لأنه كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فان بايع غش نفسه و خان ضميره و خالف عن دينه، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، لأنه صاحب لهو، و لا يجوز بيعة لاه فى اجتهاده، و قد أشرنا من قبل بالتفصيل الى أسباب امتناع الامام الحسين عن بيعة يزيد، و من ثم فلا يلزم بالضرورة امتناع الامام الحسين عن بيعة يزيد طلبه الخلافة، الأمر الذى فصلناه من قبل كذلك.و منها (تاسعا) قول الخضرى: و قبل ذلك قتل أبوه (أى الامام على) فلم يجد من يبشع قتله و يزيد به نار العداوة تأججا» فهذا، كما يقول التبانى، عداوة حمقاء لأبى الحسن و أولاده، و بهتان مفضوح على التاريخ، أما تبشيع قتل الامام على عند أمثاله النواصب، فهو كما ذكر، و أما العلماء و الشعراء فقد كتبوا الكثير فى ذلك، و قبل هذا فلقد أثنى النبى صلى الله عليه و سلم على الامام على و ولديه الحسن و الحسين، و أما يزيد فلقد مقته جميع المسلمين و أبغضوه، بل جوز لعنة الامام أحمد فى رواية ابنه صالح عنه و القاضى يعلى بن الفراء و ابن الجوزى و الكياقرين الغزالى و سعدالدين التفتازانى و غيرهم، و بعضهم بالغ فكفره، كما [صفحه ۲۷۰] ذكر ابن حجر فى الصواعق، و الألوسى فى تفسيره، و قال ابن الجوزى فى كتابه «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد»، سألنى سائل عن يزيد بن معاوية، فقلت له يكفيه ما به، فقال: «أيجوز لعنه، فقلت: قد أجازه العلماء الورعون، منهم الامام أحمد، فانه ذكر فى حق يزيد ما يدل على جواز لعنه»، ثم قال ابن الجوزى: و قد صنف القاضى أبو يعلى كتابا ذكر فيه من يستحق اللعن، ثم ذكر منهم يزيد»، فلقد روى عنه «أى القاضى أبو يعلى» أنه روى فى كتابه المعتمد فى الأصول باسناده الى صالح بن

الامام أحمد أنه قال: قلت لأبى ان قوما ينسبوننا الى تولى يزيد بن معاوية، فقال يا بنى: و هل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر، فقلت و هل يلعن، فقال يا بنى و لم لا يلعن و قد لعنه الله فى كتابه، فقلت و أين لعنه الله فى كتابه فقال فى قوله تعالى: (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله)، و أى فساد، و أى قطيعة أعظم مما فعل يزيد.ثم ان استشهاد الامام على، كرم الله وجهه، فى الجنة، يختلف تماما عن استشهاد الامام الحسين، و الأولى جريمة فرد، أو على الأكثر جماعة من الخوارج، و الثانية جريمة دولة، ثم ان الامام على قتله رجل واحد غيلة، و أما الامام الحسين و آل البيت و انصارهم، فقد قتلهم جيش الدولة، و عدده أربعة آلاف فارس و رام، علانية و على مشهد من الدنيا كلها، ثم اقترفوا معهم قبل قتلهم و بعده، ما يخجل الشيطان من اقترافه، حتى و ان كان الشيخ الخضرى لا يرى ذلك، ثم أليس كل ما فعله جيش يزيد فى كربلاء من الحطة و الخسة، و الخبث و الدناءة، يستحق أن يشهر به، و هل يقبل مسلم، مهما كان فسقه، أن يحدث لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم كل هذا الهول.و منها «عاشرا» قول الخضرى: أما الحسين فقد خالف على يزيد و قد بايعه الناس، فذلك ليس صحيحا لأسباب منها أن مجرد امتناع الامام الحسين عن بيعة يزيد لا يعد مخالفة عليه، و لا يبيح له أذاه على ذلك بأى نوع من أنواع الأذى لأنه صحابى مجتهد، ثم ان الناس لم يجمعوا على بيعة يزيد، و ان كثيرا من المبايعين انما هم عوام طغام، و منها أن بيعة يزيد فى عهد أبيه معاوية لا اعتبار [صفحه ۲۷۱] لها، لأن البيعة كالأرث حق للأمة يثبت لها بعد موت الأول، و يصح له فى مرض موته أن يستخلف عليها بالنيابة عنها من يراه أصلح لها، كما فعل الصديق فى مرض موته، و الفاروق بعد طعنه، و معلوم أن معاوية عهد الى ابنه فى حال صحته، ثم ان معاوية انما أمر ولاته بسوق الناس من الأمصار على غير رغبة، فضلا عن اكراه سادة الناس و أشرافهم على هذه البيعة، و منها أن مبايعة رجل ثان مع وجود الخليفة، فى بلد واحد انما هى بيعة باطلة، فى رأى جمهور مجتهدى الأمة، حتى و ان رأى البعض أن بيعة يزيد فى حياة أبيه معاوية انما هى على أن يكون خليفة بعده، فلقد ذهب التبانى أن هذا مردود لأسباب، منها أن الامامة حق الأمة يثبت لها بعد موت معاوية، و لا حق له مع وجوده، و لا ليزيد، فبيعته على هذا عدم لأنها اثبات الشىء قبل وجوده و وجوبه، و منها أن بيعة معاوية لولده يزيد فى حالة صحته لا اعتبار لها فى رأى الجمهور، و بيعة من بايعه من مجتهدى الأمة اذ ذاك، انما هى ارتكاب أخف الضررين، و منها أنه صح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «اذا بويع خليفة ثم بويع آخر فاقتلوا الآخر»، و لهذا قال بعدالله بن الزبير لمعاوية: «ان كنت قد مللت الامارة فاعتزلها، و هلم ابنك فلنبايعه، أرأيت اذا بايعت ابنك معك لأيكما نسمع و نطيع، لا تجتمع البيعة لكما أبدا».

ابن العربى

تعرض القاضى أبوبكر بن العربى فى كتابه «العواصم من القواصم» لمأساة كربلاء و استشهاد آل البيت، و على رأسهم الامام الحسين، و لكنه اعتبر الامام الحسين خارجا على يزيد، بعد أن بايعه الناس، مما يعطى ليزيد الحق فى مقاومته و العذر فى قتاله و قتله، فقال: وردت على الامام الحسين كتب أهل الكوفة، فأرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ عليهم البيعة، فنهاه ابن عباس، و أشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج، فلم يبلغ الكوفة الا و مسلم بن عقيل قد قتل، و أسلمه من كان استدعاه، و يكفيك بهذا عظة لمن اتعظ، فتمادى و استمر غضبا للدين و قياما بالحق، و لكنه رضى الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم [صفحه ۲۷۲] أهل زمانه ابن‌عباس، و عدل عن رأى شيخ الصحابة ابن عمر، و طلب الابتداء فى الانتهاء، و الاستقامة فى الاعوجاج، و نضارة الشبيبة فى هشيم المشيخة، ليس حوله مثله، و لا له من الأنصار من يرعى حقه، و لا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد، فأرقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر.و قد أخطأ ابن العربى عدة أخطاء، منها (أولا) أن الامام الحسين لم يطلب بيعة من أهل الكوفة، و طبقا لرواية الطبرى فقد كتب الامام الحسين لأهل الكوفة «قد بعثت اليكم أخى و ابن عمى و ثقتى من أهل بيتى، و أمرته أن يكتب الى بحالكم» فلما وصل مسلم الى الكوفة بايعه اثنا عشر ألفا على رواية، و ثمانية عشر ألفا على رواية أخرى، و بدهى أن الفارق كبير بين

أن تكون هذه البيعة قد تمت بناء على سعى الامام الحسين و طلبه، كما خيل لابن العربى، و بين أن تتم البيعة تلقائيا من أهل الكوفة بعد أن ظلوا يبعثون بالرسل و يرسلون الكتب و يلحون على الامام الحسين بالخروج اليهم، و منها (ثانيا) أن هناك روايات تدل فعلا على أن ابن الزبير أشار على الامام الحسين بالخروج، لأنه كان «أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأنه قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه و لا يتابعونه أبدا ما دام حسين بالبلد، و أن حسينا أعظم فى أعينهم و أنفسهم منه، و أطوع فى الناس منه»، غير أن هناك رواية أخرى فى الطبرى تذهب الى أن ابن الزبير قال للامام الحسين،، «ان شئت أن تقيم أقمت، فوليت هذا الأمر، فآزرناك و ساعدناك و نصحنا لك و باعيناك» فقال له الامام «ان أبى حدثنى أن لها كبشا يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبس»، و من ثم فمشورة ابن الزبير للامام الحسين بالخروج موضع جدل، و ربما كان الأفضل الأخذ بالرواية الثانية التى لاتحرج ابن الزبير، و ان عرف بكراهيته لآل البيت، كما تشير الى ذلك أحداث موقعة الجمل، و كما تشير كذلك أحداث خلافته، حتى أن ابن‌عباس و ابن الحنفية رفضا البيعة له بعد ذلك، و مع ذلك فالرأى عندى أن الأمر لن يصل بابن الزبير ألى أن يشير على الامام بما يبعده عن مكة ليخلو الأمر له فيها، ثم ان الامام الحسين ما كان فى حاجة الى مشورة ابن الزبير بالخروج بعد [صفحه ۲۷۳] أن أصبح وجوده بمكة خطرا عليه، و على البلد الحرام و البيت الحرام، كما أشرنا الى ذلك بالتفصيل من قبل.و منها (ثالثا) قول ابن العربى ان الامام الحسين لم يبلغ الكوفة الا و مسلم بن عقيل قد قتل.... و يكفيك بهذا عظة لمن اتعظ، فتمادى و استمر غضبا للدين و قياما بالحق، و لكنه رضى الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، و عدل عن رأى شيخ الصحابة ابن عمر»، فلقد أخطأ ابن العربى فى عدة أمور، منها تلميحه، غمزا و لمزا للامام الحسين، بقوله «و يكفيك هذا عظة لمن اتعظ»، و ما هكذا يخاطب مسلم، كائنا من كان، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين، و منها أن تمادى الامام الحسين و استمرار مسيره غضبا للدين و قياما للحق، لا- خير منه، على فرض صحته، ما دام ذلك غضبا للدين بالحق، و حاشا لابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أن يكون تماديه لغير ذلك، أو أن يسير على غير نور من ربه، و بينة من جده النبى المصطفى صلى الله عليه و سلم، و مع ذلك فلقد ثبت أن الامام الحسين قال لمن سأله عن سبب تعجيله بالخروج قبل اتمام شعائر الحج «لو لم أعجل لأخذت»، و أنه رأى رؤيا أمره فيها رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بأمر، و أنه لن يخالف أمره، و منها أن عدم قبوله مشورة الناصحين بعدم الخروج لم يكن ذلك عنادا منه أو ركوبا لرأسه، و انما لأنه كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فان بايع غش نفسه و خالف عن دينه، و خان ضميره، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، و ان لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء، و قد علم ما كان من غضب يزيد على ابن الزبير، حين امتنع عن البيعة، و أقسم أن لا يرضى حتى يحمل اليه ابن الزبير فى جامعة، يقاد اليه كما يقاد الأسير.و منها (رابعا) قول ابن العربى «و طلب الابتداء فى الانتهاء، و الاستقامة فى الاعوجاج، و نضارة الشبيبة فى هشيم المشيخة، ليس حوله مثله، و لا له من الأنصار ما يرعى حقه، و لا من يبذل نفسه دونه»، و قد أخطأ ابن العربى فى ذلك كثيرا، فليس ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم من يطلب الاستقامة فى الاعوجاج، و مرة أخرى، ما هكذا يتحدث المسلمون عن سيدهم و ابن سيدهم، ثم ان أصحابه [صفحه ۲۷۴] هم خير الأصحاب، بل خير الشهداء بعد أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، كما كانوا نخبة ممتازة من فرسان العرب، و بدهى أن صحبة الحسين فى تلك الرحلة لن يكونوا غير ذلك، فهى وحدها آية على الشجاعة فى ملاقاة الموت، و لم يكن واحد منهم الا و يطلب الموت و يتحرى مواقعه و أهدافه، و يكفى أصحاب الامام فخرا أنه حين تأكدت له نتائج المعركة، جمعهم فى الليل و قال لهم: انى لا أعرف أصحابا خيرا من أصحابى، و لا أهل بيت أبر و أوصل من أهل بيتى، فجزاكم الله خيرا، فقد بررتم و أعنتم، و انكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى، و ان يومى منهم غدا، و انى قد أذنت لكم جميعا، فانطلقوا فى غير حرج، ليس عليكم منى ذمام، هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار، و انجوا بأنفسكم»، و لكنهم جميعا، أهل بيته و أصحابه، سواء بسواء، رفضوا أن يتركوه لحظة، حتى قتلوا جميعا بين يديه، ثم ألم يسمع ابن العربى أن أنصار الامام الحسين، و هم اثنان و سبعون بطلا- قتلوا من جيش اللئام ۸۸ فردا، و لا- أقول رجلا- ثم ألم يسمع ابن العربى بنبوءة الامام على، حين أخبر بعلو مقام شهداء كربلاء، فيما رواه ابن‌سعد و غيره، ان الامام على حين وصل الى كربلاء فى

مسيرة الى صفين نزل و صلى عند شجرة هناك و قال: «يقتل هنا شهداء، هم خير الشهداء غير الصحابة، يدخلون الجنة بغير حساب».و منها (خامسا) قول ابن العربى: ما خرج عليه (أى الامام الحسين) أحد الا بتأويل»، و هذا القول قد يفهم منه بعض الناس ممن لم يدرسوا تاريخ هذه الفترة أن الذين قتلوا الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، و قطعوا رؤوسهم و علقوها على الرماح ثم داسوا أجسادهم الشريفة بسنابك الخيل، انما كانوا من أهل العلم، الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، حتى استطاعوا أن يتأولوا أحاديث رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و أن يجدوا فيها ما يبيح لهم قتال ابن ابنته و قتله هو و أصحابه، غير أن الثابت أن جيش ابن زياد الذى أرسل لقتال الامام الحسين انما كان أكثره من الرعاع الأجلاف، ليس فيهم صحابى جليل، و لا تابعى فقيه فى دينه، بل ان كبير اللئام «عبيدالله بن زياد» أبعد من أن يوصف بأنه من أهل العلم [صفحه ۲۷۵] و الدين، ثم هو قبل ذلك و بعده ابن زياد المجهل النسب، و الذى أحقه معاوية ابن أبى‌سفيان بأبيه بناء على شهادة أبى‌مريم الخمار، بأن أباسفيان زنى بسميه البغى، فجاءت به، و أما أم عبدالله فجارية مجوسية تدعى مرجانة، فكانوا يعيرونه بها و ينسبونه الها، و كان أعوان ابن‌زياد على شاكلته من الرعاع و الأجلاف، و بدهى أن هؤلاء و أمثالهم ممن كان يتكون منهم جيش الفسوق و الطغيان انما هم أبعد الناس عن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أشدهم جهلا بحديثه الشريف، و من ثم فقد أخطأ ابن العربى حين اعتبرهم من أهل التأويل الراسخين فى العلم، حتى قال عنهم «و ما خرج اليه أحد الا بتأويل» و كنا يقول التبانى، فهل كان يزيد من أهل الرواية و التفقه فى الدين، و هل ان ابن‌زياد من أهل الدين، و هل كان الجيش الذين قتلوا الامام الحسين الا رعاع أجلاف، و هل يمكن أن يقال فى هولاء الغوغاء بأنهم أهل حديث رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أهل فقه و تأويل.و منها (سادسا) فلقد أخطأ ابن العربى خطأ فاحشا حين حاول تبرير جيش اللئام فى محاربته لابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته الطاهرين، فقال «و لا قاتلوه الا بما سمعوا من حديث جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول فى الفتن، و أقواله فى ذلك كثيره، منها قوله صلى الله عليه و سلم: انها ستكون هنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة و هى جميع، فأضربوه بالسيف كائنا من كان»، «فما خرج الناس الا بهذا و أمثاله»، و لعل خطأ ابن العربى الفاحش انما يكمن أولا فى تجاهله الأحاديث الصريحة التى جاءت فى فضائل الامام الحسين، و أن معاداته انما هى معاداة الله و رسوله، و محاربته محاربة الله و رسوله، و كفى بذلك خزيا فى الدنيا و الآخرة، أخرج ابن عساكر عن ابن عمر بسنده أن النبى صلى الله عليه و سلم قال «لا يحب أهل البيت الا مؤمن، و لا يبغضهم الا منافق»، و فى الحديث الشريف حكم صريح بالنفاق على كل من اشترك فى قتال الحسين و أهل البيت، و روى الامام أحمد و الطبرانى عن أبى‌هريرة أنه قال: نظر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى على و الحسن و الحسين و فاطمة، صلوات الله عليهم، فقال «أنا [صفحه ۲۷۶] حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، و فى رواية لأحمد و الترمذى عن زيد بن أرقم أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال لعلى و فاطمة و الحسن و الحسين: أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم»، و روى أبوالقاسم البغوى و ابن الأثير و ابن كثير عن أنس بن حارث عن أبيه الحارث بن نبيه، قال: «سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و الحسين فى حجره، يقول: ان ابنى هذا يقتل فى أرض يقال لها العراق فمن أدركه فلينصره»، فقتل أنس بن الحارث مع الحسين، و جاء فى الاصابة لابن الحجر «و قال البخارى: أنس بن حارث قتل مع الحسين بن على، سمع النبى صلى الله عليه و سلم و متنه: سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ان ابنى هذا، يعنى الحسين، يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره»، قال فخرج أنس بن حارث الى كربلاء فقتل بها مع الحسين».و لست أدرى ألم يقرأ ابن العربى كل هذه الأحاديث النبوية الشريفة، ثم ألم يقرأ قوله صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الترمذ و الامام أحمد و الحاكم و أبونعيم و الدولابى و الطبرانى بطرق مختلفة. «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، أو لم يقرأ له صلى الله عليه و سلم، فيما أخرجه الامام أحمد و الترمذى عن على أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أخذ بيد الحسن و الحسين فقال: «من أحبنى و أحب هذين و أباهما و أمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»، و أخرج الامام أحمد و الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال: رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة»، ثم كيف فات ابن العربى أن الامام الحسين ما خرج من المدينة الا مكرها حتى لا يرغم على بيعة لا

يرضاها أو يقتل ان أبى، و أنه ما خرج من مكة الا خوفا من أن يؤخذ بها، و اشفاقا من أن تستحل حرمتها، ثم لا يقف ابن العربى عند هذا الحد، حتى يتهم سيد شباب أهل الجند، عليه‌السلام، بمحاولة تفريق أمر الأمة، و يلتمس العذر لقاتليه، بل يقدم لهم الحجج لقتله، على أنهم استجابوا لأمر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «فاضربوه بالسيف كائنا من كان».و لعل هذا كله، و غيره كثير، انما كان سببا فى أن ينكر كثير من أكابر علماء [صفحه ۲۷۷] المسلمين رأى ابن العربى هذا، حتى أن النور الهيثمى كان يبالغ فى الغض من ابن خلدون لما بلغه أنه قال عن الامام الحسين «قتل بسيف جده»، و طبقا لرواية السخاوى فى «الاعلان بالتبويخ لمن ذم التاريخ»، أن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلانى قال: «و لما نطق شيخنا، يعنى النور الهيثمى، بهذه الكلمة، أردفها بلعن ابن خلدون و هو يبكى، و مع أن ما توهمه الحافظان، النور الهيتمى، و ابن حجر العسقلانى أنه من أقوال ابن خلدون، انما هو فى حقيقة الأمر من أقوال ابن العربى فى العواصم من القواصم»، فان ذلك يعطينا صورة لمدى الخطأ الذى تردى فيه ابن العربى، و من قال بقوله، حتى اضطر بعض العلماء الى الغض من مكانته، فضلا عن استباحتهم للعنة، هذا و رغم ان ابن خلدون ظل مصرا على الشبهة المزعومة من أن الامام الحسين انما خرج سعيا وراء الخلافة، فلقد خالف فى مقدمته المشهورة رأى ابن العربى، فقال: «و قد غلط ابن العربى حين قال ان الحسين قتل بشرع جده، و هو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل، و من أعدل من الحسين فى زمانه، فى أمانته و عدالته فى قتال أهل الآراء.

ابن خلدون

ذهب ابن خلدون فى مقدمته المشهورة، كما أشرنا آنفا، الى تأكيد الشبهة المزعومة من أن الامام الحسين عليه‌السلام، كان يقاتل أهل الآراء باعتباره الامام العادل، صاحب الحق فى الخلافة، و أن خروجه انما كان سعيا للوصول اليها، و قد أخطأ ابن خلدون فى عدة أمور، منها (أولا) أن الامام الحسين انما خرج على يزيد لما ظهر فسقه، و ذلك لأن الصحابة قد اختلفوا فى ذلك، فمنهم من رأى الخروج عليه و نقض بيعته، كما فعل الامام الحسين و ابن الزبير، و من اتبعهما فى ذلك، غير أن الثابت أن الامام الحسين لم يبايع ليزيد أصلا، سواء على أيام أبيه معاوية أو بعد تولى يزيد، و من ثم فالامام لم ينقض دعوة يزيد لأنها لم تعقد أصلا، و بدهى أنه لا نقض لبيعة لم تقع و لا وجود لها.و منها (ثانيا) ما ذهب ابن خلدون فى قوله «و أما الحسين فانه لما ظهر فسق [صفحه ۲۷۸] يزيد عند الكافة من أهل عصره بعث شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره، فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه، لا سيما من له القدرة على ذلك، و ظنها من نفسه بأهليته و شوكته»، و قد أخطأ ابن خلدون فى ذلك و قد أشرنا من قبل مرارا الى أن الامام الحسين لم يبايع يزيد أصلا، و لم يخرج الى الكوفة بسبب دعوة شيعة أهل البيت، و انما خرج الى مكة أولا حتى لا يأخذه يزيد بالبيعة أخذا عنيفا، ثم خرج من مكة الى الكوفة مخافة على نفسه و على البلد الحرام أن تنتهك حرمته بسببه، و من ثم فلم تكن الأهلية أو الشوكة سببا لخروجه، و لو أراده الشوكة لا ستكثر من الأعوان، و لما خرج بقلة من الرجال لا يبلغون الثمانين رجلا، و لما رفض عرض الطرماح بن عدى حين عرض عليه عشرين ألفا من طىء، يضربون بين يديه بسيوفهم، و لا يوصل اليه و منهم عين تطرف، و لما عرض على أنصاره ليلة مذبحة كربلاء أن ينصرفوا فى ظلام الليل، فان القوم لا يطلبون غيره، بل لو أراد الامام الشوكة لدعا الناس الى نصرته فى الخروج على الفاسق يزيد، ابن الطلقاء، و لاستجاب لدعوته الكثيرون، فليس من المقبول القول بأن الخير ضاع من المسلمين جميعا حتى يخذلوا ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ينصروا ابن معاوية و حفيد أبى‌سفيان و هند آكلة الأكباد، و لكن الحقائق التاريخية تؤكد أن الامام الحسين لم ينازع يزيد سلطان، و لكن يزيد هو الذى أراد أن يجبر الامام الحسين على بيعته، و هى بيعة يراها الامام اثما، يغش به نفسه، و يخون ضميره و يخالف عن دينه، و يساعد بها على تحويل الاسلام الى ملك عضوض و مزرعة أموية، و على يد يزيد أبعد الناس صلاحية لخلافة المسلمين، فقد كان، كما تجمع المصادر أو تكاد، تنقصه كل مقومات الرجل المناسب ليجلس فى مكان الخلفاء الراشدين، فهو مفلس افلاسا تاما لكل ما كان لأبيه، فضلا عن أن يقارن بأجلاء

الصحابة من رجالات عصره، فأى رشد، و أى ضمير، يطلب من سبط النبى صلى الله عليه و سلم أن يبايع يزيد هذا، و بأى رشد، و أى ضمير يفرض معاوية واحدا هذا شأنه على الاسلام و المسلمين، ثم يطلب من حفيد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قبول ذلك، و لو أن معاوية، كما يقول الأستاذ [صفحه ۲۷۹] خالد محمد خالد، كان أكثر اهتماما بسلطان الاسلام منه بسلطان بنى‌أمية لوفر على المسلمين كثيرا من المخاطر و المهالك التى أفضى اليها حرصه على ذلك السلطان، و لجنب الامام الحسين و آل البيت و أنصارهم مهالك كربلاء، و لهذا يقول ابن خلدون فى مسألة قتال يزيد للامام الحسين «و قتال البغاة من شرطه أن يكون مع الامام العادل، و هو مفقود فى مسألتنا (أى بسبب فسق يزيد) فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد، و لا ليزيد بل هى من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه، و الحسين فيها شهيد مثاب، و هو على حق و اجتهاده، و قد غلط القاضى ابن العربى حين قال ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده، و هو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل، و من أعدل من الحسين فى زمانه فى امامته و عدالته فى قتال أهل الآراء.و منها (ثالثا) ما ذهب اليه ابن خلدون من أن عصبية العرب فى الجاهلية و الاسلام «ما عدا عصر الوحى» انما كانت فى بنى‌أمية، و ذلك حين يقول «و أما الشوكة فقد غلط فيها «أى الامام الحسين» لأن عصبية مضر كانت فى قريش، و عصبية عبد مناف كانت فى بنى‌أمية، تعرف لهم ذلك قريش و سائر الناس و لا ينكرونه، و انما نسى ذلك أول الاسلام، لما شغل الناس من الذهول بالخوارق و أمر الوحى و تردد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا أمور عوائدهم و ذهبت عصبية الجاهلية و منازعاتها و نسيت... حتى اذا انقطع أمر النبوة و الخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشىء للعوائد، فعادت العصبية كما كانت، و أصبحت مضر أطوع لبنى أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل، فقد تبين لك غلط الحسين، الا أنه فى أمر دنيوى لا يضره الغلط فيه، و أما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه، و كان ظنه القدرة على ذلك.و لست أدرى من أين جاء ابن خلدون بكل هذا، و حقائق التاريخ تقول غير ذلك تماما، و منها (أولا) أنه من المعروف أن بنى‌هاشم لم يتركوا لبنى أمية شيئا من سيادة الجاهلية، و من ثم فقد اشتغلوا بالتجارة، و قد أشرنا من قبل فى هذا الدراسة أن قصيا بن كلاب هو الذى جمع قريشا فى مكة ثم جعل لكل بطن حيا [صفحه ۲۸۰] خاصا على مقربة من الكعبة، و أن قصيا كان قد جمع فى يديه رياسة دار الندوة و اللواء «و هو رياسة الجيش فى الحرب» فضلا عن الرفادة و سقاية الحاج، و سدانة الكعبة (الحجابة)، و بعد موته قام النزاع بين أبنائه ثم انتهى الأمر الى أن يتولى عبد مناف السقاية و الرفادة، و أن تكون الحجابة و اللواء و رياسة الندوة لبنى عبدالدار، ثم تولى هاشم السقاية و الرفادة بعد أبيه عبد مناف، دون بقية اخوته، و منهم عبد شمس جد الأمويين، و يرى المؤرخون أن هاشما كان غياث قومه فى عام المجاعة، و أنه أول من سن الرحلتين، رحلة الشتاء و الصيف، أو على الأقل أول من حماهما و نظمها فنسب اليه أنه أول من سنهما، و هو الذى عقد مع الروم و الغساسنة معاهدة حسن جوار و مودة، و حصل من امبراطور الروم على الاذن لقريش بأن تجوب الشام فى أمن و طمأنينة، كما عقد نوفل و المطلب حلفا مع فارس، و معاهدة تجارية مع الحميريين فى اليمن، و يروى المؤرخون كذلك أن أمية بن عبد شمس قد حسد هاشما على رياسته و اطعامه فتكلف أن يصنع مثله، و لكنه قد عجز، و من ثم فقد شمت به ناس من قريش، و تنافر هو و هاشم، و انتهى الأمر بجلاء أمية عن مكة عشر سنين، فكان بذلك أول من نفى عن مكة، كما كان ذلك أول خلاف بين بنى‌هاشم و بنى‌أمية، هذا و تكاد تجمع المصادر على أن بنى‌هاشم كانوا أصحاب عقيدة و أريحية و وسامة، و كان بنوأمية أصحاب عمل و حيلة و مظهر مشنوء، و ينعقد الاجماع أو يكاد على أخبار الجاهلية التى تنم على هذه الخصال فى الاسرتين، و بقى الكثير مناه الى قيام الدولة الأموية فلم يفندوه، صحيح أن الهاشميين و الأمويين من أرومة واحدة ترتفع الى عبد مناف، ثم الى قريش فى أصلها الأصيل، و لكنه صحيح كذلك أن الأسرتين تختلفان فى الأخلاق و الأمزجة، و ان اتحدتا فى الأرومة، فبنو هاشم فى الأغلب الأعم مثاليون أريحيون، و لا سيما أبناء فاطمة الزهراء، و بنو أمية فى الأغلب الأعم نفعيون عمليون، و لا سيما الأصلاء منهم فى عبد شمس من الآباء و الأمهات، و من الثابت أن عبدالمطلب و أمية انما كانا يختلفانا حتى فى الصورة و القامة و الملامح، و هكذا كان البيتان الهاشمى و الأموى على طرفى نقيض، [صفحه ۲۸۱] و ربما خفى السبب الذى يراه المؤرخون فى النسب المدخول، فلقد رمى الأمويون الأوائل بشبهات كثيرة فى عمود النسب، و أشهر هذه الشبهات، قصة

ذكوان الذى يقولون أنه من آبائهم، و يقول النسابون أنه عبد مستلحق على غير سنة العرب فى الجاهلية (و سوف يفعلها معاوية فى الاسلام مع زياد بن أبيه)، بل ان السهيلى ليروى أن هناك مطعنا فى نسب أمية يعم جميع الفصيلة، حيث نسب الى أمه الزرقاء (أرنب) أنها كانت فى الجاهلية من صواحب الرايات «و انظر حديث لأبى بكر الصديق فى «منال الطالب فى شرح طوال الغرائب - لابن الأثير - جامعة أم القرى ۱۹۸۳».و على أى حال، فلقد ورث عبدالمطلب زعامة أبيه هاشم، فأصبح سيد قريش، و ان لم يكن أغناها، و هكذا تولى السقاية و الرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، و أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، و شرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، و عظم خطره فيهم، و لم يعد عظيما عند قريش فحسب، و انما كان عظيما كذلك فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، و حتى كان يفرش له فراش حول الكعبة فيجلس عليه، و يجتمع حوله رؤساء بطون قريش لا يجرأ أحد على أن يجلس على فراشه، و هناك الكثير من الأحداث التى تشير الى أن عبدالمطلب كان سيد قريش و زعيمها دون منازع، حدث ذلك حين تولى رياسة و فدها لتهنئة سيف بن ذى يزن بتولية الملك، كما حدث كذلك فى حملة الفيل، هذا و قد ورث أبوطالب زعامة أبيه، فكانت قريش تنظر اليه نظرتها الى زعيم جليل، الكل يهابه و يحبه و يحترمه، فكان فيها فى مكان عبدالمطلب من قبل، و قد صان الله رسوله صلى الله عليه و سلم بعمه أبى‌طالب، لأنه كان شريف قومه، مطاعا فيهم، نبيلا- كريما، لا- يتجاسرون على مفاجأته بشىء فى أمر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم لما يعلمون من محبته اياه، و لعل هذا كله يبين لنا الحكمة فى اختيار الرسل من أواسط قومهم، و من الجبهة القوية السليمة فيهم، حتى يكونوا لم سندا و عضدا، ضد سفاهة السفهاء و بغى الباغين، و بدهى أن هذا كله انما يشير الى تفوق البيت الهاشمى على البيت الأموى، بل على العرب جميعا. [صفحه ۲۸۲] و منها (ثانيا) أن العرب كانت تنفس على قريش مكانتها، و قريش تنفس على بنى قصى، و بنو قصى ينفسون على بنى عبد مناف، و بنو أمية ينفسون عى بنى‌هاشم، رياستهم للعرب، و كونهم فى المكانة العليا من سدانة البيت و القيام عليه، فهاشم ورث السيادة من عبد مناف: و عبدالمطلب أخذها من هاشم، ثم أعطاها لولده أبى‌طالب و لعل فى هذا المعنى كان رد الامام على معاوية عندما كتب اليه يسأله أن يقره على الشام فيبايعه، و الا حاربه، فهم جميعا بنو عبد مناف، فقال الامام «و أما قولك انا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، و لكن ليس أمية كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبوسفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطليق «أى الامام و معاوية»، و فى الواقع فلقد كان بنوهاشم فى ميزان المجتمع العربى سادته وقادته و أشرافه، و كانوا فى ميزان القيم أجود الناس كفا و أوفاهم ذمة، و أندادهم عطاء، و أكثرهم فى سبيل الخير بلاء، و أحماهم للذمار، و أحفظهم للجار، و بكلمة واحدة هم فى قومهم و زمانهم، ضمير أولئك القوم و ذلك الزمان، و هكذا كان بنوهاشم، كما يقول ابن تيمية، فى رسالته «رأس الحسين»، أفضل قريش، و قريش أفضل العرب، و العرب أفضل بنى‌آدم، كما صح ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم قوله فى الحديث الصحيح «ان الله اصطفى بنى‌اسماعيل، و اصطفى كنانة من بنى‌اسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى بنى‌هاشم من قريش».و منها (ثالثا) أن حلف الفضول الذى اتفق نخبة من سائر رؤسا قريش ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا اليه حقه، و ليأخذن أنفسهم بالتآسى فى المعاش و التساهم فى المال، و ليمنعن القوى من ظلم الضعيف، و القاطن من عنف لغريب»، و اتفقوا على هذا الحلف لأن العاص بن وائل اشترى بضاعة من رجل بيدى و لواه بثمنها، فنصروا الرجل الغريب على القرشى و أعطوه حقه، و قد زعم هذا الحلف بنوهاشم و بنو عبدالمطلب، ابنا عبد مناف، و انضم اليهم بنوأسد بنوزهرة و بنوتيم، و تخلف كثيرون، و على رأسهم بنوأمية، فلو كانت عصبة قريش فى عبد مناف، و عصبة عبد مناف فى بنى‌أمية، لما استطاعت أقلية. [صفحه ۲۸۳] من قريش أن تعقد هذا الحلف، على رغم الأكثرين منهم، و قد حسدوهم عليه فقالوا دخل هولاء فى فضل من الأمر.و منها (رابعا) أن رياسة حرب لقريش فى حرب الفجار، لا لعصبية بنى‌أمية، و لكن لعصبية بنى عبد مناف، و كان حرب يومئذ أكبرهم سنا، حيث كان القوم يقدمون الأسن منهم، و الأمر كذلك بالنسبة الى عتبة بن ربيعة فى غزوة بدر، و كان عمره نحو المائة، لا لكون عصبية بنى عبد مناف فى بنى‌أمية كما ادعى ابن خلدون، و مع ذلك فقد كان أبو جعل المخزومى، و ليس الأموى، هو الأعلى صوتا، و منها (خامسا) أن أباسفيان بن حرب، عندما أراد أن يثير الفتنة عندما تولى الصديق الخلافة فقال «انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم،

يـا آل عبـد منـاف، فيم أبوبكر من أموركم، أين المستضـعفان على و العبـاس، ما بال هـذا الأمر فى أقل حى من قريش، ثم قال للامام على: أبسـط يـدك أبايعـك فو الله لئن شـئت لأملانهـا عليهم خيلاـ و رجلا، فأبى الامام على عليه و زجره، و قال: و الله انك ما أردت بهذا الا الفتنة، و أنك و الله طالما بغيت للاسـلام شـرا، لا حاجة لنا فى نصيحتك، فلو كانت عصبية بنى عبد مناف فى بنى‌أمية للزم أن يقول أبى‌سـفيان يا آل أميـة، و لا يقول يا آل عبد مناف، و لأتى عثمان بن عفان لأنه من بنى‌أمية أهل العصبية فى قريش و لسابقته فى الاسـلام فبايعه و لم يأت الامام على أصـلا».و منها (سادسا) أنه لو كانت عصبيـة العرب فى مضـر، و عصبية مضـر فى قريش، و عصبية قريش فى عبـد مناف و عصبيـة بنى عبـد مناف فى بنى‌أميـة، لما حوصـر الخليفة الراشد عثمان بن عفان، و لما قتل فى بيته، و هو رأس الدولة و خليفة المسلمين، و لنفعته العصبية الأموية، بل ان الذين دافعوا عن الخليفة الشهيد انما هم أبناء الامام على الهاشمى، الحسن و الحسـين، فضـلا عن ابن الزبير و ابن طلحـة، بـل ان الثوار لم يحسـبوا للأمويين أى حسـاب، و انمـا كـانوا يخشون بنى‌هـاشم، و تجمع المصادر على أن الثوار لما بدأوا يضـربون الحصار حول بيت الخليفة و يرمونه بالسـهام فأصـيب الامام الحسن بن على بسـهم فخضبه [صفحه ۲۸۴] الـدم، و شـجع قنبر مـولى الامـام على، خـاف الثـوار أن تغضب بنوهـاشم للحسن، و من ثم كفوا عن رمى السـهام، و ان اقتحمـوا الـدار من خلف، و فعلوا فعلتهم النكراء، ثم أن الثوار حين منعوا المـاء عن الخليفـة الشـهيد، و هو محصور فى بيته، لم يسـتطع أحد من الناس أن يوصل الماء اليه، سوى الامام على بن أبى‌طالب الهاشمى.و منها (سابعا) أنه لو كانت دعوى ابن خلدون صحيحة، و كانت عصبيـة مضـر تنتهى الى بنى‌أمية، لما احتاج معاوية بن أبى‌سـفيان فى اسـتخلاف ابنه يزيد الى طلبه من عمال الأمصار أن يوفدوا اليه الوفود لـذلك، و لحصـل مطلوبه بمجرد اعلام أهل الأمصار بـذلك بـدون حاجـة الى ايفاد الوفود للبيعـة، و لما امتنع من امتنع من أجلاء الصـحابة من بنى‌هاشم و من غيرهم، كالامام الحسين و ابن الزبير و ابن أبى‌بكر و ابن عمر و غيرهم، و منها (ثامنا) أنه عند موت يزيـد عرض الحصـين بن نمير قائـد الجيش الـذى أرسـله يزيد لضـرب الكعبة و القضاء على ابن الزبير، عرض على ابن الزبير أن يبايعه بالخلافـة على أن يخرج معه الى الشام، لأن الجند الذين معه هم وجوه أهل الشام، و لن يختلف عليه أحد، ان هم بايعوه، و لأن هناك ناسا من بنى‌أمية فى الشام يطلبون الخلافة، فلو كانت عصبية قريش فى بنى‌أمية و سائر الناس يعرفون لهم ذلك و لا ينكرونه، ما عرض الحصـين بن نمير الخلافـة على ابن الزبير الـذى ليس من بنى‌أميـة، بل و لا حى من بنى عبد مناف.و منها (تاسـعا) أن عصبية العرب لم تكن لبنى أمية، لا فى عصـر الجاهلية و لا فى الاسـلام، و انما صارت لهم قيادة المشركين من قريش، حين قادوا الحرب ضد الاسلام و نبى الاسـلام، و هكذا لم يترك بنوهاشم لبنى أمية شـيئا من سيادة الجاهلية، و من ثم فقد اشتغل بنوأمية بالتجارة، و هذا كان أبوسفيان حتى موقعة بدر الكبرى فى العام الثانى من الهجرة يعمل فى التجارة، ثم أصـبح بعد ذلك على رأس الكفر فى مكة و قائد المشـركين فى أحد و الأحزاب، و بالتالى فان أباسـفيان - رأس الأمويين - لم يصـبح قائد قريش، الا فى حربها ضد [صفحه ۲۸۵] النبى صلى الله عليه و سـلم، و الا بعد أن قتل سادتها يوم بدر، و ظل الأمر كذلك حتى أسـلم أبوسـفيان كرها - رغم ما كان عنده من دلائل النبوة، و ذلك حين رأى جيوش الاسـلام مطبقـة على مكـة، فأصـبح هو و معظم قومه من الطلقاء، و من المؤلفـة قلوبهم.و منها (عاشـرا) أنه بعد موت معاويـة بن يزيـد بن معاوية، بايع جل أهل الشام لابن الزبير، و فيهم كثير من قبائل مضـر لا سـيما بنى قيس عيلان، لما بايعه أهل مصـر و العراق و فـارس و اليمن و الحجـاز، و قريش و جلهـا بالحجـاز، فلو كـانت عصبيـة قريش فى بنى‌أميـة، و قريش و سـائر النـاس يعرفون لهم ذلـك و لاـ ينكرونه، مـا بـايع أهـل الشـام لابن الزبير الـذى ليس من بنى‌أميـة و لاـ من بنى عبـد مناف، و ما بايعته قريش بالحرمين.

ابن تيمية

كان ابن تيمية ممن نهجوا نهج القاضـى ابن العربى فى موقفهم من الامام الحسين، و من ثم نراه يحاول فى الوصية الكبرى، و فى رأس الحسـين، و فى منهاج السـنة، و فى المنتقى من منهاج الاعتدال الذى اختصـر فيه الذهبى كتاب منهاج السـنة، حاول ابن تيمية أن ينفى

عن يزيد بن معاوية ما عرف عنه من شربه الخمر، و مقارفته الآثام، و وصفه بالشجاعة و الكرم، و أن الامام الحسين عندما خرج الى العراق أشار عليه أفاضل أهل العلم و الدين بعدم الخروج، و هم بذلك قاصدون نصيحته، طالبون لمصلحته و مصلحة المسلمين، و الله و رسوله انما يأمر بالصلاح لا- بالفساد، لكن الرأى يصيب و يخطىء، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، اذ لم يكن فى الخروج مصلحة لا فى دين و لا فى دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حتى قتلوه مظلوما شهيدا، و كان فى خروجه و قتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد فى بلده، فان ما قصده من تحصيل الخير و دفع الشر لم يحصل منه شىء، بل زاد الشر بخروجه و قتله و نقص الخير بذلك و صار سببا لشر عظيم، و كان قتل الحسين مما أوجب الفتن، ثم ينتهى الى تبرئة يزيد من مسئولية الجريمة الشنعاء، اذ يقول: انه لم يأمر بقتل الحسين و لا [صفحه ۲۸۶] أظهر الفرح بهلاكه، و لكن أمر بدفعه عن الأمر و لو بقتله، و أنه لم يظهر الرضى بقتل الحسين، و أنه أظهر الألم لقتله، و الله أعلم بسريرته، و قال فى ابن‌زياد: أما أنه لو كان بينه و بين الحسين رحم لما قتله، و قد علم أنه لم يأمر بقتله ابتداء، لكنه مع ذلك ما انتقم من قاتليه و لا عاقبهم على ما فعلوا، اذا كانوا قتلوه لحفظ ملكه، و لو قام بالواجب فى الحسين و أهل بيته، رضى الله عنهم أجمعين، و أما عن سبى نساء الحسين، فقد نفى ابن تيمية ذلك، و قال: ما استحلت أمة محمد صلى الله عليه و سلم سبى هاشمية، و انما قاتلوا الحسين خوفا منه و من أن يزيل عنهم الملك، فلما استشهد فرغ الأمر، و بعث بآله الى المدينة.و هكذا يبدو من كتابات ابن تيمية أنه انما يحاول أن يخطىء الامام الحسين فى الخروج الى الكوفة، لأن هذا الخروج فى رأيه، لم يكن فيه مصلحة دينية أو دنيوية، و انما مكن الطغاة من قتله، و لو قعد الامام الحسين فى بيته ما قتل، بل زاد الشر بخروجه و قتله الذى أوجب الفتن، و أن يزيد بن معاوية برىء من مسئولية قتل الامام الحسين، فهو لم يأمر بقتله، و لا أظهر الفرح به، و ان كان قد أمر بدفعه عن الأمر، و لو بقتاله، و أنه قال فى ابن‌زياد، لو كان بينه و بين الامام الحسين رحم ما قتله، لكن يزيد، مع ذلك، لم ينتقم من قاتلى الامام الحسين و لا- عاقبهم، لأنهم قتلوه لحفظ ملكه الذى خافوا عليه من الامام الحسين، ثم ينفى سبى نساء آل البيت، لأن قتال الامام الحسين انما كان خوفا من أن يزيل عنهم الملك، فلما قتلى انتهى الأمر.هذا و قد أخطأ ابن تيمية فى عدة أمور، منها (أولا) أن خروج الامام الحسين من المدينة الى مكة ثم الى الكوفة، كما أشرنا مرارا، انما كان لأن الامام افتقد الأمان، و لأنه خشى أن يستباح البلد الحرام بسببه، و لأن يزيد كان سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، و هى بيعة كان يراها الامام الحسين اثما، و أن الناصحين له بالبقاء فى مكة كانوا يعلمون أنه على صواب فيما أبداه من أسباب للخروج، و قال ابن عباس «و كان هذا الذى سلى نفسى عنه»، و لست أدرى ماذا يريد ابن تيمية من الامام الحسين فى حالة بقائه و عدم خروجه، الا أن يبايع يزيد [صفحه ۲۸۷] أو يقتل، و كلا الأمرين لم يقبلهما الامام، و أيهما أفضل للامام الحسين أن يقتل شهيدا فى ميدان الجهاد أو يقتل صبرا فى مكة أو المدينة، ثم ان ابن تيمية نفسه يقول فى رسالته «رأس الحسين»، و لما كان الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، و كان قد ولدا بعد الهجرة فى عز الاسلام، و لم ينلهما من الأزدى و البلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله به من الابتلاء ليرفع درجاتهما، و ذلك من كرامتهما عليه، لا من هوانهما عليه، كما أكرم حمزة و جعفرا و عليا بالشهادة.و منها (ثانيا) أن ابن تيمية يحاول تبرئة يزيد من شرب الخمر، و مقارفته للآثام، فضلا عن وصفه بالشجاعة، غير أن الروايات التاريخية لم تجمع على شىء كاجماعها على ادمانه الخمر و شغفه بالملذات و توانيه عن العظائم، و ليس من المقبول أن يكون كل ذلك اختلافا و اختراعا من الأعداء لأن الناس لم يختلقوا مثل ذلك على أبيه معاوية أو عمرو بن العاص، و هما بغيضان أشد البغض الى أعداء الأمويين، كما أن الذين حاولوا ستره من خدام دولته لم يحاولوا الثناء على مناقب فيه تحل عندهم محل مساوئه و عيوبه، هذا الى أن يزيد، على فرط ولعه بالطراد حين يكون الطراد لهوا و فراغا، كانت همته الوانية تفتر به عن الطراد حين تتسابق اليه عزائم الفرسان فى ميادين القتال، و لو كان دفاعا عن دينه و دنياه، هذا الى أن قصة تثاقله و تمارضه حين سير أبوه جيشا الى القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف، لغزو الروم، بل و شماتته بهذا الجيش حين امتحن فى طريقه ببلاء الجوع و المرض، معروفة فى كتب التاريخ، حتى اضطر أبوه أن يقسم ليلحقن بالجيش ليدرأ عنه عار النكول و الشماتة بجيش المسلمين، ثمان يزيد اشتهر كذلك باللهو بفهوده و قروده حتى لقب «يزيد القرود»، بل ان الأجماع يكاد

ينعقد على أن يزيد كانت تنقصه كل مقومات الرجل المناسب ليكون خليفة للمسلمين، و فى مكان أبى‌بكر و عمر و عثمان و على، رضى الله عنهم، ثم ان ابن تيمية نفسه فى رسالته «رأس الحسين» و فى «منهاج السنة» يقول: و يزيد بن معاوية قد أتى أمورا منكرة، منها وقعة الحرة، و قد جاء فى الصحيح عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم قال «المدينة حرم ما بين عاثر الى كذا، من [صفحه ۲۸۸] أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا» و قال صلى الله عليه و سلم «من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح فى الماء» و لهذا قيل للامام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد، فقال لا، و لا كرامة، أو ليس هو الذى فعل بأهل الحرة ما فعل» و قيل له يوما: ان قوما يقولون: انا نحب يزيد، فقال: و هل يحب يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر، فقيل: فلماذا لا تلعنه، فقال (أى لولده) و متى رأيت أباك يلعن أحدا»، و جاء فى المنتقى: سأل مهنا أحمد بن حنبل عن يزيد، فقال يا بنى: هو الذى فعل ما فعل، و قال له ولده صالح: ان قوما ينسبوننا الى تولى يزيد، فقال يا بنى، و هل يوالى يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر، فقال لم لا تلعنه، قال و كيف لا العن من لعنه الله، قال تعالى (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنه الله فأصمهم و أعمى أبصارهم) «محمد آية ۲۳ - ۲۲» فهل يكون فساد أعظم من نهب المدينة و سبى أهلها و قتل سبعمائة من قريش و الأنصار، و قتل عشرة آلاف ممن لم يعرف من عبد أو حر، حتى وصلت الدماء الى قبر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثم ضرب الكعبة بالمنجنيق و هدمها و حرقها، و قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «ان قاتل الحسين فى تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل النار»، و قال صلى الله عليه و سلم: «اشتد غضب الله و غضبى على من أراق دم أهلى و آذانى فى عترتى».هذا و قد جوز لعن يزيد كذلك أبو يعلى بن الفراء و ابن الجوزى و الكياقرين الغزالى و سعدالدين التفتازانى و غيرهم، و بعضهم بالغ فكفره، كما ذكر ابن حجر فى الصواعق و الألوسى فى تفسيره، و قال التبانى فى «تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى» لم يختلف اثنان فى فسق يزيد و ظلمه، و انما اختلفوا فى كفره، و فى جواز لعنه، قال ابن حجر فى صواعقه: اعلم أن أهل السنة اختلفوا فى تكفير يزيد بن معاوية: فقالت طائفة انه كافر، و قالت طائفة ليس بكافر، لأن الأسباب الموجبة للكفر لم يثبت فيها عندنا شىء، و الأصل بقاؤه على اسلامه حتى يعلم ما يخرجه عنه، و يقول ابن تيمية: و مذهب أهل [صفحه ۲۸۹] السند و الجماعة أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، و لا بمجرد التأويل، بل الشخص الواحد اذا كانت له حسنات و سيئات، فأمره الى الله تعالى، و روى السيوطى فى تاريخ الخلفاء: و كان سبب خلع أهل المدينة ليزيد أنه أسرف فى المعاصى، و أخرج الواقدى أن عبدالله بن حنظلة الغسيل قال: و الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، انه رجل ينكح أمهات الأولاد و البنات و الأخوات و يشرب الخمر، و يدع الصلاة، و قال الذهبى: و لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شربه الخمر و اتيانه المنكر، اشتد عليه الناس و خرج عليه غير واحد، و لم يبارك الله فى عمره، و قال عنه ابن كثير «و كان فيه اقبال على الشهوات و ترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات، و اماتتها فى أغلب الأوقات»، ثم أفاض بعد ذلك فى الأحاديث الدالة على ذم يزيد، ثم قال «و أكثر ما نقم عليه فى عمله شرب الخمر و اتيان بعض الفواحش، و قد أخطأ يزيد خطأ فاحشا فى قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، و هذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم الى ذلك من قتل خلق من الصحابة و أبنائهم، و قد تقدم أنه قتل الحسين و أصحابه على يدى عبيدالله بن زياد، و قد وقع فى هذه الثلاثة الأيام من المفاسد العظيمة فى المدينة النبوية ما لا يحد و لا يوصف، مما لا يعلمه الا الله عزوجل، و قد أراد بارسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه و ملكه و دوام أيامه من غير منازع، فعاقبة الله بنقيض قصده، و حال بينه و بين ما يشتهيه فقصمه الله قاصم الجبابرة، و أخذه أخذ عزيز مقتدر»، و قال الذهبى فى ميزان الاعتدال فى أسماء الرجال: يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، مقدوح فى عدالته، ليس بأهل أن يروى عنه، قال أحمد بن حنبل: لا ينبغى أن يروى عنه، و أقره الحافظ بن حجر فى لسان الميزان.و منها (ثالثا) أن ابن تيمية يحاول تبرئة يزيد من جريمة مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها آل البيت الطاهرين، و على رأسهم الامام الحسين، و لقد أثبتنا من قبل ادانة يزيد عن هذه الجريمة النكراء، بالأدلة العقيلة و النقلية، هذا فضلا عن قل ابن تيمية نفسه «أنه لم يأمر بقتل الحسين و لا أظهر الفرح بهلاكه، و لكن أمر [صفحه ۲۹۰] بدفعه عن الأمر، و لو بقتاله، و آخر قول ابن تيمية ينقض

أوله، فأى أمر هـذا الـذى أمر يزيد بدفع سيد شباب أهل الجنة، و لو بقتاله، و أى خطر هذا الذى حفزه لاصدار هذا الأمر، أهو خروج الامام الحسين من مكـة فارا من الذل و الارغام، فى حفنة من الناس لا يزيد عددها عن بضعة و سبعين شخصا، نصفهم من النساء و الأطفال، و هل هذه هى القوة التى يخشاها يزيد على دولته المترامية الأطراف حتى جعل كل همه التدبير لدفعها و القضاء عليها، ثم ان ابن تيمية نفسه يقول: فلما أراد الامام الحسين الرجوع أدركته السرية الظالمة، فطلب أن يذهب الى يزيد (و هذا ما نرفضه)أو يذهب الى الثغر أويرجع الى بلده، فلم يمكنوه من ذلك حتى يستأسر لهم، و لكن هو، رضى الله عنه، أبى أن يسلم نفسه، و على أن ينزل على حكم ابن‌زياد، فقاتل حتى قتل شهيدا مظلوما، و مع ذلك فربما لم يأمر يزيد صراحة بقتل الامام الحسين، و لكنه، باعتراف ابن تيمية، أمر بقتاله، و قتال الامام الحسين، مع الفارق الشاسع فى العدد و العدة بينه و بين مقاتليه، معناه قتله دون شك، بل معناه الاصرار على قتله، فكيف و قد ثبت بعد ذلك أن يزيد لم يغضب لمقتل الامام الحسين، عليه‌السلام، و لم يؤاخذ ابن زياد على فعلته المنكرة، بل أبقاه فى ولايته على المصرين الكوفة و البصرة)، و زاده انعاما عليه، و قربا منه، و يعلل ابن تيمية نفسه لذلك بأن الطغاة قتلة الحسين انما قتلوه لحفظ ملك يزيد، ثم قال يزيد عن ابن‌زياد: أما أنه لو كان بينه و بين الحسين رحم ما قتله، و هذه الجملة هى التى يكررها المدافعون عن يزيد و آل أبى‌سفيان جميعا، و لكنهم فى حمية الدفاع عن يزيد يتناسون أن هذه الجملة بالذات انما تدين تصرفات معاوية والد يزيد فى استلحاقه زياد بنسب أبى‌سفيان، و التى جعلها الحسن البصر، رضى الله عنه، واحدة من موبقات معاوية الأربعة.و منها (رابعا) أن نفى ابن تيمية سبى نساء بيت النبى صلى الله عليه و سلم بعد مذبحة كربلاء، انما يعارضه أن معظم الروايات تجمع على أن ابن زياد لما قضى نهمة كيده من الطواف برأس الامام الحسين فى الكوفة و أرباضها، أنفذ رأسه و رأس [صفحه ۲۹۱] أصحابه الى دمشق مرفوعة على الرماح، و أرسل معهم النساء و الصبيان على الأقتاب، و أمر بعلى زين‌العابدين بن الحسين فغل بغل الى عنقه ثم أدخل على زين‌العابدين على يزيد، ثم دعى بالنساء و الأطفال فى هيئة قبيحة، و تقص علينا السيدة فاطمة أخت الامام الحسين (و ابنته فى روايات أخرى) حكايتها، كما رواها ابن كثير فى البداية و النهاية، فتقول: ان رجلا من أهل الشام أحمر، قام الى يزيد فقال يا أميرالمؤمنين هب لى هذه - يعنينى، و كنت جارية وضيئة، فارتعدت فزعة من قوله، و ظننت أن ذلك جائز له، فأخذت بثياب أختى زينب، و كانت أكبر منى و أعقل، و كانت تعلم أن ذلك لا يجوز، فقالت للرجل: كذبت و لؤمت، ما ذلك لك و لا له، فغضب يزيد فقال لهما: كذبت و الله ان ذلك لى، و لو شئت أن أفعله لفعلت، قالت كلا و الله ما جعل الله لك ذلك الا أن تخرج من ملتنا و تدين بغير ديننا، قالت فغضب يزيد و استطال، ثم قال ايای تستقبلين بهذا، انما خرج من الدين أبوك و أخوك، فقالت زينب: بدين الله و دين أبى و دين أخى و جدى، اهتديت أنت و أبوك و جدك، قال كذبت يا عدوة الله، يا عدوة الله، قالت أنت امير مسلط تشتم ظالما و تقهر بسلطانك، قالت فو الله لكأنه استحى فسكت، ثم قام ذلك الرجل فقال هب لى هذه، فقال له يزيد: أغرب وهب الله لك حتفا قاضيا»، و بدهى أن هذا النذل الشامى الحقير، لو رأى حفيدة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى الهيئة التى يجب أن تكون عليها سليلة بيت النبوة، سادة الناس فى الجاهلية و الاسلام، ما طمع جلف حقير فى سليلة هاشم، و حفيدة محمد صلى الله عليه و سلم و ابنة الزهراء و الامام على، و أخت الحسن و الحسين، و لو كان عند يزيد و صاحبه الخبيث أى فقه بالدين و علم بالاسلام لعرف أن نساء المسلمين لا- يصح أبدا اعتبارهم سبايا و معاملتهم معاملة السبى فى الحروب، فما بالك ببنت نبى المسلمين، و سيدة سيده يزيد و آل يزيد جميعا، و كل رجال يزيد و نسائهم، ثم ان قصة يزيد مع رأس الامام الحسين حين أخذ ينكث ثغر مولانا الامام الحسين، سبط النبى و ريحانته و سيد شباب أهل الجنة، و طبقا لرواية الطبرى و ابن كثير و غيرهما، فلقد أنكر الصحابى الجليل أبو برزة الأسلمى هذا العمل القبيح، فقال ليزيد [صفحه ۲۹۲] مغضبا: أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين، أما و الله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذا، لقد رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يرشفه، أما انك يا يزيد تجىء يوم القيامة و ابن زياد شفيعك، و يجىء هذا يوم القيامة و شفيعه محمد صلى الله عليه و سلم»، ثم قام فولى.

الدكتور شعوط

وقف الشيخ الدكتور ابراهيم شعوط فى كتابه «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» «جدة ۱۹۸۳» موقفا عجيبا من قضية الامام الحسين نلخصه فيما يأتى:۱- يقول الدكتور شعوط ان من يدرس مأساة قتل الحسين بقلبه و عواطفه و يسترسل فيها متأثرا بوجدانه، يعيش فى ظل الاحساس بأن الحسين رضى الله عنه حفيد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أمه فاطمة بنت سيد الخلق، و من الحسين كانت صفوة آل البيت الذين يقول الله فيهم (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)، و من ثم يجد نفسه منفعلا بالعاطفة لآل البيت، فلا يسمع لخصومهم و لا يقبل دفاعا أو عذار يبرر قتل الحسين، و نحن مع تعاطفنا معهم، غير أن التاريخ لا يدرس بالعاطفة، و انما بميزان العقل و المنطق، و من ثم يجب أن نتناسى أن الحسين حفيد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أنه منه بالمنزلة التى يعرفها المسلمون جميعا، ثم نتحدث عن القضية التاريخية، بوصفها حدثا من الأحداث التى تقاس بمقاييس البشر فى حل مشاكلهم.و العجيب فيما يقوله صاحب الأباطيل أنه انما يتخذ مقدمات خاطئة، ليصل عن طريقها الى نتائج أكثر خطأ، ذلك لأنه انما يريد أن يبعد عن القضية أهم مقوماتها، لأن المزية الأولى التى يجب توكيدها للامام الحسين، كما يقول الأستاذ العقاد، هى مزية نسبه الشريف و مكانه من محبة النبى صلى الله عليه و سلم، ذلك لأن المؤرخ الذى يكتب عن هذه القضية قد يكون عربيا مسلما أو يكون من غير العرب و من غير المسلمين، و لكنه يخطىء دلالة الحوادث التاريخية اذا استخف بهذه المزية التى هى أحق مزايا الامام الحسين بالتوكيد فى الصراع بينه و بين يزيد بن معاوية بن أبى‌سفيان، فليس المهم أن يؤمن المؤرخون بقيمة ذلك [صفحه ۲۹۳] النسب الشريف فى نفوسهم أو قيمته فى علوم العلماء و أفكار المفكرين، و لكن المهم أن أتباع يزيد كانوا يؤمنون بحق ذلك النسب الشريف فى الرعاية و المحبة، و أنهم مع هذا غلبتهم منافعهم على شعورهم، فكانوا من حزب يزيد، و لم يكونوا من حزب الحسين، فلولا هذه المزية فى الامام الحسين لما وضح الصراح بين الأريحية و النفعية عند الفريقين، و لا كان المصطرعون هنا و هناك من مزاجين مختلفين، و لا كان للمعركة كلها تلك الدلالة التى كشفت النفى الانسانية فى جانبين منها قويين، يتنازعان حوادث الأمم و الأفراد من زمان بعيد، و سيظلان على نزاعهما هذا الى زمان بعيد، و لقد كان الامام الحسين، بمزية النسب الشريف، أحب انسان الى قلوب المسلمين، و أجدر انسان تنعطف اليه القلوب، لما ورد فيه من الأحاديث النبوية الشريفة التى تبين فضله، و تحض المسلمين على مودته، و تنفر من بغضه، بل و تعلن بوضوح أن حب الحسين من حب جده النبى صلى الله عليه و سلم و بغضه من بغضه.روى الامام أحمد و الطبرانى عن أبى هريرة قال: نظر رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى على و الحسن و الحسين و فاطمة، صلوات الله عليهم فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، و روى الامام أحمد و الترمذى عن على أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أخذ بيد الحسن و الحسين فقال: «من أحبنى و أحب هذين و أباهما و أمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»، و روى الأمام أحمد و الحاكم و أبونعيم و الدولابى و الطبرانى بطرق مختلفة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى‌نم قال سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ان الحسن و الحسين هما ريحانتاى من الدنيا»، و فى الواقع فلقد ذهب الحسين و أخوته بكل ما فى قلب النبى صلى الله عليه و سلم من محبة البنين،حتى روى أنه صلى الله عليه و سلم خرج من بيت غائشة يوما، فمر على بيت فاطمة، فسمع حسينا يبكى فقال «ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى» و أخرج الامام أحمد و ابن ماجة و الهيثمى عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى، يعنى حسنا [صفحه ۲۹۴] و حسينا» و أخرج الامام أحمد و أبوداود و الترمذى و النسائى و ابن ماجة و ابن حبان بسنده عن عبدالله بن بريدة قال سمعت أبى يقول: كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين، و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران، فنزل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قاله صدق الله و رسوله «انما أموالكم و أولادكم فتنة» نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما».و انطلاقا من كل هذا، فاذا كان الاسلام عند المسلم هداية نفس، فهو عند الامام هداية نفس، و شرف بيت، و من ثم فلقد أخطأ صاحب الأباطيل عند ما أراد أن يبعد

مزية النسب الشريف للامام الحسين فى هذه القضية، فالحسين هو سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، ثم هو ابن فاطمة الزهراء بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثم هو ابن الامام على، و بالتالى فمن الخطأ أخذ القضية على أنها حدث تاريخى عادى بين البشر، تقاس بمقاييس البشر فى حل مشاكلهم، ثم و هل يمكن فهم القضية، فهما صحيحا، اذا ما وضعنا الامام الحسين و أهدافه فى كفة ميزان، مع يزيد، الذى أتعب الدكتور شعوط نفسه فى الدفاع عنه، و أهدافه، و هل يمكن أن يقارن أحد الخصمين بالآخر، و بالتالى تقارن أهدافهما بعضها بالبعض الآخر، مع مزية النسب الشريف، و مكانة الامام الحسين من جده النبى صلى الله عليه و سلم و من هنا رأينا الدكتور شعوط يفعل ذلك و ما كنا نرجو له أن يفعل و هو أستاذ كبير.۲- يرى الدكتور شعوط أن كتب أهل الكوفة و ردت للحسين بعد موت معاوية يلتمس منه الحضور لمبايعته بالخلافة، و قد بذلوا فى هذه الكتب من العبارات الخلابة و الكلمات المغرية التى أخذت بقلب الحسين فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل يمهد له الأمور هناك، ثم أخذ يستشير الناس فى أمر ذهابه للكوفة، لا لينزل على مشورتهم، و انما ليستطلع رأيهم و يعلمهم أنه ذاهب الى العراق حتما، و قد أجمعوا بعدم الذهاب الى الكوفة، و منهم ابن الحنفية و ابن عباس و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام و ابن جعفر و الفرزدق و ابن مطيع. [صفحه ۲۹۵] و لنا قبل الرد على صاحب الأباطيل ملاحظتان، أولهما أنه لم يكن دقيقا فى نقله، و ثانيهما أنه لم يتعرض للأسباب الحقيقية لخروج الامام الحسين، ثم نرى بعد ذلك أن الدكتور شعوط لم يكن على صواب فى أمور منها (أولا) قوله أن أهل العراق بذلوا فى كتبهم من العبارات الخلابة و الكلمات المغرية التى أخذت بقلب الحسين فأرسل اليهم ابن عمه مسلم يمهد له الأمور هناك، فهذا الأسلوب لا يليق مع الامام الحسين، فلقد صوره الشيخ و كأنه شغوف بالخلافة و أنه أرسل ابن عمه ليمهد له طريقها، و هذا غير صحيح لأن مهمة مسلم انما كانت للتعرف على أحوال أهل الكوفة، و ليس ليمهد له أمر الخلافة: اذ يقول الامام الحسين لأهل الكوفة «و قد بعثت اليكم أخى و ابن عمى و ثقتى من أهل بيتى»، و أمرته أن يكتب الى بحالكم» كما جاء فى الطبرى، هذا فضلا عن أن الامام الحسين، كما قلنا من قبل مرارا، انما خرج لأنه افتقد الأمن و الأمان فى المدينة ثم فى مكة، فقد هدد فى المدينة بالقتل ان لم يبايع ليزيد، الأمر الذى رفضه من قبل على أيام معاوية، لأنه كان يراه اثما، فان بايع ليزيد غش نفسه و خان ضميره، و خالف عن دينه، و ما كان و لن يكون لسبط النبى صلى الله عليه و سلم أن يفعل ذلك، و من ثم فقد خرج الى مكة اباء للذل، و نجاة من الارغام و القتل.و منها (ثانيا) أن أهل الكوفة قد سبق أن كتبوا له عقب وفاة أخيه الامام الحسن يدعونه الى الخروج على معاوية، و لكنه أبى هذا الخروج لأنه عاهد معاوية على المسالمة، و قال لأنصاره الذين حرضوه على خلع معاوية أن بينه و بين الرجل عهدا و عقدا، لا يجوز نقضه حتى تمضى المدة، بل انه حذر أخاه ابن الحنفية من الاصغاء اليهم و الاطمئنان لهم و قال له «ان القوم انما يريدون أن يأكلوا بنا، و يستطيلوا بنا، و يستبطوا دماء الناس و دماءنا»، و منها (ثالثا) أن أهل الكوفة كتبوا مرارا الى الامام الحسين بعد موت معاوية، حتى بلغت كتبهم المئات، و أرسلوا اليه رسلهم متتابعين، و لكنه لم يأبه بهم، و ظل أمينا لعهد الى أن رأى يزيد يبعث البعوث لمقاتلة ابن الزبير و أخذه دون مبالاة بحرمة البلد الحرام و البيت الحرام، و أقسم ألا- يرضى حتى يحمل اليه ابن الزبير فى جامعة [صفحه ۲۹۶] يقاد اليه كما يقاد الأسير، و من ثم فقد شعر الامام بالخطر على حياته و على البلد الحرام من قوم لا- يرعون للنبى حرمته فى أهله، و لا- للبلد الحرام و لا للبيت للحرام.و منها (رابعا) أن الامام الحسين لم يستشر الناس فى أمر ذهابه الى الكوفة، كما يقول الشيخ شعوط، و انما الذى حدث أن بعض المخلصين من الصحابة و التابعين حين علموا باعتزامه الخروج الى الكوفة تتابعوا فى القدوم عليه، يناشدونه عدم الالتجاء الى قوم لا عهد لهم و لا ميثاق، و قد شرح لهم الامام وجهة نظره من أن الخطر محقق بالنسبة اليه و الى البلد الحرام و البيت الحرام، اذا لم يخرج، و محتمل ان خرج، و قد أشرنا من قبل الى رده على ناصحيه بعدم الخروج، حتى أنه قال للفرزدق «لو لم أعجل لأخذت»، و قال لابن عباس «لأن أقتل فى مكان كذا و كذا، أحب الى من أن أقتل بمكة و تستحل بى» و قد أقره ابن عباس على رأيه فى الخروج و قال «فكان هذا الذى سلى نفسى عنه»، و ان فضل ابن عباس الخروج الى اليمن، لأن «بها حصونا و شعابا، و لأبيك بها شيعة»، و من ثم فلست أدرى كيف تجاهل الشيخ شعوط كل تلك الحقائق، و لم ير سوى ان الامام الحسين خرج باغراء كتب أهل العراق، و ما بها من العبارات الخلابة و

الكلمات المغريـة التى أخـذت بقلبه، فأرسل اليهم ابن عمه ليمهـد له الأمور، كما انى، علم الله، لا أدرى كيف توصل الشيخ الى هـذه النتيجـة العجيبـة، مع أن الشواهـد كلهـا، كمـا جاءت فى المصادر، تشير الى غير ما ذهب اليه، فضـلا عن شـعور الامام الحسين بتفاهم الخطر حوله، فاضـطر الى التعجيل بالخروج من مكـة قبل أن يتم شـعائر الحـج، خوفا من أن يؤخـذ، و حرصا على البلـد الحرام و البيت الحرام أن تستحل به حرمتها.٣ - تحدث الدكتور شـعوط عن مسـئولية قتل الامام الحسين، و بعد أن قدم عدة تساؤلات، قال: «و نحن بعـد أن درسـنا القضـية بعيدا عن انفعالاتها، و أوردنا النصوص التى يعتمد عليها الدارس، كمادة يسـتنبط منها الحكم، نرى أن المعابير العادية و القوانين التى تواضع عليها الناس لا تصلح أن تكون أساسا [صفحه ۲۹۷] لادانة أحد الطرفين و لا طريقا لانصافه، و انما نعالج القضـية بأسـلوب آخر، غير الأسـلوب الـذى تعارف عليه القضاة و المؤرخون، و هو أن نبحث موقف الحسـين بكل اعتباراته، و موقف يزيـد بكل مبرراته، فيتضـح لنا أن موقف أحدهما كان طبيعيا، و موقف الآخر غير طبيعى، ثم توصل الشـيخ شـعوط الى عدة نتائج:منها (أولا) أن يزيد بن معاوية خليفة بايعه المسلمون فى العاصمة الكبرى للمسلمين، و هى دمشق التى حلت محل المدينة، و أهلها يقومون الآـن مقـام أهـل الحـل و العقـد من المهـاجرين و الأنصـار، ثم بـايعه كـل الأمصـار، و فيهم ابن عباس و ابن عمرو ابن الحنفيـة، و كل المقربين من آل البيت، و لم يخرج عليه سوى قلـة من المسـلمين، فأصـبحت بيعته قـد انعقـدت شـرعا و التزم بهـا المسـلمون»، غير أن الـدكتور شـعوط لم يحدثنا كيف تمت هذه البيعة، و مرة أخرى انه يتخذ مقدمات خاطئة ليصل منها الى نتائج أكثر خطأ، و قد تحدثنا من قبل عن بيعـة يزيـد، و كيف أن الامام الحسن عنـدما تنازل لمعاويـة، انما اشترط أن لا يعهـد لمعاويـة بالأمر لأحـد من بعـده، و أن معاويـة عرض على الاسـلام أن يكون له الأمر من بعـده، و ان رأى بعض العلماء أن الامام الحسن قد رفض ذلك، و اشترط أن تكون الخلافـة بعـد موت معاويـة شورى بين المسـلمين يختارون لها من أحبوا، غير أن معاويـة أراد أن يحول الاسـلام الى ملك عضوض، و مزرعة أموية، فتقض عهده و بايع لولده يزيد، و هكذا كشف معاوية بعمله هذا أحد وجوه القضـية الجليلة التى قاتل الامام على دونها، هذا الوجه المتمثل فى أن لا تصـير خلافة المسلمين الى طلقاء بنىأمية أبدا، و أن تظل فى الصالحين الأولين من المهاجرين و الأنصار، و هكـذا نشأت بيعـة يزيـد فى مهـد الـدس و التملق، و لم يجسـر معاويـة عليها حتى شـجعه عليها من له مصـلحة فى ذلك التشـجيع، و سرعان ما سـخر معاويـة كل امكانات الدولـة فى اتمام البيعـة ليزيـد، نابدا الشورى و راء ظهره، فهو لم يؤامر الأمة فيما اختار لخلافتها، على أى نحو من المؤامرة، و انما شاور قوما من خاصته و الطامعين فى سلطانه، فكلهم أغراه بذلك و حببه اليه، و لم يسـتطع أحد من خاصـة الناس و لا من عامتهم أن ينكر على معاوية مما [صـفحه ۲۹۸] أراد شـيئا، كل ذلك مع اشتهار يزيد بفسقه و فجوره، فى وقت كان ابن رسول‌الله صـلى الله عليه و سـلم الامام الحسـين علما خفاقا على ظهر الأرض، يتحنى الناس امامته، غير أن معاوية لم يستطع أن يقنـع أربعـة نفر من قريش ببيعـة يزيـد هم الامـام الحسـين و عبـدالله بن عمر و عبـدالرحمن بن أبىبكر، و عبـدالله بن الزبير و زاد فريق عبـدالله بن عباس، لم يبلغ منهم معاويـة شـيئا بالوعـد و الوعيـد، صارحه بعضـهم بعـدم البيعـة ليزيد، و التوى عليه بعضـهم الآخر، لكنه اسـتكره هؤلاء النفر على الصمت، بعد أن لم يستطع أن يستكرههم على البيعة، الأمرالذى ناقشناه من قبل.فهل هذه هى البيعة التى يريد الكتور شعوط أن يقنعنا أنها قد انعقدت شرعا، و التزم بها المسلمون، بعد أن بايع المسلمون يزيد فى دمشق التى حلت محل المدينة، و أصـبح أهلها يقومون مقام أهل الحل و العقـد من المهاجرين و الأنصار، لست أدرى، هل حقا أن الشـيخ يزيـد أن يعتقد ذلك، و على أى حال، فهذا رأيه.و منها (ثانيا) يقول الشـيخ شـعوط فى نتيجته الثانية: كان رأى الدين قد اتضح فى هذه البيعة، على لسان عبدالله بن عمر، الـذى جمع حشـمه و ولـده، حينمـا علم أن أهـل المدينـة خلعوا يزيـد، و قال لهم: سـمعت رسول‌الله صـلى الله عليه و سـلم يقول «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامـة»، و انا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله و رسوله، و انى لا أعلم غدرا من أن نبايع رجلا على بيع الله و رسوله ثم ننصب له القتال، و انى لا أعلم أحـدا منكم خلعه و لا بايع فى هـذا الأمر، الا كانت الفيصل بنى و بينه»، و هكذا انتشـر بين جماهير المسـلمين، الـذين ليس لهم هوى أو مصـلحة، أن الخروج على الامام تفريق لصـفوف الأمـة و صـدع لبنيانها و تردد على أفواه النـاس حـديث رسول‌الله صـلى الله عليه و سـلم «انه سـتكون هنات و هنات، فمن أراد أنه يفرق أمر هـذه الأمـة، و هى جميع، فاضـربوه

بالسيف كائنا من كان».هذا و قد أخطأ الشيخ شعوط فى أمرين الواحد: قوله ان رأى الدين الذى يزعم أنه قد اتضح فى هذه البيعة على لسان ابن عمر، عندما علم أن أهل المدينة خلعوا يزيد، و لعل الشيخ نسى أو تناسى أن قول ابن عمر هذا، انما كان [صفحه ۲۹۹] بعد استشهاد الامام الحسين فى مذبحة كربلاء فى العاشر من المحرم عام ۶۱ ه، و أن ثورة المدينة، التى تحدث عنها ابن عمر انما كانت فى أخريات عام ۶۳ ه، أى بعد قرابة ثلاثة أعوام من استشهاد الامام الحسين و آل البيت الطاهرين، و من ثم فرأى ابن عمر انما جاء بعد مذبحة كربلاء، أو أنه لم يقال الا بعد استشهاد الحسين بسنوات ثلاث تقريبا، و الآخر: أن ابن عمر و غيره ممن بايعوا يزيد، انما قد أصبح ليزيد فى عنقهم بيعة، و لكن الأمر بالنسبة للامام الحسين جد مختلف، فهو لم يبايع يزيد أبدا، سواء فى حياة معاوية أو بعد تولية يزيد، و بالتالى فلم يكن ليزيد بيعة فى عنقه، بل ان خروج الامام الحسين الى الكوفة انما كان حتى لا يرغم الامام على بيعة يزيد.و أما الجزء الخاص بأن الخروج على الامام تفريق لصفوف الأمة... ألخ» فلست أدرى ماذا يريد صاحب الأباطيل من وراء هذه الفقرة، فهو كالعادة، لا يبدى رأيه بوضوح، فهل يعنى أن الامام الحسين انما خرج لتفريق وحدة الأمة، ان كان ذلك كذلك، فلقد قلنا مرارا و تكرارا، أن الامام الحسين انما خرج لافتقاده الأمن و الأمان فى المدينة ثم فى مكة،و خوفا من أن يستباح البلد الحرام و البيت الحرام، و قدمنا الكثير من الأدلة على ذلك، و ليس من المقبول تكرارها كلما أشار مؤرخ الى ذلك، ثم هل كانت هناك وحدة حقا، خرج الامام الحسين ليفرقها، أم أن صفوف الأمة، كما أشرنا من قبل، قد فرقها اغتيال الفاروق ثم ذى النورين ثم خروج معاوية على الامام على، ثم ماذا يعنى الشيخ بجماهير المسلمين الذين ليس لهم هوى و لا مصلحة، ثم ماذا يعنى بذكر الحديث الشريف، و هل هو يقول برأى ابن العربى الذى استهجنه علماء المسلمين، و أن الامام الحسين قتل بسيف جده، كما يزعم ناس ممن تعرضوا لهذا الموضوع، و قد ناقشنا ذلك من قبل.و منها (ثالثا) يقول الشيخ شعوط فى نتيجته الثالثة: «لما جاءت كتب أهل الكوفة الى الحسين و هم بالخروج ليعلن الحرب على يزيد، أدرك كل المحيطين بالحسين خطر هذه المغامرة، و أعلنوا عدم ثقتهم فى قوم خذلوا أباه و أخاه، ثم [صفحه ۳۰۰] أكدوا له أنه يلقى بنفسه الى التهلكة، و يدخل فى مغامرة ضارة و خاسرة، و مضمون هذا النصح و هذا الاصرار و الالحاح هو الحرص على عدم وصف الحسين بالخروج على الامام، أو أن يكون سببا فى تفريق أمر الامة بعد ما اجتمع، فوق حرصهم على حياته و ابقائهم على أولاه و آل بيته.و الحق أن الشيخ تجاوز فى هذه النقطة كل الحدود، فهو ألف كتابه هذا «أباطيل يجب أن تمحو من التاريخ»، فاذا به يأتى فى أباطيله بأباطيل جديدة، لعله لم يسبق اليها من قبل، فلعله أولمن قال ان الامام الحسين خرج «ليعلن الحرب على يزيد» و لعله أول من أطلق على قضية الامام الحسين وصف أو اسم «مغامرة»، و لست أدرى ما هى العوامل التى دفعته الى أن يتطاول على مقام سيد المسلمين فى عصره، سيدنا و مولانا الامام الحسين، سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانته، و سيد شباب أهل الجنة، و من قال فيه جده المصطفى صلى الله عليه و سلم «حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، و من جعل سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حبه علامة على حب النبى صلى الله عليه و سلم و بغضه بغض للنبى صلى الله عليه و سلم، و من كان مجرد بكائه و هو طفل، على كثرة ما يبكى الأطفال الصغار، يوذى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، كما قال صلى الله عليه و سلم للسيدة فاطمة الزهراء «ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى».و مع ذلك فسوف نناقش الشيخ شعوط فى أباطيله التى زعمها على الامام الحسين، فقوله ان خروج الامام الحسين انما كان ليعلن الحرب على يزيد، يكذبه، كما كررنا مرارا، أمور منها أن الامام الحسين خرج من المدينة بعد أن هدد بالقتل من مروان، ان لم يبايع، و ما كان الامام الحسين يقبل تهديدا بالقتل أو يرضى ببعية يرى أنها اثما، و من ثم فقد خرج من المدينة لينجو بحياته و ينقذ دينه و يرضى ضميره، و من ثم رأيناه يردد عند خروجه قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب، قال رب نجنى من القوم الظالمين)، و ما أن وصل مكة حتى أخذ يردد قوله تعالى «و لما توجه تلقاء مرين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل»، و من تلاوة الحسين لهاتين الآيتين الكريمتين، حين خرج من المدينة [صفحه ۳۰۱] و حين وصل مكة ما يبين بوضوح أسباب خروجه من المدينة، و الأمل الذى يرجوه فى مكة، و ما أن سأله أمير مكة عن سبب حضوره اليها حتى قال «انا جئنا عواذا بالبيت».و منها أنه خرج من مكة الى الكوفة حين افتقد الأمن و الأمان فى جوار

البيت الحرام، و فى البلد الحرام، بعد أن تيقن أن طلاب الدنيا لمن يدعوه أبدا، مع أنه لم يقم بأية محاولة من أى نوع، يفهم منها انه يسعى الى الخلافة، أو منازعة يزيد و بقية عصابة الأمويين السلطان، و من ثم فقد اضطر الامام الحسين الى الخروج حتى لا يؤخذ أو تستحل به حرمة البلد الحرام و البيت الحرام، حتى أنه اضطر للخروج يوم التروية، و حتى سأله الفرزدق: بأبى و أمى يا ابن رسول‌الله ما أعجلك عن الحج، فقال له الامام «لو لم أعجل لأخذت»، و عندما نصحه ابن عباس بعدم الخروج، قال الأمام «لأن أقتل فى مكان كذا و كذا، أحب الى من أقتل بمكة و يستحل بى»، و الأمر كذلك بالنسبة لنصيحة ابن الزبير، حيث أجابه الامام «ان أبى حدثنى أن لها، أى مكة، كبشا به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش، و الله لأن أقتل خارجا منها بشبر أحب الى من أن أقتل فيها، و لأن أقتل خارجا منها بشير بن أحب الى من أن أقتل خارجا منها بشير، و أيم الله، لو كنت فى حجر هامة من هذه الهوام لا ستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم، و الله ليعتدين على، كما اعتدت اليهود فى السبت»، و هكذا كان الامام الحسين على يقين من أنه بتصميمه على عدم البيعة ليزيد، انما كان يرى أن المجابهة أمر محتوم، و لم يرد، عليه‌السلام، أن تقع فى البلد الحرام، فهو على بينة من سفالة خصومه، و هو على بينة كذلك من أنهم لن يتورعوا عن هدم المسجد الحرام ذاته، و الكعبة المشرفة ذاتها، اذا اضطرهم القتال لذلك، و قد فعلوها على أيام يزيد نفسه، و على أيام عبدالملك بن مروان، و هكذا فان الامام الحسين لم يأب نصيحة الناصحين عنادا، و انما لأنه كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فان بايع غش نفسه، و خان ضميره، و خالف عن دينه، لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما، و ان لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء. [صفحه ۳۰۲] و منها أن الناصحين للامام الحسين، و ان أكدوا له أن فى خروجه خطرا عليه، و لكنهم لم يقولوا، كما يزعم الشيخ شعوط أنه يدخل فى مغامرة ضارة و خاسرة، فهذه الألفاظ لا يقولها الناصحون للامام الحسين، و لم يقلها الا صاحب الأباطيل، بل اننا نرى، كما أسلفنا، أن ابن‌عباس يقره على الخروج، و لكنه يفضل الخروج الى اليمن، و ليس الى الكوفة.و منها أن ما يزعمه الدكتور شعوط من أن مضمون النصيحة للحسين هو الحرص على عدم وصفه بالخروج على الامام، أو أن يكون سببا فى تفريق أمر الأمة بعد ما اجتمع، فيناقضه أن واحدا من الناصحين لم يتهم الامام الحسين بما اتهمه به الشيخ شعوط، و ان كانت نصيحتهم انما كانت خوفا على الامام من عذر أهل الكوفة فحسب، و رغم أن الشيخ شعوط متأثر الى حد كبير بآراء الشيخ الخضرى، الا أنه هنا يتبنى رأيه حرفيا، ثم منذ متى، كما أشرنا آنفا، اجتمع شمل الأمة منذ مقتل الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم خروج معاوية والد يزيد على الامام العادل سيدنا على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، ثم أليست البيعة ليزيد تفريق لصفوف الأمة، هذا فضلا عن أن القضية التى خرج الامام الحسين حاملا لواءها لمن تكن أبدا، و لن تكون، قضية شخصية تتعلق بحق له فى الخلافة أو ترجع الى عداوة شخصية يضمرها ليزيد، كما أنها لم تكن قضية طموع يستحوذ على صاحبه و يدفعه الى المغامرة التى يستوى فيها احتمال الربح و الخسران، و انما هى قضية أجل أسمى و أعظم، كانت قضية الاسلام و المسلمين و مصيرهما، و اذا صمت المسلمون جميعهم تجاه هذا الباطل الذى أنكره البعض بلسانه، و ينكره الجميع بقلوبهم، فمعنى ذلك أن الاسلام قد كف عن انجاب الرجال، و معناه أن المسلمين قد فقدوا أهلية الانتماء لهذا الدين العظيم، و معناه أيضا أن مصير الاسلام و المسلمين معا قد أمسى معلقا بالقوة الباطشة، فمن غلب ركب، و لم يعد للقرآن و لا للحقيقة سلطان، هذه هى القضية فى روع الامام الحسين، و بهذا المنطق أصر على الخروج، كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد، ذلك لأن العقيدة الدينية فى [صفحه ۳۰۳] نفس الامام الحسين، كما يقول الأستاذ العقاد، لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، و أنه كان رجلا يؤمن أقوى الايمان بأحكام الاسلام، و يعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به و بأهله و بالأمة العربية قاطبة فى حاضرها و مصيرها، لأنه مسلم، و لأنه سبط النبى صلى الله عليه و سلم، فمن كان اسلامه هداية نفس، فالاسلام عند الامام الحسين هداية نفس، و شرف بيت.و منها (رابعا) يقول الشيخ شعوط فى نتيجته الرابعة: اتضح من جمله النصوص التى أوردنا ها أن الحسين كان مشدودا الى تلك المغامرة بدوافع خفية، أصبحت عنده ضرورة لا بد منها، و صارت فى تقديره مسئولة لا بد أن يتحملها و يتحمل فى سبيلها كل ما يصيبه، و لو كانت حياته و حياة أهله جميعا، على الرغم من احساسه بعدم صدق أهل العراق فى دعوته»، و نحن لا نريد أن نكرر

أن وصف الشيخ شعوط لقضية الامام الحسين بأنها مغامرة، للمرة الثالثة، فيه تطاول على مقام الامام الحسين و على الحقيقة التاريخية، فلقد بينا آنفا كل الدوافع التى كانت من وراء خروج الامام الحسين، و اذا كان لنا أن نضيف جديدا فليس أقل من أن نؤكد أن الامام الحسين لم يخرج ليحرز نصرا مضمونا، و انما خرج ليؤكد حق الاسلام فى حماية نفسه من الضلال و الافك، و ليكفر فى تضحية مجيدة عن خطئة الصمت التى اقترفها كثير من الناس طائعين أو مكرهين.و أما رؤيا الامام الحسين التى قال عنها لابن عمه عبدالله بن جعفر «انى رأيت رؤيا فيها رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أمرت فيها بأمر أنا ماض له، على كان أولى»، فلما سئل عنها قال: «ما حدثت أحدبها، و ما أنا محدث بها أحدا حتى ألقى ربى»، و بدهى أن رؤيا الرسول صلى الله عليه و سلم حق لقوله صلى الله عليه و سلم «من رآنى فى المنام فقد رآنى، فان الشيطان لا يتمثل بى» فاذا قال الامام الحسين أن جده النبى صلى الله عليه و سلم قد أمره فهذا يعنى أنه يسير على هدى و نور الله و رسوله، و هو اللائق بمقامه، و ما كان له أن يعرض عما أمر به رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و هو الذى لا ينطق عن الهوى، الى ما يظنه الناس و يرجونه، و شتان بين من يتكلم من دار الحق بلسان الحق، و بين [صفحه ۳۰۴] من يتكلم من دار الباطل و الغرور، بلسان العاطفة و الرجاء، و أما تساؤل الشيخ شعوط بعد ذلك عن هذه الرؤيا التى تلقاها الامام الحسين من جده صلى الله عليه و سلم حتى يسير مسرعا الى نهايته، و الناصحون من حوله فى عجب شديد من أمره، فهو تساؤل قد يكون مقبولا من رجل دراسته تاريخية فحسب، و قد لا يكون، و لكنه يقينا غير مقبول من رجل جمع بين الدراسة التاريخية و الدينية أفلا يعرف الشيخ تلك الأحاديث الشريفة التى أخبر فيها سيدنا و رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بمقتل الامام الحسين فى كربلاء، فضلا عن نبوءة الامام على بذلك، و منها ما أخرجه الامام أحمد بسنده الى أم‌سلمة قالت: كان جبرئيل عليه‌السلام عند النبى صلى الله عليه و سلم و الحسين معى فبكى فتركه فدنا من النبى صلى الله عليه و سلم فقال جبريل: «أتحبه يا محمد، قال نعم، فقال ان أمتك ستقتله، و ان شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها، فأراه اياه، فاذا الأرض يقال لها كربلاء»، و أخرج الامام أحمد و أبويعلى و البزار و الطبرانى عن عائشة أو أم‌سلمة (شك الراوى) أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لاحداهما، لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها، فقال لى: «ان ابنك هذا حسين مقتول، و ان شئت أريتك من تربة الارض التى يقتل بها، فأخرج تربة حمراء»، و أخرج الامام أحمد و أبو يعلى و البزار و الطبرانى عن عبدالله بن نجى عن أبيه، أنه سار مع على، و كان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى، و هو منطلق الى صفين، فنادى على: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت و ماذا، قال: دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم و عيناه تفيضان، قلت يا نبى الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان، قال: بل قام من عندى جبريل قبل فحدثنى أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال، فقال: «هل لك الى أن أشمك من تربته، قال قلت نعم، فمديده فقبض قبضة من تراب فأعطيانها، فلم أملك عينى أن فاضتا» و حتى فى لحظات الخروج الأخيرة، كان هناك من يذكر الامام الحسين بأنه مقتول، روى ابن كثير أن عمرة بنت عبدالرحمن كتبت اليه تخبره أنها سمعت عائشة تقول انها سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول «يقتل الحسين بأرض بابل»، فلما قرأ كتابها قال «فلا بد اذن من مصرعى»، هذه هى بعض الأسباب [صفحه ۳۰۵] الخفية، بجانب الأسباب الحسية، التى كانت سببا فى خروج الامام الحسين، و التى لا يدركها الا الباحثون عن الحقيقة، احتفظ الامام الحسين بها لنفسه، فلم يفصح عنها الا بمقدار، لا يستطيع ادراك مغزاه الا أرباب القلوب الذين أنار الله بصيرتهم، فأدركوا من الأسرار ما لم يدركه الأخرون بعقولهم و علومهم.و منها (خامسا) يقول الشيخ شعوط فى نتيجته للخامسة: «ان يزيد لم يرد قتل الحسين، و ان اضطر اليه اضطرارا، بعد ما أكد له عماله أن دولته فى خطر، و لم يتوقع أن يفعل بالحسين ما فعل به، و لكن الرغبة فى اظهار البطولة و التقرب الى الحاكم، هى التى جعلت كل التصرفات فى المعركة تجاوز كل حدود المعقول، و تخضع لسعار الجنون من الفتك و البطش و التمثيل، الأمر الذى أغضب يزيد و أبكاه، فأعلن سخطه على ابن زياد حين جاءه برأس الحسين، ثم قال: «لو كان بين ابن‌زياد و بين الحسين رحم ما فعل هذا» و لعل نصيحة أبيه معاوية حيث أوصاه قبل موته «و أما الحسين فانه رجل خفيف، و لن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فان خرج و ظفرت به فاصفح عنه، فان له رحما ماسة و حقا عظيما و قرابة من محمد صلى الله عليه و سلم»، و لعل هذه النصيحة هى التى جعلت يزيد

يقول لعبيد الله بن سمية «أما و الله لو أنى صاحبه لعفوت عنه».هذا و قد أخطأ الدكتور شعوط فى هذا عدة أخطاء، منها (أولا) قوله ان يزيد لم يرد قتل الحسين، و قد ناقشنا من قبل مسئولية يزيد، و خلصنا الى أنه مسول تماما عن قتل الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، فمن الثابت الذى لا جدال فيه أن يزيد لم يعاقب أحدا من ولاته كبر أو صغر على شىء مما اقترفوه من خطايا و جرائم منكرة فى مذبحة كربلاء، يخجل حتى الشيطان من اقترافها، مما يدل على أن الجريمة النكراء تمت بأمر من يزيد و وفقا لهواه، هذا الى أن البعض ذهب الى أن ابن‌زياد كان على اذن مستور بما صنع، و يملى لهم فى هذا الظن أن يزيد كان يسعى الى استئصال ذرية الامام الحسين من الذكور حتى يصفو الملك له و لأعقابه من بعده، و قد روى ابن شريح اليشكرى أن ابن‌زياد قد صارحه بعد موت يزيد فقال «أما قتلى الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله أو قتلى، [صفحه ۳۰۶] فاخترت قتله»، هذا الى أن سياسة يزيد فى دولته تؤكد مسئوليته عن قتل الامام الحسين و آل بيته الطاهرين، فان الذى يستبيح مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، تنتهك فيها الأعراض و تنهب الأموال و تجرى فيها دماء الصحابة و التابعين أنهارا، ثم يؤخذ من بقى من أهل المدينة بالبيعة، لا على كتاب الله و سنة رسوله، و لكن على أنهم عبيد ليزيد، ان من يأمر بكل هذه الخطايا و المخازى، ثم يرسل جنده بعد ذلك الى مكة لاستباحة البيت الحرام و ضرب الكعبة بالمنجنيق، لا يتورع عن أن يأمر بقتل آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و على رأسهم الامام الحسين، هذا فضلا عن أن يزيد، و كذا خلفاءه من المروانيين استمروا فى البدعة الأموية الخسيسة اليت تقضى بلعن الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و مولانا الامام الحسين، و آلهما على المنابر فى أرجاء الدولة الاسلامية، و يستفتون من يفتيهم من مرتزقة الدين باهدار دمهم و صواب عقابهم بما أصابهم، و من تجب لعنته على المنابر بعد موته بسنين، فقتله جائز أو واجب فى رأى لا عنيه، ثم ان الدكتور شعوط نفسه يدين يزيد بقتل الامام الحسين، و ان جعله مضطرا الى ذلك، و هذا ما لا نتفق معه فيه أبدا، فأى اضطرار هذا الذى يبيح لمسلم القيام بمجزرة يروح ضحيتها آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و على رأسهم سيد المسلمين الامام الحسين، سبط النبى و ريحانته.و أخطأ الشيخ شعوط (ثانيا) فى قوله ان الرغبة فى اظهار البطولة و التقرب من الحاكم هى التى جعلت التصرفات فى المعركة تجاوز كل حدود المعقول، و لست أدرى أية بطولة هذه التى يتحدث عنها الشيخ، هل بطولة جيش قوامه أربعة آلاف فارس و رام، ضد اثنين و سبعين رجلا، و هل من البطولة أن يرفض عمر بن سعد بن أبى‌وقاص كل عروض الامام الحسين عليه لانهاء الموقف الحرج، لا لشىء، الا لخوف من ابن زياد، و هل من البطولة أن يمنع الماء عن النساء و الأطفال ثم يحاصرهم، و هل من البطولة أن يبدأ عمر هذا الحرب بكل الذلة و الخسة و الحقارة، و ليست البطلة كما يزعم الشيخ، فيأمر جيش اللئام بالزحف على معسكر الامام الحسين، ثم يتناول سهما فيرمى به عن قوسه الى [صفحه ۳۰۷] المعسكر و هو يصيح: اشهدوا لى عند الأمير أننى أول من رمى الحسين، و هل من البطولة أن يتكاتف أربعة آلاف رجل على رجل واحد، بعد استشهاد أصحابه جميعا، حتى يقتلوه، ثم ماذا بعد ذلك البطولة، احتزوا رؤوس الشهداء، و أولهما رأس الامام الحسين، ثم داسوا بسنابك الخيل أجسادهم الشريفة الطاهرة، حتى ألصقوها بالأرض، ثم تركوها فى مكانها فى العراء لا يدفنونها و لا يصلون عليها، ثم أمروا سيدات بيت النبوة بالمرور حواسر من طريق الجثث الملقاة فى العراء، ثم رفعوا الرؤوس أمامهم على الحراب، ثم ماذا كان هم أبطال الشيخ شعوط بعد ذلك، همهم الاسلاب يطلبونها حيث و جدوها، فأهرعوا الى النساء من بيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ينازعونهن الحلى و الثياب التى على اجسادهن، لا يزعهم عن حرمات رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و ازع من دين أو مروءة، و انقلبوا الى جسد الامام الحسين يتخطفون ما عليها من كساء تخللته الطعون حتى أو شكوا أن يتركوها عارية، لو لا سراويل لبسها، عليه‌السلام، و تعمد تمزيقها، لكى يتركوها على جسده الشريف و لا يسلبوها.ثم ماذا بعد ذلك، انهم مسلمون، من المفروض أن يراعوا حرمة النبى صلى الله عليه و سلم و أقل ما تفرضه هذه الحرمة أن يتحرجوا أشد التحرج و يتأثموا أعظم التأثيم، قبل أن يمسوا واحدا من آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم فضلا عن أن يقوموا بكل تلك الكبائر و الخطايا، و فى عالم شهد النبوة و الخلافة الراشدة، و ما أصدق الامام الحسين حيث يقول: «الناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معائشهم، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون».و أخطأ الشيخ شعوط (ثالثا) فى اظهار يزيد و كأنه قد سخط على ابن‌زياد لقتله

الامام الحسين حين جيء له برأسه الشريف، و الواقع أن يزيد، رغم ما قيل أنه سخط، الا أن الثابت يقينا أنه لم يعاقب ابن‌زياد أو غيره، بل حتى لم يعاتبهم، و انما أبقى ابن زياد على المصرين (الكوفة و البصرة) و بالغ فى رفعه حتى أدخله على نسائه، و أما أن يزيد فعل ذلك «أى سخطه على ابن زياد» بنصيحة أبيه معاوية، و لست أدرى أية [صفحه ۳۰۸] نصيحة هذه التى يصف فيها معاوية ابن أكلة الأكباد الامام الحسين بأن «رجل خفيف»، بينما وصف رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ولده الامام الحسين بقوله الشريف «و أما الحسين فله جرأتى و جودى»، فما اعتبره سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم جرأة، اعتبره معاوية «خفة»، و لست أدرى رأى الشيخ شعوط فى الوصفين، و أيهما نصدق؟ و هل هناك مخلوق ظهر على وجه الأرض أصدق من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أما قول يزيد «لو كان بين ابن‌زياد و الحسين رحم ما فعل هذا»، فهو انما يكذب أباه معاوية فى استلحاقه زيادا بأبى سفيان، كما أشرنا من قبل، و أما أثر نصيحة معاوية فى يزيد حتى أنه قال «أما و الله لو كنت صاحبه لعفوت عنه» فيناقض ما أشرنا اليه من قبل عن مسئولية يزيد الكاملة عن قتل الامام الحسين و آل بيته، و عدم محاسبة أحد ممن ارتكب هذه الجريمة النكراء، فضلا عن أن يزيد حين استقبل رأس الامام الحسين و آل البيت فى قصره بدمشق، انما عاملهم، فى بادىء الأمر على الأقل، بكل خسة و دناءة، الى جانب وقاحة لا يأتى بها الا مثله، فلقد تطاول على مقام الامام على و الامام الحسين و على العقيلة الطاهرة السيدة زينب، بل و سمح لزنيم من اللئام فى مجلسه أن يطلب منه أن يهبه السيدة فاطمة، حفيدة البنى صلى الله عليه و سلم، هذا الى جانب ما فعله بالرأس الشريف، حين أخذ ينكث بقضيب كان فى يده فى ثغر الامام الحسين، الأمر الذى أغضب الصحابى الجليل أبو برزة الأسلمى، كما أشرنا من قبل.هذا و قد توصل الشيخ شعوط فى كتابه الأباطيل الى النتيجة التالية: ان الشواهد كلها تدل على أن موقف يزيد الخليفة من الحسين الخارج عليه، كان طبيعيا، بمقتضى المعايير الطبيعية، و بالرغبة فى الحفاظ على الملك و السلطان، و ربما الصالح العام، كما أن الشواهد كلها تدل على أن موقف الحسين من ناصحيه أولا و من يزيد و خلافته ثانيا، كان غير طبيعى، و على غير مألوف الناس، و مدلول نواميس البشر.و ما أظن أن واحدا حاول أن يدرس القضية بجدية و عدالة، قال بما قال به [صفحه ۳۰۹] الشيخ شعوط من قبل، و لكن أقواله هذه انما هى نتيجة طبيعية لمقدمات غير طبيعية، و ربما تأثر فى ذلك باتجاهات معينة لآراء معينة، و فى ظروف معينة، و ان لم يقل بخطأ الامام، و ان قال أن موقفه غير طبيعى. [صفحه ۳۱۱]

فى رحاب الامام الحسين

تواضعه و آدابه

روى أن الامام الحسين مر بجماعة من المساكين يتناولون طعامه فى الصفة، فدعوه الى مشاركتهم طعامهم، فما تردد، عليه‌السلام، فى الاجابة، و هو صاحب المكانة العالية بين أهل الأرض و أهل السماء تواضعا منه لله، و تطيبا لنفوس هؤلاء المساكين، فنزل للجلوس بينهم و هو يقول «ان الله لا يحب المتكبرين»، و بعد أن تغدى الامام مع القوم قال لهم: قد أجبتم فأجيبونى، قالوا نعم، فمضى الى منزله و قال للرباب زوجته «قدمى ما كنت تدخرين»، فقدم لهم رضى الله عنه أطيب ما عنده، مقابلا تحيتهم بأحسن منها، و دعوتهم اليه بأكرم و أجمل.هذا و قد سن الامام الحسين لمن بعد سنة فى آداب الأسرة تليق ببيت النبوة الذى نشأ فيه و وكل اليه أن يرعى حقه و يوجب على الناس مهابته و توقيره، فهو، على فضله و ذكائه و شجاعته و رجحان عقله، الى غير ذلك من مناقب كثيرة، و مآثر عدة، كان يستمع الى رأى أخيه الأكبر الامام الحسن و لا يسوؤه بالمراجهة و المخالفة، فلما هم الامام الحسن بالتسليم لمعاوية، كان ذلك على غير رضى من الامام الحسين، فلم يوافقه و أشار عليه بالقتال، فغضب الامام الحسن و قال له «و الله لقد هممت أن أسجنك فى بيت و أطين عليك بابه، [صفحه ۳۱۲] حتى أقضى بشأنى هذا و أفرغ منه، ثم أخرجك» فلم يراجعه الامام الحسين بعدها و آثر الطاعة و السكوت، و روى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أنه جرى بين الحسن و أخيه الحسين كلام حتى تهاجرا، فلما أتى على

الحسين ثلاثة أيام تأثم من هجر أخيه، فأقبل على الحسين و هو جالس فأكب على رأسه فقبله، فلما جلس قال له الحسين: «ان الذى منعنى من ابتدائك و القيام اليك، أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به»، و جاء فى ذخائر العقبى للمحب الطبرى أن أبا هريرة روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، و السابق السابق الى الجنة»، قال أبوهريرة: فبلغنى أنه كان بين الحسن و الحسين هجران و تشاجر، فقلت للحسين رضى الله عنه الناس يقتدون بكما فلا تتهاجرا، و أقصد أخاك الحسن أدخل عليه و كلمة فأنت أصغر منه سنا، فقال: لولا أنى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «السابق السابق الى الجنة» لقصدته، و لكن أكره أن أسبقه الى الجنة، فذهب الى الحسن فأخبره بذلك فقال: صدق أخى، و قام و قصد أخاه و كلمه و اصطلحا، رضى الله عنهما.هذا و قد وقع أمر مشابه لذلك مع الامام الحسين و أخيه محمد بن الحنفية، ما حملهما على الافتراق متغاضبين، فلم يلبث محمد أن كتب الى الامام الحسين بقول «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن أبى‌طالب الى الحسين بن على بن أبى‌طالب، أما بعد، فان لك شرفا لا أبلغه، و فضلا لا أدركه، أبونا على رضى الله عنه، لا أفضلك فيه و لا تفضلنى، و أمك فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و لو كان ملء الأرض نساء مثل أمى، ما وافين بأمك، فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك و نعليك و تعال فترضنى، و اياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى، و السلام»، فما أن تلقى الامام الحسين هذه السطور من أخيه ففهم مقصودها، و علم أن أخاه الأصغر يشير فى كلامه الى حديث سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم الذى يحرم فيه التقاطع و يحث على التسامح و العفو، فلقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى‌أيوب الانصارى أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فيعرض هذا، و يعرض [صفحه ۳۱۳] هذا، و خير هما الذى يبدأ بالسلام»، فلم يتردد ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فى الاستجابة لطلب أخيه، و لم يمنعه أنه الأكبر سنا، و الأشرف حسبا و نسبا، أن يأتيه و يترضاه.هذا و من رعاية الامام الحسين لسنن الأسرة النبوية الشريفة، و وصايا الأبوة النبيلة، ما رواه أبو نيزر، حيث قال جاءنى على، و أنا أقوم بالضيعتين، عين أبى نيزر و البغيضة، و لم يكن عندى الا قرع من قرع الضيعة ضيعة باهالة و سنخة، فأصاب منه شيئا ثم أخذ المعول و انحدر فى العين و جعل يضرب و قد تنضح جبينه عرقا، فانثالت العين كأنها عنق جزور، فقال: على بدواة و صحيفة، فعجلت بهما اليه فكتب «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدق به عبدالله على أميرالمؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبى‌نيزر و البغيبغة على فقراء المدينة و ابن السبيل، ليتقى الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة، لا تباعا و لا توراثا حتى يرثهما الله و هو خير الوارثين، الا أن يحتاج اليهما الحسن و الحسين، فهما طلق لهما، ليس لأحد غيرهما» و استمر الأمر كذلك، حتى جاء يوم تراكم فيه دين ثقيل على الامام الحسين و انتهز معاوية الفرصة فساوم الامام الحسين بمائتى ألف دينار أو بمبلغ جسيم من المال على عين أبى نيزر، فأبى أن يبعيها مع جاجته الى بعض ما عرض عليه، لأن أباه تصدق بمائها لفقراء المدينة و ابن السبيل، يرتون منها بغير حساب، و هكذا رفض الامام الحسين العرض حتى لا يغير من أمر أبيه الامام على، رغم اجازة أبيه له بذلك.و من آدابه، عليه‌السلام، أنه لم يذكر قط أنه كان يواجه الناس بتخطئة، و هو يعلمهم و يبصرهم بشأن دينهم، الا أن تكون مكابرة أو لحاجة، فله فى جواب ذلك أشياء من تلك القوارص التى كانت تؤثر عن أبيه، و ما لم تكن مكابرة أو لحاجة، فهو يحتال على تصحيح الخطأ حيلة لا غضاضة فيها على المخطئين، فمن آدابه و آداب أخيه الامام الحسن، فى ذلك، أنهما رأيا أعرابيا يخفف الوضوء و الصلاة فلم يشأ أن يجبهاه بغلطة و قالا له: «نحن شابان و أنت شيخ، ربما تكون أعلم بأمر الوضوء و الصلاة منا فتوضاء و نصلى عندك، فان كان عندنا [صفحه ۳۱۴] قصور تعلمنا»، فتنبه الشيخ الى غلطة دون أن يأنف من تنبيههما اليه».

كرمه و جوده

كان الامام الحسين يقتدى بجده النبى الأعظم سيدنا و مولانا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الذى كان فى جوده و كرمه كالريح المرسلة، و هكذا كان الامام الحسين ما أن يصله مال الا فرقه، حسبنا فى هذا المقام شهادة معاوية بن أبى‌سفيان، غريم آل البيت،

فذات يوم أعد معاوية أحمال الهدايا التى كان يرسلها بين الحين و الحين لكبار الصحابة فى مكة و المدينة، و بينما القافلة تتهيأ للسفر، نظر معاوية فيمن حوله و قال لهم: «ان شئتم أخبرتكم بما يصنع القوم بهذه الهدايا» ثم راح يسمى بعض الأسماء و يسوق الحديث عنها، حتى جاء ذكر الامامين الحسن و الحسين، فقال «و أما الحسن فلعله يدع لزوجاته بعض الطيب، ثم يترك لمن حوله كل شىء، و أما الحسين فيبدأ بأيتام الذين قتلوا مع أبيه فى صفين، فان بقى بعد ذلك شىء، نحر به الجزور، و سقى اللبن»، و روى ابن عساكر فى تاريخه عن أبى هشام القناد أنه كان يحمل الى الحسين بالمتاع من البصرة، و لعله لا يقوم حتى يهب عامته»، و روى ابن عساكر كذلك أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة، حتى أتى باب الحسين، فقرعه و أنشده شعرا، و كان الامام الحسين و قتئذ واقفا يصلى، فخفف من صلاته، و خرج الى الرجل، فرأى عليه أثر الضرب و الفاقة، فنادى على غلامه قنبر، فقال لبيك يا ابن بنت رسول قال: ما تبقى معك من نفقتنا، قال: مائتا درهم، أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك، فقال الامام: هاتها، فقد أتى من هو أحق بها منهم، فأخذها، و خرج الى السائل فدفعها معتذرا له عن قلة المبلغ، فأنشأ الاعرابى (السائل) يقول:مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروو أنتم، أنتم الاعلون عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السورمن لم يكن علويا حين تنسبه فماله من جميع الناس مفتخرو روى أن الامام دخل على أسامة بن زيد، و هو مريض، فسمعه يقول [صفحه ۳۱۵] و اغماه، فقال له الحسين، عليه‌السلام، و ما غمك يا أخى، قال دينى، و هو ستون ألف درهم، فقال الحسين، هو على، قال انى أخشى أن أموت، أى قبل سداده، قال الامام الحسين: «لن تموت بل أن أقضيها عنك، فقضاها قبل موته»، و روى الامام الفخر الرازى فى ذيل تفسير قوله تعالى من سورة البقرة «و علم آدم الأسماء كلها»، قال: قصد أعرابى الحسين بن على عليهماالسلام، فسلم عليه و سأل حاجته، و قال سمعت جدك صلى الله عليه و سلم يقول: اذا سألتم حاجة فاسألوه من أربعة: اما عربى شريف أو مولى كريم أو حامل قرآن أو صاحب وجه صبيح، فأما العرب فشرفت بجدك، و أما الكرم فدأبكم و سيرتكم، و أما القرآن أن تنظروا الى فانظروا الى الحسن و الحسين، فقال الحسين، ما حاجتك؟ فكتبها على الأرض، فقال الحسين: سمعت أبى عليا يقول: قيمة كل امرىء ما يحسنه»، و سمعت جدى يقول: المعروف بقدر المعرفة، فأسألك عن ثلاث مسائل، ان أحسنت فى جواب واحدة فلك ثلث ما عندى، و ان أجبت عن اثنيتن فلك ثلثا ما عندى، و أن أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندى، و قد حمل الى صرة من العراق، فقال: سل و لا حول و لا قوة الا بالله، فقال: أى الأعمال أفضل، قال الأعرابى، الايمان بالله، قال: فما نجاة العبد من الهلكة، قال: الثقة بالله، قال: فما يزين المرء؟ قال: علم معه حلم، قال: فان أخطأه ذلك، قال: فمال معه كرم، قال: فان أخطأه ذلك، قال: فقر معه صبر، قال: فان أخطأه ذلك، قال: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه، فضحك الحسين و رمى بالصرة اليه.و روى أنس بن مالك أنه كان عند الحسين، فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان فحيته بها، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى»، فسأله أنس متعجبا: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعقتها، قال الامام: كذلك أدبنا الله تبارك و تعالى فقال «و اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها»، و كان أحسن منها عتقها»، و روى أن بعض مواليه جنى جناية توجب التأديب، فأمر بتأديبه، فقال يا مولاى: قال تعالى «و الكاظمين الغيظ» قال عليه‌السلام: خلوا [صفحه ۳۱۶] عنه فقد كظمت غيظى، قلا «و العافين عن الناس»، قال عليه‌السلام: قد عفوت عنك، فقال «و الله يحب المحسنين»، قال: «أنت حر لوجه الله تعالى، و أجازه بجائزة سنتية» و هكذا يجد أهل الكرم و السخاء فى سيرة الامان ابن الزهراء أحسن الأسوة، و أطيب القدوة، فهو كجده صلى الله عليه و سلم كالريح المرسلة، لا يسأل شيئا الا أعطاه، و لا يبلغه دين الا قضاه، و لا يصله مال الا فرقه، يحمل الكل و يكسب المعدوم، و يكرم الفقير و المسكين.

جرأته و شجاته الأدبية

كانت شجاعة الامام الحسين صغة لا تستغرب منه لأنها «الشىء من معدنه» و هى فضيلة ورثها عن الآباء و أورثها الأبناء بعده، و قد شهد الحروب فى افريقيا الشمالية و طبرستان و القسطنطينية، و حضر مع أبيه وقائعه جميعا من الجمل الى صفين، و ليس فى بنى الانسان ممن هو أشجع قلبا ممن أقدم على ما أقدم عليه الامام الحسين يوم كربلاء، و حسبه فى هذا أنه ابن فارس، الاسلام، و أشجع

العرب قاطبة، على بن أبى‌طالب، فكان ابن أبيه فى كل شىء، حتى قال الامام على نفسه «أشبه أهلى بن الحسين»، و حسبه أن يقف يوم كربلاء أمام جيش قوامه أربعة آلاف فارس و رام، و يصف محمد بن أبى طلحة فى «مطالب السئول فى مناقب آل الرسول» هذا الموقف فيقول «فنصب الحسين، عليه‌السلام نفسه و أخوته و أهله لمحاربتهم، و اختاروا بأجمعهم القتل، على متابعتهم ليزيد و مبايعتهم، فأعلقتهم الفجرة الطغام و أرهقتهم المردة و رشقتهم النبال و السهام، هذا و الحسين عليه‌السلام ثابت لا- تخف حصاة شجاعته، و لا تجف عزيمة شهامته، و قدمه فى المعترك أرسى من الجبال، و قلبه لا يضطرب لهول القتال، و لا لقتل الرجال»، و روى ابن أبى الحديد فى شرح النهج أنه فيما فخزت به بنوهاشم على بنى‌أمية قولهم: من مثل الحسين بن على، عليهماالسلام يوم الطف «كربلاء» ما رأيناه مكثورا قد أفرق من اخوته و أهله و أنصاره، أشجع منه كالليث المجرب يحطم الفرسان حطما، و ما ظنك برجل أبت نفسه الدنية، و أن يعطى بيد و هو صاغر، فقاتل حتى قتل هو و بنوه و اخوته و بنو عمه، بعد بذل [صفحه ۳۱۷] الأمان لهم بالايمان المغلظة، و هو الذى سن للعرب الاباء و اقتدى به ابن الزبير و بنو الملهب و غيرهم»، و قال: هو سيد أهل الاباء الذى علم الناس الحمية و الموت تحت ظلال السيوف اختيارا له على الدنية أبو عبدالله الحسين بن على، عليهماالسلام، عرض عليه الأمان و أصحابه فأنف من الذل، و خاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان، مع أنه لا يقتله، فاختار الموت على تلك»، و قال على بن أبى الفتح الأربلى فى كشف الغمة: شجاعة الحسين عليه‌السلام يضرب بها المثل، صبره فى الحرب أعجز الأواخر و الأوائل.هذا و قد تعلم الامام الحسين فتون الفروسية و منازلة الأعداء، حتى نشأ على الجرأة و اقتحام الأهوال و خوض المعارك، روى أن الامام الحسن قال: قلت لأخى الحسين: و ددت أن لى بعض شدة قلبك، فقال لى: «و أنا وددت أن لى بعض ما بسط من لسانك»، هذا و قد تربى الامام الحسين للشجاعة، كما تلقاها فى الدم بالوراثة، فتلعم فنون الفروسية كركوب الخيل و المصارعة و العدو من صباه، و لم تفته ألعاب الرياضة التى تتم بها مرانة الجسم على الحركة و النشاط، و منها لعبة تشبه «الجولف» عند الأروبيين، كانوا يسمونها المداحى، جمع مدحاة، و هى أحجار أمثال القرصة يحفرون فى الأرض حفيرة و يرسلون تلك الأحجار، فمن وقع حجرة فى الحفيرة فهو الغالب.هذا و قد اتفق بعض الثقات على «أن الغالب على الحسن الحلم و الأناة كالنبى، و على الحسين الشدة كعلى»، غير أن هذه الشدة انما هى شدة فى الحق، و من أجل الحق، و من ثم فرغم ما عرف عن الامام الحسين من تواضع و تسامح مع من دونه فى حق نفسه، و حرص على العفو، مع القدرة على المؤاخذة و العقاب، فقد كانت سيرته مع الأمراء و الولاة على غير ذلك، فهو يقف دائما منهم موقف الشمم و الاباء، و لا يعرف التسامح معهم اليه سبيلا، و خاصة اذا كان الأمر يتصل بالكرامة أو يمس العقيدة، فعنئذ ترى الحسين الوديع و قد تحول الى أسد هصور، لا- يقف غضبه عند حد، و لا- يبالى بأى قوة أو سلطان، كتب اليه معاوية بما بلغه من أن أهل الكوفة يدعونه الى الشقاق، ثم ختم [صفحه ۳۱۸] كتابه مهددا «فاتق الله، و اذكر الميثاق، فانك متى تكدنى أكدك و السلام»، فكتب اليه الامام الحسين يؤكد له خلاف ما بلغه، ثم يرد على تهديد قائلا «و ما أظن لى عذرا عندالله فى ترك جهادك، و ما أعلم فتنة أعظم من ولايتك هذه الأمة»، و لم يمللك معاوية حين تلقى كتاب الامام الحسين الا أن قال «ان أثرنا بأبى عبدالله الا أسدا».و قصة الامام الحسين مع الوليد بن عتبة والى المدينة عند ما طلب منه البيعة ليزيد، معروفة، و معروف منها كذلك، نصيحة مروان بن الحكم اللئيمة عند ما أشار بضرب رأس الامام الحسين، ان لم يبايع ليزيد، قبل أن يذيع فى الناس نبأ موت معاوية، و ما أن سمع الامام كلمة السوء هذه من مستشار السوء مروان هذا، حتى وقف موقف الأسد الذى اشتهر به و قال لمروان: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلنى، كذبت و الله و لؤمت، ثم التفت الى الوليد و شتمه، و أخذ بعمامته فنزعها من رأسه و انصرف، و لم يملك أمير المدينة، الا أن عبر عن احساسه بالخطأ، و أسفه لما تورط فيه بنفس العبارة التى قالها معاوية من قبل: «ان هجنا بهذا الا أسدا»، ثم قال لمروان: «أتشير على بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و الله ان الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله»، و روى ابن هشام فى السيرة، و القرطبى فى تفسيره، أن الوليد عند ما حاول أن يتحامل على الامام الحسين فى ماله له، مستغلا سلطانه كأمير للمدينة، و ما عرف عن الامام الحسين من زهد فى الدنيا، و بذل للمال بسخاء، و لكنه رأى فى موقف الوليد استخفافا بحقه، فلم يلبث

أن قال متحديا «أحلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى هذا، ثم لأقومن فى مسجد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، ثم لأدعون بحلف الفضول»، و سمع بذلك ابن الزبير و المسور بن مخرمة و عبدالرحمن بن عثمان التميمى، و قالوا ان دعانا لنأخذن سيوفنا ثم نقوم معه حتى ينتصف من حقه أو نموت جميعا، فما أن علم الوليد بذلك حتى سارع الى انصاف الامام الحسين رضى الله عنه تفاديا من غضبه»، و هكذا يجد أهل الشمم و الاباء أكرم المثل فى مواقف الامام الحسين، عليه‌السلام، و فى حرصه [صفحه ۳۱۹] دائما و أبدا على رفض الدنية فى دينه و دنياه، و ايثار ربه و مولاه، و عزوفه عن الدنيا و ما فيها، كما يجد أهل البطولة و الفداء فى ثبات الامام الحسين فى الشدائد، و شجاعته عن اللقاء، و صموده أمام كثرة الأعداء، أروع صورة لعزة الاسلام التى تنكر الضعف و الاستسلام، و صدق رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول: «و أما حسين فله جرأتى و جودى»، و فى رواية «و أما الحسين فله شجاعتى و سؤددى».

هيبته و وقاره

أخذ الامام الحسين نفسه بسمت الوقار فى رعاية أسرته و رعاية الناس عامة، و كانت حلقات درسه فى المسجد النبوى الشريف غاية فى الجلال و المهابة، فهابه الناس و عرف معاوية عنه هذه المهابة، فوصفه لرجل من قريش ذاهب الى المدينة فقال، فيما يروى ابن عساكر، «اذا دخلت مسجد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبدالله، مؤتزرا الى أنصاف ساقيه».هذا و كان من عظمة هيبة مولانا الامام الحسين و مكانته فى نفوس المسلمين، ما رواه البلاذرى، من أنه ما اجتاز هو و أخوه الامام الحسين على ركب فى حال سفرهما الى بيت الله الحرام ماشين، الا ترجل ذلك الركب تعظيما و اكبارا لهما، حتى ثقل المشى على جماهير الحجاج، فكلموا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى ذلك فبادر الى الامام الحسن و قال يا أبا محمد: «ان المشى قد ثقل على الحجاج لأنه اذا رأوكما لم تطلب نفوسهم بالركوب، فلو ركبتما رحمة لهم، فأجابه الامام: لانركب فقد عاهدنا الله أن نؤم بيته ماشين، و لكن نتنكب الطريق»، و كان الامامان الحسن و الحسين: اذا طافا بالبيت الحرام يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما، رغم طغيان الأمويين و عقاب كل من يحب آل البيت الطاهرين، و كان عبدالله بن عمر يجلس ذات يوم فى ظل الكعبة فدخل الامام الحسين المسجد الحرام، فقال ابن عمر لم حضر، و هو يشير الى الحسين: «هذا أحب أهل الأرض اليوم الى [صفحه ۳۲۰] أهل السماء»، و أخيرا فلقد كان الامام الحسين نورا على نور، يحبه كل من يراه، و يهابه فى آن واحد، لما يسطع فيه من نور جده المصطفى صلى الله عليه و سلم و هيبته، و لما كان عليه من شبه عظيم به فى خلقه و خلقه، و من ثم فقد كان لشخصيته العظيمة جاذبية آسرة للأفئدة التى كانت به و توفره و تتقرب اليه، و كان يفرض سلطانه على كل القلوب المحبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته الكرام البررة.

ورعه و تقواه

كان الامام الحسين، عليه‌السلام، قواما بالليل، صواما بالنهار، عابدا لله حريصا على طاعته، مسارعا الى الخيرات، سباقا الى التزود بالطاعات و القربات، روى ابن عبد ربه فى العقد الفريد أن الامام على زين‌العابدين بن الحسين، سئل؛ «ما كان أقل ولد أبيك، قال: العجب أن يكون له ولد، أو كيف ولدت له، كان يصلى فى اليوم و الليلة ألف ركعة، فمتى كان يتفرغ للنساء»، و رغم اعتراض ابن تيمية على هذه الرواية بسبب كثرة الصلاة، فما لا ريب فيه أنه كان كما يقول ابن الأثير «كثير الصلاة»، و أنه عليه‌السلام كانت له صلوات يؤديها غير الصلوات الخمس و أيام من الشهر يصومها، غير أيام رمضان، و لا يفوته الحج عاما الا لضرورة، فلقد روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن مصعب الزبيرى أنه عليه‌السلام، حج خمسا و عشرين حجة، ملبيا ماشيا على الأقدام».هذا و كان الامام الحسن حريصا، الحرص كل الحرص، على اتباع سنة جده النبى صلى الله عليه و سلم فى كل صغيرة و كبيرة، روى أن عكرمة رضى

الله عنه قال: «وقفت مع الحسين، أى يوم الحج، فلم أزل أسمعه يقول: لبيك لبيك، حتى رمى الجمرة، فقلت يا أبا عبدالله ما هذا الاهلال، قال سمعت على بن أبى‌طالب رضى الله عنه يهل حتى انتهى الى الجمرة، و حدثنى أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أهل حتى انتهى اليها»، و روى المحب الطبرى فى ذخائر العقبى عن الامام على بن موسى الرضا، أن الحسين بن على رضى الله عنه حين دخل الخلاء ذات مرة، و جد لقمة فدفعها الى غلام له و قال: «يا غلام، أذكرينها اذا خرجت»، [صفحه ۳۲۱] فأكلها الغلام، فلما سأله عنها قال أكلتها يا مولاى، فقال الحسين: «اذهب فانت حر لوجه الله تعالى، ثم قال سمعت جدى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من وجد لقمة ملقاة فمسح أو غسل ثم أكلها، أعتقه الله من النار»، فلم أكن استعبد رجلا أعتقه الله من النار».و كان الامام الحسين قوى الايمان بالله: راضيا بقضائه و قدره، واثقا بما عنده، جل و علا، روى ابن حجر فى الاصابة أن الامام الحسين مات ابن له، فلم تظهر عليه أية كآبة، فلما سئل فى ذلك قال: «انا أهل بيت نسأل الله فيعطينا، فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا»، و هكذا كان رضى الامام الحسين المسير الى الكوفة راضى النفس، مطمئن القلب الى قدره الله و قضائه، بعد أن أخبر حديث الرسول صلى الله عليه و سلم «يقتل الحسين بأرض بابل»، فلم يصرفه ذلك عن المسير اليها و قال «فلا بد اذن من مصرعى»، و فى الواقع، لعل أبعد سجايا الامام الحسين، عليه‌السلام، أثرا فى حياته، كونه عبدا ربانيا، و لخفاء هذه السجية النورانية على مرتزقة التاريخ، فلقد استباح البعض منهم، كما يقول الأستاذ حسين يوسف، نقد بعض تصرفات الامام الحسين، فاتهموه، مخطئين، بالاستبداد بالرأى تارة، و رموه بالتهور و عدم التبصر فى العواقب تارة أخرى، و أكدوا، ثالثة، أنه عليه‌السلام، أراد بخروجه منازعة للخلافة، و علوا فى الأرض، أما الذين أنار الله قلوبهم، فقد وضعوا سبط النبى صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، فى المقام اللائق بمكانه من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و رأوا فى كل تصرفاته، أنها أعمق من أن تصدر عن هوى، و لكنها صدرت عن الهام ربانى و كشف واضح جلى، ذلك أن الامام الحسين كان حبيبا الى الله تعالى، فلقد دعا له النبى صلى الله عليه و سلم و لأخيه الامام الحسن فقال صلى الله عليه وسلم، فيما يروى الترمذى عن البراء بن عازب»، اللهم انى أحبهما فأحببهما، و أحب من يحبهما»، و بدهى أن دعاء رسول‌الله صلى الله عليه و سلم مجاب، لأنه لا ينطق عن الهوى، و قد روى الترمذى و الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة». [صفحه ۳۲۲] هذا و قد بين رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أن محبة الله تعالى لعبده تسمو به الى المقام الربانية، فيصبح بفضل الله، عبدا ربانيا على بصيرة من كل أموره و على يقين فى جميع أحواله، روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: فيما رواه عن رب العزة، جل و علا ان الله تعالى قال: من عادى لى وليا فيد آذنته بالحرب، و ما تقرب الى عبد بشىء أحب الى مما افترضته عليه، و لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، و لئن سألنى لأعطينه، و لئن استعاذنى لأعيذنه»، و مقتضى هذا لحديث القدسى أن وصول العبد الى هذا المقام من محبة و القرب من الله تعالى، يكسبه قدرة خاصة و أحوالا خاصة، منها أنه يسمع بأذنيه فى بعض الأحيان ما لا يسمعه الآخرون، لأنه يسمع بسمع الله تعالى، و منها أنه يبصر ما لا يبصره الآخرون لأنه يبصر بنور الله تعالى، و منها أنه يقدر على ما قدر يعجز عنه الآخرون، لأنه مؤيد بقوة الله تعالى، محاط برعايته و وقايته، و الخلاصة أن سيدنا الامام الحسين، عليه‌السلام، كان دونما ريب، ربانيا، بكل ما فى الربانية من معان: و بكل ما ترمز اليه من أحوال، صلوات الله و سلامه على جده المصطفى، و على آل بيته الطاهرين المطهرين.

مكانته العلمية

يقول ابن حجر فى الاصابة حفظ الحسين عن جده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و روى عنه، و أخرج له أصحاب السنن، أبوداود و الترمذى و النسائى، و روى ابن ماجة و أبو يعلى عنه، قال سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، و ان قدم عهدها، فيحدث لها استرجاعا، الا أعطاه الله ثواب ذلك»، كما روى هو عن أبيه و أمه، و خاله هند بن أبى‌هالة، و عن عمر، و

روى عنه أخوه الحسن، و بنوه على زين‌العابدين و فاطمة و سكينة، و حفيده الباقر، و الشعبى و عكرمة و شيبان الدؤلى و كرز التميمى و آخرون، و قال الحافظ ابن عساكر فى التاريخ الكبير، حدث الحسين عن النبى صلى الله عليه و سلم و عن أبيه، و روى عنه ابنه على و ابنته [صفحه ۳۲۳] فاطمة، و ابن أخيه زيد بن الحسن و غيرهم.و روى الامام أحمد فى مسنده حديث الحسين بن على رضى الله عنه قال: «عن ربيعة بن شيبان، قال قلت للحسين بن على رضى الله عنه ما تعقل عن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم قال: «صعدت غرفة فأخذت تمرة فلكتها فى فمى. فقال النبى صلى الله عليه و سلم: «القها فانها لا تحل لنا الصدقة»، و عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن على، قال، قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: للسائل حق و ان جاء على فرس» و عن على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على رضى الله عنه قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» و عن أبى الحوراء عن الحسين ابن على رضى الله عنه قال علمنى جدى صلى الله عليه و سلم كلمات أقولهن فى الوتر، فذكر الحديث، و عن عبدالله بن على بن الحسين عن أبيه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل على، صلى الله عليه و سلم»، و عن زيد بن على ابن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم «من قتل دون ماله فهو شهيد»، و قال الحافظ ابن عساكر، روى أبو يعلى عن الحسين مرفوعا «المغبون لا محمود و لا مأجور»، و عن أبى‌هاشم القناد أنه قال: «كنت أحمل المتاع من البصرة الى الحسين بن على، فكان يماكسنى فيه، فلعلى لا أقوم من عنده حتى يهت عامته، فقلت يا ابن رسول‌الله أجيئك بالمتاع من البصرة فتماكسنى فيه، و لعلى لا أقوم حتى تهب عامته، فقال ان أبى حدثنى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «المغبون لا محمود و لا مأجور»، و روى عن اسماعيل بن مسلم عن الامام أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق، عليه‌السلام، عن أبيه الباقر عن أبيه على زين‌العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب عليه‌السلام قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: «عجبت لمن يحتمى من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمى من الذنوب مخافة النار».و كان الامام الحسين، عليه‌السلام، فقيها فى الدين، عالما بالكتاب و السنة، يرجع اليه أكابر الصحابة و التابعين، فيما قد يغيب عنهم من أمور الدين أو يستشكل عليهم من أحكامه، روى بن عبدالبر فى الاستيعاب بسنده عن [صفحه ۳۲۴] بشر بن غالب قال سمعت ابن الزبير يسأل الحسين بن على: يا أبا عبدالله ما تقول فى فكاك الأسير، على من هو؟ فأجاب الامام الحسين: على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم، ثم سأله يا أبا عبدالله: متى يجب عطاء الصبى، قال الامام: «اذا استهل وجب له عطاؤه و رزقه، ثم سأله عن الشرب قائما، فدعا الامام بلقحة له، أى ناقة، فحلبت فشرب قائما و ناوله»، و فى الفائق للزمخشرى، و النهاية لابن الأثير: استهلاك الصبى تصويته، عند ولادته، و منه الحديث: الصبى اذا ولد لم يرث و لم يورث حتى يستهل صارخا، و فكاك الأسير أى المسلم الذى يداقع عن أهل الذمة فيؤسر فكاكه من مال جزيتهم» و كان الامام الحسين معدودا فى قام بعد النبى صلى الله عليه و سلم بالفتوى من الصحابة، غير أنه كان من المقلين فيها، قال ابن قيم الجوزية فى «أعلام الموقعين عن رب العالمين» و من الصحابة من يقولون الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة و المسألتان و الزيادة اليسيره على ذلك، و منهم أبوالدرداء و أبو عبيدة بن الجراح و الحسين بن على، و هكذا كان الامام الحسين حريصا على نشر العلم، قائما بالدعوة و الارشاد الى الله تعالى، يقبل الناس على مجلسه، و يتزاحمون حوله حلقته، و يتسابقون الى سماع حديثه بقلوب واعية و آذان صاغية.هذا و قد تعلم الامام الحسين فى صباه خير ما يتعلمه أبناء زمانه من فنون العلم و الأدب و الفروسية و قد وهبه الله نور البصيرة و ذكاء القلب و سرعة الحفظ و الفهم، فحفظ كتاب الله منذ صغره، و فهم أسراره و معانيه، و عرف أسرار التنزيل و تأويل الآيات، و أحاديث رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و لا غرو فى هذا، فأبوه الامام على، هو الامام الذى قال عنه النبى صلى الله عليه و سلم «أنا مدينة العلم، و على بابها»، فنهل من علمه و فقهه الكثير، و من ثم فالى الامام الحسين يرفع كثير من المتصوفة و حكماء الدين نصوصهم التى يعولونه عليها و يردونها الى الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة و قد أوتى الحسين ملكة الخطابة، من طلاقة لسان و حسن بيان و غنة صوت و جمال ايمان، و من كلامه المرتجل قوله فى توديع أبى‌ذر، و قد أخرجه عثمان من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام، «يا عماه، ان الله [صفحه ۳۲۵] قادر على أن يغير ما قدر ترى، و الله كل يوم هو فى شأن، و قد منعك القوم دنياهم و منعتهم دنيك، و أما أغناك عما

منعوك، و أحوجهم الى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر و النصر، و استعذ به من الجشع و الجزع، فان الصبر من الدين و الكرم، و ان الجشع لا يقدم رزقا، و الجزع لا يؤخر أجلا»، و كانت هذه الكلمات القوية ذات المعانى العميقة التى قالها الامام الحسين لأبى‌ذر، هى دستوره و شعاره فى حياته.و من حكم الامام الحسين النثرية قوله «ان قوما عبدوا لله رغبة فتلك عبادة التجار، و ان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و ان قوما عبدوالله شكرا فتلك عبادة الأحرار، و هى أفضل العبادة»، و قال لابنه على زين‌العابدين، عليهماالسلام: «يا بنى اياك و ظلم من لا يجد عليك ناصرا الى الله عزوجل»، و سأله رجل عن معنى قوله تعالى: (و أما بنعمة ربك فحدث)، قال أمره أن يحدث بما أنعم عليه فى دينه»، و قال «اذا سمعت رجلا- يتناول أعراض الناس فاجتهد ألا يعرفك، فان أشقى الأعراض به معارفه»، و قال عليه‌السلام «لا تكلف ما لا تطبق، و لا تتعرض لما لا تدرك، و لا تعد بما لا تقدر عليه، و لا تنفق الا بقدر ما تستفيد، و لا- تطلب من الجزاء الا- بقدر ما صنعت، و لا- تفرح الا- بما نلت من طاعة الله تعالى، و لا تتناول الا ما رأيت نفسك أهلاله»، و قال «حوائج الناس من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتعود نقما»، و قال «شر خصال الملوك، الجبن عن الأعداء، و القسوة على الضعفاء، و البخل عن الاعطاء»، و قال «موت فى عز خير من حياة فى ذل»، و قال «صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده»، و قال رضى الله عنه «الحلم زينة، و الوفاء مروءة، و الصلة نعمة، و الاستكثار صلف، و العجلة سفه، و الغلو و رطة، و مجالسة أهل الدناءة شر، و مجالسة أهل الفسوق ريبة».و روى الطبرى احدى خطب الامام الحسين التى وعظ الناس فيهم و حثهم على مكارم الأخلاق فقال «أيها الناس، نافسوا فى المكارم و سارعوا فى المغانم و اكتسبوا الحمد بالمنح و لا تكسبوه بالبطل، فمهما يكن لأحد عنه أحد صنيعة [صفحه ۳۲۶] و رأى أنه لا- يقوم بشكرها، فا لله له بمكافأته، و ذلك أجزل عطاء و أعظم أجرا، و اعلموا أن المعروف يكسب حمدا، و يعقب أجرا، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين، و لو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه منظرا قبيحا تنفر منه القلوب، و تغض عنه الأبصار، من جاد ساد، و من عجل زل، و ان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، و أعف الناس من عفا عن قدره، و أوصل الناس من وصل من قطعه، و من أراد بالصنيعة الى أخيه وجه الله تعالى، كأفاه الله بها، وقت حاجته، و صرف عنه من اللاء أكثر فى ذلك، و من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، و من أحسن أحسن الله اليه، و الله يحب المحسنين».هذا و قد توافرت الروايات بقوله الشعر فى أعراض الحكمة و بعض المناسبات البيتية، كما اشتهر بالفصاحة و حسن البيان، و من ثم فقد كان الشعراء يرتادونه، و بهم من الطمع فى اصغائه أكبر من طمعهم فى عطائه، و لكنه على هذا كان يجرى معهم على شرعة ذوى الأقدار و الأخطار من أنداده، فيبذل لهم الجوائز ما وسعه البذل، و يؤثرهم على نفسه فى خصاصة الحال، و قد لامه أخوه الامام الحسن فى ذلك، فكتب اليه «ان خير المال ما وقى به العرض»، الا أنه فى الواقع لم يكن يعطى لوقاية العرض و كفى، و لكنه كان يعطى من قصده من ذوى الحاجات، و لا يخيب رجاء لم استعان به على مروءة.هذا و قد رويت الغرائب فى اختبار حذقه بالفقه و اللغة، كما رويت أمثال هذه الغرائب فى امتحان قدرة أبيه، عليهماالسلام، فقيل ان أعرابيا دخل المسجد الحرام، فوقف على الحسن رضى الله عنه و حوله حلقة من مريديه فسأل عنه، فقال لما عرفوه به «اياه أردت، جئت لأطارحه الكلام و أسأله عن عويص العربية»، فقال له بعض جلسائه «ان كنت جئت لهذا فابدأ بهذاه الشاب»، و أومأ الى الحسين عليه‌السلام، فلما سلم على الحسين و سأله عن حاجته، قال «انى جئتك من الهلاقل و الجعلل و الأيتم و الهمهم»، فتبسم الحسين و قال: «يا أعرابى، لقد تكلمت بكلام ما يعقله الا العالمون، فأجابه [صفحه ۳۲۷] الاعرابى يريد الاغراب «و أقول أكثر من هذا، فهل أنت مجيبى على قدر كلامى، ثم أذن له الحسين فأنشد أبياتا تسعة، فأجابه الامام الحسين مرحلا بتسعة أبيات فى معناها و من وزنها و قوافيها، ثم فسر له ما أراد من الهرقل و هو ملك الروم، و الجعل و هو قصار النخل، الأيتم و هو بعض النيات، و الهمهم و هو القليب الغزير الماء، و فى هذه الكلمات أوصاف البلاد التى جاء منها و أشار اليها، فقال الأعرابى «ما رأيت كاليوم أحسن من هذا الغلام كلاما، و أذرب لسانا، و لا أفصح منه منطقا».و أما الفقه فلقد أخذ الكثيرون من أئمته عن الامام الحسين، فأما فقه أهل السنة، فقد روى الامام الباقر عن أبيه زين‌العابدين عن أبيه الحسين، و قال المفيد فى الارشاد لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهم‌السلام من علم الدين و الآثار و السنة و علم

القرآن و السيرة و فنون الآداب، ما ظهر عن أبى جعفر الصادق، عليه‌السلام، و روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة و وجوه التابعين و رؤساء فقهاء المسلمين، و ما أخذه الامام أبو حنيفة عن جعفر الصادق يكاد لا يحصى و قد امتلأت به مناقب شهر أشوب، و حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى، و ابن حجر فى صواعقه، و اليافعى فى مرآة الجنان، و الكراجكى فى كنز الفوائد، و قد روى عن جعفر الصادق، عليه‌السلام، أبو حنيفة و مالك و سفيان الثورى و يحيى بن سعيد الأنصارى و ابن جريح و أيوب السجستانى و محمد بن اسحاق و غيرهم من علماء أهل السنة، هذا و قد ذكر الموفق بن أحمد المكى فى كتاب مناقب الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان، أبا جعفر محمد الباقر أول شيوخ أبى حنيفة، و قال ابن خلدون فى المقدمة، لم يبق الا مذهب أهل الرأى و امامهم أبو حنيفة و مقامه فى الفقه لا يلحق، و أما أهل الحجاز فامامهم مالك بن أنس، ثم كان بعده الشافعى، رحل الى العراق بعد مالك، و لقى أصحابى أبى حنيفة و أخذ عنهم و اختص بمذهب خاص به، ثم جاء أحمد بن حنبل، ثم وقف التقليد فى الأمصار عند هؤلاء الأربعة، و من ثم نرى أن أصحاب المذاهب الأربعة يتصلون بالحسين عن طريق حفيده الباقر أول شيوخ [صفحه ۳۲۸] أبى حنيفة، ذلك لأن أبا حنيفة أخذ كذلك عن الصادق، و هذا عن أبيه الباقر حتى ينتهى الأمر الى الحسين الذى تعلم على يد أعلم علماء الأمة قاطبة، بعد نبيها صلى الله عليه و سلم، الامام على بن أبى‌طالب، و أما فقه الزيدية فهو مأخوذ عن أئمتهم عن الامام زيد بن على زين‌العابدين بن الحسين، عليهم‌السلام، و انتماء زيد الى أبيه ثم الى جده ظاهر، و أما فقه الاسماعيلية عن أئمتهم فهو متصل بجدهم الأعلى الامام الحسين، و أما فقه الامامية الاثنى عشرية فقد أخذوه عن أئمتهم. و على رأسهم الامام الحسين ثم أبيه الامام على بن أبى‌طالب، و جاء فى نهج البلاغة عن الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، يصف آل محمد عليهم‌السلام، «و لهم خصائص حق الولاية و فيهم الوصية و الوراثة، و يقول ابن أبى الحديد فى شرحه، الولاية الآمرة، و أما الامامية فنقول أراد نص النبى صلى الله عليه و سلم عليه و على أولاده، و نحن نقول لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه و سلم على الخلق، و أما الوصية فلا ريب عندنا أن عليا عليه‌السلام كان وصى رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و ان خالف فى ذلك من هو منسوب عندنا الى العناد، و لسنا نعنى بالوصية لنص على الخلافة، و لكن أمورا أخر لعلها اذا لمحت أشرف و أحل، و أما الوراثة فالامامية يحملونها على ميراث المال أو الخلافة، و نحن نحملها على وراثة العلم».و أما الصوفية فيعرفون أن طرقهم و علومهم الظاهرة و الباطنة و آدابهم و سلوكهم و رياضتهم و ذكرهم و أدعيتهم، أصلها مأخوذ عن بعض الصحابة عن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و منها ما هو عن طريق الحسين عليه‌السلام، و فى كتاب «المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية» سلسلة شيوخ أبى الحسن الشاذلى، شيخ الشاذلية الأكبر، الذى ينتهى بمحمد بن سيرين تلميذ الامام على، و أما معروف الكرخى فلقد أخذ عن السيد على بن موسى الرضا، و هو عن أبيه موسى الكاظم و هو عن أبيه جعفر الصادق، و هو عن أبيه محمد الباقر و هو عن أبيه الامام الحسين، و هو عن أبيه الامام على، و هو عن سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و قد ذكر شاه ولى الله فى كتابه «القول الجميل» سلسلة طريق معروف الكرخى عن الامام على الرضا المتصلة بجده الامام الحسين عن الامام على سيدنا [صفحه ۳۲۹] رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و مؤلف الكتاب مريد فى الطريقة الحسينية الشاذلية نسبة الى مولانا الامام الحسين، رأسا و منهجا و تحلقا و مددا، و أما عبدالقادر الجيلانى فسنده ينتهى الى الامام على بن أبى‌طالب من طريق الحسن البصرى و من طريق السبط الامام الحسين، و أما أبو هاشم الجنيد محمد البغدادى فلقد أخذ من السرى السقطى، و هو من معروف الكرخى الذى ينتهى، كما أشرنا آنفا، بسيد المرسلين صلى الله عليه و سلم عن طريق الامام الحسين ثم الامام على، و أما سند النقشبندية الخالدية فلهما ثلاثة سلاسل، الأولى أهمها و هى المتصلة من مدينة العلم سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى بابها الأعظم سيدنا الامام على الى سيدالشهداء سيدنا الامام الحسين الى سيدنا الامام زين‌العابدين الى سيدنا الامام محمد الباقر الى سيدنا الامام جعفر الصادق الى سيدنا الامام موسى الكاظم الى سيدنا الامام على الرضا الى سيدنا معروف الكرخى ثم السادة السرى السقطى الى أبى القاسم الجنيد البغدادى الى الشيخ أبو على الروزبارى الى أبى على الكاتب الى أبى عثمان المغربى الى أبى القاسم الكركانى الى أبى على الفارمدى شيخ السلسلة الثالثة، و هى تسمى سلسلة الذهب لاتصالها بآل البيت الأطهار، رضى الله عنهم أجمعين.

مكانة الامام الحسين عند المسلمين

لا ريب فى أن نسب الامام الحسين الشريف، و مكانه من محبة النبى صلى الله عليه و سلم فضلا عما يتمتع به الامام الحسين من مكارم الأخلاق و المثل العليا، انما كان له أكبر الأثر فيما تمتع به الامام الحسين من مكانة فريدة عند المسلمين، و بدهى أن المؤرخ الذى يكتب تاريخ الامام الحسين، أيا كانت جنسيته و أيا كانت ديانته، يخطىء كثيرا فى دلالة الحوادث التاريخية، اذا ما تجاهل مزية النسب الشريف، و مكانة الامام الحسين من سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كما حاول البعض أن يفعل من مؤرخى المسلمين، ذلك لأن الامام الحسين انما كان بمزية النسب الشريف أحب انسان الى قلوب المسلمين، و أجدر الناس أن تنعطف اليه القلوب، فالنبى صلى الله عليه و سلم هو الذى سماه [صفحه ۳۳۰] الحسين، و النبى صلى الله عليه و سلم هو الذى افاض على الحسين و أخوته كل ما فى فؤاده من محبة البنين، و هو مشوق الفؤاد الى الذرية من نسله، و من ثم فقد كان لا يطيق أذاه، و لا يحب أن يستمع الى بكائه، على كثرة ما يبكى الأطفال الصغار، حتى أنه سمعه مرة يبكى فقال للزهراء «ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى» و أنه صلى الله عليه و سلم كان يدلع له لسانه فيرى الحسين حمرة اللسان فيهش اليه، و النبى صلى الله عليه و سلم هو الذى جعل علامة حبه و بغضه انما هى حب الحسن و الحسين و بغضهما.و انطلاقا من كل هذا، فليس هناك مسلم، قديما أو حديثا و حتى تقوم الساعة، يحب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، كما يجب أن يحب المؤمنون أنبياءهم، ثم يصغر عنده حساب هذا الحب النبوى الذى غمر به قلب النبى صلى الله عليه و سلم سبطه العظيم، سيد شباب أهل الجنة مولانا و سيدنا الامام الحسين، و كما يقول الأستاذ العقاد، فلقد أصبح الامام الحسين بهذا الحنان النبوى الشريف فى عداد تلك الشخوص الرمزية التى تتخذ منها الأمم و الملل عنوانا للحب أو عنوانا للفخر، فاذا بها مبجبو كل فرد و مفخرته، و موضع عطفه و اشفاقة، كأنما تمت اليه وحده بصلة القرابة أو بصلة المودة، و قد بلغ الحسين بهذا الحنان مع الزمن مبلغة من تلك المكانة الرمزية، فأوشك بعض واصفيه أن يلحقه فى حمله و ولادته و رضاعه بمواليد المعجزات، فقال بعضهم «و لم يولد مولود لستة أشهر و عاش، الا الحسين و عيسى بن مريم»، و قال آخرون لم ترضعه أمه و لم ترضعه أنثى، فلقد «اعتلت فاطمة لما ولدت الحسين وجف لبنها فطلب رسول‌الله صلى الله عليه و سلم مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه أبهامه فيمصه و يجعل الله فى ابهام رسول‌الله صلى الله عليه و سلم رزقا تغذية ففعل ذلك أعين ليلة و يوما، فأنبت الله سبحانه و تعالى لحمه من لحم سول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و روى عنه غير ذلك كثير من الأساطير التى تحيط بها الأمم تلك لشخوص الرمزية التى تعزها و تغليها، فتلتمس لها مولدا غير المولد المألوف، النشأة المعهودة و تلحقها أو توشك أن تلحقها بالخوارق و المعجزات، و قد كانت حقيقة الحسين الشخصية كفؤا لتلك الصورد الرمزية التى نسجتها حوله الأجيال لتعاقبة قبل أبناء جيله تلك الحقيقة، فكان ملء العين و القلب فى خلق، و فى أدب [صفحه ۳۳۱] و سيرة و كانت فيه مشابهة من جده و أبيه، أو ليس جده صلى الله عليه و سلم الذى قال عنه «حسين منى و أنا من حسين»، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط» أو ليس أبوه هو الذى قال عنه «أشبه أهلى بن الحسين».و هكذا كان للامام الحسين أسمى مكانة عند المسلمين جميعا، و عند صحابة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم على وجه الخصوص، فلقد روى الذهبى فى سير أعلام النبلاء أن الامام الحسين كان فى جنازة فأغبرت قدماه، و أقبل أبوهريرة رضى الله عنه ينفض عنهما التراب، فقال له الامام الحسين: أتفعل هذا، فقال أبوهريرة: دعنى فو الله لو علم الناس منك ما أعلم، لحملوك على رقابهم»، بل ان ابن عباس، حبر الأمة و ترجمان القرآن، على جلاله و هيبته و صحبته، يأخذ له الكراب اذا ركب، و يرمى فى ذلك فرصة يتبرك بها هو و أرفع الصحابة كعبا، و أدناهم من جده صلى الله عليه و سلم، روى الحافظ ابن كثير أن ابن عباس (و هو الشريف الهاشمى و ابن عم النبى) كان يأخذ الركاب للحسن و الحسين اذا ركبا، و يروى هذا من النعم عليه»، و حين سئل فى ذلك قال أو تدرى من هذان، هذان ابنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أو ليس مما أنعم الله بن على أن أمسك لهما الركاب و أسوى عليهما الثياب»، و روى الذهبى فى سير أعلام النبلاء أن الصحابى الجليل بلال بن رباح، مؤذن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كان قد غادر

المدينة بعد انتقال الرسول صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى و لم يطق الاقامة بها و توجه الى بيت المقدس، و لما عاد الى المدينة بعد سنوات طويلة وقع بصره على الحسن و الحسين فاندفع اليهما فى شوق يقبلهما، و يبكى أحر البكاء، فقد ذكراه بحبيبه و سيده رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و حين طلبا اليه أن يؤذن لصلاة العصر استجاب لهما، رغم رفضه أن يؤذن للخليفة، فما أن سمع أهل المدينة صوته حتى خرجوا جميعا، و قد هزهم الحنين الى ذكرى أيامهم مع النبى صلى الله عليه و سلم، و هكذا كان الامام الحسين موضع الحب و التقدير، و الاجلال و الاعزاز من كل الصحابة، و على رأسهم الخلفاء الراشدون، كما رأينا من قبل، فالامام لاحسين سليل بيت النبوة، و حفيد سيد المرسلين، و سبط أمير الأنبياء، و أحب الناس و أقربهم اليه صلى الله عليه و سلم ثم هو الذى تجسدت فيه كل معانى [صفحه ۳۳۲] الحق و الخير، و القيم الرفيعة و الأخلاق الكريمة، و الشمائل العطرة التى جعلته يملأ عيون الناس و قلوبهم حبا و اكبارا، و اجلالا و تقديرا.

اسرة الامام الحسين

كانت سيرة الامام الحسين فى أهله مثالا كريما، و أسوة حسنة، فقد كان الأب الشفوق لبنيه، و الزوج الحنون لنسائه. و هو الراعى الأمين لهؤلاء و أولئك، و كانت الرباب بنت قيس الكلبية أولى زوجات الامام الحسين، و هى أم ولده عبدالله الذى يكنى به، و قد استشهد معه فى كربلاء، كما كانت أم ابنته سكينة، و كان سيدنا الامام الحسين يحبها و يجلها، و قد حضرت مذبحة كربلاء و رأت استشهاد الامام و ابنها عبدالله، و سيقت مع نساء آل البيت حواسر، ثم حضرت مجلس الطغاة فى الكوفة و دمشق، مع ابنتها السيدة سكينة رضى الله عنها، هذا و قد أقسمت الرباب ألا تستظل بسقف بعد مقتل الامام و أقامت سنة على قبره، ثم انصرفت و هى تقول:الى الحلول ثم السلام عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذرو قد أوفت الرباب بعهدها و حفظت للامام الحسين حرمته، فأبت أن تعطى مقادها لأحد غيره، و قد خطبها يزيد بن معاوية و الأشراف من قريش فقالت «ما كنت لا تخذ حما بعد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و الله لا يؤوينى و رجلا، بعد الحسين، سقف أبدا»، و بقيت الرباب بعد الامام عاما ثم ماتت، بعد أن تساقطت نفسها غمدا و كمدا، و تقطعت حسرات، و تصدعت زفرات على شهيد كربلاء، عليه‌السلام.و هناك زوج الامام السيدة ليلى بنت أبى‌مروة الثقفية، و هى أم ابنة على الأكبر الذى استشهد معه فى كربلاء، ثم هناك زوجه السيدة أم اسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، و كانت زوجا لأخيه الحسن، فلما أشرف على الوفاة أوصاه أن يتزوجها و أن لا تخرج من البيت النبوى الشريف، فتزوجها الامام الحسين و أنجب منها السيدة فاطمة، رضى الله عنها، و قد حضرت كربلاء مع أبيها الامام، و بعد استشهاده سيقت مع بقية الطاهرات من آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم الى [صفحه ۳۳۳] الكوفة ثم الى دمشق ثم الى المدينة، ثم سافرت مع عمتها السيدة زينب الى مصر، و مع أختها السيدة سكينة فى غرة شعبان ۶۱ ه، و قد تزوجت من ابن عمها الحسن المثنى، و قيل انه كان تقدم لخطبة السيدة سكينة، و لكن الامام الحسين قال له: اخترت لك فاطمة: فهى أكثر ابتنى شبها بأمى فاطمة، أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله و لا تصلح لرجل، و مسجدها المشهور بمسجد السيدة فاطمة النبوية يوجد بمنطقة سوق السلاح بالقرب من القلعة بمدينة القاهرة، و هو بناء ضخم بناه الأمير عبدالرحمن كتخذا، منشىء معظم مساجد آل البيت بمصر، و يؤمه الناس من جميع أنحاء البلاد يصلون فيه و يزورون و يتبركون بمقام السيدة فاطمة النبوية بنت الامام الحسين، سلام الله عليهما و على آل البيت الطاهرين أجمعين.و هناك زوجه السيدة «شهربانو» بنت كسرى الثالث ملك الفرس، و شهرتها «جيهان شاة» أى «ملكة العالم»، و كانت تلقب كذلك «سلافة»، و قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تزوجها الامام الحسين «يا أبا عبدالله لتلدن لك خير أهل الأرض»، فولدت له الامام زين‌العابدين، و قد أكرم الله هذه السيدة سليلة ملوك الفرس، فكان من نسلها جميع ذرية النبى صلى الله عليه و سلم من جهة الامام الحسين، ذلك لأن سبحانه و تعالى حفظ نسل النبوة بالامام زين‌العابدين، جد كل منتسب الى الامام الحسين، عليهماالسلام. و أما أولاد الامام الحسين، فستة من الذكور هم: عبدالله و على الأكبر و جعفر و على زين‌العابدين و محمد و على الأصغر، و أما بناته فثلاث هن: زنيب و سكينة

و فاطمة، و لم يبق أحد من أبنائه بعد معركة كربلاء سوى الامام على زين‌العابدين، عليه‌السلام.

الامام على زين العابدين

ولد الامام على زين‌العابدين فى شعبان عام ۳۷ ه (يناير ۶۵۸ م)، و قيل ولد فى عام ۳۸ ه، فى بيت السيدة فاطمة الزهراء، عليهاالسلام، من أكرم [صفحه ۳۳۴] أبوين فى العرب و العجم، فأبوه الامام الحسين، سبط النبى و ريحانته، و أمه الأميرة الفارسية «شهربانو» أو «شهربانويه» بنت يزدجر كسرى، آخر ملوك الفرس و قد سماها الامام الحسين السلافة أو سلافة، كما كانت تلقب «جيهان شاة» «ملكة العالم»، و من ثم فالامام على زين‌العابدين نسل النبوة و الأكاسرة معا، و كان يقال له «ابن الخيرتين» لقوله صلى الله عليه و سلم: لله تعالى من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش، و من العجم فارس».و الامام على زين‌العابدين أول مولود للامام الحسين، و قد سجد الامام على بن أبى‌طالب، شكر الله عند ولادته و سماه باسمه، لما دخل فى روعه أنه هو الذى ستكون سلالة النبى صلى الله عليه و سلم منه، و قد نشأ على زين‌العابدين متشعبا بروحانية جده الامام على، و بتقوى أبيه الامام الحسين، و بسمو نفسية والدته، سليلة الملوك، و ربيبة الأكاسرة، و عند ما بلغ السادسة عشرة من عمره زوجه والده الامام من السيدة فاطمة بنت عمه الامام الحسن، و أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، و كان الامام على بن الحسين، المشهور بزين العابدين فى الثالثة و العشرين من عمره يوم مذبحد كربلاء، التى قتل فيها أبوه و اخوته و أعمامه و بنو أعمامه، لأنه كان مريضا لا يستطيع حراكا، لحكمة أراد الله، حتى أنه نهض يوم المعركة يتوكأ على عصا، فاذا بالامام الحسين يصيح بأم كلثوم «احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد»، فأرجعته الى فراشه، و لقد صدقت فراسة الامام الحسين، فبارك الله فى نسل سيد شباب أهل الجنة، كما يقول الذهبى فى سير أعلام النبلاء، بحفظه هذا الغلام الوحيد فى المصير الذى انتهى اليه جميع اخوته، فقد أنجب عشرة من الذكور، تكاثروا قرنا بعد قرن، حتى انتشروا فى كل الآفاق، فالحسينية كلها من ذريته.و يحدثنا الامام الشيخ عبدالحليم محمود، شيخ الأزهر، عن الامام على زين‌العابدين، حيث يروى أنه بعد كربلاء، فيقول: غيبنى رجل منهم و أكرم نزلى و اختصنى و جعل يبكى كلما دخل و خرج، حتى كنت أقول: ان يكن عند أحد من الناس خير و وفاء فعند هذا، الى أن نادى منادى ابن‌زياد، ألا من وجد [صفحه ۳۳۵] عليا بن حسين، فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم، قال فدخل على و الله و هو يبكى، و جعل يربط يدى الى عنقى و هو يقول: «أخاف، ثم أخرجنى اليهم و الله مربوطا حتى دفعنى اليهم، و أخذ ثلاثمائة درهم، و أنا أنظر اليها، فأخذت و أدخلت على ابن‌زياد، غير أنه من المعروف أن على زين‌العابدين حمل مع سيدات آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و هو على بعير ظالع، و يداه مغلولتان الى عنقه، و دخل اللئام بهم ألى قصر ابن زياد، و ربما أمكن التوفيق بين الروايتين أن أحد النادمين على ما وقع لآل البيت، خشى أن يقتل زين‌العابدين فأخفاه، و لكنه سرعان ما خشى على نفسه فسلمه و قبض الجائزة، و ما أتفهها من جائزة، ثلاثمائة درهم فى مقابل تسليم سليل النبى صلى الله عليه و سلم الى الطغاة الظالمين، ألا معذرة يا سيدى يا رسول‌الله.و أيا ما كان الأمر، فمن المتفق عليه، طبقا لروايات المؤرخين، أن ابن زياد نظر فوجد غلاما مريضا هزيلا، مع السيدة زينب، فسأله: من أنت، قال على بن الحسين، قال: «أو لم يقتل الله على بن الحسين، قال: كان لى أخ يسمى عليا قتله الناس، فأعاد ابن زياد قوله: «الله قتله، فقال على: الله يتوفى الأنفس حين موتها، و كان لنفسى أن تموت الا باذن الله»، فأخذت ابن زياد العزة بالأثم و انتهره قائلا: و بك جرأة لجوابى، و صاح الخبيث الأثيم بجنده: اذهبوا به فاضربوا عنقه، فجاشت بالسيدة زينب قوة لا يردها سلطان و يرهبها سلاح، لأنها قوة من هان لديه الموت، و هانت عليه الحياة، فاعتنقت الغلام اعتناق من اعتزم ألا يفارقه، الا و هو جثة هامدة، و أقسمت لئن قتلته لتقتلنى معه، دعو الغلام لما به، كأنه حسب أن العلة قاضية عليه، و هكذا كما أحاطت عناية الله من قبل الامام على بن الحسين، فأمرضته لتحول بينه و بين الاشتراك فى المعركة و التعرض للقتل، فقد استمرت عناية الله له فقيضت له عمته العقيلة الطاهرة لتفتديه بروحها، و تنقذه من الموت، فكان لها الفضل فى استنقاذ آخر أبناء الامام الحسين و كان لها الفضل فى استمرار ذريته الطاهرة الى يوم القيامة، بتوفيق من الله، و ببركة جدها رسول‌الله صلى الله عليه و سلم. [صفحه

۳۳۶] و حمل آل البيت الطاهرين الى يزيد فى دمشق فى مزكب حزين، و على بن الحسين مغلول الى عنقه، لم يكلم أحدا ممن أو كل اليهم ابن زياد قيادة الركب حتى وصلوا دمشق، و لما دخل وفد آل البيت على يزيد، قال الامام زين‌العابدين ليزيد: «ما ظنك برسول الله صلى الله عليه و سلم لو يرانا على هذا الحال»، فأمر يزيد بفك أغلاك زين‌العابدين، ثم التفت اليه، فى وقاحة و شماته، و قال: «ايه يا ابن الحسين، أبوك قطع رحمى و جهل حقى، و نازعنى سلطانى، فصنع الله به ما قد رأيت»، و لا شك أن قول يزيد مغالطة صارخة، بل كذب مكشوف، فالامام الحسين لم يقطع الرحم، بل ان يزيد هو من فعل ذلك، حين أراد أن يأخذه بالبيعة أخذا شديدا، و أما جهل الحسين بحق يزيد، فلا موضع له، فما كان ليزيد على الامام الحسين حقا، بل ان الحسين هو صاحب الحق كله، فهو الأعلى مقاما، و الأوفر علما و فقها و الأكبر سنا، و الأشراف حسبا و نسبا، و لكن يزيد جهل ذلك كله، و عامل الامام الحسين معاملة من أخذته العزة بالاثم، و من ثم فان على زين‌العابدين لم يجد، ازاء كل هذه المغالطات، خيرا من أن يجيب بأية من كتاب الله تحسم النزاع «ما أصاب من مصيبة فى الأرض و لا فى أنفسكم ألا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم، و الله لا يحب كل مختال فخور»، و التفت يزيد الى ولده خالد ليرد على الامام زين‌العابدين، فلم يستطع أن يجيب، الا أن يجول ببصره فى بلاهة و جهل، فقال يزيد: قل له «و ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير».و روى أن الأمام على زين‌العابدين خطب الناس، فقال، بعد أن حمد الله و أثنى عليه، «أيها الناس أعطينا ستا، و فضلنا بسبع، أعطينا العلم و الحلم و السماحة و الفصاحة و الشجاعة و المحبة فى قلوب المؤمنين، و فضلنا بأن منا النبى و الصديق و الطيار و أسدالله و أسد رسوله و سبطى هذه الأمة، أيها الناس: من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى أنبأته بحسبى و نسبى، أيها الناس أنا ابن مكة و منى، أنا ابن زمزم و الصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن [صفحه ۳۳۷] خير من ائتزر و ارتدى، و خير من طاف و سعى و حج و لبى، أنا ابن من حمل على البراق و بلغ به جبريل سدرة المنتهى فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى اليه الجليل ما أوحى، أنا بن من ضرب بين يدى رسول‌الله ببدر و حنين، و لم يكفر الله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين و وارث النبيين و يعسوب المسلمين و نور المجاهدين، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين و مفرق الأحزب، أربطهم جأشا، و أمضاهم عزيمة، ذاك أبو السبطين الحسن و الحسين، على بن أبى‌طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء و سيدة النساء، و ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المرمل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن بكى عليه الجن فى الظلماء، و ناحت الطير فى الهواء، فلما بلغ الى هذا الموضع ضج الناس بالبكاء، و خشى يزيد الفتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة، فما أن بلغ المؤذن «أشهد أن محمدا رسول‌الله»، حتى قال زين‌العابدين للمؤذن: أسألك بحق محمد أن تسكت حتى أكلم هذا و الفتى الى يزيد فقال: «هذا الرسول العزيز الكريم جدك أم جدى، فان قلت جدك علم الحاضرون و الناس كلهم أنك كاذب، و ان قلت جدى، فلم قتلت أبى ظلما و عدوانا، و انتهبت ماله و سبيت نساءه، فويل لك يوم القيامة، اذا جدى خصمك»، فصاح يزيد بالمؤذن، أقم الصلاة».و روى الطبرى أن الامام على زين‌العابدين أقام أياما بعد ذلك فى دمشق، فدعاه يزيد ذات يوم، و معه ابن عمرو بن الحسن، و هو غلام صغير، فقال لعمرو: أتقاتل هذا، يعنى ابنه خالد بن يزيد، فقال اعطنى سكينا و أعطه سكينا حتى أقاتله، فضمه يزيد اليه و قال: «شنشنة أعرفها من أخرم، و هل تلد الحية الا حية».و رحل الامام على زين‌العابدين و آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم الى المدينة المنورة، و استقر فيها لم يبرحها، و لما حدثت موقعة الحرة (۲۷ ذى الحجة ۶۳ ه) و سلط يزيد مجرم آخر من سفاحية يدعى مسلم بن عقبة المرى، لا يقل فى لؤمه و ولعه بالشر عن ابن‌زياد، فاستباح مدينة رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام هتكت فيها الأعراض و نهبت الأموال، و اشترط على الناس أن يبايعوا يزيد على أنهم عبيد له، يحكم [صفحه ۳۳۸] فى دمائهم و أموالهم كما شاء، فرفض أهل المدينة ذلك فاستعرضهم بالسيف جزرا، كما يجزر القصاب الغنم، حتى اسخت الأقدام فى الدم و قتل أبناء المهاجرين و الأنصار، و كان الامام زين‌العابدين قد لاذ بقبر جده المصطفى صلى الله عليه و سلم فلما رأى فشر القتل فى المسلمين ذهب الى مسلم فقال له: علام يريد يزيد أن أبايعك»، فأجاب مسلم الجبار، و قد ارتعد من السجاد ثم قال: «على أنك أخ و ابن عم، قال، و ان أردت أن أبايعك على

أننى عبد فعلت، فقال مسلم: ما أجشمك هذا، فلما رأى أهل المدينة ذلك، قالوا: هذا ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بايعه على ما يريده، فبايعوه على ما أراد، و بهذا أنقذ على زين‌العابدين الكثير من أهل المدينة من القتل، و كانت هذه أول قدوة قدمها ابن الحسين لانقاذ المسلمين من سيف يزيد القاسى.هذا و يروى أن الامام على زين‌العابدين كان كثير البكاء، فقيل له فى ذلك، فقال ان يعقوب عليه‌السلام بكى حتى أبيضت عيناه على يوسف، و لم يعلم أنه مات، و انى رأيت بضعة عشر من أهل بيتى يذبحون فى غداة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبى أبدا، هذا و قد اشتهر الامام على بن الحسين بعدة ألقاب، منها «زين‌العابدين»، روى ابن عساكر، عن ابن الزبير قال: «كنا عند جابر بن عبدالله، فدخل عليه على بن الحسين، فقال: كنت عند رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فدخل عليه الحسين بن على، فضمه اليه و قبله و أقعده الى جانبه، ثم قال: «يولد لأبنى هذا ابن يقال له على، اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: ليقم زين‌العابدين، فيقوم هو، و روى عن سعيد بن المسيب أنه حدث عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: اذا كان يوم القيامة ينادى مناد: أين زين‌العابدين، فكأنى أنظر الى ولدى على، يخطر بين الصفوف»، و منها «سيد العابدين»، روى أبو عمر الزاهرد فى كتاب اليواقيت أن الزهرى كان يقول: ينادى مناد يوم القيامة ليقم سيد العابدين فى زمانه، فيقوم على بن الحسين، و منها «السجاد»، روى الصدوق فى العلل عن الباقر عليه‌السلام، أن أباه عليا عليه‌السلام، ما ذكر الله عزوجل نعمة عليه الا سجد، و لا قرأ آية من كتاب الله فيها [صفحه ۳۳۹] سجود الا سجد و لا دفع الله عنه سواءا يخشاه أو كيد كائد الا سجد، و لا فرغ من صلاة مكتوبة الا سجد، و لا وفق الى اصلاح بين اثنين الا سجد، و كان أثر السجود فى جميع مواضع سجوده، فسمى السجاد، و منها «ذو الثفنات»، روى الصدوق فى العلل عن الباقر أنه قال: كان لأبى فى موضع سجوده آثار ثابتة، و كان يقطعهما فى السنة مرتين، فى كل مرة خمس ثفنات، فسمى «ذو الثفنات»، و قد سماه ابن تيمية «قرة عين الاسلام».هذا و قد تتلمذ على بن الحسين على سعيد بن المسيب، و الذى كان يقول «ما رأيت قط أفضل من على بن الحسين عليه‌السلام، و ما رأيته قط الا مقت نفسى، كما تتلمذ على «سعيد بن جبير»، و روى عن يحيى بن سعيد أنه كان يقول عنه «هو أفل هاشمى رأيته»، و قال الزهرى عنه:كان أكثر مجالسى مع على بن الحسين، و ما رأيت أفقه منه، و كان قليل الحديث، و من أفضل أهل بيته، و أحسنهم طاعة، و كان يسمى زين‌العابدين، و حمله عبدالملك بن مروان من المدينة مقيدا مغلولا فى أثقل قيود و أغلال، فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى، و قال: وددت أنى مكانك، فقال زين‌العابدين: أتظن أن ذلك يكربنى، لو شئت لما كان، و انه ليذكرنى عذاب الله، ثم أخرج رجليه من القيد، و يديه من الغل و رماهما، ثم أعادهما»، و يذكر ابن تيمية أن له من الخشوع و صدقة السر، و غير ذلك من الفضائل مما هو معروف، و أنه كان متواضعا، يجالس زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، و قال عنه عمر بن عبدالعزيز، فقال، فيما يروى اليعقوبى، «ذهب سراج الدنيا و جمال الاسلام و زين‌العابدين، فقيل له ان ابنه أبا جعفر محمد بن على فيه بقية، بل انه حين وعظه زين‌العابدين قبل وفاته بقليل، قال عمر بن عبدالعزيز، ان أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل»، و روى أن الزهرى قارف ذنبا فاستوحش به وهام على وجهه و ترك أهله و ماله، فلما اجتمع بالامام على زين‌العابدين قال له: يا زهرى قنوطك من رحمة الله التى وسعت كل شىء، أعظم من ذنبك»، قال الزهرى «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، و كان ابن سعد يقول [صفحه ۳۴۰] عنه «ثقة كثير الحديث عليا رفيعا و رعا»، و كان يتمتع بمكانة بين المسلمين لا يتطول اليها أحد فى زمانه، كائنا من كان، و يكفينا هنا أن نشير الى القصة المشهورة بينه و بين هشام بن عبدالملك، و التى قال فيها الفرزدق الشاعر قصيدته التى شاعت بين الناس.شاعت لجمالها و صدقها، و شاعت كمثل كريم من أمثلة الشجاعة الأدبية عند الفرزدق، و ذلك أن الفرزدق الشاعر قصيدته التى شاعت بين الناس.شاعت لجمالها و صدقها، و شاعت كمثل كريم من أمثل الشجاعة الأدبية عند الفرزدق، و ذلك أن الفرزدق قالها فى وجه الجبروت و الطغيان انتصارا لرجل صالح شريف من أهل البيت، لا يملك جندا، و لا يسيطر على جيش.و قالها محبا صادقا لابن الحسين رضى الله عنهم أجمعين.و لقد رويت هذه القصيدة من عدة طرق - ذكرها الصولى، و الجريرى و غير واحد - ذكروا أن هشام بن عبدالملك حج فى خلافة أبيه و أخيه و الوليد، فطاف بالبيت، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر، فاستلم و جلس عليه، و قام أهل الشام حوله، فبينما هو كذلك اذا أقبل على بن الحسين،

فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس اجلالا له و هيبة و احتراما، و هو فى بزة حسنة، و شكل مليح.. فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟فقال: لا أعرفه، استنقاصا به، و احتقارا لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - و كان حاضرا -: أنا أعرفه.فقالوا: و من هو؟فأشار الفرزدق يقول:هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلمهذا الذى تعرف البطحاء و طأته و البيت يعرفه و الحل و الحرماذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرمينمى الى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الاسلام و العجميكاد يمسكه عرفان راحته، ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم [صفحه ۳۴۱] مشتقة من رسولالله نبعته طابت عناصرها و الخيم و الشيمينجاب نور الهدى من نور غرته كالشمس ينجاب عن اشراقها الغيمحمال أثقال أقوام اذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعمهذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموامن جده دان فضل الأنبياء له و فضل أمته دانت لها الأممعم البرية بالاحسان فانقشعت عنها الغواية و الاملاق و الظلم كلتا يديه غياث عم نفعها يستو كفان و لا يعروهما العدمسهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنتان الحلم و الكرملا يخلف الوعد ميمون بغيبته رحب الفناء أريب حين يعتزممن معشر حبهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصميستدفع السوء و البلوى بحبهم و يستزاد به الاحسان و النعممقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل حكم و مختوم به الكلمان عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل همهلا يستطيع جواد بعد غايتهم و لا يدانيهم قوم و ان كرمواهم الغيوث اذا ما أزمت و الأسد أسد الشرى و البأس محتدميأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خيم كرام و أيد بالندى هضملا ينقص العدم بسطا من أكفهم سيان ذلك أن أثروا و ان عدموارأى الخلائق ليس فى رقابهم لأولية هذا أوله نعمفليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت و العجممن يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأممقال: فغضب هشام من ذلك، و أمر بحبس الفرزدق بعسفان - بين مكة و المدينة - فلما بلغ ذلك على بن الحسين بعث الى الفرزدق باثنى عشر ألف درهم، فلم يقبلها و قال:انما قلت ما قلت لله عزوجل، و نصرة للحق، و قياما بحق رسولالله صلى الله عليه و سلم فى ذريته، و لست أعتاض عن ذلك بشىء. [صفحه ۳۴۲] فأرسل اليه على بن الحسين يقول:قد علم الله صدق نيتك فى ذلك، و أقسمت عليك بالله لتقبلنها، فتقبلها منه.

مناقب الامام الحسين

سيدنا الامام الحسين أحد ريحانتى رسولالله صلى الله عليه و سلم و أصغر السبطين الشريفين لسيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و واحد من أهل البيت الذين فضلهم الله على كثير من عباده تفضيلا، و بدهى أن الله سبحانه و تعالى قد أكرمه بكل ما أكرم به أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرحس و طهرهم تطهيرا، و من ثم فهو رضى الله عن تنطبق عليه كل فضائل البيت النبوى الشريف، التى أشار اليها القرآن الكريم، و فصلتها الأحاديث الشريفة:: الأمر الذى فصلناه فى الجزء الأول من هذه الدراسة، فالامام الحسين واحد من هؤلاء الطاهرين المطهرين الذين جاءت فى حقهم آيات: الأحزاب ۵۶، ۳۳، و الشورى ۲۳ و غيرها من آيات الذكر الحكيم، فضلا عنه أحاديث جده الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم التى تبين فضل أهل البيت، و تحض المسلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر المؤمنين من بغضهم و كراهيتهم، و أنه لا أمل لمن يكره آل النبى فى رشاد فى الدنيا، و شفاعته فى الآخرة، و صدق سيدنا رسولالله صلى الله عليه و سلم حيث يقول: «من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا و من على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان، ألا و من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر و نكير، ألا و من مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها، ألا و من مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة، ألا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حب آل محمد مات على السنة و الجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا و من مات على بغض آل محمد مات كافرا، ألا و من مات على بغض [صفحه ۳۴۳] آل محمد لم يشم رائحة الجنة، ألا و من مات على بغض آل محمد فلا نصيب له فى شفاعتى».هذا و سوف نشير هنا الى

بعض الأحاديث التى جاءت فى فضائل الامام الحسين، و قد أشرنا الى الأحاديث التى جاءت فى فضل الامامين الحسن و الحسين فى كتابنا عن «الامام الحسن».

فضائل الامام الحسين

روى عن سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه و سلم عن أحاديث فى فضائل سبطه و ريحانته فى الدنيا، الامام الحسين، عدة أحاديث شريفة، منها (أولا) روى الامام أحمد فى المسند و الفضائل، و الحاكم من المستدرك و أبونعيم فى أماليه و الدولابى فى الكنى و الطبرانى بطرق مختلفة، و الرواية هنا للامام أحمد عن يعلى العامرى أنه خرج مع رسول‌الله صلى الله عليه و سلم الى طعام دعو اليه، فاستمثل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فاستقبل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أمام القوم، و حسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أن يأخذه، قال: فطلق الصبى هاهنا مرة، و هاهنا مرة، فجعل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يضاحكه حتى أخذه، قال: «فوضع احدى يديه تحت قفاه، و الأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه فقبله، و قال صلى الله عليه و سلم: حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط».و فى رواية ابن ماجة فى السنن عن يعلى بن مرة قال: «انهم خرجوا مع النبى صلى الله عليه و سلم الى طعام دعو له، فاذا حسين يلعب فى السكة قال: فتقدم النبى صلى الله عليه و سلم أمام القوم و بسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا و هاهنا، و يضاحكه النبى صلى الله عليه و سلم حتى أخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه، و الأخرى فى فأس رأسه فقبله فقال: «حسين منى، و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط».و منها (ثانيا) روى الحاكم فى المستدرك عن عاصم بن بهدلة، قال: اجتمعوا عند الحجاج (الثقفى) فذكر الحسين بن على، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبى صلى الله عليه و سلم و عنده يحيى بن يعمر، فقال له: «كذبت أيها الأمير، فقال: [صفحه ۳۴۴] لتأتينى على ما قلت ببينة و مصداق من كتاب الله عزوجل، او لا قتلنك قتلا، فقال «و من ذريته داود و سليمان و يوسف و موسى» الى قوله عزوجل «و زكريا و يحى و عيسى و الياس» فأخبر الله عزوجل أن عيسى من ذرية آدم بأمه، و الحسين بن على من ذرية محمد صلى الله عليه و سلم بأمه، قال صدقت، قال فما حملك على تكذيبى فى مجلسى، قال: «ما أخذ الله على الأنبياء ليبيننه للناس و لا يكتمونه، قال الله عزوجل «فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا»، فنفاه الى خراسان».و فى رواية أخرى للقصة عن الشعبى أن يحيى بن يعمر تلا آية ۸۵، ۸۴ من الأنعام، و لكنه قرأ «و زكريا و يحيى و الياس»، و ترك كلمة «و عيسى»، فقال الحجاج: «و أين تركت «عيسى»، قال يحيى: و من أين كان عيسى من ذرية ابراهيم و لا أب له، قال الحجاج: من قبل أمه «مريم»، قال يحيى: أيكون عيسى من ذرية ابراهيم بواسطة أمة مريم، و بينها و بينه ما تعلم من الاجداد (ما يقرب من عشرين قرنا فيما نرى) و لا يكون الحسن و الحسين من ذرية رسول‌الله صلى الله عليه و سلم بواسطة أمهما فاطمة، و هى ابنته بلا واسطة، و كأنما ألقم الحجاج حجرا، فقال: أعطوه عشرة آلاف درهم، لا بارك الله له فيها «و انظر كتابنا: فاطمة الزهراء» و هو الجزء الرابع من هذه السلسلة.و منها (ثانيا) أخرج الامام أحمد فى الفضائل و الطبرانى، و الحاكم عن أبى‌هريرة قال: «رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و قد أخذ بيدى الحسين بن على، و قد وضع قدم الحسين على ظهر قدميه، و هو يقول: «ترق عين بقة، ترق عين بقة»، و فى رواية للطبرانى: خرقة خرقة، ارق عين بقة» (و كان النبى يدلل الحسين، و قيل أراد النبى صلى الله عليه و سلم بالبقة فاطمة فقال للحسين يا قرة عين بقة ترق: انظر: فضائل الصحابة للامام أحمد ۷۸۸ – ۷۸۷ / ۲، النهاية لابن الأثير ۳۷۸ / ۱).و منها (ثالثا) أخرج الترمذى عن يعلى بن مرة قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم حسين منى و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من لأسباط»، و منها (رابعا) أخرج الحاكم و أبونعيم من الحلية و ابن سعد و ابن أبى [صفحه ۳۴۵] شيبة و البيهقى فى الدلائل عن الشعبى و الامام أحمد فى الفضائل بسنده الى عروة بن الزبير قال ان رسول‌الله قبل حسينا و ضمه اليه و جعل يشمه، و عنده رجل من الأنصار، فقال الأنصارى ان لى ابنا قد بلغ، ما قبلته قط، فقال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أرأيت أن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبى»، و منها (خامسا) أخرج الامام أحمد و ابن حبان و أبو يعلى فى المطالب العالية و الهيثمى

فى مجمع الزوائد بسنده غن ابن سابط قال: «دخل حسين بن على، عليه‌السلام، المسجد، فقال حاجر بن عبدالله من أحب أن ينظر الى سيد شباب الجنة، فلينظر الى هذا، سمعته من رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و فى رواية أبى يعلى: من سره أن ينطر الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن على».و منها (سادسا) أخرج الامام الترمذى عن هانىء، عن على قال: «الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين الصدر الى الرأس، و الحسين أشبه بالنبى صلى الله عليه و سلم ما كان أسفل من ذلك»، و منها (سابعا) أخرج البخارى فى صحيحه، و الامام أحمد فى مسنده، عن أنس بن مالك: «أتى عبيدالله بن زياد، برأس الحسين، عليه‌السلام، فجعل فى طست، فجعل ينكث، و قال فى حسنه شيئا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه و سلم و كان مخضوبا بالوسمة»، و منها (ثامنا) أخرج الامام أحمد فى الفضائل و ابن حبان فى موارد الظمآن، و الطبرانى فى الكبير بسنده عن حفصة بنت سيرين قالت حدثنى أنس بن مالك قال: «كنت عند ابن زياد، فجىء برأس الحسين، عليه‌السلام، فجعل ينكث بقضيبه فى أنفه: ما رأيت مثل هذا حسنا، قلت: أما أنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه و سلم و منها (تاسعا) أخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى مسلم شيخ القطيعى، و الامام احمد فى الفضائل عن أنس بن مالك قال: لما أوتى برأس الحسين، يعنى الى عبيدالله بن زياد، قال: «فجعل ينكث بقضيب فى يده يقول: ان كان لحسن الثغر، فقلت و الله لأسوأنك، لقد رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقبل موضع قضيبك من فيه»، و منها (عاشرا) روى الطبرانى عن محمد بن الضحاك قال: «كان جسد الحسين شبه جسد رسول‌الله صلى الله عليه و سلم»، و روى الطبرانى فى الكبير و أبونعيم عن على قال: [صفحه ۳۴۶] «من سره أن ينظر الى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين عنقه الى وجهه، فلينظر الى الحسن بن على و من سره أن ينظر الى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين عنقه الى كعبه، خلقا و لونا، فينظر الى الحسين بن على».و منها (حادى عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل، و ابن عبدالبر فى الاستيعاب، و عبد بن حميد فى منتخب مسنده، و الحاكم فى المستدرك و الطبرانى فى الكبير و الهيثمى فى مجمع الزوائد من طريق حماد عن عمار بن أبى‌عمار عن ابن‌عباس قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام بنصف النهار، أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئا، قلت يا رسول‌الله ما هذا، قال صلى الله عليه و سلم دم الحسين و أصحابه، ثم لم أزل أتتبعه منذ اليوم، قال عمار: فحفظنا ذلك، فوجدنا قتل ذلك اليوم، عليه‌السلام»، و فى رواية أخرى للامام أحمد فى الفضائل بسنده عن ابن‌عباس: «قال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فيما يرى النائم بنصف النهار، قائل أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقال: «بأبى و أمى و أنت يا رسول‌الله ما هذا، قال صلى الله عليه و سلم دم الحسين و أصحابه، فلم أزل التقطه منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم، فوجدوه قتل فى ذلك اليوم عليه‌السلام».و منها (ثانى عشر) روى الطبرانى عن أم‌سلمة (زوج النبى صلى الله عليه و سلم) قالت: كان رسول‌الله صلى الله عليه و سلم جالسا ذات يوم فى بيتى قال: لا يدخلن على أحد، فانتظرت، فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يبكى، فأطلعت فاذا حسين فى حجره، و النبى صلى الله عليه و سلم ليمسح جبينه و يبكى، فقلت: و الله ما علمت حين دخل، فقال صلى الله عليه و سلم ان جبريل، عليه‌السلام، كان معنا فى البيت، قال: أفتحبه، قلت: أما فى الدنيا فنعم، قال: ان أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من تربتها فأراها النبى صلى الله عليه و سلم فلما أحيط بحسين حين قتل، قال: ما اسم هذه الأرض، قالوا: كربلاء، قال صدق الله و رسوله: كرب و بلاء»، و منها (ثالث عشر) أخرج الامام أحمد فى الفضائل بسنده الى أم‌سلمة قالت: كان جبريل عليه‌السلام، عند النبى صلى الله عليه و سلم و الحسين معى فبكى فتركته فدنا من النبى صلى الله عليه و سلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد، فقال نعم، فقال: «ان أمتك ستقتله، [صفحه ۳۴۷] و ان شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها، فأراه اياه، فاذا الأرض يقال لها كربلاء»، و منها (رابع عشرة) أخرج الامام أحمد فى المسند، و البيهقى فى مجمع الزوائد (عن أبى الطفيل) و الطبرانى عن أنس بن مالك: أن ملك المطر استأذن ربه أن يأتى النبى صلى الله عليه و سلم فأذن له، فقال صلى الله عليه و سلم لأم سلمة: املكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قالت: و جاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فجعل يعقد على ظهر النبى صلى الله عليه و سلم و على منكبه و على عاتقه، قال، فقال الملك للنبى صلى الله عليه و سلم: أتحبه، قال نعم، قال: أما ان أمتك ستقتله، و ان شئت أريتك

المكان الذى يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينه حمراء، فأخذتها أم‌سلمة فصرتها فى خمارها، قال قال ثابت: «بلغنا أنها كربلاء»، و منها (خامس عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل و أبو يعلى و البزار و الطبرانى عن عائشة أو أم‌سلمة، شك الراوى، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لاحداهما: لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها، فقال: «ان ابنك هذا حسين مقتول، و ان شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها، فأخرج تربة حمراء».و منها «سادس عشر» روى الطبرانى فى الكبير عن أم‌سلمة قالت: اضطجع رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم، فاستيقظ و هو خائر النفس، و فى يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول‌الله، قال: أخبرنى جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق - للحسين - فقلت لجبريل: أرنى تربة الأرض التى يقتل بها، فهذه تربتها»، و روى ابن أبى شيبة عن أم سلمة قال: دخل الحسين على النبى صلى الله عليه و سلم، و أنا جالسة على الباب، فتطلعت فرأيت فى كف النبى صلى الله عليه و سلم شيئا يقلبه، و هو نائم على بطنه، فقلت: «يا رسول‌الله، تطلعت فرأيتك تقلب شيئا فى كفك، و الصبى نائم بطنك، و دموعك تسيل، فقال: «ان جبريل أتانى بالتربة التى يقتل عليها، فأخبرنى أن أمتى يقتلونه».و منها (سابع عشر) أخرج الطبرانى و ابن سعد عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يقتل بأرض الطف، و جاءنى بهذه التربة، و أخبرنى أن فيها مضجعه»، و روى ابن سعد عن أنس عن على بن [صفحه ۳۴۸] النبى صلى الله عليه و سلم قال: أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطىء الفرات»، و منها (ثامن عشر) أخرج البغوى و ابن السكن و الباوردى و ابن منده و ابن عساكر عن أنس بن الحارث عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ان ابنى هذا - يعنى الحسين - يقتل بأرض من أرض العراق يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منهم فلينصره» و أخرج الطبرانى عن زينب بنت جحش قالت قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم ان جبريل أتانى و أخبرنى أن ابنى هذا «يعنى الحسين» تقتله أمتى، فقلت فأرابى تربته، فأتانى بتربة حمراء».و منها (تاسع عشر) أخرج ابن سعد عن عائشة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ان جبريل أرانى التربة التى يقتل عليها، الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه، فيا عائشة، و الذى نفسى بيد انه ليحزننى، فمن هذا من أمتى يقتل حسينا بعدى»، و أخرج ابن عساكر عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «ان جبريل أخبرنى أن ابنى هذا يقتل، و أنه اشتد غضب الله على من يقتله»، و أخرج ابن عساكر عن الحسن مرفوعا عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «كأنى أنظر الى كلب أبقع بلغ فى دماء أهل بيتى»، و روى ابن عساكر عن محمد بن عمرو بن حسن قال: «كنا مع الحسين بنهر كربلاء فنظر الى شمر ذى الجوشن فقال: «صد الله و رسوله، قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم كأنى أنظر الى كلب أبقع يلغ فى وعاء أهل بيتى»، و كان شمر أبرصا».و منها (عشرون) أخرج الامام أحمد فى المسند، و أبو يعلى و البزار و الطبرانى، عن عبدالله بن نجى عن أبيه، أنه سار مع على، و كان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى، و هو منطلق الى صفين، فنادى على: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت و ما ذاك، قال: دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم، و عيناه تفيضان، قلت يا نبى الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك نفيضان، قال: بل قام من عندى جبريل قبل فحدثنى: أن الحسين يقتل بشط لفرات، قال، فقال: هل لك الى أن أشمك من تربته، قال قلت نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينى أن فاضتا» (و رواه أيضا ابن بى شيبة و سعيد بن منصور).و منها (واحد و عشرون) روى الطبرانى من طرق و الامام أحمد فى [صفحه ۳۴۹] الفضائل بسنده عن شهر بن حوشب، قال سمعت أم‌سلمة، حين جاء نعى الحسين بن على، لعنت أهل العراق، و قال: «قتلوه قتلهم الله، غزوه و ذلوه، لعنهم الله، جاءته فاطمة، رضى الله عنها، و معها ابناها، جاءت بهما تحملهما حتى وضعتهما بين يديه، فقال صلى الله عليه و سلم لها: «أين ابن عمك، قالت هو فى البيت، قال أذهبى فادعيه، و ائتنى با بنى قال فجاءت تقود ابنيها، كل واحد منهما فى يد، و على يمشى فى أثرها حتى دخلوا على رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فأجلسهما فى حجره، و جلس على على يمينه، و جلست فاطمة على يساره، قالت أم‌سلمة فأخذ من تحتى كساء كان بساطا لنا على المنامة فى المدينة، فلفه رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فأخذ بشماله بطرفى الكساء، و ألوى بيد اليمنى الى ربه عزوجل قل: «اللهم أهل بيتى اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، ثلاث مرات، كل ذلك يقول: اللهم أهلى اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، قال فقلت يا رسول‌الله: ألست من أهلك، فقال بلى، فادخلى فى الكساء، قالت فدخلت فى

الكساء، بعد ما قضى دعاه لابن عمه و ابنيه و ابنته فاطمة، عليهم‌السلام».و منها (اثنان عشرون) أخرج الامام أحمد فى الفضائل بسنده عن عمار بن أبى‌عمار: سمعت أم‌سلمة قالت: سمعت الجن يبكين على حسين، قال و قالت أم‌سلمة، سمعت الجن تنوح على الحسين رضى الله عنه (أخرجه أحمد بن منيع فى مسنده، و رواه الطبرانى)، و منها (ثلاث و عشرون) أخرج الطبرانى و أبوداود الطيالسى و الترمذى و الامام أحمد، بسند الى ابن أبى نعم قال: كنت عند ابن عمر، فسأله رجل عن دم البعوض، فقال ممن أنت، قال من أهل العراق، قال أنظروا الى هذا يسألنى عن دم البعوض، و قد قتلوا ابن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم، و قد سمعت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يقول: «هما ريحانتى من الدنيا، رضى الله عنهما»، و فى رواية البخارى من صحيحه عن ابين أبى‌نعيم قال: «سمعت عبدالله بن عمر، و سأله رجل عن المحرم، قال شعبة و أحسبه يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن قتل الذباب، و قد قتلوا ابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم (يعنى الحسين) و قال النبى صلى الله عليه و سلم هما ريحانتاى من الدنيا» - يعنى الحسن و الحسين. [صفحه ۳۵۰] و منها (أربع و عشرون) روى الحاكم فى المستدرك عن أبى‌هريرة رضى الله عنه قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسين بن على، و هو يقول: اللهم انى أحبه فأحبه»، و منها (خمس و عشرون) روى الحاكم فى المستدك عن ابن‌عباس، رضى الله عنهما، قال: أوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه و سلم انى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، و انى قاتل بابن ابنتك سبعين ألفا و سبعين ألفا»، و منها (ست و عشرون) روى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «ما رأيت الحسين بن على الا فاضت عينى دموعا، و ذاك أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم خرج يوما فوجدنى فى المسجد فأخذ بيدى و اتكأ على، فانطلقت معه حتى جاء سوق بنى قينقاع قال و ما كلمنى، فطاف و نظر ثم رجع و رجعت معه، فجلس فى المسجد و احتبى و قال لى أدع لى لكاع، فأتى حسين يشتد حتى وقع فى حجره، ثم أدخل يده فى لحية رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فجعل رسول‌الله صلى الله عليه و سلم يفتح فم الحسين فيدخل فاه فى فيه و يقول: «اللهم انى أحبه فأحبه».و منها (سبع و عشرون) روى الحاكم عن عبدالله بن رافع عن أبيه رضى الله عنه قال: رأيت رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أذن فى أذن الحسين بن على، حسين ولدته فاطمة، رضى الله عنها»، و منها (ثمان و عشرون) روى الحاكم عن على رضى الله عنه أن رسول‌الله صلى الله عليه و سلم أمر فاطمة، رضى الله عنها، فقال: «زنى شعر الحسين و تصدقى بوزنه فضته، و أعطى القابلة رجل العقيقة»، و منها «تسع و عشرون» روى الحاكم عن أم الفضل رضى الله عنها، قالت: دخل على رسول‌الله صلى الله عليه و سلم و أنا أرض الحسين بن على، بلبن ابن كان يقال له قثم، قالت: فتناوله رسول‌الله صلى الله عليه و سلم فناولته اياه، فبال عليه، قالت فأهويت بيدى اليه، فقال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: لا ترزمى ابنى، قالت: «فرشه بالماء، قال ابن‌عباس: بول الغلام الذى لم يأكل يرش، و بول الجارية يغسل».و منها (ثلاثون) روى الخطيب و ابن عساكر عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى الله عليه و سلم: خير رجالكم على، و خير شبابكم الحسن و الحسين، و خير نسائكم فاطمة»، و منها (واحد و ثلاثون) أخرج الطبرانى عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: [صفحه ۳۵۱] «من أحب هذا - يعنى الحسين - فقد أحبنى».و منها (اثنان و ثلاثون) روى بن عساكر عن ابى البخترى قال: «كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر، فقام اليه الحسين بن على، فقال: انزل عن منبر أبى، قال عمر: «منبر أبيك لا منبر أبى، من أمرك بهذا، فقام على فقال: ما أمره بهذا أحد، أما لأوجعنك يا غدر، فقال: لا توجع ابن أخى فقد صدق منبر أبيه».و منها (ثلاث و ثلاثون) روى ابن سعد و ابن راهوية و الخطيب عن الحسين بن رضى الله عنه قال: صعدت الى عمر بن الخطاب المنبر، فقلت له: انزل عن منبر أبى، و اصعد منبر ابيك، فقال: ان أبى لم يكن له منبر، فأقعدنى معه، فلما نزل ذهب بى الى منزله فقال: أى بنى من علمك هذا، قلت: ما علمنيه أحد، فقال: أى بنى، لو جعل تأتينا و تغشانا، قال: فجئت يوما و هو خال بمعاوية، و ابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقينى بعد فقال يا بنى لم أرك أتيتنا، قلت: جئت و أنت خال بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، فقال: «أنت أحق بالاذن من عبدالله بن عمر، انما أنبت فى رؤوسنا ما ترى، الله ثم أنتم، و وضع يده على رأسه».

پاورقى

[۱] عن آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم أنظر (صحيح البخارى ۳۶، ۳۲، ۲۶ - ۲۲ / ۵، ۲۸۴، ۲۴۹ / ۴، صحيح مسلم ۶ - ۲ / ۱۶، ۱۹۴ - ۱۹۲ / ۱۵، ۱۸۱ - ۱۸۰ / ۱۵) و عن مكة المكرمة أنظر «صحيح البخارى ۱۹ - ۱۷ / ۳، صحيح مسلم ۱۳۰ - ۱۲۳ / ۹» و عن المدينة المنورة أنظر (صحيح البخارى ۳۰ - ۲۵ / ۳، صحيح مسلم ۷۱ - ۶۷ / ۱۶، ۱۶۶ - ۱۳۴ / ۹)

[۲] وردت هذه القصة فى كثير من كتب الأدب و التاريخ، باختلاف فى الاسم و الجهة، فقد تحدث عنها: ابن قتيبة فى الامامة و السياسة، و النويرى فى نهاية الأرب، و الميدان فى مجمع الأمثال، و ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون، و السيوطى فى تحفة المجالس، و الشبراوى فى الاتحاف بحب الأشراف، و العلايلى فى الامام الحسين.

[۳] روى أبواسحاق الاسفراينى فى كتابه «نور العين فى مشهد الحسين» عدة قصص فى هذا الصدد، منها قصة الحبر اليهودى الذى دخل على يزيد، و الرأس أمامه و لما عرف قصة الامام الحسين قال ليزيد: ان بينى و بين البنى داود أربعين جدا، و اليهود يعظموننى و يتبركون بى، و أنتم بالأمس كان محمد فيكم نبيا كريما، و اليوم قتلتم أولاده و سبيتم حرمه، ثم سحب سيفه على يزيد و كاد أن يقتله ثم أسلم بعد ذلك، و قصة أخرى عن رسول قيصر ليزيد و الذى حضر فوجد الرأس أمام يزيد و عندما عرف قضية الامام الحسين و نسبه قال ليزيد: أف لك و لتدينك يا يزيد، الآن دينى أحسن من دينك، ثم أعلمه أن النصارى يعظمونه لأن جده كان من حوارى داود، و يأخذن من تراب أقدامه تبركا به، و أنتم تفعلون بابن نبيكم هذه الفعال و ما بينه و بينه جد واحد، فأى دين دينكم «يعنى يزيد» هذا، ثم قص عليه عدة قصص تمجد فيها النصارى المسيح، ثم أسلم، الى آخر القصص التى رواها الأسفراينى.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ–

فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹